الأسطورة اليمنية في الأدب العربي

رسالة علمية لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي

إعداد

فاطمة علوي الصافي

إشراف

الاستاذ الدكتور ذو الفقار علي مالك

جامعة البنجاب
كلية العلوم الشرقية
قسم اللغة العربية

سبتمبر: ١٩٨٦
محرم: ١٤٠٧

لاهور باكستان

الفهـــــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

" المقدمـــــة "

لقد اخترت البحث في موضوع " الأسطورة اليمنية في الأدب العربي " بعد أن أتممت أطروحتي العلمية لنيل الماجستير حول المرويات اليمنية ، اذ لفت انتباهي غلبة الجانب الأسطورى على معظم تراث اليمن الأدبي ، ورأيت أنها تستحق أن يخصها المرء بدراسة علمية وافية تضيء جوانب متعددة من حياة اليمانيين الاجتماعية والثقافية ، وقررت اتخاذها موضوعا لأطروحة الدكتـــــوراه •

ان أمهات الكتب والعديد من المصادر تزخر بالأساطير اليمنية التي تختلط بالقصص التاريخية ، وأحيانا تدق فتختفي في ثنايا الأخبار الأدبية • وكثيرا ما كانت هذه الصبغة الأسطورية سببا في عزوف بعض الباحثين عن الركون الى تلك المصادر الأدبية أو ايلائها بعض الاهتمام لربط الأسباب بالمسببات ، فيكيل أولئك الباحثون الاتهام لرواة تلك الأساطير ، اذ يتهمونهم بالمبالغة والتزيد والشطط في الخيال ، لأنهم ينظرون الى تلك الأخبار والقصص الأسطورية نظرة الباحث المؤرخ الذى ينتقي الصادق من الأخبار ، دون أن يولوا تلك المادة الغزيرة من الأساطير اهتمامهم ، ودون أن ينظروا اليها فنا أدبيا رفيعا ، ونتاجا انسانيا لأقوام كانت تدفعهم الى تلك الروايات دوافع متعددة ومختلفة تستحق منا الدراسة والاهتمام •

ويلقي البحث الضوء على تاريخ اليمانيين القدماء لامتزاج الأساطير بأخبارهم التاريخية ، ويعلل الأسباب التي دفعتهم الى ذلك ، كما أنه يقدم النظرة الموضوعية لتقويم اليمانيين وتراثهم الأدبي ، وعدم التأثر بظواهر الأمور في اطلاقنا الأحكام الجائرة التي لاتستند على أدلة وبراهين علمية ، وما هذا التقويم في الواقع الا محاولة للبحث بروح علمية متجردة ، همها الأول والأخير هو اثبات الحقيقة الموضوعية والانتصار لهـا •

ويتناول البحث الاهتمام بموقع الأدب اليمني القديم بين الآداب العربية ، وفيه محاولة لاثبات هوية هذا الأدب لارتباطه بحياة القوم وواقعهم الاجتماعي ارتباطا وثيقـا •

وينحصر البحث في حقبة زمنية معينة لاتتعدى في الواقع القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ولاشك أن العنوان يدل عليه فالأساطير تحمل معنى القدم والحكايات المتداوالة في عصر الرواية الشفهية حتي زمن تدوينها ، حيث تم التركيز على نماذج مختارة من تلك الأساطير واستنتاج خصائصها المميزة ، التي تلقي الضوء على جوانب متعددة متعلقة بفن " الأسطورة " في الأدب العربـــي .

ويجدر بي التأكيد على حرصي على أن يتوفر للبحث عنصرا الجدة والريادة في اضافات جديدة الى عالم المعرفة ، واضاءة جوانب متعددة في مجال " فن الأسطورة " فيما يتعلق باليمن بخاصة والأدب العربي بعامة . والمجال بكر في هذا النمط من الدراسة الأدبية ، ولاسيما في الجانب المتعلق بتراث اليمن ، حيث لم يتطرق اليه باحث بالدراسة العلمية الجادة .

وقد اتبعت في تقسيم البحث منهجا يسهل مهمة التعريف بالأساطير اليمنية ، واثبات هويتها ومن ثم التعرف على خصائصها وسماتها المميزة ، فارتأيت تقسيمها الى أنواع ثلاثة بحسب الأسس التي يعتمد عليها كل قسم ، وذلك لاجتماع كل نوع في السمات الخاصة به ، ولتتحقق الاحاطة الشاملة بالأساطير على اختلاف أنواعها .

ولذلك كان تقسيم البحث الى بابين . يتكون الباب الأول من فصلين :
الفصل الأول بعنوان " نشأة الأسطورة اليمنية " ويتضمن هذا الفصل اثبات وجود الأساطير اليمنية بخاصة ، كما عمدت فيه الى تعريف الأسطورة اليمنية واثبات هويتها ، ثم ناقشت ظروف نشأتها والدوافع التي أدت الى نشاط الرواة وأهل الأخبار في تداولها وسعة انتشارها .

وكان الفصل الثاني بعنوان " مصادر الأسطورة اليمنية " فكان التعريف بأشهر رواة اليمن الذين عرفوا برواية تلك الأساطير ، تبع ذلك رصد للمنابع الأساسية التي استقوا منها مادتهم الأولى ، ووجدتها متمثلة في ثلاثة مصادر :

أ - المرويات الشفهية المتداولة بين الشعوب السامية وغيرها .
ب - الكتب والأسفار القديمة .
ج - القصص القرآنــــــي .

وكان للانجراف في تيار القصص الأسطوري ظواهر أو نتائج طبعت المصادر العربية بطابعها ، ومن تلك النتائج :

- مزج التاريخ بالخرافة والأسطورة .
- اغراق كتب التاريخ والتفسير بالاسرائيليات .
- تفشي ظاهرة النحل .

أما الباب الثاني من البحث ، فهو يتكون من ثلاثة فصول تشمل أنواع الأساطير اليمنية ، وقد كان التقسيم بحسب الأسس التي ترتكز عليها تلك الأساطير ، ووجدتها ثلاثة أنواع :

الفصل الأول : يتضمن الأساطير ذات الأساس الديني ، وتناولت عددا من تلك الأساطير بالدراسة والتفصيل ، كما ألحقت بأساطير أخلاقية يمكن ادراجها في هذا النمط من الأساطير ، واختتم الفصل باستنتاج عدد من الخصائص المميزة لها .

الفصل الثاني : يشمل الأساطير ذات الأساس الطبيعي ، وكان تقديم نماذج من الأساطير المتعلقة بهذا الأساس كتلك التي تتناول الظواهر الكونية ، وبعد دراسة النماذج استخلصت السمات المميزة لهذا النوع من الأساطير .

الفصل الثالث : قدمت فيه الأساطير ذات الأساس التاريخي ويشمل عددا من الأساطير المتعلقة بشخصيات أو أماكن أو حوادث لها وجود في تاريخ اليمن ، وبعد دراسة تلك الأساطير استخلصت النتائج منها .

وبعد الانتهاء من فصول البحث الأساسية ، اختتمت بخاتمة ضمنتها نتائج البحث التي توصلت اليها في جميع مايتعلق بدراسة الأسطورة اليمنية وخصائصها المميزة ، محاولة بذلك القاء نظرة شاملة تجمع تلك الصفات والسمات التي تميزها عن غيرها .

ويمكن تلخيص مايقدمه هذا البحث في النقاط التالية :

١ - القاء الضوء على موقع اليمانيين القدماء بالنسبة لاخوانهم الساميين .
٢ - توضيح النشاط الفكري والأدبي لليمانيين في صدر الاسلام .
٣ - تتبع الأسطورة في الأدب العربي من حيث رواتها اليمنيون ومصادرها القديمة قبل الاسلام .

٤ - الكشف عن بعض حقائق الذوق الأدبي عند الشعوب السامية عن طريق (الأدب المقارن) لهذه الشعوب .

٥ - توضيح أهمية الكتب الدينية من حيث كونها مصادر هامة لنمو الأدب عند الساميين عامة والعرب خاصة .

وكان رجوعي - أثناء البحث - الى العديد من المصادر العربية القديمة والمراجع الحديثة التي بدأت الاهتمام بأساطير الشعوب ، وحرصت على الاطلاع على عدد من المجلات اليمنية التي انتشرت فيها المقالات العلمية النادرة في معالجة بعض مواضيع الأسطورة اليمنية . كما رجعت الى عدد وافر من الكتب الأجنبية التي ألفت في هذا الفن الأدبي وتناولته من وجهات نظر متعددة .

فآمل بهذا المجهود العلمي المتواضع أن أضيف لبنة الى بناء صرح التراث العربي ، وأن أملأ به ثغرة في بناء مكتبتنا العربية .

وفي ختام هذه المقدمة أتقدم بالشكر الخالص الى استاذى المشرف الدكتور ذو الفقار علي مالك (رئيس جامعة بهاولبور الاسلامية) الذى أشرف على هذا البحث وأفادني بتوجيهاته وارشاداته العلمية الرصينة ، كما أشكر رئيس قسم اللغة العربية في جامعة البنجاب الدكتور ظهور أحمد أظهر الذى قدم لي كل تسهيل ممكن لانجاز مهمتي العلمية أثناء اقامتي في ربوع باكستان .

-*-*-*-*-*-*-*-*-*-

الباب الأول

" نشأة الأسطورة اليمنية وانتشارها "

الفصل الأول

" الأسطورة اليمنية "

" الأسطورة العربية " :

ان البحث في الأسطورة اليمنية يتطلب منا أولا الاقرار بوجود الأسطورة العربية بعامة . فهل عرف العرب الأساطير في التراث المأثور عنهم ؟ ولماذا يحاول بعض الباحثين انكار معرفة العرب للأساطيــــر ؟ .

ان نظرة متمعنة في المصادر العربية وأمهات الكتب تجعلنا نتعرف على تراث ضخم من الأساطير العربية ، ولكن افتقار الشعر العربي - في عصر ماقبل الاسلام - الى الشعر الملحمي المعروف لدى الاغريق ، قد أساء الى أدب تلك الحقبة عموما ، وقلل من نظرة بعض الباحثين الأجانب الى ذلك الأدب ، فاتخذوا من خلو الشعر الجاهلي من الملحمة حجة في اتهام العربي بأنه محدود الخيال ، يفتقر الى الخيال الابتكارى ، كما أورد ذلك الدكتور عبد المعيد خان[1] الذى أخذ يقارن أبياتا من المعلقات بنظائر لها في آداب الأمم الأخرى ، مبينا الفروق في التشبيهات وأنماط الخيال في كل منها . وقد انجرف الباحث وراء المستشرقين في تجسيد ما أسماه بالمميزات السامية محاولا اضفاء صفات معينة على العرب ، متجاهلا واقع البيئة العربية ، ومتناسيا تراثا ضخما غير مقتصر على الشعر في بطون الكتب والمخطوطات .

ويمكن الرد على عدم قدرة الخيال العربي على الابتكار بالاستشهاد بأسطورتي شق وسطيح والعزى ومثيلاتها ، فسطيح رجل رأسه في صدره ، ولاعنق له ولاعظام الا في جمجمته ، وهو يطوى طي البساط . كما يذكر رشيف خورى اسطورة طريفة عن رجل بجذعين ورأسين يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويتصالحان[2] ، ومثل ذلك كثير في كتاب القزويني " عجائب المخلوقات " وغيره .

وقد أخذ عبد المعيد خان يفند وصف العرب لأعمال أصحاب المروءة والشجاعة والوفاء ، واستشهد بأمثالهم في تصوير المغالاة التي لاتتجاوز بهم الحدود البشرية ولاترتقي بهم الى درجة الآلهة مثل أبطال اليونان وغيرهم[3] ، متجاهلا اختلاف الحقبة التاريخية بين الشعوب ، منتقيا مايعزز وجهة نظره ، ولو استقصى (حاتم الطائي) وهو أحد من استشهد بهم ، لوقع على عدد من اللمح الأسطورية فيما ورد عنه ، حين جعله الرواة يقري الضيف بعد موته ، وغير ذلك من الأفعال الخارقة للأمور[4].

---

(١) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ،٣٣ و ٤٧

(٢) رشيف خورى ، مع العرب في التاريخ والأسطورة ١١

(٣) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٣٨

(٤) انظر البحث ص ١٤٦

وبلغت الدكتور أحمد كمال زكي[1] النظر الى مايزخر به كتاب النقائض من أساطير لاينقصها شيء مما حفلت به أساطير الاغريق ، فما أشبه " الميـنوطور " الحيوان الخرافي الذى كان نصفه الأسفل عجل ونصفه الأعلى نصف رجل له أنياب الأسد ، وقد قتله "ثيسيوس" بالغول التي طالما عرضت في أشعار شجعان العرب وهم يقطعون الصحراء[2].

وقد رد عدد من الباحثين على الدكتور عبد المعيد خان لأن في كتابه نفسه ما يفضي الى رد دعواه ، اذ يرى أن بابل وآشور كانتا أقدم مصدر للحضارة في جزيرة العرب ، وقد دعت الأساطير المتعلقة بالأوثان البابلية الى تحويل عقلية العربي من فكرة بدوية الى فكرة زراعية ، أيِ أنها ارتقت بالعقلية العربية فجعلتها غير محدودة ومبدعة لأسطورة عربية خالصة .

وقد أشار الدكتور الجوزو[3] الى مايسمي بهجرة الأساطير والخرافات ، وأورد ملاحظة قيمة لكلودلفي ستروس ، فحواها "ان كل أسطورة بطبيعتها اما منقولة أو مقتبسة ، نجد جذورها في أسطورة أخرى مصدرها شعب مجاور ، أو في أسطورة سابقة من أساطير الشعب نفسه ، فما يبدو مرتجلا من الأساطير قد أعيد انتاجه مع المزايا والتفاصيل نفسها ، وفي مناطق شتى من العالم .

كما أن التراث العربي الذى نبحث عن تقويمه موجود في التوراة كما هو موجود في قصص البابليين – ملحمة جلجاميش مثلا – وأخبار عاد وثمود وطسم وجديس . فكان أكثر ما أخذه اليهود منقولا عن قبائل العربية الكبرى بين اليمن في الجنوب وقبائل الاراميين والكنعانيين في الشمال . ان توزع الخيال العربي في كتب اليهود أكبر من أن ينكر ، ولئن كان اليهود قد حاولوا طمسه أو تشويهه ، فالذى لاشك فيه أن ما به من روايات عن الخلق والطوفان والكواكب يشبه مايرويه القاصون العرب عن ملوكهم القدماء وأبطالهم الذين قاموا بكل ما لايستطيعه بشر تحت الشمس[4].

لهذا لايجوز ربط الأسطورة بعقلية ثابتة معينة لمنطقة ما ، بل يستحسن نسبتها الى التراث العالمي الذى تطبعه كل منطقة بطابعها الخاص ، دون أن تمحو جوهره وتنسى مصدره .

---

(١) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٧٨

(٢) ينظر مروج الذهب ١ : ٣٢٦ ويقارن

(٣) مصطفي الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ١٢

(٤) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٣٦

ان المتأمل في مصادر الأدب العربي وتاريخه يجد كثرة من الأساطير التي لم تمتد اليها يد الباحث بالتنقيب والدراسة والتفصيل فيها ، فبقيت كما هائلا مغفلا ، حتي قيض الله لها في الآونة الأخيرة من يتفحصها ويعيد النظر فيها بتأمل ، فظفرت باهتمام عدد من الباحثين ، نفضوا التراب عنها ، وحاولوا اجلاءها للعين فبدت جميلة براقة ، وأظهروا مافيها من خصوبة وثراء يجعلها تصلح مجالا للعديد من الدراسات المقارنة في عالم الأدب اليوم ، وأذكر من هوءلاء الدكتور أحمد كمال زكي والدكتور مصطفي الجوزو ، ومحمود سليم الحوت وفاروق خورشيد ورئيف خوري وغيرهم .

لقد انصرف الباحثون قديما عن دراسة الأسطورة العربية ، ولعل ذلك يرجع الى الأسباب التاليـــة :

١ - ارتباط الأسطورة بالشعر الملحمي ، كما نجد ذلك لدى الاغريق في الالياذة والاوديسا ، فأخذ الباحثون ينقبون بحثا في مصادر الأدب الجاهلي ، محاولين اضفاء بعض الصفات على معلقة عنترة أو شعره بشكل عام ، ولكن الواقع لم يسعفهم ، فسلموا بافتقار الأدب العربي الى الأساطير ، وتوقفوا في حسرة وأسف دون النظر الى الكم الهائل من الأساطير (نثرا) وفي ثناياها ما يمكن أن يجمع في ملحمة شعرية كما فعل بيوتروفسكي في كتابه : "ملحمة عن الملك الحميرى أسعد الكامل" . وتضاربت الآراء في خلو الأدب العربي من الملحمة ، ورأى المتجنون في ذلك نقصا في ذهنية العرب وفي حياتهم الأدبية والفنية ، بينما أنصفهم البعض في محاولتهم ابراز بعض المظاهر الملحمية المبثوثة في دواوينهم[(١)] .

٢ - شيوع الآراء الأجنبية التي حاولت تجريد العربي من الخيال ، وعملت على ترويج الرأى القائل بعدم وجود الأسطورة العربية ، ولم يعد هذا القول في حاجة الى تفنيد ، لأن الدراسات الموضوعية قد أثبتت خطأه وتأثره - عن غير وعي - بالعنصرية التي حكمت على الجماعات الانسانية بالتفاوت ، تبعا للأرومة أو العنصر ، فشاعت تلك الأفكار بوساطة بعض الفلاسفة وعلى رأسهم الفيلسوف الفرنسي "أرنست رينان" في القرن التاسع عشر .

٣ - تعريف "الأدب" قديما ، اذ نلاحظ أن تعريفه كان "الأخذ من كل علم بطرف" فاشتهر في ذلك الحين ، التأليف الموسوعي المكون من فروع الأدب المختلفة ،

---

(١) أحمد أبوحاقة ، فن الشعر الملحمـــي ٦١

وأضرب مثلا بمؤلفات الجاحظ "البيان والتبين" و "الحيوان" ، فيجد فيها اللغوي بغيته في حل المعضلة النحوية أو اللغوية ، كما يجد الناقد تفسير تعبير أو تصوير فني في بعض الأبيات ،(مثله مؤرخ الأدب وهكذا... ويأتي ذكر الأسطورة عرضا في هذا الخضم الزاخر بفروع الأدب ودقائقه المختلفة ، وتبقى المادة مغفلة ، في انتظار الباحث الذى يعرف أين يجدها ، فيمد يده ليخرجها من ثنايا هذا الكتاب أو ذاك ، الى النور ، فيسلط الضوء عليها ويتناولها بالدرس والعناية .

٤ - غياب المنهجية في تأليف القدامى ، وامتزاج الأسطورة بالتاريخ ، اذ لا وجود للكتاب الخاص بالأساطير . وانما هي كتب تاريخية يحاول المؤرخ فيها ذكر ما كان يروى في عصره مما يتعلق بهذا الخبر أو ذاك ، ونجد اللاحق يتبع السابق من المؤرخين ، فيتكرر ذكر تلك الأساطير لديهم وتزخر بها كتبهم (الطبرى والمسعودى وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم) على الرغم من نصهم الصريح بعدم ايمانهم بحقيقة ذلك الأمر ، أو ينهون الخبر بقولهم (وهذا حديث خرافة... أو غيره) .

ويقبل الباحث على تلك الكتب فيغترف منها ماشاء من الأخبار التاريخية والأدبية التي يصدقها العقل والمنطق ، ويغفل الجانب الذى لايستقيم أمامهما لأنه يخضع المادة المقروءة لمعيار الصدق الواقعي ، لا الصدق الفني ، ويهمه في الأخبار صدقها وتمحيصها ، وينتج عن هذه الحال اغفال ذلك النتاج الأدبي للقوم .

ومن الغريب أن يبحث الكاتب عن الصدق الواقعي في الأسطورة ، عندما يقرر أن "بعض القصص لايمكن ادخالها ضمن دائرة الأسطورة لعدم وجود الدلائل عليها"[١] فلو صح ما يبحث عنه لبطلت أن تكون الأسطورة أسطورة . ويعترف أحد فلاسفة الأسطورة بتجلي الناحية اللاعقلية في الأسطورة بوجه خاص ، وبعدم وقوفها للوضوح والتبرير ، عند حديثه عن الأسطورة الحقيقية[٢].

٥ - عدم الشعور بأهمية الأسطورة وارتباطها بحياة القوم ومناحي تفكيرهم . وقد ظهر الاهتمام مؤخرا بعد الاهتمام بالدراسات الانثروبولوجية والاثنولوجية .

---

(١) مجلة الحكمة - العدد ٥٨ ، مقالة القرشي عبد الرحيم سلام ص ١٥

(٢) هـ . فرانكفورت ، ماقبل الفلسفة ١٨

كما أن القرن التاسع عشر ، في أوروبا ، قد جلب معه ثورة فنية وجمالية أعادت للأسطورة رونقها وبهاءها كشكل فني تعبيري من أشكال الفولكلور والأدب الشعبي ، بعد أن أراد أصحاب عصر الاستنارة في القرن الثامن عشر محوها ، ولم تكن اعادة الاعتبار هذه الا مرحلة أولى ، فما لبث الرومانتيكيون أن توغلوا في نظرتهم الى الأسطورة ، فاعتبروها أصلا للفن والدين والتاريخ ، وأصبحت لهم منهلا كرا وملهما . ثم اتجهت اليها العلوم الانسانية تبحث خلف الشكل الظاهر للأسطورة ، عن رموز كامنة ومعان عميقة تعين على فهم الانسان سلوكه وحياته الروحية والنفسية ، فقدمت لمختبرات علوم الاجتماع والنفس والانثروبولوجيا مادة قيمة لاتقدر بثمن ، وغدت منهلا للعلوم[1].

٦ - اهتمام الباحثين في الأدب العربي بالشعر : لقد قصر معظم الباحثين دراستهم على الشعر ، متتبعين خطى البلاغيين القدماء ثم مؤرخي الأدب العربي ، متناسين أن جانبا كبيرا وخطيرا من أدبنا قد أهمل اهمالا وترك للنسيان .

ومعروف أن من أسباب العناية بتدوين الشعر الجاهلي الرغبة في معرفة معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم ، فاتخذ الشعر شاهدا على صحة تلك الألفاظ ومعناها ، فكان الهدف الديني هو الحافز على جمع شعر الجاهليين والانكباب على دراسته .

أما القصص فليس دينيا ، بل ربما تعارض مع المفاهيم الدينية ، فأدى هذا الى تجاهل عديد من القصص التي عرفت في العصر الجاهلي[2].

٧ - نظرة بعض المتكلمين للأسطورة : أخذ بعض العلماء من المتكلمين يقيسون الخرافات والأساطير بمقاييس الاسلام والعقل ، فوقفوا منها موقف المستنكر ، وكثير من فرق المتكلمين - وبخاصة المعتزلة - يسخر من رواياتها ، حتي لقد جرؤ الجاحظ على أن يقول في أحد أجزاء حيوانه : "نعوذ بالله من الهذر والتكلف" .

ولاشك أن دافعهم الى اتخاذ مثل هذا الموقف هو اهتمامهم بالأمور الدينية والعقلية المحضة ، فكأنهم أرادوا بذلك عدم امتزاج الهزل بالجد ، وحصر انتباه من حولهم في التفسيرات العقلية لأمور دينهم ودنياهم ، فكان مدار اهتمامهم المسائل العقلية والفكرية الجادة ، وهذه تتنافى مع روح الأسطورة في ظاهرها .

---

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولي ٩

(٢) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٢٥

٨ - الخلط بين الأسطورة وغيرها من مثل الخرافة أو الحكاية الشعبية ، ولعل تشعب الدراسة في الأسطورة جعل بعض العلماء يضيق الخناق على تعريف الأسطورة ، فيعدها حكاية مقدسة أبطالها من الآلهة وأنصاف الآلهة ، وأحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة ، بل وقائع حصلت في الأزمنة الأولى المقدسة ، بل هي سجل أفعال الآلهة التي نظمت الكون(١). فكان التأثر في مثل هذا التعريف بالأساطير الاغريقية ، وقياس نتاج الشعوب الأخرى عليه ، مما يضيق الخناق على الأساطير المختلفة فيبطل ادماجها ضمن الأسطورة ودراستها .

وعلى العكس من ذلك توسع بعض الباحثين في دراسة الأسطورة فرآها "دراسة كل ما سطر عن الجاهليين تاريخا كان أو دينا ، لأنه لم يكن قد وجد في العصر الذى نسميه عصر توليد الأساطير ذلك التفريق الحديث ، فالعلم كان محدودا وممتزجا بالدين ولم تكن المعلومات تتجاوز حدود دائرة الضرورات العقلية "(٢).

ولايمكن أن نقبل هذا التوسع الذى يبيح امتزاجا واسعا في موروثنا الثقافي ، على نحو تضيع معه الخطوط الفاصلة في فنون الأدب ، ولابد من تلمس السبيل الصحيح بين هذين الاتجاهين ، فلا نميل الى التضييق التابع من دراسة الأسطورة لدى أمة معينة وفرضه على أدب الشعوب وتراثها ، مما ينتج عنه اخراج كم وفير من القصص ذات السمات الأسطورية من أدبنا العربي ، وحرمان الباحث من الاطلاع عليها ثم دراستها وادراجها فيما تندرج تحته من فنون الأدب المختلفة . كما ينبغي عدم التوسع الذى لا يحفظ للأسطورة سماتها الأصلية ومميزاتها التي عرفت بها لدى الأمم المختلفة على مر الأزمان السالفة ، فتتجنب بذلك مزالق الخلط والمزج الذى لايضيف شيئا الى تراثنا ، بل يبيح للناقدين أن يجدوا منفذا الى الطعن فيه .

<u>فما هو تعريفنا للأسطورة ؟</u> وقبل تلمس التعريف المناسب ، نحاول أن نستعرض بعض التعريفات المختلفة لدى الباحثين ، فمن قائل أنها "حكاية الأزمنة الخرافية والبطولية" وهي حكاية وهمية في أسلوب مجازى ، تبسط معارف تاريخية وفلسفية عامة ، وهي فكرة بدوية تاريخية صيغت بصيغة الاطناب ، والمغالاة لاظهار أهمية الحادثة الحقيقية في جيل زال أثره من ذهن الناس(٣).

---

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولـى ١٥

(٢) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٢١

(٣) مصطفى الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ٨ ، وانظر عبدالمعيد خان ٢٠

فالأسطورة بهذا المعني قصة "وجود ما" ، بل هي "التاريخ في صورة متنكرة" كما نص على ذلك أحد علمائها[١].

وتعكس الأسطورة تفسير علاقة الانسان بالكائنات من حوله ، وصراع اللاوعي البشري ، لذا قيل أنها نوع من التعبير عن أحلام الشعوب وعقلهم الباطن ، بل هي حلم الجماعات[٢].

ومن الأفضل أن نعتمد التعريف القائل بأن الأساطير حكايات خيالية ، توجد عند الأمم في حالتها الأولي . ومادتها أشخاص أو حوادث أو أعمال فوق طاقة البشر ، وتدور فكرتها العامة حول ظاهرة تاريخية أو طبيعية . فقد شغل الانسان قديما بمظاهر الطبيعة من حوله وأخذ يتساءل عن الكون ونشأته ، كما حار في تفسير بعض الظواهر التاريخية والاجتماعية ، وحاول الاجابة عن كل ذلك في قصص حملت اسم "الاساطير" .

ويلحق بالأساطير قصص المسخ ، وتحول بعض الناس الى حيوانات بقوة سحرية ، فباخوس اله الخمر في الأساطير الاغريقية أجر سفينة من قرصان تيرينا لتنقله من مكان الى آخر ، ولكنهم بدل أن يحملوه الى غايته اتجهوا به الى آسيا ليبيعوه رقيقا ، فصار باخوس أسدا ، وحول الشراع والمجاذيف الى ثعابين ، وأنبت اللبلاب حول السفينة وانطلقت الأصوات من كل جانب ، وجن الملاحون جميعا ، ووثبا الى البحر ، وفيه مسخوا دلافين ، والأسطورة تبين على نحو واضح عقيدة الناس فيما تستطيع الآلهة أن تفعله اذا أراد أحد بها سوءا[٣] . ونجد مثل ذلك في قصص المسخ العربية كما سيرد في أسطورة اساف ونائلة ، وغيرها من حكايات المسخ .

الأسطورة والخرافة والحكاية الشعبية : يعد بعض الباحثين الحكاية الخرافية بقايا أساطير موغلة في القدم ، وكان من نتيجة هذا التصور أن خلط الباحثون بين الأسطورة والخرافة ، ومالوا الى الاعتقاد بأن الآلهة التي تظهر في الأساطير عادة تتحول في الحكايات الخرافية الى مجموعة من الكائنات الأرضية الخارقة كالجن والغول والسعلاة .

وقد وضح الدكتور مكي التداخل بين الأسطورة والخرافة ، فجعل الأخيرة قصة أبطالها شخصيات غير عاقلة من الحيوان والجماد ، ولكنها تفكر وتتصف بالعقل

---

(١) Echemerns, Introduction to Mythology P. 42

(٢) الجوزو ، من الأساطير العربية ١٣ ، وينظر خليل ٢ ، مضمون الأسطورة في الفكر العربـــي .

(٣) الطاهر أحمد مكي ، القصة القصيرة ١٠

والمنطق ، ولها عواطف ومشاعر كالبشر وتقوم بدور انساني واقعي ، وقد تتجاوز الواقع ، وتسرف في الخيال وتخر بأبطالها عن حد الممكن فتدخل في نطاق الأسطورة [(١)] .

ويقرر الدكتور أحمد كمال زكي أن الحكاية الخرافية لاتعتمد الحدث أساسا لها وانما تعتمد البطل ، وهي تختار من الأحداث مايلقي الضوء على شخصيته ويؤثر في حركته ، مع امتلائها بعنصر الخيال ، ثم يسلم بوجود تلازم بين الأساطير والحكايات الخرافية ، وأظهر مايكون هذا التلازم في التراث العربي الذى وجد في اليمن والعراق القديمين ، فكثيرا ماتحكي أسطورة أعمالا تسردها بتفصيلاتها الحكاية الخرافية ، والا فهل ثمة فرق كبير بين رحلة "أوليس" ورحلة "جلجاميش" أو السندباد [(٢)] ؟

وقد انتبه أرسطو قديما الى هذا الالتحام ، فلم يفرق بين الخرافة والاسطورة ، بل ربما فهم من كثير مما ردده في كتابه "فن الشعر" أنهما شيء واحد [(٣)] .

أما الحكاية الشعبية ، فانها لاتتطرق ، كما هو شأن الأسطورة ، الى موضوعات الحياة الكبرى وقضايا الانسان المصيرية ، بل تقف عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية كمكر النساء وغلبة القوي على الضعيف .... الخ [(٤)] ، ومع هذا يخلط اليوم بعض الباحثين بين الحكاية الشعبية والأسطورة ، وقد بني مؤلف كامل على هذا الخلط بين الحكايات الشعبية والأسطورة ، فعندما نتصفح كتاب محمود على عبده "من الأساطير اليمنية" نفاجأ بعدد من الحكايات الشعبية المتداولة اليوم بين الناس ، مما يدل على عدم وضوح الرؤية في التفريق بي نمط كل من الحكاية الشعبية والأسطورة .

ومما يجدر عدم اغفاله - هنا - صلة الأساطير بالفولكلور الذى يعد متشعبا عنها عند بعض الدارسين ، ولهذا يعد مكملا لها . واذا كانت الأسطورة تشحذ مشاعر معينة في نفوس الذين يعتنقونها ، وتدفع بهم في مسارب النفوس ، وذلك لكي توجههم الى القيام بعمل محدد يتطلبه الصالح العام ، فان الفولكلور في تصور هؤلاء يلتقي بالأسطورة في منتصف الطريق ، لانه بدلا من توجيه المشاعر الى سلوك عام أو موحد ، فانه يفرغ شحنتها بالمحاكاة أو التمثيل . ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الفولكلور لايقصد الى مجرد التمثيل ، ولكنه يستهدف مواقف جادة في حياة الانسان ، وان اتخذت طريقا غير مباشر ، كما هو الحال في الحكايات البعيدة عن الواقع التي تعتصم بعوالم سحرية أو خرافية [(٥)] .

---

(١) الطاهر أحمد مكي ، القصة القصيرة ١١

(٢) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٦٣ - ٦٦

(٣) أرسطو ، فن الشعر ١٣ ، ٢١ ، ٢٨

(٤) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولي ١٧

(٥) مقالة الفولكلور والميثولوجيا ،مجلة عالم الفكر- العدد الأول سنة ١٩٧٢ ص ٥٣

أهمية الأسطورة :

اننا نلمس اليوم - في الدراسات الانسانية بعامة والأدبية بخاصة - اهتماما كبيرا بدراسة الأسطورة في جميع وجوهها ، فنشأ علم الأساطير ، وهو علم قائم بذاته ، وتناول علماء الأسطورة دراستها والتفصيل فيها ، كما لمسنا ذلك عند تعرفنا على تعريفاتهم المختلفة للأسطورة ، كل منهم بحسب الجانب الذى أقبل على الاهتمام به من جوانب الأسطورة المختلفة .

وتعد الأسطورة أقدم مصدر لجميع المعارف الانسانية ، ولذلك ترتبط لفظة "أسطورة" دائما ببداية الناس ، أو ببداهة البشر قبل أن يمارسوا السحر كضرب من ضروب العلم أو المعرفة . ومن الواضح أنها في هذه الحال تمس المأثورات الدارجة بأبعادها المادية والروحية ، وتعرض لكثير مما يعكف عليه الأركيولوجيون وبخاصة عندما يستنطقون النقوش المتبقية فوق الأواني والألواح والأدوات حيث تقص أطرافا عن حياة الانسان في الماضي البعيد أو القريب[١] .

وقد أقبل علماء الانسان على استنباط كثير من الأمور من الأسطورة ، فبحثوا في التفكير الجاهلي الذى بني أساسه لا على التاريخ بل على الأساطير التي تناقلتها الأجيال المختلفة ، فأقبلوا على مقارنة الروايات المختلفة واستنباط مناحي التفكير لدى الأمم القديمة ، ولذا كان البحث في أساطير الأولين هو بحث في التفكير ومناهج النظر البشرى ، اذ يرينا كيف شرع الانسان الأول يفكر في نفسه وفي خالقه وفي الرابطة بينه وبين الموجودات معنوية كانت أم مادية .

وربط المتخصصون المحدثون بين الأساطير وديانات الشعوب ، فاعتقد معظمهم أن الطقوس أسبق من الأسطورة في الظهور ، فالأسطورة تعد تفسيرا تمثيليا للطقوس ، ويكاد العلماء يجمعون على وجود رابطة وثيقة بين الأساطير والطقوس ، وأثبتت الدراسات العلمية لحياة الجماعات البدائية أن الأسطورة عند الانسان البدائي انما تعني حكاية واقعية لها مكانها الممتاز في حياته لسببين : أولهما قداسة الأسطورة عند الانسان البدائي ، وثانيهما : أن لها هدفا عظيما في تصوره[٢] .

---

(١) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٤٤

(٢) مجلة عالم الفكر ص ١٨ ، مقالة "الفولكلور والميثولوجيا" العدد الأول ١٩٧٢

ويمكننا اكتشاف الحياة الدينية للأقوام والشعوب من خلال أساطيرهم . لذلك عدت الأساطير والملاحم سفرا مقدسا لا يقل أهمية عن الكتب المقدسة ، وان ابن الأثير عندما وصف الشاهنامه الفارسية بأنها قرآن القوم لم يكن مخطئا ، وانما أصاب كبد الحقيقة . فالأساطير سجل لأمجاد الأمة وانعكاس لأصالتها في الحياة وصورة لوجدانها القومي[١].

ان الأسطورة – بجميع مواصفاتها – قد أصبحت من الأعمال الذاتية التي بلغ من سلطانها أن وجهت دراسات السيكولوجيين والأنثروبولوجيين الاجتماعيين توجيهات حاسمة وخطيرة . ولقد بلغ من اهتمام الباحثين فيها أن وضعوا لها تنظيما يربط بعضها ببعض في جميع أنحاء العالم للرجوع بها الى أصول واحدة تكون بداية التفكير الانساني . كما فعل ذلك موللر مستفتيا أسماء الآلهة ، ومن ثم نجد علاقة بين أوزيريس المصرى وتموز البابلي وديونيسوس الاغريقي ، كما نجد العلاقة نفسها بين عنتر العربية وعشتار الفينيقية وعشتروت الآشورية البابلية[٢].

ويرى مالينوفسكي أن الأسطورة احياء قصصي لواقع فطرى ، يروى استجابة لنزعات دينيه عميقة وميول أخلاقية وارتباطات اجتماعية ، بل لتحقيق حاجات عملية ، فالأسطورة تقوم من الثقافة البدائية بوظيفة لا غني عنها ، فهي تعبر عن العقيدة وتزكيها وتقننها ، وتصون الاخلاق وتدعمها ، وتبرهن على كفاءة الطقوس ، وتنظم قواعد عملية لهداية الانسان[٣].

والأسطورة بهذا المعنى عنصر حيوى في الحضارة الانسانية ، وهي ليست سمرا لقضاء الوقت فحسب ، ولكنها ميثاق عملي للعقيدة البدائية والحكمة الاخلاقية ، وهذه الحكايات ، عند المعتقدين فيها ، تقرير لواقع فطري ، لايزال يتحكم في حياة الناس وأقدارهم وأعمالهم في عصرنا الحاضر ، ومعرفتها تمد الانسان بالحافز على النهوض بالأعباء التي تمليها الطقوس والفضائل ، كما تزود بالارشادات التي توضح له طريقة أدائها .

---

(١) أحمد أبو حاقة ، فن الشعر الملحمي ٢٧

(٢) أحمد كمال زكي ، الأساطير ١٠٧

(٣) مجلة عالم الفكر ١٩ ، مقالة "الفولكلور والميثولوجيا" العدد الأول ١٩٧٢

وأقبل بعض علماء الأسطورة على دراسة النواحي النفسية فيها ، وأولوها عناية كبيرة ، أما ماكس مللر وهربرت سبنسر فقد جعلا الأساطير مرآة لقراءة نفسية الذين ألفوا الأساطير فذهبا الى تحليل نفسية الأولين مستشفين ذلك من أساطيرهم ، ولعل هذا الاهتمام بالناحية النفسية جعلهما يقصران في شرح الأسطورة نفسها[1].

وتزداد أهمية الأسطورة لدى علماء التحليل النفسي ، فالأسطورة لديهم ، كما الحلم ، تكمن أهميتها في تقديمها حكايا تشرح بلغة الرمز حشدا من الأفكار الدينيه والفلسفية والأخلاقية ، وما علينا الا أن نفهم مفردات تلك اللغة ، لينفتح أمامنا علم مليء بمعارف غنية شرت . ولغة الرمز هي اللغة التي تنطق عن الخبرات والمشاعر والأفكار والباطنة في شمولية تتجاوز بها فوارق الزمن والثقافة والجنس[2].

وتعد الأسطورة أصلا من أصول الثقافة الانسانية بعامة ، وأصلا من أصول معرفة حياة الانسان الأول وتاريخه على هذه الأرض ، لذلك يرى علماء الانسان في الأساطير أبعاد الحضارات القديمة كما يجدون فيها مادة أدبية أو فنا قوليا يجسد ضمير الأمة . ومن ثم يربط الحاضر بالماضي السحيق ، ويوجد التاريخ الذى يعني بالمراحل الثقافية الأولي ، ولاشك أن التراث الأسطورى كله بهذه الصفة الأدبية - وان أحاط به الغموض وأصابه التحوير - فانه يعد مفتاحا لفهم الحضارات القديمة ، بل أساس كثير من الأفكار والانثروبولوجيا الهامة .

وربما ينبرى قائل بعدم وجود الحقيقة الواقعي أو الصدق الواقعي في الأسطورة فالواقع يبدو في الأسطورة خارقا ، لا يخضع لعقل أو منطق يقيم به العقلانيون ، ولكن مع ذلك يظل الواقع في الأسطورة شيئا قام حقيقة ليحكي تاريخا مقدسا ، ويصور مواقع قديمة لعبادة آله ما ، أو يصور كائنا خارقا أو مفكرا حاول أن يفسر ظواهر الكون والطبيعة ، وحاول أن يضع أوليات المعرفة باجابته وتعليلاته عن أسئلة طرحها ذهن الانسان . وتظل الأساطير تحتفظ بكثير من القيم تكشف عنها ، في الوقت الذى تغوص فيه بعض جوانبها الى اللاشعور تحت وطأة التقدم الفكري المطرد .

---

(١) أنظر عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ١٧

(٢) Eric Fromm, The Forgotten Language

ولاشك أن البحث يحتاج منا الى جهد في تحديد معالم الواقع في كل أسطورة
تسليمنا بأنه لاجدوى من المعرفة اليقينية في الأساطير ، وحسبنا أن نعرف أن ه
الأساطير تظل دائما علينا في أحلامنا ، وفي نتاجنا الأدبي الحديث ، وقد استعان ب
ما أسموه بالنقد الأسطوري في تفسير كثير من الأعمال الأدبية العظيمة[1] .

وفي الواقع لايجدر بقارئ الأسطورة أن يسأل عن الحقيقة والوهم فيها ، لأ
لا مكان للحقيقة بعد أن اختلط عالمنا بعوالم أخرى مجهولة قوامها الآلهة والمر
والجن والمسوخ ، بل لعلها وهي بتأثيرها المباشر تبدو قاسية غريبة . غير أننا ا
تركنا أنفسنا لها كرت بنا على الفور الى الوراء ، ولاشتنا فيها ، حتى اننا ج
منها أو هي جزء منا ، ولايمكن أن نرد هذا وقد جعلناها نتاجا أدبيا بأشكالها ال
رويت بها الى عنصر الصدق الفني الذى يفرض منطقه بسهولة من خلال الأعمال الأدب
الناجحة ، ولكن نردها اليه والى مافيها من القيم الوجودية التي تبدو كما لو ك
أصلا لما جد ويجد على مدى الزمن[2] .

واذا أردنا أن نتبين تقنية الأسطورة وطرحنا السؤال : ما منطق الأسطورة
فالاجابة عن هذا أن منطق الأسطورة هو اللامنطق واللامعقول واللازمكان،وفي هذا كله تب
الأسطورة وسطا بين الحلم واليقظة، أو لعلها تبدو وكأنها ضرب ممتع من أحلام اليقظ

تعريف الأسطورة اليمنية :

بعد ترجيحنا لتعريف الأسطورة وطبيعتها بعامة ، ينبغي الوقوف أمام الأسطور
اليمنية بخاصة ، فما هو المعيار الذى أثبت به يمنية هذه الأسطورة ؟ هل راويه
يمني ؟ هل بيئتها يمنية ؟ هل أبطالها يمنيون ؟ هل ارتبطت بتاريخ اليمن القديم
وكيف يمكن التخلص من هذا التداخل بين عرب الجنوب وعرب الشمال ؟ والهجر
أمرها معروف بين شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها ، ولاسيما بعد تدهور الأحوا
الاقتصادية في الجنوب .

---

(١) أحمد كمال زكي ١٢٣
(٢) المصدر السابق ١٠٩
(٣) المصدر السابق ١١٥

والطريق ليس شائكا في التعرف على الأسطورة اليمنية - كما قد يتبادر الى الذهن - عند مواجهة هذه التساؤلات ، وأحاول الاجابة عنها جميعها ، فعند الرجوع الى مصادر التاريخ والأدب العربي نجدها مليئة بالأساطير العربية ، وقد امتزج بعضها بالأخبار التاريخية فخرجت عن طور الحقيقة وعالم الواقع الى عالم الأساطير . ويبهرنا - فنيا - وجود تلك الأساطير فنبحث عن الراوى ونتتبع سلسلة الرواة لنجدها في الأخير تنتهي الى الراوية اليمني ، وربما تكرر في السلسلة نفسها أكثر من راو يمني ، ونجدها في جميع الأحوال لاتكاد تخرج عن ابن اسحاق الكلبي ، ووهب ابن منبه وكعب الأحبار وعبيد بن شرية الجرهمي ، وجميعهم يمانيون ، كما سنفصل ذلك في الفصل القادم .

ولايغيب عن بالنا موضوع الهجرة بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، وسبل الاحتكاك المستمرة بينهما ، فعلاقة اليمن بالحجاز قديمة جدا ، ترجع الى أيام الدولة المعينية ، ثم استمرت أيام الدولة السبئية والحميرية فمنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد وحتي القرن السادس الميلادى تقريبا ، وقد أسس اليمانيون مستعمرات لهم على طول الطريق التجارى في معان والعلا ، كما تشهد بذلك النقوش التي وجدت في هذه المناطق (١) .

ومن مظاهر الاتصال القديم استيطان جرهم القديم شمالي الجزيرة العربية وهو من ولد قحطان بحسب قول المصادر العربية ، ثم هاجرت قبائل يمنية أخرى نحو الشمال بعد اضمحلال شأن اليمن الاقتصادى ، وتهدم سد مأرب ، فسكنت القبائل الجنوبية في شمالي الجزيرة العربية ، كما سيطرت قريش على التجارة منذ بداية القرن السادس ، وسيطرت قوافلها على نقل التجارة ، وقد دلت آيات القرآن الكريم على رحلة أهل مكة الى الشام صيفا والى اليمن شتاء للتجارة .

كما تحدثنا المصادر العربية عن وفد قريش برئاسة عبد المطلب الذى قدم الى اليمن لتهنئة سيف بن ذى يزن بعد انتصاره على الأحباش ، وربما كان قدوم هذا الوفد دليلا على حسن الصلة والمودة . كما كان للشعراء في الشمال علاقة بالجنوب ، فمدح الأعشي الأكبر عددا من ملوك اليمن وأقيالها (٢) .

---

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ١٢٤

(٢) الهمداني ، الأكليل ٢ : ١٩٥

وقد استمرت الوفادة بين الشمال والجنوب بعد الاسلام ، فقدم وفد همدان الى الرسول (صلعم)[١] . كما قدمت الى اليمن وفود المسلمين لنشر الدعوة الاسلامية في عهد النبي (ص) والخلفاء الراشدين ، فوجدوا أمامهم آذانا صاغية وقلوبا داعية لتقبلها.
ولكن مع كل ما أوردت من مظاهر الاحتكاك وتسليمنا به ، فانه مما يلفت الانتباه التصاق الأساطير باليمن على هذا النحو أو ذاك. فأحيانا ينتسب بطل الاسطورة الى اليمن ، كما نجده في عمر بن لحي وجرهم وذو القرنين وتبع وغيرهم ، وتتجلى محاولة راوى الأسطورة وحرصه على انتساب شخصياته الى اليمن .

وربما كانت البيئة يمنية ، كما نرى في سيل العرم وقصر غمدان وارم عاد وغيرها من الأساطير التي ارتبطت بها .

وربما كانت الظاهرة في الأسطورة ترتبط الى حد بعيد باليمن ، كما نجد ذلك في ظاهرة الكهانة ، حيث اشتهر كهانهم بالتكهن ، ومحاولة استكشاف الغيب وتحذير من حولهم بما يمكن أن يقع - على حد زعمهم - كما في أسطورة سطيح وغيره من الكهان ، ونلمس هذا في ظاهرة أخرى هي (مصاهرة الجن) وهذا أمر ارتبط بشخصيات يمنية في بيئة يمنية كما ورد في الروايات عن والد الملكة بلقيس ، الهدهاد بن شرحبيل وقصة زواجه من أمها الحرورى وهي امرأة من الجن ، وتحكي الروايات أسطورة طريفة في طريقة لقائه بها .

وربما كانت الأسطورة متعلقة بديانة القوم ومظاهر عبادتهم ، كما سنرى في عبادتهم الكواكب ، أو تتصل بمعتقداتهم كما نجد ذلك في أخبار القبوريات التي يزخر بها أكليل الهمداني .

وعند دراسة هذه الأساطير المختلفة والتمعن فيها يلمس المرء الصبغة اليمنية التي أضفاها عليها الراوية اليمني ، ويتحقق المتأمل في الأساطير وجود بصماته واضحة فيها . ويجد ارتباطها الوثيق بواقع اليمن وتاريخه على مر العصور ، ويتضح للباحث تفسير كثير من الظواهر والخصائص التي تبدو سماتها مميزة لتلك الأساطير ، ولن يتاح له فهمها على نحو أفضل قبل الاحاطة بمدى ارتباطها بواقع اليمن وتاريخه .

---

(١) الزجاجي ، الأمالي ١٥٢

والا فهي الأخبار التاريخية السقيمة التي لايستطيع عقل أو منطق أن يصدقها ، كما يفعل بعض المؤرخين ، أو بعض الأدباء - للأسف الشديد - فيقبلون على تمحيصها ويقيسونها بمقياس الصحة والخطأ ليعرفوا درجة قربها من الحقيقة والواقع ، وهم بذلك يغفلون الجانب الفني فيها ، والنظر اليها نتاجا أدبيا رفيعا يصور منحى من مناحي التفكير لدى الأقوام في حقبة زمنية معينة .

نشأة الأسطورة :

لقد ارتبطت نشأة الاسطورة دوما بمحاولة الانسان كشف حقيقة العالم والحياة والبدايات ، وتفكيره في الغايات والنهايات ، فاعتقد في البداية أن العالم بكل مظاهره المتنوعة يخضع لقوانين وقواعد معينة ، وان معرفته بتلك القواعد والقوانين تمكنه من السيطرة على الطبيعة المحيطة به ، واخضاعها لرغباته ومصالحه بوساطة طقوس سحرية معينة . ثم تبين الانسان في مرحلة لاحقة فشل السحر وعدم خضوع العالم من حوله لتلك القوانين والقواعد ، فافترض وجود قوى خارقة تقف وراء المظاهر المتبدية لهذا العالم قوى آلهية فعالة فيه [1] . وجعل من هذه القوى آلهة تعبد لها وتغنى بعظمتها ، وأصبح في الامكان أن يمثل آله النور وآله الظلام ، الصراع القائم بين فكرتي الخير والشر .

ودار الزمن دورته ، ونشأت حروب بين الجماعات أو القبائل فتعمد كل واحدة منها الى تمثيل آلهة الشر في هيئة أعدائها ، فأنسنت الالهة ، وجعلوها تتخذ شكل البشر ، وتفعل أفعالهم ، وان أنسنة الالهة مصدره أمراه : أولهما محاولة الشعوب القديمة أن تصور أعداءها على صورة آلهة الشر ، وثانيهما أن هذه الشعوب نفسها عمدت من قبيل الاعتراف بجميل أبطالها ورجالها العظماء الذين حققوا لها النصر والتقدم الى أن تمثل آلهة الخير بصورهم وأشكالهم، أو أن ترفع أبطالها الى مصاف الآلهة وقواها الخيرة ، واكتملت الملاحم الأسطورية حين ظهر شعراء أمثال هوميروس ، فاهتموا بتلك الأناشيد وصهروها ، فجعلوها ملاحم حقيقية مستوفية شروطها الفنية .

---

(١) جيمس فريزر ، أدونيس أو تموز ١٥

ولعل البطولة القائمة في أساس كل صنيع ملحمي هي التي تغذى أذهان الشعوب وأذهان الشعراء بالخوارق ، حتي تبدو صنائع الأبطال جليلة مثالية ، وحتى تشبع نزوع الشعوب البدائية الى معرفة المجهول ، والى الخروج مما هي عليه من عجز أو ضعف لتبلغ القوة التي تستطيع بها أن تلبي رغباتها ، وأن تحقق آمالها ، وتتغلب على أعدائها ، وعلى الطبيعة التي تشعر حيال قواها بشيء من القصور[١].

وتشعبت دراسة الأسطورة وتعددت وجهات النظر باختلاف منحى الباحثين ومنطلقاتهم ، فيرى فريزر أن الأسطورة مستحدثة من الطقوس ، فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين ، وفقدان الاتصال مع الأجيال التي أسسته ، يبدو الطقس خاليا من المعنى ، وتخلق الحاجة الى التفسير والتبرير ، فتأتي الأسطورة لاعطاء تبرير لطقس مبجل قديم ، لايريد أصحابه نبذه أو التخلي عنه[٢] ، ولاتصح مثل هذه الرؤية على العديد من أساطير الشعوب .

ويرى ماكس موللر أن الأسطورة نشأت نتيجة قصور في اللغة ، مما يؤدى الى أن يكون للشيء الواحد أسماء متعددة ، كما أن الاسم الواحد كثيرا مايطلق على أشياء مختلفة ، وكان من نتيجة هذا التصور أن خلط الناس بين الأسماء ، ومالوا الى الاعتقاد بأن الآلهة المتعددة ليست الا تصورات مختلفة لاله واحد ، وجنحوا كذلك الى تصور الاله الواحد على هيئات متعددة ، ولم تثبت هذه النظرية للنقد .

ثم نواجه من يربط الأسطورة بالواقع ، فهذا مالينوفسكي الذى يرى أن الأسطورة لم تظهر استجابة لدافع المعرفة والبحث ، ولا علاقة لها بالطقس أو البواعث النفسية الكامنة ، بل هي تنتمي للعالم الواقعي وتهدف الى تحقيق نهاية عملية ، فهي تروى لترسيخ عادات اجتماعية معينة ، أو لتدعيم سيطرة معينة ، فهي اذن عملية في منشئها وغايتها[٣] . ويذهب الى أبعد من ذلك في أن الأسطورة تعبر عن العقيدة وتذكيها وتقننها ، لتصبح عنصرا حيويا في الحضارة الانسانية[٤] .

---

(١) أحمد أبو حاقة ، فن الشعر الملحمي ٢٨

(٢) James Frazer, The Golden Bough, chapter

(٣) Mlainowski, Magic, Science and feligion P. 54

(٤) Malinowski, Myth in Primitive Psychology P.21

ولايتجاهل هـ. فرانكفورت الواقع في نشأة الاسطورة ، فالتأمل الفكرى لديه يسمو على التجربة لا لسبب الا لأنه يحاول تفسير التجربة وتنظيمها وتوحيدها . ويدرك هذه الغاية بواسطة الفرضيات ، ويتميز الفكر التأملي بأنه لاينفلت أبدا من تجربة الحياة ، وانما يرتبط بها ، لأنه يحاول تفسيرها(١).

ومع تقادم الزمن يضيف الخيال الى الأحدث وأخبارها ، فيتحول الواقع الى أسطورة ، ويغدو العمل العادى فعلا خارقا ، وليس غريبا أن تسند الى الآلهة أعمال تتجاوز المعقول ، ولاتخضع للمقاييس البشرية العادية ، فالآلهة هم مرتكز القوى الطبيعية كلها .

وطبيعة الفن الأسطوري تفرض أن يمر على الأحداث فترة من الزمن بحيث يتاح للشعب أن يتحدث عنها طويلا ، وأن تتناقل الأجيال أخبار الرجال البارزين الذين ضمنوا لأمتهم النجاة من المخاطر التي كانت تهددهم ، وفي أثناء هذا التناقل للأخبار تعمد مخيلة القصاص الى التضخيم والمبالغة ، ونسج الأساطير والخوارق حول أبطال الأمة . ان الفاصل الزمني بين الأحداث ورواياتها كفيل بأن يزيد من شدة حنين الشعب الى أمجاده الماضيات ، ومن توق الأحفاد الى سماع أخبار الأجداد .

والأسطورة عند العرب مثل الأسطورة عند سائر الشعوب الأخرى ، تنشأ مع نشأة التفكير عند الانسان ، ومع نشأة قدرته على الابانة والتعبير ، فيحاول عن طريقها أن يفسر مايعجزه فهمه من ظواهر الكون حوله ، كما يحاول عن طريقها أن يعلل تعليلا خياليا مايعجزه فهمه أو ادارك سره ليصبح قادرا على التلاؤم مع الظواهر الكونية التي لايدرك سرها ، لايفهم أسبابها ومكوناتها ، وطبيعي أن يعرف العرب الأساطير بكل أنواعها ، وأن يتداولوها ويتناقلوها كجزء من تراثهم العربي الذى يصاحب عباداتهم الدينية المليئة بالرمز المثقل بالخيال البدائي الجامح .

ومن هنا فان الكثير من قصصهم ، أو مانقلته كتب الأخبار مما تبقى من هذه القصص مزدحم بآثار هذه الأساطير ، مليء باشارات اليها والى رموزها ، والى ماكانت تقوم به في مراحل التفكير العربي الأول من دور هام كتعبير فني وكتفسير وجداني تقدم به الانسان العربي ليساعده على اعادة التوازن بينه وبين الكون وظواهره وأسراره(٢).

---

(١) هـ . فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ١٣

(٢) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٣٥

وقد عرف العرب الوثنية ، ولابد أن ترتبط هذه بمجموعة من الأساطير المتعلقة بالوثن المعبود ، كما لابد أن يرتبط بمجموعة أخرى من الأساطير تتعلق بالطقوس التي يتبعونها في العبادة والتقرب الى أوثانهم ، وقد امتلأت الجزيرة العربية بالأوثان والأصنام من كل نوع ، فارتبط العرب بطقوس معينة تخلفت لهم عن طريق الأساطير .

ويؤكد بعض المستشرقين أن الجاهليين شحنوا مدوناتهم بالخرافات والأساطير وربما كان بعضها بالمعينية والسبأية التي كانت حتى السنوات الأولي للاسلام معروفة ومتداولة ، كما يقرر كل من نيلسون وفرانزهومل ، وأسقط أغلبها بعد الاسلام لوثنيتها ومخالفتها للتقاليد الاسلامية الجديدة[١] . ولكن مع ذلك ظل الرواة يتداولونها حتى القرن الهجرى الأول في عهد بني أمية ، فنشطت حركة التدوين ، ولايبعد أن تكون قد دونت آنذاك . فاغتالت معظمها يد الضياع ، كما نلمس ذلك عند الاطلاع على قوائم الكتب المفقودة في فهرست ابن النديم ، ومن جملة ماضاع الأجزاء المفقودة من مؤلف الهمداني النفيس "الأكليل" ، وقد اختص الجزء السابع منه بالأساطير والخوارق . بل أن خزائن كتب ومكتبات بكاملها قد ضاعت وانقرضت تماما ، وكان يمكن لهذه الكتب والمدونات القاء بعض الضوء على ما انقطع من أحقاب تاريخية بكاملها ، أصبحت لدى الدارس الحديث مظلمة مجهولة ، منها على سبيل المثال : أخبار وأساطير القبائل العربية التي يرجعها البعض الى ماقبل الألف الثالثة قبل الميلاد ، والتي بيدت دون أثر ، ولم تخلف مايدل على تراثها وملاحمها مثل قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم وغيرهم .

وقد كان العرب على اتصال دائم بمن حولهم ، وكان لهذا الاتصال سبل عديدة ، يذكرون منها التجارة وانشاء المدن المتاخمة لفارس والروم ، والبعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب وتدعو الى دينها ونشر تعاليمها[٢] .

كما كان لليهود وجود في الجزيرة العربية ، فالبعض من الثقات يظن أن وجودهم باليمن يرجع الى أيام سليمان ، والبعض يرجعه الى عهد سقوط أورشليم على يد نبوخذ نصر[٣] . ومن الجائز أن يكون نزوحهم الى الجنوب قد تزايد مباشرة بعد تخريب الهيكل الثاني بقليل ، ولا سبيل الى القول أنهم لم يحملوا معهم توراتهم بتعاليمها ومعلوماتها الى جانب أساطيرهم وخرافاتهم[٤] .

---

(١) نيلسون وفرانز هومل ، في التاريخ العربي القديم ٢٦٣

(٢) أحمد أمين ، فجر الاسلام ١٣

(٣) Encyclopedia Brittannica P. 262

(٤) محمود سليم الحوت ، في طريق الميثولوجيا عند العرب ٢٨ ، وأنظر الأساطير ٣٦

ولماذا نذهب بعيدا ونحن يمكننا الاستشهاد بالأساطير العربية ، وقد لمسنا في الصفحات السابقة تصدى عدد من الفلاسفة والعلماء لنشأة الأسطورة وتبيين معالمها ، ولكني أجد من المناسب - هنا - الوقوف مع توماس بولفينش في كتابه "ميثولوجية اليونان وروما"[(١)] الذى لخص لنا فيه نظريات أربع في أصل الأسطورة وأوردها هنا مع الدلالة على مايمكن أن يقابلها من أساطير العرب ولاسيما أساطير اليمن :

النظرية الأولي دينية ، تقرر أن حكايات الأساطير كلها مأخوذة من الكتاب المقدس مع الاعتراف بأن هذه غير أو حرفت ، ومن ثم كان هرقل أسما لشمشون والملك المارد ديوكالين - الذى أنقذه زيوس مع زوجته من الغرق فوق أحد الجبال - هو نوح ، وهكذا...

ونجد مثل هذا لدى رواة اليمن ، فقد اتكأ كل من وهب بن منبه وكعب الأحبار وغيرهما على بعض ماورد في كتب العهد القديم ، وأضافوا اليه من خيالهم الخصب ، فأخرجوه حكاية أسطورية كما سنلمس ذلك - فيما بعد - وهناك القصص والاسرائيليات التي أتخذت من القصص القرآني منطلقا لقصص أسطورية ، كما في قصة بلقيس وسليمان ، وقصة ذى القرنين وقصة تبع ، وقد ورد ذكر كل منهم في القرآن الكريم .

النظرية الثانية تاريخية ، تذهب الى أن أعلام الأساطير عاشوا حقيقة ، وقاموا بسلسلة من الأعمال لفتت اليهم الأنظار ، وعلى مر الأيام أضيف اليهم من خلال الشعراء ماوضعهم في ذلك الاطار العجيب الذى يتحركون فيه . ولقد فطن هوميروس - شاعر يوناني في القرن الرابع قبل الميلاد - الى الجوانب التاريخية ، وقرر أن الأسطورة تاريخ تنكر ، وما أوليس - مثلا - الا بطلا من الأبطال الحقيقيين عاش وحارب ورحل ثم تجمع حوله ضباب الزمن[(٢)] .

ونظرة واحدة الى تاريخ ملوك اليمن وما قام به كل منهم من العجائب الأسطورية كفيل بصدق مايمكن قياسه على هذه النظرة في وجود الأساطير اليمنية من مثل التبع أسعد الكامل وذى القرنين وغيرهما .

النظرية الثالثة مجازية ، وتقوم على أنه كل أساطير القدماء لم تخرج على أن تكون في شتى أشكالها الدينية والاخلاقية والفلسفية والتاريخية مجرد مجازات فهمت حرفيا .

---

(١) Thomas Bolvinch, Mythology of Greece and Rome P.P. 286 - 288

(٢) أحمد كمال زكي ، الأساطير ١١٩

ويمكن تطبيق هذه النظرية على الأساطير المختلفة عند الاهتمام بهذا المنهج في الدراسة ، ومحاولة استشفاف الرموز المختفية وراء تلك الأساطير ، ولاشك في وجود مؤشرات عديدة يمكن أن تظهر عند اخضاع الأساطير المختلفة لمثل هذه الدراسة ، ولاسيما موضوع الكهانة ، وما يمكن استشفافه من أقوال الكهان ، وفي المرويات الأسطورية المنسوبة الى وهب بن منبه في تضاعيف الكتب المختلفة . اضافة الى ما سطر على ألواح القبور ، التي ملأ بها الهمداني أحد الأجزاء في أكليله .

النظرية الرابعة طبيعية ، وبمقتضاها تشخص عناصر الكون من هواء ونار وماء أو تتحول الى كائنات حية أو تختفي وراءها مخلوقات خاصة ، وعلى هذا النحو وجد ازاء كل ظاهرة طبيعية - ابتداء من الشمس حتي أصغر مجرى ماء - كائن روحي معين .

واذا أمعنا النظر في أساطير اليمن لن نعدم أن نجد مثل هذه التعليلات والتشخيصات العجيبة ، كما وجدنا ذلك في أسطورة سهيل والشعريين ، وفي أسطورة الزهرة (العزى) ، وفي أسطورة الفأرة وارتباطها بانهيار سد مأرب ، وتعليل الرواة لذلك ، مع ماسبقها من انذار الكاهنة طريفة ، ونجد ذلك أيضا في تعليل كعب الأحبار ووهب بن منبه لبعض ظواهر الطبيعة والكون ، وحين يشتط بهما الخيال في تصوير كائنات حية متسببة في وجود تلك الظواهر الطبيعية ، كما سيأتي في الفصول القادمة عند الحديث عن أنواع الأساطير .

نشأة الأسطورة اليمنية :

ان تاريخ التمدن اليمني القديم ينقسم الى عصرين : العصر الحميرى ، وعصر ما قبل ذلك ، والعصر الحميرى يشمل تقريبا القرنين المتقدمين للاسلام ، وهذا يعد عصر الملوك التبابعة وهم حميريون ، وكانوا يملكون البلاد اليمنية وحضرموت ومنطقة واسعة مجاورة لها في داخل الجزيرة العربية ، والتمدن الحميرى على السواء يشيع في مثل تلك الحدود ، وهذا هو سبب تسمية العرب كا مايتعلق بجنوب الجزيرة قبل الاسلام بحميرى (١) .

ولقد بدأت الحضارة الجنوبية العربية تطورها ونموها في جنوبي شبه الجزيرة العربية في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد ، واستمر حتي بداية القرن السابع الميلادى . ولقد قامت دعائم هذه الحضارة على الحياة الرعوية والزراعة المتطورة تطورا عاليا ، وقد ازدهر اقتصاد اليمن القديم ، وذلك نتيجة لادارة اليمانيين

---

(١) بستون ، "مشاكل النقوش" - مجلة "الحكمة" - العدد ٣٨ - السنة ١٩٧٥ ص ٢٨

الجيدة واشرافهم المميز على عمليات النقل التجارى في شبه الجزيرة العربية . فقد كان جنوب الجزيرة العربية على مدى ألفي سنة مشاركا ووسيطا في التجارة والتبادل الثقافي مابين أقاليم البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدني من جهة ، وشرق افريقيا والهند من جهة أخرى .

فأصبحت اليمن بذلك مركزا حضاريا رفيع المستوى من مراكز حضارة العالم القديم ، وبلغ تطور العمارة والرى وفنون النحت مستوى عاليا . لقد شيدت المدن الكبرى والحصون والمعابد والسدود الكبيرة ، كما وجدت كتابة خاصة (المسند) استخدمت على نطاق واسع في كتابة النقوش التي يرقى أقدمها الى القرن الثامن قبل الميلاد .

لقد اجتازت حضارة اليمن طريقا طويلا من التطور التاريخي الذى تمثلت أهم أحداثه بالصراع من أجل السيطرة على التجارة المنقولة عبر اليمن ، وبالصراع على القيادة السياسية بين الممالك اليمنية ، ثم غزو الحبشة لليمن ، وأخيرا خضوع اليمن لسلطان الساسانيين .

وهكذا مع سقوط الدولة الحميرية سقطت حضارة اليمن ، ولكن التراث الفني القديم لم يندثر كاملا ، بل نقل في خضم الأخبار التاريخية والجغرافية ، ووصف الآثار والنصب ، فوصلتنا القصص والأساطير الشعرية والنثرية التي تمثل ملامح تاريخية أسطورية عن ماضي اليمن القديم .

واتخذ رواة اليمن من أمجاد اليمن الغابرة وحضارتها التليدة مادة غزيرة لأساطيرهم ، من هؤلاء الرواة كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبيد بن شرية الجرهمي ، وابن اسحاق ، ويأتي ابن هشام فيخضع هو الآخر للمادة الأسطورية في مؤلفه ، فيذكر ملوك اليمن وما توالى من الأحداث فيها ، ونجد أن ملوك اليمن قد كانوا المادة الأسطورية الأولى عند رواة الأساطير العربية .

ويعنى وهب بن منبه بجمع الروايات حول ملوك اليمن بعامة، وكأنما يريد أن يصور حضارة اليمن ومجدها عن طريق سرد أساطيرها ، كما ينتقي عبيد بن شرية الجرهمي من أساطير اليمن ما يعطي معنى اسلاميا وما له علاقة بالقصص القرآني ، ولعل هدف التهذيب ومسامرة الخليفة الأموى معاوية قد أمليا عليه هذا الاختيار في حكاياته .

لقد حرص اليمانيون - منذ قديم العصور - على التأكيد على الذات الثقافية اليمنية انطلاقا من حبهم لأرضهم ، وتفاخرهم بماضيهم الحضارى ، ثم أخذوا يفخرون بدورهم الاسلامي الكبير في نصرة الدعوة الاسلامية العظيمة ونشرها في العالم ، وانطلاقا من هذا الهدف ، عاد اليمانيون الى رجال منهم في التاريخ ، جعلوا رمزا للقوة والحكمة والجرأة والعدل والايمان ، فوجدوا ضالتهم في العديد من ملوكهم وقادتهم ، ونسجوا حولهم الأساطير ، ونسبوا اليهم الأشعار ، فامتلأت المصادر العربية بأساطيرهم وحكاياتهم ، وتوسعوا في انتشارها .

وأضرب مثلا على ذلك مجموعة الأساطير اليمنية المحلية التي أسماها الباحث السوفيتي بيوتروفسكي بالملحمة القحطانية ، وبين كيف تعكس هذه الملحمة أحداث تاريخ اليمن الموجودة في المصادر العربية [(١)] . اذ نجد الأساطير اليمنية موحدة في اطار تاريخي عام وذات تتابع زمني يتماشى مع خطر نظام الدولة وتطورها في اليمن .

زمن تدوين الأسطورة :

ان المعطيات المتوفرة تشير فقط الى أن الأساطير عن تاريخ اليمن قد وجدت في الفترة الأولى للخلافة ، أى في النصف الثاني من القرن السابع الميلادى ، ومن الملاحظ أن القسم الأعظم من الأساطير قد تكون في هذه الفترة ، ولكن لايمكن أن نتجاهل وجود الروايات والأخبار المتناقلة شفهيا عن الرواة .

لقد نشط الرواة في تكوين الأساطير اليمنية في العصر الأموى ، وذلك لتوفر البيئة المتمثلة في نزوح اليمنيين الحديث من اليمن ، وبسبب توفر العوامل والنزعات السياسية المساعدة آنذاك على اثارة العصبية القحطانية ، فراح الرواة يغرقون المصادر العربية وأمهات الكتب بأساطيرهم وأخبارهم ، فوصل الينا منها ما وصل ، وطالت يد الضياع قسما كبيرا من تلك الكتب ، ويتضح ذلك - كما أسلفنا - من خلال قوائم الكتب التي يسردها علينا ابن النديم في فهرسه المشهور ، ولا نجد لها وجودا اليوم ، وقد نسب بعضها لابن هشام الكلبي الذى خص اليمن بعدد من الكتب التي لم يصلنا منها سوى بعض أسمائها :(كتاب ملوك اليمن من التبابعة) وكتاب (اقيال اليمن) وكتاب (اليمن في أمر سيف بن ذى يزن) وكتاب (تفرق الازد) [(٢)] .

---

(١) بيوتروفسكي ، ملحمة عن الملك أسعد الكامل ٤٥

(٢) ابن النديم ، الفهرست

وقد وصلنا من كتب الأخبار والأساطير كتاب "التيجان في ملوك حمير" لوهب ابن منبه ، وأخبار عبيد بن شرية الجرهمي ، وشرح القصيدة الحميرية لنشوان الحميرى ، والأكليل للهمداني ، وبين أيدينا من أجزائه أربعة أجزاء فقط ضاع منها حتي اليوم ستة أجزاء لانعرف لها وجودا ، وربما كشفت الأيام القادمة عن وجود مخطوطه منسية من أجزاء هذا الكتاب ، وقد أفرد الهمداني جزءا خاصا لأساطير اليمن وأخباره ، كان في عداد الأجزاء الضائعة ، كما أورد كثيرا من الأخبار الغريبة وأدب القبوريات في جزئه الثامن وفيه مادة أسطورية وفيرة .

ولايقتصر وجود الأساطير اليمنية على الأخباريين والمؤلفين اليمنيين ، ولكنا نجد جميع المؤرخين والكتاب قد فتن بهذه الأساطير ، فضمنوها مؤلفاتهم ، واعتمدوها أصلا في كتبهم ، وبنوا عليها تواريخهم ، رغم ايمانهم ببعد هذه الأخبار عن العقل والمنطق وأنكر منهم الطبرى والمسعودى وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم .

ولكن ما الذى حدا برواة اليمن الى انتهاج هذا السبيل في التأليف الأسطورى، وما هي الدوافع والأسباب التي دفعت اخباريي اليمن الى العمل على انتشارها ؟

انتشار الأسطورة اليمنية :

لقد أغرق أهل الأخبار والرواة اليمنيون المصادر العربية بمروياتهم وأساطيرهم ، فيكاد لايخلو كتاب من ترديد تلك القصص الأسطورية ، في الدوافع التي حدت بأولئك الرواة الى النشاط المستمر في رواية الأسطورة ؟ وما الأسباب التي أدت بهم الى انتهاج هذا السبيل ؟

ان المتمعن في تاريخ اليمن لايمكن أن يصل الىالحقيقة اذا أغفل الواقع التاريخي والاقتصادى في اليمن ، فلذلك الواقع ارتباط وثيق بنشأة الاسطورة المينية، واتساع انتشارها على ذلك النحو الذى لمسناه . ونستطيع أن نتلمس أسبابا عدة كانت الدافع لسعة انتشار تلك الأساطير . وأفضل حصرها في الأسباب التالية :

١ - التفوق الحضارى .
٢ - الصراع التاريخي .
٣ - العصبية القبلية .

١ - التفوق الحضاري :

لقد كانت لليمن حضارة أصيلة ، وقد عرف تقدمه الرائع في فن الزراعة والعمران ، وتشييد القصور والحصون وبناء السدود وصهاريج المياه وقنوات الري ، ومهارة فنانيه في النحت ، وقد أكد ذلك الباحثون من المستشرقين وعلماء اللغات العربية الجنوبية ، من مثل لورنس والمستشرق النمساوي ادوارد جلازر وفرتيز هومل وفيلبي والمستشرق الفرنسي يوسف هاليفي وغيرهم[(١)] .

وقد أفرد الهمداني جزءا من اكليله لأخبار قصور اليمن ومحافدها وقلاعها وحصونها ، وما جاء فيها من أشعار ومرويات ، وقد يظن القارئ تعصب الهمداني لقومه والمبالغة في ما شاده قدماء ملوكهم ، ولكن الحفريات والنقوش والآثار التي اكتشفت حديثا تثبت صدق الهمداني والتزامه الدقة في الوصف ، وعندما ذهب المستشرقون وشاهدوا آثار القصور وسد مأرب وجدوا الرجل صادقا في ما ذكره عنها[(٢)] .

وللحضارة أثر كبير في تقوية الدافع للرواية ، لأنها تكسب الراوي حسا مرهفا في تتبع ما حوله ، فتتسع ثقافته وتزيد معها حاجته للرواية . وقد تساءل كثير من الباحثين : ما السر في أن مبتدعي القصص والأساطير يمنيون كوهب بن منبه وعبيد بن شرية الجرهمي وكعب الأحبار ، وعند الاجابة على تساؤلهم يتجلي الأثر الحضاري لأهل اليمن ، وقد استتبع ذلك انتشار الثقافة اليهودية في اليمن بما فيها من شروح للتوراة والأساطير ونحو ذلك ، فلما أسلم يهود اليمن رووا ماتعلموا ، وكانت لقصصهم ورواياتهم أثر كبير[(٣)] .

كما أن العرب اتصلوا بغيرهم من الأمم ، فشعروا بحاجتهم الى معرفة أحوال الأمم الأخرى وما سلف منها ، ووجدوا في رواة اليمن بغيتهم ، اذ أقبل هؤلاء على الرواية والقصص محاولين بذلك اثبات تفوقهم الحضاري ، ووجدوا المجال واسعا لاثبات معرفتهم وتحضرهم .

وكان للحضارة والثقافة السائدة في اليمن أثره في سعة الخيال والاغراق في التصوير عند الرواة اليمنيين ، لهذا اتخذت الروايات اليمنية المدونة في المصادر العربية طابعا أسطوريا .

---

(١) أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ٥١

(٢) جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ١٠٥

(٣) أنظر أحمد أمين ، فجر الاسلام ١٦٢

٢ - الصراع التاريخي :

وظلت اليمن مسرحا للصراع التاريخ ، ولم يقتصر الصراع على القبائل في شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها ، ولكن عانت اليمن من الاحتلال الحبشي ثم الفارسي، فكان مجال الاختلاط بالأمم الاخرى كبيرا ، ولاشك في أن هذا الاحتكاك بالجنسيات المختلفة - كان مثارا لكثير من الحكايات والروايات ، وحافزا قويا لاظهار الرواة اليمانيين صفات كثيرة لأبطالهم كالبطولة والاتيان بالخوارق ، محاولين بذلك دفع أى اتسام بالجبن أو تعيير بالوقوع تحت سيطرة الأجنبي ، وقد عرفت اليمن بعزلتها البيئية ، اضافة الى اطلاعهم على قصص وأساطير الأمم الأخرى ، فلذلك كانت المبالغات في رواياتهم ، وكان الجنوح الى الأساطير .

وصبغت المبالغات أخبار فتوحاتهم ، فأخرجتها من طور الحقيقة الى عالم الأسطورة والخيال ، والعجيب أن يفتن المؤرخون بهذه الأساطير ، فملأوا بها كتبهم ، على الرغم من انتقاد صحتها ومجانبتها للمنطق والواقع ، كما فعل ابن الأثير[1] . ومثله ابن خلدون الذى انتقد هذه الحكايات ، وبين اغراقها في الخيال[2] .

لقد أقبل رواة اليمن على الرواية لمن حولهم ، وخلبوا ألباب سامعيهم بتلك القصص الطريفة والأساطير المجنحة ، ووجدوا فيها تغذية لنوازع التفوق والشعور بالعظمة عن استرجاع ذكريات الأمجاد الغابرة .

ولاتخفى على الباحث المتأمل في أساطيرهم تلك النزعة الى الافتخار على من حولهم ، واذا رجعنا الى تاريخهم نجده يمدهم بدواعي عدة لذلك الافتخار ، يمكن تلخيصها فيما يأتي :

أ - لقد عرف عرب الجنوب حضارة قديمة أمدتهم بمعارف سالفة ، حين كان عرب الشمال يعملون في الرعي والتجارة .

ب - اتسعت الهجرات اليمنية فشملت الجزيرة العربية كلها تقريبا ، وشغلوا الاصقاع النائية فيها ، بل سكنوا تخومها الشمالية والشرقية .

ج - عرف أهل اليمن الأديان السماوية وعاشوا تجربتها ، فقد كان للنصرانية وللبهودية وجود في أنحائها ، ثم ناصر أهل اليمن الرسول (عليه الصلاة والسلام) ومنعوا عنه أذى الكفار والمشركين .

---

(١) أنظر بتروفسكي ، ملحمة عن الملك الحميرى أسعد الكامل ١٥

(٢) جواد علي ، "أحاديث تبع" ، مجلة "الحكمة" - العدد ٧٨ السنة ١٩٧٩ ص ٢٨

د - كان لليمانيين دور فعال في الفتوحات العربية والاسلامية ، ولم يخل منهم جيش اسلامي في تلك الفتوحات ، فقد كانوا عنصرا هاما فيها [(١)] .

ويربط الدكتور جواد علي بين أساطير التبابعة وأخبار فتوحاتهم التي لايصدقها عقل وبين ذكريات الفتوح الاسلامية التي شاركت فيها قبائل يمنية [(٢)] .
ان تلك كلها دواعي أمدتهم بالشعور بالفخر والاعتزاز فترجموه في أساطيرهم وحكاياتهم .

٣ - العصبية القبلية :

لقد كانت العصبية القبلية بين شطرى الجزيرة العربية سببا في اندفاع أهل الأخبار في رواياتهم وحكاياتهم الأسطورية . وسببا في ظهور سمات مميزة لها ، ويرى أحمد أمين أن العصبية لقحطان أو عدنان قد ظهرت قبل الاسلام ، وأرجع هذه العصبية الى الاختلاف بين البداوة والحضارة وما بينهما من نزاع طبيعي [(٣)] .

ويكاد يتفق معه في الرأى الدكتور جواد علي عندما أرجع دافع العصبية الى التفاوت الكبير بين البداوة والحضارة في كل من شمالي وجنوبي الجزيرة العربية ، كما ذكر بالنزاع القديم بين القحطانية والمعدية ، ملفتا النظر الى مؤلفات الجاحظ في هذا الصدد [(٤)] . بينما أرجع الدكتور أحمد كمال زكي بذور الصراع بين القحطانيين والعدنانيين الى الخلاف بين يثرب ومكة باعتبارهما قوتين تمثلان نفوذ الجنوبيين والشماليين [(٥)] .

ولا أرجح هذا الرأى ، لأن تلك العصبية لم تتخذ شكلا ملموسا من قبل ، حيث أن الأصطدامات السياسية الرئيسية التي حدثت في الخلافة في خمسينات القرن السابع لم تعكس أبدا مواجهة القحطانيين بالعدنانيين ، فنحن نجد في موقعة الجمل (٣٦هـ)

---

(١) أنظر بتروفسكي ، ملحمة عن الملك الحميرى أسعد الكامل ١٥

(٢) جواد علي ، "أحاديث تبع" ، مجلة "الحكمة" - العدد ٧٨ السنة ١٩٧٩ ص ٢٨

(٣) أحمد أمين ، فجر الاسلام ٦

(٤) جواد علي ، "أحاديث تبع" ، مجلة "الحكمة" - العدد ٧٨ السنة ١٩٧٩ ص ٢٩

(٥) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٨٠

القبائل نفسها في المعسكرين المتحاربين ، ونجد في موقعة صفين (٣٦هـ) ممثلي المجموعتين في كل من جيش علي ومعاوية ، مع وجود عدد وافر من القصائد والأشعار التي قالها يمانيون في نصرة هذا الفريق أو ذاك من المعسكرين في موقعة صفين (١) .

ولكننا نرجح أن العصبية القبلية بين قحطان وعدنان لم تكن ملموسة في عصر ما قبل الاسلام ، ولايمكن أن نرجع أيام العرب والمعارك التي كانت تدور بين القبائل الى تلك العصبية ، فكما دارت معارك بين قبائل قحطان وقبائل عدنان ، دارت معارك أيضا بين قبائل قحطانية فيما بينها ، وقامت معارك أخرى بين قبائل عدنانية فيما بينها . ولكن تلك العصبية بدأت بواكيرها بعد الاسلام ، ثم وجدت في أحوال العرب السياسية أرضا خصبة لتعميقها وتقوية الشعور بها ، فبدت سمة بارزة في تاريخ الدولة الاسلامية .

وربما ألمح بعض الباحثين الى ظهور سيدنا محمد (صلعم) في عدنان سببا في وجود العصبية القحطانية واثارتها العصبية العدنانية ، ولكني أستبعد هذا للأسباب والأدلة الآتيـة :

أ ـ استجاب أهل اليمن للدعوة الاسلامية ، وقدمت وفودهم الى الرسول (ص) مستجيبين للاسلام ، وأجمع المؤرخون على أن أرض اليمن عشرية لأن أهلها أسلموا طوعـا (٢) .
كما قامت القبائل اليمنية في شمالي الجزيرة لنصرة النبي والوقوف بجانبه والتجرد للذور عنه ، ودفع أذى الكفار والمشركين عنه .

ب ـ قد أفلحت تعاليم الدين الحنيف في نشر الأخاء الأسلامي بين القوم ، وعملت على تناسي النعرات العصبية التي تدعو آيات القرآن الكريم الى نبذها ، وقد جاء في الآية الكريمة "... لافضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى" ، صدق الله العظيم .
فأين مجال المفاضلة بين القبائل العربية بعد هذا القول ، وقد كان في الرسول الكريم (صلوات الله عليه) قدوة حسنة في الحد من غلواء العصبية ، لأنه كان يمقت المناظرات العشائرية ، ولايسمح للنعرات القبلية أن تظهر حتي في المناخرة بين المسلمين والمشركين ، من ذلك مثلا "أن شاعر المشركين هبيرة ابن أبي وهب المخزومي هجا المسلمين

---

(١) أنظر نصر ابن مزاحم ، موقعة صفين ٤٢٥

(٢) يحي بن الحسين ، غاية الأمانـي ١ : ٧٠

بقصيدة مطلعها :

ما بال هم عميد بات يطرقني   بالود من هند اذ تعد عواديها

فانبرى له كعب بن مالك الانصارى اليمني – أحد شعراء الاسلام المعدودين – ورد عليه بقصيدة مشهورة ، جاء فيها :[1]

مجالدنا عن جدمنا كل فخمة   مدربة فيها القوانس تلمع

وقبل أن يذيع كعب قصيدته بين المسلمين والمشركين تلاها على الرسول الكريم فقال له الرسول بما عرف عنه من لطف وحسن توجيه : "أيصح ياكعب أن تقول (مجالدنا عن ديننا) ؟ فقل له كعب : نعم يارسول الله . فقال الرسول : فهو أحسن ! فبدل الشاعر بيته كما اقترح الرسول الكريم مستخدما ديننا بدل (جذمنا)[2] "

ج – تعددت ظاهرة البشارة بظهور النبي (صلعم) ، فأخذ اليمانيون ينطقون بها ملوكهم وكهانهم وشعراءهم ، ورواياتهم في ذلك كثيرة منها ذكر الرائش النبي (صلعم) متمنيا أن يلحق عهده :

ويملك بعدهم رجل عظيم   نبي لايرخص في الحرام

يسمي أحمدا ياليت أني   أعمر بعد مخرجه بعام[3]

كما نسبوا الى تبع هذه الأبيات في التنبوء بظهور النبي (ص) :

شهدت على أحمد أنـه   رسول من الله بارى النسم

فلو مد عمرى الى عمره   لكنت وزيرا له وابن عـم[4]

وتتجلى في هذه النبوءات اعزاز ملوك اليمن للنبي القرشي وتمنيهم أني يلحقوا عهده ليناصروه ويوءازروه . وتنبأ أيضا كهانهم كنبوءة سطيح وشق الكاهنين[5] ، كما نقلت الينا الروايات بشارة سيف بن ذى يزن بظهور النبي (ص) عندما قدم اليه عبد المطلب في وفد قريش للتهنئة بالنصر على الحبشة[6] .

---

(١) مجالدنا :المدافعون ، جذمنا : أصلنا العشائرى ، الفخمة : الفرقة العظيمة من المقاتلين القوانس: السيوف الثقيلة الباترة .

(٢) محمد عبد القادر بامطرف (الانساب اليمنية القديمة) – مجلة الحكمة العدد١٠٩ سنة ١٩٨٤ – ص١٠

(٣) النويرى ، نهاية الأرب ١٥ : ٢٩٢

(٤) المصدر السابق ١٥ : ٢٩٨ ، وانظر التيجان ٣٠٨

(٥) الدينورى ، الأخبار الطوال ٥٤

(٦) ابن عبدربه ، العقد الفريد ٢ : ٢٧

ولاشك أن هذه البشارات كلها تدل على شدة افتخارهم بهذا أو ذاك من ألوان الانتماء الى الرسول الكريم (ص) •

د - نظرة الرسول (ص) الى أهل اليمن ، واعتزازه بما حققه الانصار منهم في نصرته والوقوف بجانبه ، وشاعر الرسول حسان بن ثابت أشهر من أن يذكر وهو يماني من الأزد • وتشير بعض الأحاديث النبوية الشريفة الى ما يكنه الرسول (ص) لأهل اليمن • فقد روى البخارى في صحيحه عن أبي هريره الحديث النبوى :

" أتاكم أهل اليمن ، هم ألين أفئدة وأرق قلوبا ، الايمان يمان ، والحكمة يمانية "[١] •

ان تلك الأدلة مجتمعة تنفي احتمال وجود العصبية أو مايهيىء لاثارتها في عصر صدر الاسلام •

وفي الواقع أخذت العصبية تبرز واضحة منذ العصر الأموى ، يعود هذا الى سياسة خلفاء بني أمية الذين رأوا في العصبية السلاح المناسب ضد بني هاشم وما يتمتعون به من مكانة مرموقة في أوساط العرب والمسلمين • وزاد من حدة هذه العصبية سياسة التحريش بين الشعراء والرجال البارزين التي اتبعها بعض الخلفاء الأمويين في اثارة العصبية بين القوم ، وتطويع تلك العصبية لتنفيذ مآربهم وأغراضهم السياسية •

ولهذا كان الاقبال على كتابة تلك الأساطير والملاحم البطولية لملوك اليمن ، فكان انتشارها واسعا في القرنين السابع والثامن للميلاد ، وذلك في فترة النشاط السياسي والثقافي لمجموعة القبائل القحطانية ، مما دعا أحد الباحثين الى ربط نمو الملحمة القحطانية المكونة من أساطير اليمن بأهداف سياسة القحطانيين ، فلذلك عندما ضعف الصراع القحطاني العدناني في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادى توقف تطور الملحمة ، وتوقفت معه الدوافع التي كان من الممكن أن توصلها الى مصاف الملاحم الحقيقية[٢] •

لقد اجتمعت الدوافع التاريخية والاجتماعية في حقبة معينة ، وكانت سببا في اقبال رواة اليمن على الوقوف أمام المناوئين لهم والمنتقصين منهم ، ووجدوا في تاريخهم الحضارى ما يمدهم بمادة أسطورية خصبة ، ظلوا يخترفون منها ويصوغونها حكايات جميلة تثبت لهم كل تفوق ، وتحيطهم بهالة من البطولة يفخرون بها •

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ٥ : ٢١٩

(٢) بترونسكي ، ملحمة عن الملك الحميرى أسعد الكامل ٤٦

الفصـــل الثانـــي

" مصادر الأسطورة اليمنية "

ان الباحث يلمس الوفرة الكثيرة من القصص الخرافية والأساطير في المصادر
العربية ، فمن هم رواتها ؟ وكيف عملوا على ازدياد انتشارها ، على نحو لايكاد يخلو
منها كتاب عربي قديم ؟ وما هي المنابع التي أمدتهم بتلك الأساطير ، فأقبلوا على
الاغتراف منها يحدوهم ولع عجيب بعالم الخيال والأسطورة ؟

ان هذه تساؤلات هامة لابد من الاجابة عنها عند تلمسنا مصادر الأسطورة
اليمنية .

عندما نقلب النظر في هذا أو ذاك من المصادر العربية نواجه أحيانا
بالحكاية أو الاسطورة منسوبة الى راويها اليمني من مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه
وعبيد بن شرية الجرهمي .

ولايقتصر الأمر على من ذكرت من رواة اليمن الأوائل ، فنجد آخرين من مثل محمد
ابن اسحاق وهشام بن الكلبي وابنه ، ولهم آثار ملموسة في مصادرنا العربية
اضافة الى بعض كتبهم التي عرفنا قائمتها من ابن النديم (1) ، واغتالتها يد الضياع
ومنهم أيضا دغفل النسابه بن حنظل السدوسي المتوفى سنة ستين للهجرة ، وينسب اليه
كتاب عنوانه "السيرة" يروي أخبار ملوك حمير ومن كان قبلهم من عاد وثمود ، ومن
الكتاب نسخة في المكتبة الأمبروزيانية . وقد جاء في مقدمة الكتاب ان هارون الرشيد
سمع بشخص من أهل الشحر اسمه عمرو بن مالك الشحرى فطلب مقدمه ، وحين وصل أملى
عليه هذا الكتاب ، وسأله من أين تلقيت هذا العلم ؟ فقال : عن دغفل بن حنظلة (2) .

وهناك الراوية الشاعر يزيد بن مفرغ الحميرى الذى قام في نهاية القرن
السابع الهجرى برواية عدد من الأشعار المتعلقة بالأخبار والأساطير حول ملوك اليمن
وقد نسب اليه تعديل الملحمة القحطانية حول تبع (3) . كما اتهم الشاعر المذكور بنحل
عدد وافر من قصائد تلك الحقبة التاريخية حيث طوع شعره لخدمة العصبية القحطانية
والانتصار لها .

وفي الفترة اللاحقة لهؤلاء برز لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني
المتوفي سنة سبعين وثلاثمائة للهجرة (٣٧٠هـ) ، ثم نشوان الحميرى المتوفى سنة ثلاث
وسبعين وخمسمائة للهجرة (٥٧٣هـ) ، وكل هؤلاء يمانيون شغفوا بتلك الأخبار والقصص
الأسطورية ، وحفظوها لنا في مدوناتهم المختلفة ، وكانوا معينا لاينضب ، ورافدا ثرا
من روافد الأسطورة اليمنية .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ١٤٨
(٢) عبدالله الجشي ، دراسات في التراث اليمني ٨
(٣) بتروفسكي ، ملحمة عن الملك أسعد الكامل ٤٧

وقد عرف الباحثون اليوم فضل أولئك الرواة ، لذا نجد فاروق خورشيد يقسم القصاصين الى طبقات ولاينسى أن يضع كلا من وهب وعبيد في الطبقة الأولى من القصاصين الكبار الذين وجد في أعمالهم اشارات الى أساطير خالدة [١] .

وسأكتفي - هنا - بالتعريف بروادهم الذين كانوا الرواة الأوائل وهم : كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبيد بن شرية الجرهمي .

١ - كعب الأحبار :

هو كعب بن مانع بن هيسوع الحميرى ، ولعل في الاسم تصحيف فيكون الاسم حينئذ كعب بن نافع ، ويكنى "أبا اسحاق" . وهو من يهود اليمن ، أسلم هناك ، ثم قدم المدينة في خلافة عمر [٢] . سمي كعب الأحبار أو كعب الحبر لثراء معلوماته فقد كان من أحبار اليهود ، وله اطلاع واسع في كتبهم وأسفارهم القديمة . قرأ التوراة والأنجيل والزبور والفرقان [٣] .

وتسجل الروايات انبهار من حوله بغزارة علمه ومعارفه ، فذكر أبو الدرداء كعبا فقال : "ان عند ابن الحميرى لعلما كثيرا" [٤] . ويروون عن معاوية قوله : الا أن كعب الأحبار أحد العلماء ، ان كان عنده لعلم كالبحار ، وان كنا فيه لمفرطين [٥] . كما وصفه الذهبي بأنه من أوعية العلم ، ومن كبار علماء أهل الكتاب ، وجعله في الطبقة الثانية [٦] .

ولم يكن كعب ليظفر باعجاب أولئك جميعا لولا رواياته الكثيرة التي يجيب بها عن تساؤل السائلين حول القصص الديني مما أثبت اطلاعه الواسع ومعارفه الجمة لقصص أهل الكتاب وأساطيرهم .

وكان من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، وأسلم في زمن عمر في السنة الثانية عشرة للهجرة ، وقد خرج من المدينة الى الشام ، فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين وثلاثين للهجرة في خلافة عثمان ، وقد بلغ من العمر مائة وأربعين سنة [٧] .

---

(١) انظر فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٨٦

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ٤٣٠

(٣) الهمداني ، الأكليل ١ : ١٣٠

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٧ : ٤٤٦

(٥) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ٨ : ٤٣٩

(٦) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ : ٥٢

(٧) ابن قتيبة ، المعارف ٤٣٠

ونلمس من روايات كعب الأحبار ولعه بالأساطير وروايات الخوارق ، وكثيرا مايعزو ذلك الى علمه الذى اطلع عليه في الأسفار القديمة ، وقد ساعده على المضي قدما في هذا السبيل والافتخار بذلك أنه كان يعيش في بيئة قليل فيها عدد القارئين أو المطلعين على الأسفار والكتب القديمة .

وقد أخذ عنه اثنان هما أكبر من نشر علمه : ابن عباس ، وهذا يبرر ما في تفسيره من اسرائيليات ، وأبو هريرة . ولم يؤثر عن كعب مؤلف كما هو الحال لدى وهب وعبيد ، ولكن رواياته كانت شفوية ، تدل على اطلاعه الواسع بالثقافة اليهودية وأساطيرها ، وقد بدا علمه بتلك الأسفار بارزا في معظم رواياته وأساطيره .

وقد نقلت روايات كعب شفاهة بوساطة عدد من الرواة ، فقد نقل عنه في حمص معاوية بن صالح الحضرمي ، المتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة للهجرة (١٥٨هـ) ، كما نقل رواياته الحضرمي شريح بن عبيد ، المتوفى في النصف الثاني من القرن السابع وابنه يزيد بن شريح ، المتوفي في نهاية القرن السابع [(١)] . وروى له - أيضا - الثعالبي والكسائي الكثير من القصص .

وقد كان يحلو لكعب اتخاذ الكتب الدينية منطلقا لخياله ، فيبني علي ما ورد فيها عوالم غريبة ومخلوقات عجيبة ، كان يشفع رواياته بما يؤيدها من آي القرآن الكريم ، قال كعب في السموات والارضين :

"في السماء السابعة البحر المسجور ، وعليه من الملائكة ماشاء الله ، وميكائيل قائم على البحر المسجور ، لايعرف وصفه وعدد أجنحته الا الله تعالى ، ولو أنه فتح فاه لم تكن الغمرات فيه الا كخردلة في بحر ، ولو أشرف على أهل السموات والأرض لاحترقوا من نوره ، وله أعوان موكلون على جميع العالم من شأنهم احداث قوة النهوض في الأركان والمولدات وغيرها التي بها الوصول الى الغايات وبلوغ الكمال في الكائنات [(٢)] .

لقد أدخل كعب في التراث العربي ما اصطلح على تسميته بالاسرائيليات ، ويتضح في رواياته تأثير كل من الثقافة اليهودية والثقافة النصرانية ، ولننظر الى قوله في عزرائيل : "انه في سماء الدنيا وخلق الله تعالى رجليه في تخوم الأرضين ، ورأسه في السماء العليا ، ووجهه مقابل اللوح المحفوظ ، وله أعوان بعدد من يموت والخلق كلهم بين عينيه ، ولايقبض روح مخلوق الا بعد أن يستوفي رزقه وينقضي أجله [(٣)] .

---

(١) بترونسكي ، ملحمة عن الملك أسعد الكامل ٣٦

(٢) القزويني ، عجائب المخلوقات ٥٥

(٣) المصدر السابق ٥٦

ونجد أبطال كعب في رواياته من الملائكة أو الأنبياء ، وقد ترد في رواياته أسماء لملائكة لم يرد ذكرها في التوراة نفسها ، ولعل ذلك ما جعل الجاحظ ينص على أن كعبا لم يقتصر علمه ونقله على التوراة "وانما هي كتب الأنبياء ، والذى يتوارثونه من كتب سليمان ، وما في كتبهم من مثل كتب أشعياء وغيره" (١) .

وعلى الرغم من عدم وجود مؤلف مأثور عن كعب الأحبار ، فاننا نجد رواياته مبثوثة في المصادر العربية المختلفة ، وربما يقدر لأحد الباحثين جمعها ، واخضاعها للدراسة والتبويب في المستقبل .

٢ - عبيد بن شرية الجرهمي :

وهو من المعمرين ، فقد أدرك النبي (ص) ، وعاش الى أيام عبد الملك بن مروان (٢) . وتوفى سنة سبع وستين للهجرة تقريبا ، عن عمر يقارب الثلاثمائة سنة ، وقال بعضهم مائتين وعشرين سنة (٣) .

وقد استدعاه معاوية بن أبي سفيان من صنعاء اليمن ليسأله عن الأخبار المتقدمة وعن ملوك العرب والعجم ، بعد أن أشار عليه عمرو بن العاص باستدعاء عبيد وسؤاله عن الأخبار السالفة . فأحضره معاوية واتخذه سميرا له ، وأمر كتابه بتدوين أحاديثه ونسبتها اليه ، فدونت تحت عنوان "كتاب الملوك وأخبار الماضين" ، كما جاء في كتاب الفهرست لابن النديم .

وقيل ان عبيد بن شرية الجرهمي قد روى عن الكيس النمرى وابنه يزيد بن الكيس وعن الكسير الجرهمي وعبدود الجرهمي (٤) .

وينسب نشوان الحميرى كتابا سماه "البلبلة" الى عبيد بن شرية الجرهمي في بلبلة الألسن وذكر ملوك حمير (٥) . وأراه قد التبس عليه الأمر فان ما يعنيه هو الكتاب المذكور آنفا ، لأن ابن النديم روى أن معاوية سأل عبيد عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم ، وسبب تبلبل الألسنة ، وأمر افتراق الناس في البلاد فتوهم نشوان أنه كتاب آخر في البلبلة (٦) .

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ٢٠٢

(٢) ابن النديم ، الفهرست ١٣٨

(٣) السجستاني ، كتاب المعمرين ٣٩

(٤) ابن النديم ، الفهرست ١٣٨

(٥) نشوان الحميرى ، شمس العلوم ١ : ١٢٧

(٦) انظر ابن النديم ، الفهرست ١٣٨

وكتاب عبيد من جمع ابن هشام ، وعمل فيه ماعمل في سيرة ابن اسحاق ، ولكن المستشرق كرنكو يذهب الى أبعد من ذلك ، ويصرح بأن عبيد بن شرية شخص خيالي لاوجود له ، وأن الكتاب من تأليف ابن هشام أو البرقي أو محمد بن اسحاق مكملا به المؤلف ماينقص كتاب وهب بن منبه من أخبار ، ويستدل على ذلك بعدم ورود ذكر لعبيد في كتب الرجال ، ولكن عدم ورود اسم عبيد في كتب المحدثين يتخذ دليلا على أنه لم يرو الحديث ، وليس بدليل على عدم وجوده • ويحتج كرنكو بوجود قصة عجيبة يرويها عبيد لمعاوية ، ثم يجد القصة نفسها مسرودة في المصادر العربية المختلفة على لسان رواة آخرين[1] •

ولا أرى في ذلك داعيا لانكار وجود شخصية عبيد ، فهذه الظاهرة ملموسة في كثير من مصادرنا العربية ، اذ نجد القصة الواحدة يرددها أكثر من راو ، ولا أستبعد أن يروى عبيد قصة عجيبة لما عرف به رواة اليمن من شغف بالأساطير والأمور الخفية ، فأعجب رواة آخرون بالقصة وأخذوا ينسجون على منوالها مقلدين عبيد في رواياتهم الأسطورية •

أما افتراض كل من كرنكو والدكتور حسين نصار في أن ابن هشام قد عمل في كتاب عبيد ماعمل في سيرة ابن اسحاق ، فانه يلاحظ أن الراوى الذى أعاد تأليف كتاب عبيد كان حريصا ، حين يضيف شيئا من عنده أن يسنده الى من أخذه عنه ، فهو يصرح قائلا "وذكر محمد بن اسحاق في غير حديث عبيد بن شرية"[2] ، وهذا معناه أنه يلفت النظر الى أنه يستطرد ويخرج عن الكتاب الأصلي ، فيورد خبرا جديدا يسنده هنا الى ابن اسحق ، ويستمر في سرده للخبر حتى ينتهي منه فيقول "ثم رجع الحديث الى عبيد".[3]

ومن الواضح أن كتاب عبيد ليس تاريخيا ، وانما هو مجالس سمر تاريخية ، تتخذ من التاريخ محورا للحكايات الأسطورية ، يحاول فيها عبيد أن يصور طول القحطانيين وعزهم • فعبيد يختار حكايات من التاريخ ، فنجده يصور لنا عادا ولقمان وأسطورة نسوره ، ثم يقص عن عدد من ملوك اليمن •

ويهتم عبيد في كتابه بايراد قصص الأولين وأساطير ملوك اليمن ، ولكن مع ذلك تتضح في ثنايا الكتاب أهداف التهذيب والتعليم ، أو مايمكن أن نسميه العظة والعبرة ، اللتين تعتمد عليهما القصة ، اذ لاينسى عبيد أنه مسامر ومؤدب ، فيحاول أن ينتقي قصصه وأساطيره ويطوعها لتلك الأهداف •

---

(١) حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية ١٩٠

(٢) عبيد بن شرية ، التيجان ٣٧٨ (طبعة حيدر آباد)

(٣) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٦٠

وتتجلى ثقافة عبيد الدينيه في الكتاب ، ويظهر حرصه على خدمة الدعوة الدينيه ، وعدم خروج الكتاب عما ورد في القرآن الكريم ، عند تعرضه لبعض القصص الذى كان له أصل في القصص القرآني ، كما في قصة بلقيس ، فيستعير عبيد آيات القرآن الكريم للاستشهاد بها على صدق قصته .

ولا يتوقف الأمر بعبيد عند الاستشهاد بالآيات ، ولكن كثيرا ما سأله معاوية عن تفسير بعضها ، أو عن معنى بعض الكلمات ، فيجيبه واثقا ، متأكدا من قوله . ويعجب معاوية من غزارة علمه وسعة اطلاعه قائلا " ماتركت شيئا يا أخا جرهم الا وقد دخلت فيه وطلبت علمه ".

وقد أخذ عبيد العلم عن عبدالله بن عباس الذى اعتمد عليه في كل ماله علاقة بتفسير ما جاء في القرآن الكريم [1] .

وتلاحظ الكثرة الوفيرة من الأشعار التي ضمنها عبيد كتابه ، وعنايته بقول الشعر ، لأن معاوية كان يستزيدة من قول الشعر للمسامرة ، كلما وجد الى ذلك سبيلا ، كما كان يعد الشعر دليلا على صحة الخبر بقولة "ألا شددت حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ، ولو ثلاثة أبيات ؟" [2] . والشعر ديوان العرب ، وساد الاعتقاد بأنه لايخلو موقف لم ينظموا فيه الشعر .

وقد عد كتاب عبيد – لكثرة ماورد فيه من شعر – تدوينا شعريا للتاريخ ، وملحمة شعرية ترد على من ينكر على العرب معرفتهم الملاحم [3] . وربما دعاهم ذلك الى مقارنتها بشاهنامه الفردوس الشعرية [4] .

٣ – وهب بن منبه :

هو وهب بن منبه بن كامل بن مسبح بن ذى كناز اليماني الصنعاني الذمارى ، وكنيته أبو عبدالله الابناوى [5] . وقد كان تابعيا جليلا ، عالما في أهل اليمن ، ولد سنة أربع وثلاثين للهجرة [6] . ويروى أن نسبه ينتهى الى أحد أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى الى اليمن لنصرة سيف بن ذى يزن [7] . كما قيل أن جده من أهل هراة في

---

(١) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٥٢

(٢) عبيد بن شرية ، التيجان ٣٣١

(٣) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٦١

(٤) حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية ١٨٨

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٩ : ٢٧٦

(٦) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ : ١٠٠

(٧) ابن قتيبة ، المعارف ٤٥٩

خراسان ، أخرجه كسرى الى اليمن ، فأسلم في عهد النبي (ص) فحسن اسلامه وسكن ولده باليمن[١] . أما وهب فيقال أنه اعتنق الاسلام في السنة العاشرة للهجرة ، ولكن الأكثر احتمالا أنه ولد مسلما[٢] .

وقد وصف وهب بالاخلاق الفاضلة ، فيروى ابن كثير عن منير مولى الفضل ابن عياش أنه كان جالسا مع وهب بن منبه ، فأتاه رجل نقل اليه شتيمة رجل آخر ، فغضب وهب وقال : ماوجد الشيطان رسولا غيرك ؟ وعندما جاءه ذلك الشاتم وسلم عليه أحسن استقباله وأجلسه الى جانبه[٣] .

وقد وصف وهب بالفصاحة وسعة العلم ، مما أضفى عليه هيبة ووقارا ، فوصف الزبيدى اجلال ابن الزبير له اذا دخل عليه وهب أيام خلافته ، اذ كان يعظمه ويحترمه[٤] مع أن وهبا كان لايحب الاقتراب من ذوى السلطة ، يتمثل هذا في قوله ينصح عطا الخراساني : "أخبرت أنك تحمل علمك الى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ، ويحك ياعطا ، تأتي باب من يغلق بابه دونك ، ويظهر لك فقره ، وتدع باب من يظهر لك غناه ويفتح لك بابه "[٥] .

وحبس وهب في الأيام الأخيرة من عمره لأسباب لاتذكرها المصادر ، وكان حبسه نتيجة لأمر من الوالي يوسف بن عمر الثقفي الذى حكم اليمن منذ عام ست ومائة للهجرة الى عام عشرين ومائة للهجرة[٦] . ويروى ابن حجر أن يوسف بن عمر ضربه حتي مات[٧] ، دون أن يذكر سبب ذلك .

وقد ولي وهب القضاء في صنعاء لعمر بن عبد العزيز حتي وفاته سنة أربع عشرة ومائة للهجرة[٨] . وقال بعضهم بل مات سنة عشر ومائة للهجرة[٩] . ويقال ان قبره معروف يزار بالعرض الأعلى خارج باب اليمن[١٠] .

---

(١) ابن حجر العسقلاني ،تهذيب التهذيب ١١ : ١٦٧

(٢) هوروفتس ، المغازى الأولي ٢٧

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٩ : ٢٧٦

(٤) الشرجي الزبيدى ، طبقات الخواص ١٦٢

(٥) عبدالله الحبشي ، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ١٤

(٦) هوروفتس ، المغازى الأولي ٢٩

(٧) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ١١ : ١٦٨

(٨) ابن سمرة الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ٥٧ ، وأنظر ياقوت الحمرى ، ارشاد الاريب ١٩ : ٢٦٠

(٩) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥٤٣:٥ ، وانظر ابن قتيبه ، المعارف ٤٥٩

(١٠) الأكوع ، محقق قرة العيون ، ابن الديبع ١ : ٣٤

وكان وهب اخباريا ، كثير النقل من الكتب القديمة ، وقد روى عن أبي هريرة وعن عبدالله بن عمرو وابن عباس وأبي سعيد وجابر بن عبدالله وغيرهم ، كما نقل عن أخيه همام بن منبه[1] . وقيل أنه قد أخذ الكثير عن ابن عباس اذ لازمه ثلاث عشرة سنة كما أدرك جماعة من الصحابة من مثل عبدالله بن عمر وعمرو بن العاص والنعمان بن بشير وأنس بن مالك وأبي موسى الأشعرى وغيره[2] .

وينقلون قوله انه قرأ من كتب الله اثنين وسبعين كتابا[3] ، وقيل أكثر من ذلك ، اذ نقل آخر عمن سمعه يقول انه قرأ اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها في الكنائس في أيدى الناس ، وعشرون لايعلمها الا قليل، كما قال أيضا : لقد قرأت ثلاثين كتابا نزل على ثلاثين نبيا[4] .

ولاشك في مبالغة هذه الأقوال وعدم صحتها عند المقارنة بقوائم الكتب المقدسة المشار اليها ، ولكن مع ذلك فان وهبا قد عرف ماتحويه كتب اليهود والمسيحيين المقدسة عن طريق صلاته باليمانيين من أهل الكتاب الذين كثر عددهم في جنوب بلاد العرب ، ويوافق كثير من أقوال وهب ما في المصادر اليهودية والمسيحية ، وان خالفتها في بعض الأحيان[5] .

وينص وهب في غالب نصوصه على منابع علمه التي استقى منها مادته ، من ذلك قوله :"مكتوب في الانجيل: لاينبغي لامام أن يكون جائرا ومنه يلتمس العدل ، ولاسفيها ومنه يقتبس الحلم"[6] .

ويشبهونه بكعب الأحبار ، كما يصفونه بالصلاح والعبادة لكثرة مايروى عنه من أقوال حسنة وحكم ومواعظ[7] .

وينقلون عن وهب اعتزازه بمعرفته اذ قال: "يقولون عبدالله بن سلام أعلم أهل زمانه ، وكعب أعلم أهل زمانه ، أفرأيت من جمع علمهما ؟" يعني نفسه[8] . وقد عرف وهب بسعة اطلاعة وغزارة علمه ، لذا قيل أن الخليفة الوليد عثر على حجر عليه نقوش

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ : ١٠٠

(٢) الشرجي الزبيدى ، طبقات الخواص ١٦١

(٣) ابن سمره الجعدى ، طبقات فقهاء اليمن ٥٧

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥ : ٥٤٣

(٥) هوروفتس ، المغازى الأولي ٣١

(٦) ابن عبدربه ، العقد الفريد ٢ : ٢٨٥

(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ٩ : ٢٧٦

(٨) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ : ١٠١

غير عربية أثناء بناء مسجد دمشق ، عام سبع وثمانين للهجرة ، فأرسله الى وهب لقراءته[1].

وهناك اشارات تدل على معرفة وهب بالعبرية ، وربما بالسريانية أيضا[2]. وتكاد تجمع المصادر العربية على سعة علمه واطلاعه على كتب الأولين ، مما دعا ابن عباس الى وصفه بعلامة الدنيا[3].

وقد ألف وهب كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم ، وغيره[4]. وقد ذكر ابن قتيبه أنه رأى هذا الكتاب ، ووصفه بأنه من الكتب المفيدة[5]. أما بروكلمان فيرى أن هذا الكتاب نفسه لابن هشام ، اعتمد فيه بصورة أساسية على اسرائيليات وهب بن منبه ، وان روى أيضا عن مصادر أخرى مثل محمد بن السائب الكلبي[6]. ولا أرى صحة هذا القول ، فالكتاب تذكره المصادر القديمة ، وفضل وهب وريادته في هذا الفن ملموسة من أكثر من باحث ، وسنقف أمام هذا الكتاب بعد الانتهاء من معرفة مؤلفاته الأخرى .

تنسب الى وهب بعض المؤلفات القديمة ، فقيل أنه صنف كتاب "القدر" ثم ندم على تصنيفه ، وسمعوه يقول : "كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء ، في كلها من جعل لنفسه مشيئة فقد كفر ، فتركت قولي"[7].

وقد أشار حاجي خليفه الى مؤلفه "قصص الأبرار وقصص الأخيار" ، كما ذكر له أيضا "قصص الأنبياء"[8] ، وكتابا في "المغازى"[9] ، وقد تبين صدقه اذ اكتشف "بيكر" بين مجموعة أوراق بردى (شت دينهاردت) المحفوظة في هايدلبرج مجلدا يحتوى على قطعة من هذه المغازى ، وتتناول هذه القطعة تاريخ العقبة الكبرى واجتماع قريش في الندوة والهجرة وغزوة بني خيثمة ، مما يدلنا على أن وهبا تناول الفترة الملكية والمدنية من حياة الرسول[10]. وقد حقق هذا الجزء من المغازى رئيف خورى وتم نشر الكتاب في السبعينات .

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، ٣ : ١٥٧

(٢) انظر وهب بن منبه ، التيجان ٢٩

(٣) عبدالله الحبشي ، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ١٤

(٤) ياقوت الحموي ، ارشاد الأريب ١٩ : ٢٦٠

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٥ : ٨٨

(٦) برو كلمان ، تاريخ الأدب العربي ١ : ٢٥٢

(٧) ياقوت الحموى ، ارشاد الأريب ١٩ : ٢٦٠

(٨) حاجي خليفه ، كشف الظنون ٢ : ٢٢٣

(٩) المصدر السابق ٢ : ٢٧٠

(١٠) حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية ٢٠٢

وينص بروكلمان أن الآثار المجموعة في أوراق من البردى بمكتبة هايدلبرج قد أعتمدت على كتابه "قصص الأنبياء" ، وهو في مكتبة الأسكندرية مخطوط رقم ٩٨٠ تاريخ [١]. فاعتبر كتاب المغازى وقصص الأنبياء واحدا .

وحفظت "حلية الأولياء" لوهب قطعتين من المغازى ، تتناول الأولى فتح مكة [٢]، والثانية وفاة النبي (ص) [٣]. وهو يذكر الأسفار في القطعتين ، ويعلق الدكتور حسين نصار على أسلوبه في هاتين القطعتين ، فبرز الخيال واضحا ، اذ لم يكن وهب مؤرخا . وانما كان قصاصا [٤] ، وكان في اسلوبه تصوير دقيق فيه التمجيد وفيه المادة الأسطورية وتلك صفات بارزة في كتاب وهب "التيجان" .

ويعتبر هوروفتس كتابات وهب مدخلا الى سيرة النبي (ص) [٥] ، كما ترتبط بالرسالات قبل محمد ، وان كان وهب لايذكر مع رواة سيرة النبي (ص) [٦].

وقد ذكر المسعودى أنه ألف كتاب "المبدأ" ، وينسب حاجي خليفة الى وهب أيضا كتاب "الاسرائيليات" ، ويرى روزنتال أن كتاب "الاسرائيليات" الذى ذكره صاحب "كشف الظنون" قد يكون كتاب "المبدأ" نفسه [٧] ، ويشير العنوان الى مبتدأ الخلق ، ولعله الفصل الذى ابتدأ به ابن قتيبه كتابه "المعارف" .

وقد لاحظ ابن قتيبة الفرق بين معلومات وهب عن بدء الخليقة وبين سفر التكوين ومقارنة ابن قتيبة لمعلومات وهب تدل على أنه أضاف مادة الى ما أخذه عن العهد القديم ، وعناصر هذه المادة تستند الى شرح الآيات القرآنية ، والى الاسرائيليات والى تأملاته في كتب أهل الكتاب [٨]. كما جعل من الاسرائيليات مادة لتاريخ قبل الاسلام ، وتعد أول نموذج للتاريخ العالمي متمثلا في تاريخ الرسالات [٩].

---

(١) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ١ : ٢٥٢

(٢) الحافظ الأصفهاني ، حلية الأولياء ٤ : ٧٩

(٣) المصدر السابق . ٤ : ٧٣

(٤) حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية ٢٠٢

(٥) هوروفتس ، المغازى الأولي ٣٤

(٦) المسعودى ، مروج الذهب ٥ : ١٢٧

(٧) هوروفتس ، المغازى الأولي ٣١

(٨) ابن قتيبه ، المعارف (فصل مبتدأ الخلق) ٩

(٩) عبد العزيز الدورى ، نشأة علم التاريخ عند العرب ٢٦

ويرجح بروكلمان أن كتابه "الاسرائيليات" قد نقل منه ابن قتيبه كثيرا في عيون الأخبار ، والغزالي في الاحياء ، كما نقل الغزالي أمثالا قال أن وهب بن منبه وجدها على هامش التوراة ، ونقل عنه حكمة داود [١].

وقد انتشرت آثار وهب في تفسير الطبرى وتاريخه ، وفي كتب بعض المؤرخين كابن قتيبة وابن اسحاق والمسعودى وغيرهم ، وكثيرا مانجد الأخبار المنسوبة في مثل هذه الكتب القديمة يعارض بعضها بعضا ، ولابد أن تكون أخبار وهب قد عرض لها منذ عهد مبكر بعض أنواع التحريف والتغيير في النسخ المختلفة . وربما عاد اختلاف تلك الأخبار الى تغيير وهب نفسه في بعض تلك الأخبار ، كما يحتمل أن يكون التغيير والتحريف من صنع أولئك الذين نشروها فيما بعد لملاءمة الذوق الشعبي ، فجعلوها على نمط أخبار القصاص الشعبيين .

وربما تمت الاضافة الى قصصه على يد عبد المنعم بن ادريس واسماعيل بن عبدالكريم ان معقل بن منبه المتوفى سنة عشر ومائتين للهجرة ، فلعلهما لجأ الى الوضع لتجميد اسم وهب ، وقد أصبحت قصصه ارثا لعائلته التي حاولت نشرها .

ويتضح لنا عند دراسة المقتبسات في ابن قتيبة (المعارف) والطبرى والمقدسي في (البدء والتاريخ) أن وهبا بدأ بالخليقة ، وتدرج الى تاريخ العهد القديم ثم الى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن من مثل هود وغيره [٢].

ولقد كان وهب أول من وضع هيكلا ، وان كان قصصيا لتاريخ النبوة ، منذ بدء الخليقة حتى ظهور الاسلام ، وقد أخذ عنه أو تأثر به من ناحية المادة أو الهيكل بعض المؤرخين التالين [٣].

وقيل أن وهبا ترجم زبور داود ، وذكر ذلك الوراق الاندلسي أبو بكر بن خير الذى توفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة للهجرة [٤] . وينقل وهب في بعض أقواله ما أنزله الله على نبيه داود [٥].

---

(١) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ١ : ٢٥٢

(٢) عبدالعزيز الدورى ، نشأة علم التاريخ عند العرب ٢٦

(٣) المصدر السابق ١١٣

(٤) هوروفتس ، المغازى الأولى ٣٤

(٥) ابن عبدربه ، العقد الفريد ١ : ٧

كما نسب اليه "الزهر الأنيق في قصة يوسف الصديق" وقد نسب اليه جامع فهرس مكتبة جامعة الرياض ، وهو مصور بالجامعة ، ورقمه ثلاثة عشر مجاميع (١) .

ولوهب باع طويل في الموعظة ، اذا انتشرت مواعظه الكثيرة في معظم المصادر العربية ، ويضمنها أحيانا خبرته الطويلة ونظراته ف الحياة .

كما أن لوهب بن منبه فضل الريادة في ادخال فن القصص الأسطورى الى تراثنا العربي ، واعتماده في ذلك على التاريخ ليس للحقيقة العلمية في معرفة التاريخ ، ولكن ليستمد منه تجاربه في ما قصه علينا من حكايات ، فبدا وهب علما بارزا في هذا المضمار ، وقد ظفر مؤخرا باهتمام الباحثين المحدثين ، وأخذا اهتمامهم يتزايد بكتابه "التيجان في ملوك حمير" ، بل انتقد بعضهم المقولة التي ترجع فضل الريادة للغرب في فن القصص ، وأخذنا ذلك الفن عنهم ، فيلفت فاروق خورشيد نظرنا الى كتاب التيجان ، لما في قصص وهب من مادة قصصية أسطورية شيقة توافرت فيها كل عناصر القصة الجيدة (٢) .

كتاب " التيجان في ملوك حمير " :

يجمع الكتاب بين دفتيه مؤلف وهب بن منبه ، ورواية ابن هشام ، وقد نشره كرنكو في الهند سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة ، ثم طبع مع كتاب أخبار عبيد بن شرية الجرهمي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة (٣) .

وتم طبع كتاب "التيجان" مؤخرا طبعة أنيقة في بيروت ، وقد وفق من جمع الكتابين ، فهما يسيران في اتجاه واحد ، مع مظاهر التشابه والاتفاق بينهما ، وحاز المجلد اعجاب الباحثين وعدوه تسجيلا لأولية القصص الفني القديم الذى اهتم بايراد قصص الأولين وأساطير ملوك اليمن . وقد سبق لنا الحديث عن كتاب عبيد بن شرية . فلنقف الآن أمام كتاب وهب .

روى الكتاب ابن هشام ، وقد ظهر تصرفه فيه في الاضافات التي جلبها من روايات أخرى ، وصرح بسندها في تضاعيف الكتاب كرجوعه الى ابن اسحاق (٤) ، وغيره من

---

(١) عبدالله الحبشي ، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ١٤

(٢) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٧٦

(٣) عبدالله الحبشي ، مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ٤٠٢

(٤) وهب بن منبه ، التيجان ٧٣

الرواة كالهمداني والكلبي ، ثم يعود الى قصة وهب من جديد ، وترى ابن هشام يضيف مايحس أنه يكمل القصة زمنيا ، أو يضيف الى القصة جديدا لم يعاصره وهب .

ويبدأ الكتاب بخلق العالم وقصص آدم وأولاده حتي عهد نوح ، ثم يلتفت وهب الى العرب من الساميين والى عرب الجنوب بخاصة ويقص تاريخ أقيالهم وملوكهم ، وما حققه هؤلاء من ظفر ونصر أثناء غزواتهم المتعددة في أرجاء الأرض .

وانتشرت الاسرائيليات في كتاب وهب . وشاعت فيه ، ويظهر ذلك جليا في الفصول الأولى من الكتاب عند معالجته كيفية خلق العالم وآدم وأولاده ، وفي قصة سليمان وبلقيس ، ويغلب على وهب الطابع القصصي الأسطورى ، وان استقى مادته الأولى من التاريخ .

وفي حكايات وهب تلمح اتصالا كبيرا بكل شعوب الأرض من الهند والصين والأندلس والترك والفرس والعمالقة والأحباش والمصريين وسكان الجزائر وغيرهم ، مما سبق عصر التدوين ، هذا الاتصال الذى حدث بعد فترة طويلة من ظهور الاسلام وانتشاره[1] .

فوهب قاص تغنى بمفاخر وطنه ملحمة نثرية بسيطة صريحة يزينها بالشعر ، وبما يقتبس من آيات القرآن الكريم ، كما حفلت بالرسائل والخطب والأحاديث . وقد صاغها الخيال في اطار فني جميل ، ولايمكننا الوثوق بما زان به قصصه من الشعر الموضوع ، وان روى لشعراء مشهورين من مثل لبيد والأعشى وأمرىء القيس ، اذ استخدم المؤلف الشعر لارضاء السامعين ، وكجزء من منهج تأليف القصص عند العرب . وان ظاهرة ورود الشعر على ألسنة أبطال هذه الروايات التاريخية لدليل على أنها وضعت للقصص وليس للتاريخ . فوهب مثل عبيد وغيره لايؤرخون تاريخا حقيقيا ، وانما يقدمون قصصا فنيا حلوه بالشعر كلما وجدوه ، والا وضعوا الشعر ان أعجزهم ما جاء على ألسنة العرب . فهم ان وجدوا شعرا ذكروه وبهذا حققوا دون قصد حفظ صور من الشعر الجاهلي[2] .

واسلوب وهب بسيط لايشوبه التكلف أو التزيين ، وان وجدت عنده بعض القطع الارجوانية بحسب رأي الدكتور حسين نصار[3] ، ولاتخفى علينا في الكتاب مظاهر التفاخر بين عرب الجنوب وعرب الشمال ، حين يجعل وهب الأسبقية دوما لعرب الجنوب في كل الأمور : في معرفة التوحيد وفي اللغة وفي الأدب وفي مرافق الحياة المختلفة .

---

(١) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٤٣

(٢) المصدر السابق ٧٢

(٣) حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية ٢٠٦

وبعد وهب صورة مكبرة مهذبة من عبيد بن شرية الجرهمي ، أضاف الى المعلومات الاسلامية ما اطلع عليه من اتصاله بأهل الكتاب • ولايختلف كتاب وهب عن كتاب عبيد ، ومن مظاهر التشابه بينهما في الكتابين اشتراكهما في طريقة العرض ، فهما يطلقان لخيالهما العنان في تصوير الوقائع ، ويخرجان بالأحداث التاريخية الى عالم الخيال والأسطورة •

ولاتقتصر حكاياتهما على ألاحداث التاريخية ، ولكنها تعد صورا انسانية صادقة تعبر بحق عن حيرة الانسان وقلقه ، وترسم في وضوح صراعه مع القدر وصراعه مع الطبيعة وصراعه مع الدهر والحياة ، بل هي في بعض فصولها ترسم صورا للصراع ضد الغرائز ومحاولة التغلب عليها (١) •

والجدير بالذكر أن كتاب "التيجان في ملوك حمير" يعد رائدا في هذا المضمار اذ لم يسبقه ظهور مؤلف في القصص والحكايات ، وان كان الكتاب مسامرات حققت أغراضا ومطامح معينة ، ولكنها سجلت في عالم التأليف الأدبي ادخال لون جديد لم يعرفه الأدب من قبل ، هو ذلك اللون الزاهي الجميل الذى أطلق فيه الراوى لخياله العنان ، فأخذ يحلق في عوالم مجنحة في الخيال ، لاوجود لها في واقعه ، وتلك قدرة في الراوى ، لم تكن لتتيسر لهلولا حظ كبير من الثقافة واطلاع واسع على كتب الدين القديمة •

وبعد •• لقد كان أولئك أبرز رواة اليمن وقصاصيها الذين اعتمدت المصادر العربية وأمهات الكتب على رواياتهم وأقاصيصهم ، فكانوا المنبع الذى ظل الرواة والكتاب من بعدهم يستقون منه أساطيرهم ، وقد لمسنا من خلال تعرفنا على مؤلفاتهم ورواياتهم أن لكل منهم طابعه الخاص الذى اتسمت به رواياته ، وذلك وفقا لطبيعة الثقافة المعتمدة عند كل منهم، اذ وجدنا اشتراك كل من كعب الأحبار ووهب بن منبه في الاعتماد على الثقافة اليهودية والنصرانية • فكان ما دخل روايتهما من اسرائيليات ، في حين لاحظنا الطابع الاسلامي لدى عبيد ابن شرية الجرهمي وتمثيله لطابع العصر الأموى خير تمثيل •

ولكن هؤلاء الرواة ، من أين استقوا أساطيرهم ؟ وما المصادر الأولى التي كان اعتمادهم عليها ؟ أو ما المنابع الأساسية التي أمدتهم بتلك المادة الخصبة التي بنوا عليها رواياتهم الأسطورية ؟

---

(١) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٧٦

ان الدارس الفاحص - عن كثب - لتلك الأساطير يتبين له من خلال تنوعها وتعدد أنماطها مايمكن أن يكون المادة الأساس الأصلية لهذه أو تلك من الأساطير ، وبعد القيام بدراسة متمعنة لرواة اليمن ثقافاتهم وتنوع اهتمامهم نستطيع أن نتلمس هذه المنابع الثلاثة الأولى التي كونت روافد سخية ، أقبل رواة اليمن على الاغتراف منها مع مافطروا عليه من ولوع بالأساطير والحكايات الخيالية ، وهذه المنابع هي :

١ - المرويات الشفهية المتداولة •

٢ - الكتب والأسفار القديمة •

٣ - القصص القرآني •

وأفصل القول في كل منها على حدة ، للوقوف أمام ماتقتضيه معطيات كل منها ، من الدرس والنقاش ، لتتجلى لنا الصورة واضحة :

١ - المرويات الشفهية المتداولة :

لقد استمرت الرواية الشفهية في التداول مدة طويلة قبل مرحلة التدوين عند العرب ، على الرغم من انتشار الكتابة ووفرة الكتاب ، والشواهد على ذلك عديدة ، وتعددت الأسباب التي أخرت مرحلة التدوين ، وأخذ المجتهدون يدلون بالآراء المختلفة في تلك الأسباب ، ولا أجد المجال يدعو الى ذكرها ، وربما كان السبب الأساسي في تأخر التدوين والاعتماد على الرواية الشفهية بعد الاسلام هو تقدير العرب للذاكرة وارتباط تقديرهم لها بقدسية القرآن الكريم وارتباطه بالسماع والترتيل والحفظ ، حتي لدى من يجيد قراءته ، اذ كان المسلمون لايثقون بمن يقرؤه من المصحف ثقتهم بمن يحفظه فارتبط ذلك لديهم بتقدير الذاكرة •

ويصدق الأمر نفسه على الأدب ، فقد اعتمد الرواة في أغلب الأحيان على الرواية الشفهية ولم يستخدموا الكتابة الا نادرا [(١)] ، اضافة الى أن الرواية الأدبية من أخبار وأشعار كانت من الثقافة العامة السائدة في المجتمع الاسلامي • ومن المعروف أن القصاص كانوا يجلسون الى الناس في المسجد أيام الخلفاء الراشدين ، يحكون لهم أحاديث الأمم الأخرى ، ويقصون لهم الأساطير والحكايات ، ولاشك أن وجود هذه الظاهرة في صدر الاسلام لايمكن أن يكون مستحدثا ، كما ذهب الى ذلك الدكتور أحمد أمين في فجر الاسلام ، ولكن الأرجح أن تكون هذه الحال امتدادا لما كان يحدث قبل الاسلام ، وقد جبلت النفس الانسانية على الشغف بالاستماع الى مثل تلك الأحاديث الأسطورية وقصص الأولين •

---

(١) أنظر بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ١ : ٦٥

وللرواية الشفهية أهميتها في موضوع الأساطير وموضوع القصص الشفهية ، لأن الحكاية في مسارها بين الأفراد تخرج من دائرة القاص الفرد في زمان ما الى الجماعة التي تلعب دورها تحويرا وتطويرا وحفاظا على الحكاية ، فبذلك تكون نتاج تراكمات خصائص الفرد والبيئة ، فيصبح معرفة دور القاص الفرد جد عسير في مثل هذه القصص ، وبمجرد أن يكتب القاص كتابا ونعثر على نسخة من هذا الكتاب ، تبدأ حياة هذه القصص في الذبول ، ويتوقف التحوير والتطوير والنمو ، لأنها تدخل المعامل للدراسة ، أو يمكن أن تكون مجالا لفنان فرد يعيد صياغتها ويؤلف - استيحاء منها - جديدا من القصص (١) .

ولاشك في تناقل الأساطير والحكايات مروية في المجتمع العربي قبل الاسلام ، وبعده ، ولايمكن أن تكون تلك الأساطير بعد مسيرتها الطويلة عبر السنين الا نتاجا مشتركا لذلك المجتمع الذى كان له احتكاك واتصال مباشر بغيره من الشعوب والأمم ، وهذا أمر له أهميته في ظهور سمات مشتركة أحيانا بين الأساطير المختلفة لدى الشعوب في المناطق المختلفة من هذا العالم ، مما يدل على تناقل الأساطير بين الشعوب والأقوام في البلاد .

- الاتصال بين الأمم :

لقد كانت أرض العرب تقع مابين (مصر وبابل) مهد الحضارات ، ولم تكن هناك عوائق طبيعية حادة تحد من سبل الاتصال بين حضارات العالم القديم وسكان بلاد العرب ، فكانت شبه الجزيرة العربية حلقة اتصال دائم بين شعوب العالم القديم . ولتسهيل التقصي نضم ثلاث دول نشأت في أطراف الجزيرة العربية الشمالية الشرقية وهي : بابل القديمة (دولة الأكاديين) ، وأشور ، وبابل الحديثة (دولة الكلدانيين) تحت اسم واحد هو (بابل) ، وحينئذ نستطيع القول أن بلاد العرب كانت عقدة تربط بين مركزى الثقافة القديمة (مصر وبابل) . فمن وادى الرافدين حيث حضارة بابل نجد طريقين بريين يوصلان الى آسيا الصغرى والى المنطقة السورية ، ومن المنطقة السورية تمتد طريق برية ساحلية الى مصر ، بينما تخترق شبه الجزيرة العربية عدة طرق ، احداها من اليمن الى سوريا عن طريق مكة ، وأخرى من اليمن الى وادى الرافدين عن طريق نجد والمنطقة الشمالية لشبه الجزيرة ، وثالثة بين اليمن والمنطقة الشرقية .. وهكذا (٢) .

---

(١) سهير القلماوى ، مجلة عالم الفكر ، مقالة "القصص الشعبي" - العدد الأول سنة ١٩٧٢ - ص ١٣٣

(٢) جرجس داود ، أديان العرب قبل الاسلام ٢٠

وقد أفادت الدراسات الفولكلورية من المكتشفات الحفرية في البلاد العربي
المختلفة من مثل مكتشفات رأس الشمرا في فلسطين أو أوغاريت في سورية (اللاذقية)
بالاضافة الى مكتشفات غيرها من نصوص سورية وبابلية في العراق ، ومكتشفات جوزي
هالفي وأحمد فخرى في اليمن [(١)] . كما عثر على كتابات تدل على أسماء ملوك حكمو
حضرموت ، وتخبر أن أحد ملكوهم في "حصن أنود" قد استقبل ضيوفا وفدوا عليه من(هند
و(تدمر) ، وآراميين جاءوا من (كشد) [(٢)] ، ولهذا الأمر دلالته القوية في اتصال البل
العربية بغيرها من الأمم والشعوب .

وقد قسم علماء اللغات تراث الشعوب السامية الى ثلاثة أقسام :

١ - القسم الشرقي أو البابلي في العراق .
٢ - القسم الغربي أو الكنعاني أو الآرامي في الشام وفلسطين .
٣ - القسم الجنوبي أو العربي في الحجاز واليمن .

وقد توارث أقوام الحضارات البابلية في العراق حضارة السومريين وأساطيره
ومعتقداتهم ، وترجع أولى بدايات ممالك هؤلاء الساميين الى منتصف القرن الراب
والعشرين ق.م. وعن هذا القسم الشرقي البابلي سرى تراث الأقوام السومرية الأكادي
المنتشرة الى بقية الأقوام السامية الأخرى من أورية وكنعانية وآرامية وعبراني
وعربية في ربوع الشام وشبه جزيرة العرب بقسميها الجنوبي والشمالي [(٣)] .

وقد كانت بابل وأشور المنبع الأكثر خصوبة ، الذى أمد ما جاوره من تخو
وقبائل على طول شبه الجزيرة العربية ، فنزحت قبائل ابراهيم وأشور الى الشا
وفلسطين قبل انتهاء الالف الثالثة قبل الميلاد .

وكشفت الدراسات الأسطورية المقارنة عن وجود الأساس الأسطورى العقائد
المشترك لأغلب هذه الشعوب السامية منذ أكثر من ألفي عام ق.م. سواء فيما بي
النهرين أو في مكة واليمن والشام وفلسطين [(٤)] .

---

(١) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١٢
(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ٢ : ١٤٥
(٣) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ٢٤
(٤) المصدر السابق ٣١

وقد اضطر العرب الى الهجرات شمالا لأسباب كثيرة منها سعيهم الدائب لايجاد المراعي الخصبة ، فتوسعوا في بلاد الشام ، ودخلوا أرض الرافدين ، كما تقدموا الى طور سيناء فشواطئ نهر النيل ، ولاشك أنهم دخلوا أراضي خاضعة لنفوذ الفرس ، كما أن علاقتهم بالفرس لم تكن سيئة • ففي سنة خمس وعشرين وخمسمائة قبل الميلاد ، ولما قام قمبيز ملك فارس بغزو مصر حالف العرب ، فقدموا له المعونة ، وكانوا خير مساعد له في عبور الصحراء [1] ، كما أن لوجود كل من مملكتي المناذرة والغساسنة على أطراف الدولتين الفارسية والرومانية أثره في التواصل الحضارى بين أقوام شبه الجزيرة العربية •

وفي وقت لاحق كان لليمن اتصال خاص بفارس عندما أرسل كسرى جنودا من فارس لنصره الملك اليمني سيف بن ذى يزن ، فبقي هؤلاء في اليمن ، وكونوا فيها من اصطلحوا على تسميتهم فيما بعد بالأبناء ، ولاشك أن الأمر لم يقتصر على الاحتكاك العسكرى ولكن تعداه الى الاحتكاك الحضارى في نقل أولئك الجنود لعاداتهم ومعتقداتهم وأساطيرهم •

وبقدر ماتحقق التواصل الحضارى بين حضارة مابين النهرين مع حضارة العرب في جنوب الجزيرة العربية من جانب وجيرانهم الفرس الآراميين من جانب آخر ، حدث الأمر نفسه للحضارتين المتجاورتين : المصرية القديمة ولاحقتها الحضارة الكنعانية الفينيقية في الشام وفلسطين ، وهي الحضارة التي ترجع ارهاصاتها الى بداية الألف الثالثة قبل الميلاد ، كما أنه من لمعروف استعمار فينيقيا الجزر القرطاجنية في البحر الايجي ، ومركزها كريت في مرحلة ما قبل الهلينية بقرون طويلة ، فاستمد اليونان عنهم دعائم حضارتهم التي نقلها الفينيقيون أثناء استعمارهم تلك الجزر [2] •

وقبل الميلاد بقرون عدة كان للعرب وجود في طور سيناء حتي مشارف النيل في مصر حيث يمر خط برى بين مصر وشبه جزيرة سيناء • وجنوبا حيث تقرب الجزيرة العربية من افريقيا عند باب المندب • وتثبت الأدلة التاريخية وجود اتصال بين المصريين القدماء والعرب ، حيث كان العرب تجارا ينقلون الى المصريين الطيوب

---

(١) جواد علي ، المفصل ١ : ٦٢٠

(٢) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ٤٢

والبخور الذى يستخرجونه من شجر اللبان ، حيث ينمو بكثرة في جنوبي شبه الجزيرة ، وقد كان المصريون يحرقون هذا البخور في هياكلهم ، ويستخدمونه في تحنيط موتاهم[1] .

وقد عثر المنقبون على آثار في الجزيرة بمصر ترجع بتاريخها الى عهد البطالمة بمصر ، تثبت وجود كتابات بالخط اليمني (المسند) في مصر ، ونستدل بذلك على وجود الصلات الوثيقة التي كانت بين العرب واليونان من جهة وبين العرب والمصريين من جهة أخرى .

كما عثر المنقبون على رسوم وتماثيل في ميئة "تمنع" اليمنية تشبه الى حد بعيد تماثيل الآلهة اليونانية ، اضافة الى عثورهم في مواضع أخرى على ضرب من النقود صك بعضه على زمن الأسكندر ، والبعض الآخر على أيام خلفائه ، وغير ذلك من الآثار[2] . ولاشك في أن هذا دليل على أن العرب كان لهم صلات وعلاقات بالشعوب القديمة ، اليونان والرومان وغيرهم مما يشير الى تأثرهم بعبادات تلك الشعوب وتأثيرهم فيها .

ويتمتع جنوبي الجزيرة العربية بموقع هام جعله مسرحا لجيوش المملكتين اليونانية والرومانية ، اللتين تتسابقان لاحتلاله ، أو على الأقل للسيطرة على طرق القوافل والتجارة . وقد أورد ياقوت الحموى أن البطالمة اليونان قد حذوا حذو الأسكندر الكبير ، فأسكنوا مواطنيهم أماكن متعددة من السواحل العربية لحماية سفنهم التجارية كما فعل هو من قبل حيث أسكن اليونان "كرخا" وجزيرة "سقطرى" بتأثير معلمه أرسطاطاليس ، وهم الذين طردوا الهنود منها حاملين معهم صنمهم العظيم الى بلادهم ، وبقي اليونانيون في سقطرى حتي مجيء المسيح[3] .

كما كان جنوب الجزيرة العربية معقلا لكل من الديانتين السماويتين اليهودية والنصرانية ، ومارافق ذلك من احتكاك اليمانيين بأقوام أخرى اتخذت الديانة ذريعة للاحتلال ، كما تمثل ذلك في غزو الأحباش لليمن ووجودهم فيها فترة من الزمن .

---

(١) فيليب حتي ، تاريخ العالم ٦٣

(٢) جواد علي ، المفصل ٢ : ٣١

(٣) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ٣ : ٢٢٧

وقد اتضح فيما أسلفت عن احتكاك شبه الجزيرة العربية بغيرها من الأمم والشعوب في بلدان العالم المختلفة ، واتصالها بمنابع الحضارات القديمة بطريق مباشر أو غير مباشر ، ولاشك أن هذا يعني عدم انعزال هذه الرقعة من الأرض عن غيرها من المناطق التي كانت في يوم ما مهدا للحضارات الأولى ، كما تعددت سبل ذلك الاتصال سواء كان الاتصال تجاريا أو عسكريا ، فلابد أن يحدث أثره في تلك الأقوام ، فتحدث مظاهر الاحتكاك المختلفة أثرها في الأمم ، ولابد أن ينتقل القوم في ترحالهم واستقرارهم قدرا كبيرا من نمط معيشتهم بل معتقداتهم وقصصهم وأساطيرهم •

وقد انتبه الهمداني الى تناقل العرب للأخبار والأساطير في كتابه "الوشي المرقوم" حي قال : "لم يصل الى أحد خبر من أخبار العرب والعجم الا من العرب ، وذلك لأن من سكن مكة أحاط بعلم العرب العاربة وأخبار أهل الكتاب ، وكانوا يدخلون البلاد المتجاورات فيعرفون أخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجاور الأعاجم علم أخبارهم وأيام حمير وسيرها في البلاد ، وكذلك من سكن الشام خبر بأخبار الروم وبني اسرائيل واليونان ، ومن وقع بالبحرين وعمان فعنه أتت أخبار السند وفارس ، ومن سكن اليمن علم أخبار الأمم جميعا لأنه كان في ظل الملوك السيارة" (١) •

ولهذا النص دلالة عميقة على انفتاح اليمن على ثقافات الأمم من حولهم واطلاعهم على حضارات الشعوب القديمة ، ومعرفتهم بأخبارهم وأساطيرهم •

لقد كانت تلك نبذة عن سبل اتصال جنوبي الجزيرة العربية بغيرها من الشعوب أما اتصال الشمال بالجنوب في شبه الجزيرة العربية فأمره معروف ، اذ أن علاقة اليمن بالحجاز قديمة جدا ترجع الى أيام الدولة المعينية ، ثم استمرت أيام الدولة السبئية والحميرية منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادى تقريبا • وقد امتد نفوذ اليمانيين على طول الطريق التجارى في معان والعلا ، كما تشهد بذلك النقوش التي وجدت في هذه المناطق (٢) •

أما موضوع هجرة أهل اليمن وتفرقهم في أنحاء الجزيرة العربية وتخومها فأمر أشهر من أن يذكر ، فكانت الهجرة مستمرة ، وظل الاتصال قائما بين قبائل الشمال والجنوب في الجزيرة العربية •

---

(١) عن فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٥١

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ١٢٤

ولعل كل ذلك يدعونا الى تصديق الرأى القائل بانتقال الأساطير مع ماينقله القوم من معتقدات وحكايات ، ولاغرو أن نجد هذا التداخل بين عبادات الأقوام القديمة في الجزيرة العربية ، اذ ينسب لعمرو بن لحي الجرهمي - وجرهم قبيلة يمنية نازحة الى الشمال - أنه أو من جاء بأصنام هذه الآلهة من الكلدانيين - العراقيين - والانباط ، ونصبها حول الكعبة .

ولم يسلم جميع الباحثين بأهمية تناقل الأساطير بين الشعوب ، فيرد بعضهم هذا التشابه الى الصدفة البحتة ، ويعلل آخرون التشابه القائم بين أساطير الهنود والفرس واليونان والجرمان والروس وشمال اوروبا بالرجوع الى وحدة أصلهم ، وأنهم ورثوها عن آبائهم الأولين حين كانوا يعيشون معا في مرتفعات آسيا الوسطي ، وهاجرت معهم أينما حلوا ، وهو تعليل يضعفه أننا نجد هذه الأساطير عند شعوب أخرى غير آرية كالصينية وهنود امريكا ، ويعتقد آخر أن الأساطير لون من الابداع الانساني يؤدى الى التقارب فيه تشابه المناخ والظروف المحيطة بالانسان دون لقاء أو تأثير أو نقل وبخاصة في طفولة الانسانية[1].

وبعد طرحنا لوجهات النظر المختلفة في مسألة التشابه بين الأساطير ، فاننا نرجح قضية التأثير والتأثر بين الشعوب ، ونسلم بثبوت تناقل الأساطير بين الأمم مع ما أتيح لها من مظاهر الاحتكاك والتواصل ، اضافة الى ذلك لاننسى أن الأمر مرتبط بأساطير اليمن ومحاولتنا معرفة مايمكن أن يكتنفها من تأثير أو تأثر، ولاشك في ذلك للمسيرة الطويلة التي مرت بها الأسطورة اليمنية قبل الوصول الى مرحلة التدوين .

لذا آن لنا أن نتبين المظاهر المختلفة التي أسفرت عنها الدراسات الحديثة في اثباتها مسألة تناقل الأساطير بين الأمم المختلفة ، وتتبع ذلك التناقل حتى الوصول الى المنابع الأولى ، ويعني ذلك تقصي مظاهر التأثير والتأثر بين الأمم والشعوب المختلفة . وسوف أتناول تأثير كل حضارة أو قوم على حدة ، مع استقصاء مايمكن أن يصحب ذلك من تأثر أيضا ، مبتدئة بأقدم الحضارات .

التأثير البابلي :

لقد قدم السبي البابلي لليهود فرصة للاطلاع على أدب وديانة وأساطير أرض الرافدين ، وعندما عادوا الى أورشليم ، وقاموا بتدوين نصوص التوراة المتفرقة في

---

(١) الطاهر أحمد مكي ، القصة القصيرة ٩

كتاب جامع شامل ، فدخلت خبراتهم أيام السبي على نحو تلقائي وطبيعي ، فيما دونوه من نصوص ، وكانت الاينوما ايليش درة الأدب والفكر البابلي عميقة التأثير فيهم .

وقد أورد فراس سواح نصوصا بابلية للمقارنة مع نصوص من التوراة في مسألة الخلق والتكوين ليتضح التشابه الكبير ، وخلص الى ترجيح اعتماد النص التوراتي على النص البابلي ، معتمدا على مبررات تاريخية معقولة ، اذ تم العثور في خرائب عاصمة الحيثيين على نصوص أدبية بابلية مكتوبة باللغتين الحثية والبابلية ، منها أجزاء ألواح تحتوى على مقاطع من ملحمة جلجاميش ، كما عثر في تل العمارنة أيضا على نصوص من الأساطير البابلية كأسطورة أربا وأسطورة ملكة العالم الأسفل ، وقد كتبت بلغة بابلية [١] .

كما أثر البابليون في عقيدة بني اسرائيل ، وأشار الى ذلك كنج في كتابه ألواح الخلق السبعة [٢] ، وألمح الباحث نفسه في كتاب آخر الى تأثير بابل في ديانة اليمن عندما ربط بين تقديس اليمن للقمر وتقديسه على الشمس ، وكما كان الكلدان أيضا يقدمون القمر على الشمس [٣] .

وقد دعا آخر ملوك بابل الى عبادة "سن" أى القمر باعتباره أرفع الآلهة البابلية شأنا ، وذلك لأن الثالوث الذى يتألف من الشمس والقمر والزهرة كان في نظر الشعب البابلي وقتذاك مصدر القوى المؤثرة في العالم والكون [٤] .

والآله القمر هو الآله (المقه) عند السبئيين ، وهو آله سبأ الكبير ، وهو (عم) عند القتبانيين وهو (ود) عند المعينيين ، و(سين) عند الحضارمة ، كان الآله القمرى (سين) في الألف الرابعة قبل الميلاد ابن الآله عشترت في كتابات المسند الحضرموتية [٥] .

فالأثر البابلي واضح في عبادة الكواكب ، اذ من المعروف أن البابليين بدأوا في القرن السابع قبل الميلاد بدراسة الأجرام السماوية ، وانتهوا الى التوحيد بينها

---

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولي ١١٩

(٢) King, Seven Tablets of Creation P. 31

(٣) King, Bablion Religion P. 52

(٤) Langdon, The Mythology of all the World vol. 3 - P. 35

(٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٥٤

وبين الآلهة ، وقد ذكر النيسابوري "أن الكلدان كانوا يعبدون الكواكب ويزعمون أنها المدبرة لهذا العالم ، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ،ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية" (١) .

وقد ربط الدكتور الجوزو بين بعض الصور الأسطورية الكوكبية عند البابليين وبين الصور الشعرية والأسطورية الجاهلية ، فقد تخيلت شعوب مابين النهرين والسومريون أن النجوم قطيع غنم راعيه وصاحبه القمر ، واعتقد الهنود أن النجوم قطيع من الحيوانات يحرسه القمر ، فقد ربط الأسود بن يعفر بين مصاعب حياته ومصائبها وبين يوم مولده فقال :

ولدت بحادى النجم يتلو قرينه   وبالقلب قلب العقرب المتوقد

والنوء يرتبط في عقيدة الجاهليين بالكواكب ، فهي التي تنشئ السحاب ، وتأتي بالمطر ، وفي ذلك قال بشر بن خازم :

جادت له الدلوو الشعرى ونوءهما   بكل أسحم داني الودق مرتجف

وهكذا يبدو أن للكواكب الدور الأول في تقرير مصير الناس ، والتحكم في حياتهم وزرعهم ، ولاريب أن الصلة واضحة بين هذا المعتقد وبين الجبرية الفلكية البابلية (٢) .

<u>التأثير الفارسي</u> :

لقد كان الفرس منذ اتصالهم المبكر بالساميين الشماليين - حلقة اتصال في تسريب التراث اللاهوتي والعقائدي الآري ، خاصة الهندى - الى الأقوام السامية بعامة والقبائل العربية في اليمن بخاصة ، وهذ لايعني بالطبع وجود الأثر الفارسي الواضح في الأساطير العربية .

ويسلم بعض الباحثين اليوم ، أن بعض الأساطير العربية تعتمد على أصل فارسي، ولعل هذا الافتراض يعود الى أن الأساطير الفارسية عثر عليها واستغلها الباحثون ، ووجدوا فيها سمات متشابهة مع ما للعرب من أساطير وقصص ، ولكن ألم تكن الأساطير

---

(١) النيسابوري الثعلبي ، عرائس المجالس

(١) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ٢٧

العربية امتدادا طبيعيا لما عرفوه قبل الاسلام من أساطير عن تاريخهم وحياتهم أخذ منها الفرس ما عادوا فردوه الى العرب [1] ؟

كما ينساق بعض الباحثين وراء بعض مظاهر التشابه الجزئي في هذه الحكاية أو تلك للدلالة على ما أرادوا الوصول اليه وهو اثبات الأثر الفارسي في الأساطير العربية ، ولاسيما الأساطير اليمنية ، فنجد بتروفسكي يحتمل أن يكون مصدر حكاية أرض الظلمات أجزاء من رواية (قصة) فارسية لم تصل الينا ، لأن حكاية الديك والضبع المذكورة في قصيدة الوصية لانراها في أى عمل قصصي آخر ، كما أن حكاية الديك والضبع معروفة في القصص الفارسي [2] . ولا أرى في هذا المظهر دليلا قويا يؤكد الأصل الفارسي للاسطورة اليمنية اذ لانجدها تختلف في مكوناتها عن الأساطير اليمنية الأخرى التي تصور تطلع النفس اليمنية لتحقيق طموحها والوصول الى أبعد الغايات .

ولايبرز الأثر الفارسي في الأساطير اليمنية ، اذ من الواضح أن مايرويه وهب بن منبه أو غيره من رواة اليمن عن ملوك حمير ، يستند الى أصل أسطورى يتعلق بهؤلاء الملوك ، فلم يكونوا ليؤلفوا من عندهم حكايات مختلفة يتضح شبهها ببيئات غريبة عن تلك التي ارتادها أولئك الملوك ، وانما كانوا يروون ما تناقله أهل اليمن عن ملوكهم من حكايات وأساطير ، وما يمكن أن يكونوا سطروه في صحف تناقلوها الى أن وصلت الى الرواة المعروفين لوهب وعبيد وغيرهم .

ولا يذكر التأثير الفارسي دون أن تذكر قصة الملك الحميرى الضحاك الذى دخل الأساطير الفارسية ، ويذكرها الدكتور يحيي الخشاب في كتابه (حكايات فارسية) .

وملخصها أنه في عصر جمشيد كان بجوار بلاد الفرس في بلاد حمير ملك عربي عظيم وكانت أخباره تصل ايران فيعجب أهلها بعدله واستقامته ، وكانت أخباره تصل مع التجار الذين كانوا يتنقلون بين اليمن وايران ، وكان أولئك التجار يحدثون قومهم عن جور جمشيد وبغيه وغروره ، ويظلون يغرون مرداس حتي يغزو ايران ويقتل جمشيد . وما تنتهي القصة الا وقد أصبح ملك حمير ملكا على ايران ، ثم يقتله ابنه بيورسف - الذى لقبته بعض المصادر العربية بالضحاك - ليصبح ملك حمير وايران .

---

(١) انظر ، فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٤١

(٢) بتروفسكي ، ملحمة عن أسعد الكامل ١٠٨

وأساطير الفرس تثبت ما كان لملوك حمير من حضارة عريقة ، وما كانت تتمتع به بلادهم من رخاء وأمن واستقرار ، ولعلها تثبت أيضا ما كان لهم من سطوة ونفوذ وما قاموا به من فتوحات .

ثم يلفت النظر فاروق خورشيد الى أوجه الشبه الموجودة بين أسطورة جمشيد الفارسية وقصة سليمان التي يرويها وهب ، فكل من جمشيد وسليمان كان يملك الخاتم الذى يسخر به الجن والطير ، وفي القصة العربية يفقد سليمان الخاتم عندما ينسى ذكر الله ويلتهي برؤية خيول الماء ، أما في القصة الفارسية فجمشيد يفقد الخاتم بحيلة ملك البحر (صخر) الذى يسرقه من الأمينة عليه ، والنتيجة في القصتين متشابهة فسليمان يتوه فترة من الزمن ، بينما يتولى مكانه شيطان يتزيا بزيه ، وجمشيد يخرج من قصره وقد تغيرت صورته وراح يلتمس الرزق في معاونة الصيادين في البحر . وفي القصة العربية يعود الخاتم لسليمان بعد أن علمه الله أن الملك لايدوم لأحد ، أما في القصة الفارسية فجمشيد يعثر على الخاتم في سمكة يصطادها ، وفي فترة غياب الاثنين يحكم الشيطان ويعيث في الأرض فسادا ، ثم تبرز فجأة نقطة التقاء واضحة حين تذكر القصة أن وزير سليمان اسمه آصف بن رخيا ، ثم تفترق القصتان لولا أن نهاية جمشيد تأتي على يد بطل حمير وبرضاء من أهل ايران ، وهذا الجزء من الارتباط يشير بوضوح الى أن الأصل هو القصة العربية ، واقتباس القصة الفارسية منها . فالقصة العربية تسير على نمط باقي قصص ملوك حمير ، أما القصة الفارسية فتستورد بطلا حميريا تختم به حوادثها ، ويمكن القول أن الفرس عرفوا فيما عرفوا عن ملوك حمير هذه الأساطير ، فنقلوا عنها ما زودوا به قصصهم .

ويؤكد فاروق خورشيد نقل الفرس عن العرب في هذه القصة لأن الجزء المشترك ليس أساسا في القصة العربية ، بينما هو جوهر في القصة الفارسية ، كما أن القصة العربية تخلو من كل سمات اتصال بالفرس ، بينما القصة الفارسية تعتمد في كثير من أجزائها على علاقة متينة بالدولة الحميرية وملوكها ، بل يدخل أحد ملوك حمير في أساطير الفرس باسم الضحاك العربي[(١)] .

- <u>التأثير الاغريقي :</u>

لقد بلغت شهرة الأساطير الاغريقية حدا بعيدا ، ظل معه الباحثون مبهورين بالتراث الأسطورى العجيب للاغريق ، ولكن بعد تقدم الدراسة في علم الأسطورة ، وبعد

---

(١) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٤٠

مضي الدراسات المقارنة قدما في اثبات مسألة تناقل الأساطير ، لوحظ اطلاع الاغريق على حضارة الفنيقيين والتأثر بها ، وقد حاول "فيلو البيبلوسي" أحد كبار مصادر الأساطير الفينيقية منذ منتصف القرن الاول الميلادى اثبات أن الأساطير والتراث الشعائرى الفنيقي هو ما أخذه اليونانيون وأقاموا عليه تراثهم الأسطورى (١) .

وكان يعبد أدونيس الأقوام السامية في وادى الرافدين في سوريا ، ثم أخذ الاغريق عنهم عبادته حوالي القرن السابع قبل الميلاد ، وكان اسم الآله الحقيقي "تموز" ، وما التسمية "أدونيس" الا الكلمة السامية ومعناها "السيد" وهو لقب احترام كان يطلقه عليه عباده . وفي النص العبرى لكتاب العهد القديم كثيرا ما يطلق هذا الاسم على يهوه بشكل "ادوناى" ، ولعلها أصلا أدوني أى "سيدى" غير أن الاغريق أساءوا الفهم فحولوا لقب الاحترام هذا الى اسم علم .

واذا كانت عبادة تموز أو مرادفه أدونيس قد انتشرت بين الأقوام السامية الأصل ، فان هناك أسبابا تدعو الى الظن بأن عبادته بدأت أصلا بين السومريين الذين قطنوا في فجر التاريخ البطاح المترامية في رأس الخليج العربي ، وأوجدوا هناك حضارة دعيت فيما بعد بالحضارة البابلية (٢) .

وفي هذا القول دلالة كبيرة على اثبات التواصل الحضارى بين الأمم والشعوب المختلفة ، فينتج عن ذلك أخذ اللاحق عن السابق ، كما تفعل ظروف الهجرة والاحتلال والانتقال التجارى أثرها في نقل الأساطير وتعرف الشعوب في بقاع العالم عليها .

ولعل اليونان تركوا آثارهم ، هم أيضا ، على الأسطورة العربية ، بدليل دور الهيلينيين في تشجيع عبادة الكواكب ، وللتشابه الملحوظ بين بعض الأساطير العربية والأساطير اليونانية ، فالكاهن شق وهو بعين واحدة ويد واحدة ، ورجل واحدة يشبه السيلكوب عند اليونان (٣) . وربما نعثر أثناء دراستنا لانماط الأساطير اليمنية المختلفة على بعض مظاهر التشابه بينها وبين الأساطير اليونانية لندل عليها أثناء البحث .

---

(١) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ٤٤

(٢) جيمس فريزر ، ترجمة جبرا ، أدونيس أو تموز ١٨

(٣) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ٤٧

وهكذا أخذ العرب القصص عن الأمم المجاورة لهم ، أو تلك التي ربطتهم بها علاقات تجارية ، فخالطوها واطلعوا على تراثها الحضاري ، ونقلوا مع ما نقلوه عنها الأساطير والحكايات ، وربما راقت لهم بعض تلك القصص ، فاقبلوا عليها مقتبسين ومحورين في القصة ، لتتلاءم بعد ذلك مع ذوقهم وبيئتهم وحياتهم . وامتزجت تلك الأساطير بأساطيرهم المتوارثة في تفاعل حيوي أتاح للأسطورة العربية أن تطوى في ثناياها تلك الاقتباسات وذلك التمازج ، على نحو طبيعي لايجعلها تبدو شاذة أو غريبة عن مجتمعها العربي ، ليكون الناتج عن ذلك كله أساطير لاتمثل المفاهيم العربية فحسب ، ولكن المفاهيم الانسانية وتراثها في مرحلة من مراحل تطورها ، فتثرى الأسطورة العربية ، وتبدو ملامحها وخصائصها جلية واضحة أمام الباحث المتفحص لتلك الأساطير .

٢ - الكتب والأسفار القديمة :

ان المنبع الثاني الذى استقي منه رواة اليمن مادتهم الأسطورية هو الكتب والأسفار القديمة ، وقد لاحظنا من الأقوال المنسوبة الى وهب ماينص على اطلاعه على عدد كبير من الكتب والأسفار القديمة ، وان ادعى وهب بأن معظمها تمثل الأديان السماوية . ومع مايمكن أن يبدو في قوله من مبالغة فانه اشارة واضحه الى وجود الصحف المكتوبة آنذاك ، والشواهد المتناثرة تدل على معرفة أهل اليمن للكتابة ، وأرجعوا تاريخها الى بداية الألف الثانية قبل الميلاد[(١)] . كما عرف الكاتب اليمني في أنحاء الجزيرة العربية من خلال شواهد شعرية متعددة ، فهذا أبو ذؤيب الهذلي (توفي سنة ٢٧هـ) يشير الى الكاتب الحميرى في قوله[(٢)]:

عرفت الديار كرقم الدوا	ة يزبرها الكاتب الحميـــري
برقم ووشي كما زخرفـــت	بميشمها المزدهاة الهـــدي[(٣)]
أدان وأنبأه الأولـــــو	ن أن المدان الملي الوفـــي
فينظر في صحف كالريـــا	ط فيهن ارث كتاب محـــي[(٤)]

---

(١) جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ١٥٥

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٦٤

(٣) الميشم : الابرة التي تشم بها المرأة على كفها ، المزدهاة : المستخفة من فرط الحسن ، الهدي : العروس

(٤) الرياط : الملاءة ، وكل ملاءة لم تلفف فهي ريطة

فيشبه الشاعر آثار الديار في دقتها وخفائها بالخط في الصحيفة .

ومثله قول امرئ القيس :

لمن طلل أبعدته فشجاني　　　كخط زبور في عسيب يمان [1]

وذكر العسيب اليماني لأن أهل اليمن كانوا يكتبون في عسيب النخلة عهودهم وصكاكهم .

وقد عرفت اليمن كلا من الديانتين السماويتين اليهودية والنصرانية ، فلا شك في معرفة رواة اليمن الكثير من أحداث العهدين القديم والجديد [2] ، كحديث التكوين وأسطورة الطوفان ورحلات ابراهيم الخليل وقصة موسى مع فرعون ، ثم مجئ المسيح وحديث العذراء وغيره .

ويرجع الدكتور جواد علي أساطير التبابعة في اليمن الى أصول متعددة منها الأصل التوراتي الذى استمد منه رواة اليمن قصة ملكة سبأ وزيارتها لسليمان ، ونسب الأسرة المالكة في الحبشة ، ثم ما جاء عن زيارة ملكة سبأ له في القرآن الكريم ، مما حمل المفسرين وأهل الأخبار على تتبع أخبار هذه الملكة فجمعوها من أهل الكتاب وأضافوا اليها من خيالهم [3] .

كما أشار بتروفسكي الى موضوع (مآثر السلف) الذى أخذ يردده اليمانيون طويلا وأنه قريب في فكرته من الأفكار التلمودية عن (zKwt, Bwt) أى مآثر السلف الذى نرى فيه تأثير الصفاء الروحي للسلف على خلفهم ، ويرى في التأثير اليهودى أمرا ممكنا لأن اليهودية في اليمن تملك جذورا ثقافية عميقة ، ولأن تكوين الملحمة القحطانية مرتبط بشدة بأسماء معتنقي اليهودية أمثال كعب الأحبار [4] .

واستبعد هذا التأثير اليهودى وذلك لارتباط ظاهرة (مآثر السلف) لدى اليمانيين بواقعهم وبأحوالهم التاريخية على مر العصور ، ويتضح أن رواة اليمن في تغنيهم بمآثر السلف لايظهر لديهم ذلك التقديس الديني ، والافتخار المجرد ، ولكن مآثر السلف لديهم ترتبط ارتباطا وثيقا بأمجادهم الغابرة وبحضارتهم البائدة التي

---

(١) ديوان امرئ القيس ، ٨٥

(٢) ينظر لويس شخو ، النظرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ٢٥٤ : ٢٨٢

(٣) جواد علي ، مقالة "أحاديث تبع" - مجلة "الحكمة" اليمنية العدد٧٨ سنة ١٩٧٩

(٤) بتروفسكي ، ملحمة أسعد الكامل ٩٨

أقبلوا ينقبون عن مآثرها ومدلولاتها الملموسة فوجدوها ممثلة في ملوكهم القدماء ، فصاغوا البطولات القحطانية ملحمة وضح فيها تقديرهم للسلف المندثر من خلال ماحققوه من تقدم ورقي وحضارة ظلوا يفخرون بها في أشعارهم ومروياتهم الأسطورية .

ولعلهم وجدوا في اللجوء الى (مآثر السلف) بعض العزاء عن واقع ممزق لم تعد فيه كلمة اليمن موحدة وذلك عند انطواء اليمن تحت زمام الدولة الأموية ، فانتهج الخلفاء الأمويون سياسة التفريق وعملوا على اثارة العصبية لدى اليمانيين لتحقيق مآربهم السياسية بما يرضي طموحهم في السلطة واخضاع الأحزاب المناوئة لهم وفيها عدد من اليمانيين .

أما الدكتور الجوزو فقد سلم بوجود أثر الأساطير اليهودية والنصرانية ، وأرجع عدم وضوح هذا الأثر الى السبب الديني ، عندما لم يدع لها القرآن الكريم أن تطبع الأساطير العربية بطابعها الخاص ، وقد يصح هذا الحكم حتى على أكثر الأساطير تأثرا بالاسرائيليات ، ويعني اسطورة خلق العالم كما رواها الطبرى ، ثم أخذ يوضح الفرق بينها وبين ما ورد في التوراة [(١)].

ولكن عند تلمسنا لهذا الطابع العربي الخاص كسمة في الأسطورة العربية بعامة ، والأسطورة اليمنية بخاصة ، ينبغي أن نلتفت الى أمر هام هو أن القصص التي تروى في العهد القديم أو التي سجلت على ألواح سومر وبابل ليست وقائع تاريخية ، ومن الواضح أنها تنتمي الى تلك الطائفة الكبيرة من الأساطير التي صيغت في قلب الجزيرة العربية – من أزمنه سحيقة – لكي تفسر رؤية أو تدعم شعيرة دينية . وربما استمدت شيئا من بقاع مجاورة ، أو منحت هي أشياء ، فثمة متشابهات حقيقية أو متخيلة ، منها ما رأيناه فيما بعد عند البابليين أو العبرانيين متصلا ببعض الطقوس والشعائر [(٢)].

وقد أشار أحد الكتاب الى رواج رأي عربي – لم يثبت مصدره – بأن سفر أيوب وهو جزء من توراة اليهود يعود الى أصل عربي بناء على ماورد في هذا السفر من وصف لنبي الله ، فاذا هو أشبه برجال العرب في عيشه وتفكيره ونفسيته وبيئته ، وليس هنالك من دليل على أن العرب قد صاغوا هذا السفر [(٣)].

---

(١) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ٤٧

(٢) أحمد زكي ، الأساطير ٢٦

(٣) أبو حاقة ، فن الشعر الملحمي ٦٠

والمعروف أن كتب العهد القديم أى التوراة قد حرفت بكاملها مرات متعددة ، مثل الأسفار الخمسة ، فقد وجد الباحثون اليوم سبيلهم الى الطعن فيها ، فأحدهم يبدى الشك في قيمتها التاريخية [1] ، وآخر يبدى منحاها السياسي وخطل الرأى فيها ، كما يدل على عبث كتابها بالحقائق والمعلومات التاريخية [2].

وقد انتبه العقاد للأمر نفسه عندما رد على من تساءل عن تراث العرب الأسطورى بأنه موجود في كتب التوراة المتداولة بين اليهود ، فمسألة التأثير في تناقل الأساطير بين الأمم أمر وارد وملموس في العديد من أساطير الشعوب المختلفة .

٣ - القصص القرآني :

لقد ورد في القرآن الكريم كثير من القصص وأخبار الأمم الماضية ، ولكنه يشير اليها اشارة عابرة لأنه ليس كتابا تاريخيا ، وانما كان الهدف من هذه القصص هو استخلاص العبرة والعظة وتبصرة القوم بالنهج القويم الذى عليهم احتذاءه ونهجه ، كما في قوله تعالي "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب" [3] ، وفي آية كريمة أخرى "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" [4] ، فأقبل الناس يطلبون المزيد مستوضحين عن هذه الشخصية أو تلك الأمة المذكورة في قصص القرآن ، يحدوهم شغف عجيب للاستزادة من أخبار تلك الأمم الغابرة ، وقال تعالى "كذلك نقص عليك من أبناء ماقد سبق" [5].

وكانت البيئة الاسلامية - آنذاك - تزدهر بأهل الكتاب وبالرواة ممن اطلع على الكتب القديمة ، فأقبل الناس عليها يتساءلون عن أمور كثيرة ، يملوءهم التشوق والتطلع وحب المعرفة ، ثم الميل الفطري في لنفس الانسانية لمعرفة خفايا الأمور ، وقد لمسنا في القرآن الكريم عدم الاهتمام بالجزئيات وتفاصيل الأمور ، فلم يشف غليلهم حتي يعرفوا تلك الموضوعات كاملة ، ويجدوا اجابة لتساؤلاتهم حول ما اكتنفها من أمور وحوادث وملابسات .

---

(١) موريس موجان ، التوراة والانجيل ، والقرآن والعلم ٢٨

(٢) ترجمة وتعليق سهيل ديب ، التوارة وتاريخها وغاياتها .

(٣) سورة يوسف ، الآية ١١١

(٤) سورة الاعراف ، الآية ١٧٦

(٥) سورة طه ، الآية ٩٩

ووجدوا في الرواة اليمنيين مايشفي هذا الغليل ، وما يحقق بغيتهم في الاطلاع على القصص مفصلة ، فكان وهب بن منبه وكعب الأحبار وشعيب الجبائي وهو يماني يروى من أساطير أهل الكتاب ، فقال عنه ابن حجر في ترجمته "أخباري متروك" كما ذكر عنه ماهو أدخل في باب الأساطير من الاسرائيليات[1] .

وأخذ الرواة من تلك القصص مادتها وفكرتها ، ثم راحوا يطلقون لخيالهم العنان في نسجها وتأليفها ، وأخذوا يروون القصص والحكايات العجيبة ، بل أخذوا يحددون أماكنها ، ويتحدثون عن الأمم المذكورة باسهاب وتفصيل عجيبين . فكان الناتج عن ذلك النشاط الدائب في الرواية علما زاخرا من الأساطير الجميلة والحكايات الغريبة .

وكان لليمن نصيب وافر من تلك القصص لما أضافه الرواة اليمنيون اليها ، وما اختلقوه حولها من أخبار . وقد تتبع أحمد أمين في تفسير ابن جرير ، تفسير الآيات التي وردت عن اليهود ، فاذا بها تروى عن وهب بن منبه الذى كان من يهود اليمن ثم أسلم .

ولعل في ذلك دليلا على أن تلك القصص لم تكن جديدة على الرواة كل الجدة ، ولكنها اشارات الى قصص سبق أن عرفوا بأمرها ، وحملت لهم من الدلالات ماشاء القرآن الكريم أن يمحوه ويحل محله دلالات أخرى . لذلك حرص أولئك الرواة على الا تختلف رواياتهم في شيء عما جاء في قصص القرآن ، بل يستندون دوما الى تدعيم مروياتهم بآيات القرآن الكريم ، كما لمسنا ذلك لدى وهب بن منبه في كتابه "التيجان" ، بل تبدو قصته أحيانا وكأنها تفسير قصصي للآيات التي يذكرها في موضوع القصة .

وكان الاهتمام بالقصص المتجمع حول قصص القرآن منذ عهد الخلفاء الراشدين ، واقبل الناس عليها لأسباب مختلفة ، ناقشها بتفصيل فاروق خورشيد[2] ، ويمكن اجمالها فيما يأتي :

١ - الحاجة الى تفهم سور القرآن الكريم والتعرف على دلالات ماتحكي من قصص ، فكان لابد من معرفة هذه القصص بتفاصيلها ووقائعها .

٢ - التطلع الى المعرفة ، وقد وجدوا في قصص القرآن الكريم ما يسد حاجتهم الى الكثير من المعرفة .

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ٣ : ١٥٠

(٢) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ٧٨

٣ - الدافع النفسي الى تمجيد الأبطال الجدد ، فقد كان للجزيرة أبطالها ومثلـ
في الأساطير القديمة ، وجاء الاسلام بأحداث خطيرة ظهرت فيها بطولات المسلمي
فطبيعي أن تتطلع النفوس الى خلق القصص والأساطير حول أولئك الأبطال .

٤ - دخل الاسلام كثير من أبناء الشعوب الأخرى . ولهؤلاء قصصهم وأساطيرهم ، وم
الطبيعي أن يدخل هؤلاء أساطيرهم وحكاياتهم قبل العلوم الجادة .

٥ - اتخاذ القصص أداة للنضال بين الجماعات والشيع ، فاستغل استغلالا سياسي
للترويج للأشخاص والمبادىء ، كما فعل وهب بن منبه في كتابه "التيجان" عن
اثباته الدائم فضل اليمانيين على غيرهم .

٦ - حاجة المسلمين في تفسير آيات القرآن الكريم الى معرفة أسباب نزولها ومكا
نزولها والحادثة التي تشير اليها ، وقد أورد السيوطي في الجزء الثاني م
"الاتقان" قول الامام أحمد بن حنبل "ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاح
والمغازى" .

ولعل هذا القول يوضح ارتباط القصص والأساطير بكتب التفسير نتيجة لاحتفا
القوم بقصص القرآن الكريم ، ومعرفة التفاصيل حولها .

لقد كانت قصص القرآن الكريم منبعا للعديد من قصص وأساطير رواة اليمن
فسعوا بجميع الوسائل لربط مادة تلك القصص باليمن ، وحاولوا جاهدين تطويع الاشارا
والالماحات الموجودة في قصص القرآن الكريم لخدمة أفكارهم . كما جاء في ذكر آيا
القرآن الكريم لتبع [(١)] ، مع عدم ذكره في التوراة ، فوجد الرواة سبيلهم الى ارجاع
انتمائه الى اليمن لما لها من عز ومنعة ، ومثله ذو القرنين المبجل في القرآ
الكريم ، فقد جعله كعب الأحبار ملكا حميريا .

ولعل مرجع قصص الصعب ذى القرنين الى قصص الأسكندر الكبير الذى كانت له
قصصه عند اليهود والسريان والمصريين والحبش والفرس ، لما تركته فتوحه في الشرق
الأدنى التي بلغت الهند، من أثر في نفوس الناس آنذاك ، وقد لونت حياته فيها فجعل

---

(١) انظر سورة الدخان وسورة الكهف

ملكا حكيما وفاتحا عظيما ومؤمنا صالحا ، يلتمس الحكمة وعين الحياة حتى بلغ المشرق والمغرب ووادى الرمل . فحول هذا القصص الى تبابعة اليمن ، كما زعم وهب بن منبه أن التبع الأقرن هو الأسكندر وهو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم[1].

كما جعل كعب الأحبار "ارم ذات العماد"[2] ، المذكورة في القرآن الكريم ، تقع في الجنوب العربي مع اختلاف الآراء حولها ، حيث يجعلها أحد الباحثين تطابق المعبد النبطي الموجود في جبل رام بالحجاز[3].

ويمكننا هنا الاستشهاد ببعض ما ابتدعه رواة اليمن من القصص الأسطورى مستندين الى قصص القرآن الكريم ، ومستمدين المادة الأولى منها .

ا - عـــاد :

لقد ورد ذكر "عاد" في أكثر من آية وفي أكثر من سورة في القرآن الكريم : "وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسوله"[4] و "كذبت عاد المرسلين"[5] و "فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق"[6] و "ألم تر كيف فعل ربك بعاد"[7] و "الا بعدا لعاد قوم هود"[8].

كما ورد ذكر عاد في الشعر الجاهلي ، فذكر طرفه بن العبد في قوله :

ولقد بدا لي أنه سيغولني ما غال عادا والقرون فأشبعوا[9]

---

(١) جواد علي ، "احاديث تبع" ، مجلة "الحكمة" اليمنية - العدد ٧٨ سنة ١٩٧٩

(٢) انظر سورة الفجر

(٣) بتروفسكي ، ملحمة أسعد الكامل ٣٨

(٤) سورد هود ، الآية ٥٩

(٥) سورة الشعراء ، الآية ١٢٣

(٦) سورة فصلت ، الآية ١٥

(٧) سورة الفجر ، الآية ٦

(٨) سورة هود ، الآية ٦٠

(٩) طرفة بن العبد ، الديوان ١٠٨

فأرجعت الروايات نسب عاد الى سام بن نوح ، وان عادا هذا كان لسانه
العربية ، وسكن بنو عاد الشحر [1] . وقيل بل سكنوا الاحقاف ، وهي جبال الرمل واسم
واديهم مغيث [2] . وقد ذكر موطنهم القرآن الكريم في قوله تعالى "واذكر أخا عاد اذ
أنذر قومه بالاحقاف ، وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه..." [3] .

ولعل ذكر موضع الأحقاف وجه الاخباريين [4] الى أن يعدوا حضرموت اليمن موطنا لهم
لأن بها منطقة الأحقاف اليوم ، مع العلم أن كلمة الأحقاف تعني الرمال [5] .

وأخذ الاخباريون يحكون الروايات التي تنبىء بضخامة أجسام عاد ، مستندين
الى ما جاء في الآية الكريمة "واذكرو اذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم في
الخلق بسطة" [6] ، فجعلوهم في هيئات النخيل طولا ، كما كانت نفوسهم قوية ولم يكن في
الأمة أشد بطشا منهم ، مستشهدين بمخاطبة نبيهم هود اياهم : "واذا بطشتم بطشتم
جبارين" [7] . ومدوا في أعمارهم ، وعلل المسعودى طول أعمارهم بقوله "ولم يكن الهلك
يعرض في أجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيهم ، وما أتوه من الزيادة في تمام البنية" [8] ،
فأكسبهم مناعة طبيعية لاتجعل أجسامهم تفنى بسهولة .

ولم ينته الأمر بالرواة عند هذا الحد بل نسبوا الشعر الى عاد في قوله :

اني أنا عاد الطويل البادى   وسام جدى بن نوح الهادي
فقد رأيتم يعرب الزيادى   وسوقه الطارف والتلاد [9]

---

(١) ابن حبيب ، المحبر ٣٨٤
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ١ : ١٢٠
(٣) سورة الأحقاف ، الآية ٢١
(٤) المسعودى ، مروج الذهب ٢ : ١١٠ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ٥ : ١٨
(٥) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ١ : ١٥٢
(٦) سورة الاعراف ، الآية ٦٩
(٧) سورة الشعراء ، الآية ١٣٠
(٨) المسعودى ، مروج الذهب ٢ : ١٢
(٩) المصدر السابق ٢ : ١١٠

فأنطقوا عادا بما أرادوه له من صفات ، كما نلمح في البيتين النفس اليمني في الافتخار بيعرب التي تنسبه الروايات الى قحطان ، وفي هذه النبرة الخطابية المشوبة بالفخر والاعتزاز بصفات جسمية (الطويل البادى) ومعنوية في قوة شخصيته المتمثلة في (سوقه الطارف والتلاد)، وتروج روايات اليمانيين وتجد صداها في من حولهم من الشعراء ، فهذا النابغة يصف عادا بقوله :

أحلام عاد وأجساد مطهرة　　　من المعقة والآفات والأثم[1]

وأرسل الله الى قوم عاد رجلا منهم هو النبي (هود) ، فكذبوه ، فعاقبهم الله ونقل في ذلك قول حسان بن ثابت :

وان أخا الأحقاف اذ يعذلونه　　　يجاهد في دين النبي ويعذل[2]

وهذا الشاعر اليمني علقمة بن ذى جدن يفخر بانتسابهم الى هود ، وظاهرة الانتساب الى الانبياء شائعة لدى رواة اليمن ، قال علقمة :

أبونا نبي الله هود بن عابــر　　　ونحن بنو هود النبي المطهــر
لنا الملك في شرق البلاد وغربها　　　ومفخرنا يسمو على كل مفخــر
فمن مثل كهلان القواضب والقنـــا　　　ومن مثل املاك البرية حميــر[3]

ولايقف الشاعر في افتخاره عند الانتساب الى نبي الله هود ، ولكن أخذت نبرة الافتخار تعلو بذكره القبائل اليمنية وامتلاكها الأرضين شرقا وغربا .

ولاتخلو الأبيات في قوم عاد من عظة وعبرة دينيه ، مما يدل على أن الأبيات قد وضعت بعد الاسلام ، لانها تتضمن المعاني والالفاظ الاسلامية ، كما ورد في قول مهد بن سعيـد :

دعاهم خليفة الله هـــود　　　فما نفع النذير ولا أجابـوا
فلما أن أبوا الا عتـــوا　　　أصابهم ببعضهم العـــذاب[4]

وقيل ان هودا رحل من آمن معه الى مكة ، فلم يزالوا بها حتى ماتوا[5] . وفي رواية أخرى انهم نزلوا الى اليمن ، وعندما أدركت هودا الوفاة دفن في حضرموت[6].

---

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ١٢٧
(٢) شرح ديوان حسان بن ثابـــت ٣٢٠
(٣) نشوان الحميرى ، ملوك حمير وأقيال اليمن ٢
(٤) المسعودى ، مروج الذهب ٢ : ١٢٦
(٥) ابن قتيبه ، المعارف ١٥
(٦) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك والأمم ١ : ٢٣١

ب - أصحاب الرس :

وقد جاء ذكر أصحاب الرس في القرآن الكريم في الآية "وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا"[(١)] ، وفي قوله تعالى "كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود"[(٢)].

ويتفق الاخباريون على أن الرس اسم لمكان . فالرس بحسب قول ابن خلدون "مابين نجران الى اليمن ، ومن حضرموت الى اليمامة"[(٣)] ، وروى ياقوت " أن الرس قرية باليمامة ، يقال لها فلج ، وهي ديار لطائفة من ثمود"[(٤)] ، أما الهمداني فقد جعل الرس بناحية صهيد ، وهي بلدة من بيحان ومأرب والجوف فنجران ، فالعقيق فالدهنا ، فراجعا الى حضرموت"[(٥)] ، وكلها مواضع في اليمن .

ويشير الاخباريون الى ظهور نبي فيهم هو حنظلة بن صفوان الذى أرسل اليهم وعندما قام فيهم قتلوه ، فأوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل من سبط يهوذا أن يأمر بختنصر بأن يسير اليهم[(٦)].

وروى النويري حكاية خروج حنظلة بن صفوان في قومه ، عندما نهاهم عن عبادة الأصنام ، فلم يستجيبوا له ، فعطل الله بئرهم ، كما قيل ان القوم كذبوه وطرحوه في بئر رس[(٧)] ، فأهلكهم الله[(٨)]، وكعادة الهمداني في أخبار القبور ذكر رواية من اكتشف رجلا مدفونا كتب على خاتمه "أنا حنظلة بن صفوان رسول الله"[(٩)].

ولعل هذه الأخبار قادت الرواة والاخباريين الى الربط بينها وما جاء في القرآن الكريم ، "فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها . وبئر معطلة وقصر مشيد"[(١٠)] ، فرووا أن المطر انقطع عن أهلها فأعطاهم الله البئر على

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٣٨

(٢) سورة ق ، الآيـــة ١٢

(٣) ابن خلدون ، العبر ٢ : ٨٧

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ : ٤٣

(٥) الهمداني ، الأكليل ١ : ١٩٥

(٦) المسعودى ، مروج الذهب ١ : ٧٨

(٧) الرس : البئر القليلة الماء

(٨) النويرى ، نهاية الأرب ٣ : ٨٧ ، وياقوت الحموى ، معجم البلدان ٣ : ٤٣

(٩) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢١٣

(١٠) سورة الحج ، الآية ٤٥

الا يشركوا به شيئا ، وكانوا قد بنوها بألوان الصخور ، ولعل هذا ماجعل بعض الباحثين المحدثين يظنون أن البئر المعطلة ربما كانت الصهريج الأقدم من صهاريج عدن الأثرية التي لاتزال الى الآن[1] • واستبعد ذلك لأن الصهاريج خزانات حفرت في الصخور وبنيت بها ، كما أنها متعددة وليست صهريجا واحدا •

ونقل الكسائي رواية عن كعب الأحبار حول ما أسماه (القصر المشيد) فقال ا... جند بن عاد لما رأى ما نزل بقوم هود عزم على بناء قصر مشيد ، فبالغ في تشييد... وانتقل اليه ، وكانت له قوة عظيمة ، ثم طغى في الأرض وتجبر وكثر فساده ، فأهلك... الله بصيحة جبريل[2] •

وذكر أحد المؤرخين أن هؤلاء كلهم أمة واحدة ، ذكروا أحيانا باسم أصحا... الرس ، وحينا بأصحاب القصر المشيد ، وتارة بأصحاب البئر المعطلة ، ويؤكدون أ... أصحاب الرس هم أصحاب القصر المشيد[3] •

وهكذا كان الرواة والاخباريون - على نحو دائم - يتناولون من القرآن قص... قوم أبيدوا ، ويستمدون منها المادة الأولى لقصصهم ، فيبنون عليها مايوحي ب... خيالهم • وكان خير معين لهم على ذلك ماتجود به قرائحهم من التعليل أو ربط الأسبـ... بالمسببات •

ج - بلقيس :

عندما ذكر القرآن الكريم سليمان وزيارة ملكة سبأ له ، أخذ الرواة وأ... الأخبار يتتبعون أخبار هذه الملكة ، فجمعوها من أهل الكتاب ومن الخيال ، وحولو... اسم آله سبأ "المقه" الى "بلقمه" و "بلقمه" وصيروه اسم الملكة "بلقيس"[4] •

وذكر نشوان أن بلقيس اسمان جعلا اسما واحدا مثل حضرموت وبعل بك وذلك ... بلقيس لما ملكت بعد أبيها الهدهاد ، قال بعض حمير لبعض : ماسيرة هذه الملكة ... سيرة أبيها ، فقالوا: بلقيس ، أى بالقياس • فسميت بلقيس[5] ، ولعل هذا الاشتقاق ... ادعاء التركيب في الاسم ، دليل على التصنع والتكلف الذى حمل الرواة على التفسـ... الغريب لهذا الاسم •

---

(١) صالح بن حامد العلوى ، تاريخ حضرموت السياسي ١ : ٧٧

(٢) النويرى ، نهاية الأرب ١٣ : ٨٦

(٣) صالح بن حامد العلوى ، تاريخ حضرموت السياسي ١ : ٧٨

(٤) جواد علي ، "أحاديث تبع" ، مجلة "الحكمة - العدد ٧٨ ص ٢٦

(٥) نشوان الحميرى ، شمس العلوم ١ : ١٨٩

وادعى أهل الأخبار أن بلقيس شخصية غريبة متولدة من الانس والجن ، وابتدعو
قصصا أسطورية عن زواج أبيها من أمها [1] .

وقد ذكرت التوراة ملكة سبأ ، ونبأ زيارتها للملك سيمان في القدس ، كم
قيل أن زيارتها كانت ذات قيمة تجارية ، اذ أنها أعطت الملك من الذهب والأحجا
الكريمة مالم يشاهد مثلها من قبل [2] .

وروى أهل الأخبار في مصادرهم العديد من الروايات حول حكم بلقيس اليمن
ولكنهم يختلفون في طريقة تسلمها مقاليد الحكم والملك ، فتعددت الروايات ، فم
قائل ان أباها عندما حضرته الوفاة ، جعل الملك لها من بعده [3] ، كما قيل ان أباه
لم يكن ملكا ، وانما كان وزير الملك ، وساءت سيرة الملك فقتلته بلقيس ثم ملك
الناس عليهم [4] .

وبالغ الرواة في تعظيم ملكها ، وكثرة جندها - شأنهم في ذلك التمجيد ش
رواة الأساطير - فقيل كان اذا جلست قام على رأسها ألف قيل [5] . وتفنن الرواة في و
قصرها خارج مدينة سبأ [6] .

ثم بنى أهل الأخبار رواياتهم على ما جاء في القرآن الكريم ، اذ تذكرها
الملك سليمان عدة آيات ، فكونوا بذلك قصة طويلة متخذين من آيات القرآن الكر
الأساس الأول لها عند ذكره تعالى سليمان وملكة سبأ وما كان من أمر الهدهد ا
تفقده سليمان قائلا: "مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ، لأعذبنه عذابا شدي
أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين" [7] .

وحكوا أن الهدهد عندما مر على قصر بلقيس رأى فيه هدهدا لها ، فتبا
الهدهدان المعلومات عن سليمان وبلقيس ، وعجب هدهد بلقيس مما سمع ، كما عجب هد
سليمان أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة [8] . "أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم" [9]

---

(١) انظر النويرى ، نهاية الأرب ١٤ : ١١١ - وأنظر البحث ص

(٢) التوارة ، سفر الملوك الأول ، الاصحاح العاشر

(٣) ابن قتيبة ، المعارف ٦٢٨

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١ : ٢٣٣

(٥) ابن حبيب ، المجد ٣٦٧

(٦) النويرى ، نهاية الأرب ١٤ : ١١٣

(٧) سورة النمل ، الآية ٢٠ ، ٢١

(٨) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك والأمم ١ : ٢٩٠

(٩) سورة النمل ، الآية ٢٣

فلما أتى الهدهد سليمان قال "أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقي
وأخذ الهدهد يحدثه عن بلقيس وقومها ، ويصف له عظمة عرشها • ثم قال "وجدت
وقومها يسجدون للشمس من دون الله" ، فقال له سليمان "سننظر أصدقت أم كنت م
الكاذبين ، اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم" (٢) •

وعندما ألقي اليها الكتاب في قصرها ، قرأته فجمعت قومها ، وقالت: "يا أي
الملأ اني ألقي الي كتاب كريم ، وانه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ،
تعلوا علي وأتوني مسلمين" "يا أيها الملأ افتوني في أمري ، ماكنت قاطعة أمرا حت
تشهدون" (٣) • وعندما استشارت الملكة رجال دولتها ، أخذتهم الحماسة وقالوا لها "ن
أولو قوة وأولو بأس شديد ، والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين" (٤) •

ووصفوا الملكة برجاحة العقل والفطنة ، فلم تغتر بما أبداه رجال دولتها م
الحماسة والاعتداد بالنفس ، فقالت متخوفة "ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها
وجعلوا أعزة أهلها أذلة" ، وعرضت عليهم رأيا آخر ، "واني مرسلة اليهم بهدي
فناظرة بم يرجع المرسلون" (٥) •

وبالغ الرواة في ما أحضرته بلقيس وقومها من الهدايا ، يسردون في ذل
تفاصيل عجيبة أمدهم بها خيالهم الخصب • ثم يرجعون الى قول سليما ، في الآ
الكريمة "أتمدونني بمال ، فما أتاني الله خير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتك
تفرحون" "ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة ، وه
صاغرون" (٦) •

فلما جاءت الرسل اليها بالرد سارت في رجال دولتها ، فأراد سليمان أن يظه
لها من دلائل عظمته ، ونعم الله عليه ، فقال: "أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتون
مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقو
أمين" "وقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك" (٧) •

---

(١) سورة النمل ، الآية ٢٢

(٢) سورة النمل ، الآية ٢٤ : ٣٨

(٣) سورة النمل ، الآية ٣٠ : ٣٢

(٤) سورة النمل ، الآية ٣٣

(٥) سورة النمل ، الآية ٣٤ ، ٣٥

(٦) سورة النمل ، الآية ٣٦ ، ٣٨

(٧) سورة النمل ، الآية ٣٨ : ٤٠

ونظر سليمان فاذا العرش أمامه ، وقال "نكروا لها عرشها ننظره أتهتدي
تكون من الذين لايهتدون... فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو...." [١].

وانطلق الرواة يشطون في خيالهم ، فأخذوا يدلون على من حمل عرشها وأسم
آصف بن برخيا ، كما بالغوا في وصف عرشها ، مضيفين كل ماوصل الى أسماعهم من دلا
العظمة والفخامة [٢] . ورددت المصادر العربية تلك الروايات وقد انتقد ابن الأثير [٣] تل
المبالغات ، ولكنه لم يحجم عن ادخالها كتابه ، وأورد الكثير منها ، وبذلك أس
في تداولها .

وقيل ان بلقيس أسلمت وحسن اسلامها "... وقالت رب اني ظلمت نفسي ، وأسلم
مع سليمان لله رب العالمين" [٤] . وروى أنها فضلت البقاء مع سليمان فتزوج بها [٥] .
وتعددت الروايات بعد ذلك واختلفت . فروى وهب أنها ولدت لسليمان داود ورحبعم
فمات داود ، وبقي رحبعم بعد سليمان وسرح بلقيس على ملكها ونزلت بمأرب [٦] .

وقد قال نشوان الحميري في بلقيس متحسرا على الأمجاد الغابرة :

أم ابن بلقيس المعظم عرشها	أو صرحها العالي على الأصراح
زارت سليمان النبي بتدمر	من مأرب دينا بلا استنكاح
في ألف ألف مدجج من قومها	لم تأت في ابل اليه طلاح [٧]

وتقول رواية ان سليمان أمرها بأن تختار رجلا من قومها يزوجها به ، فاختار
ذا بتع ملك همدان ، فزوجه اياها ، وسلطه على اليمن [٨] .

وحكوا أن مدة سليمان في ملكه كانت أربعين سنة ، وماتت بلقيس بعده بمد
يسيرة [٩] .

ونسبوا لأسعد تبع أبيات في بلقيس ، قال فيها :

---

(١) سورة النمل ، الآية ٤١ ، ٤٢

(٢) الدميري ، حياة الحيوان لكبرى ٢ : ١٦٦

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١ : ٢٣٣

(٤) سورة النمل ، الآية ٤٤

(٥) ابن حبيب ، المحبر ٣٦٧

(٦) وهب بن منبه ، التيجان ١٧٢

(٧) نشوان الحميري ، شمس العلوم ١ : ١٩٨

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك والأمم ١ : ٤٩٥

(٩) ابن قتيبة ، المعارف ٦٢٩

ولقد بنت لي عمتي في مأرب عرشا علي كرسي ملك متلد [١]

كما روى أن قبر بلقيس بمأرب ، وقد قال النعمان بن الأسود بن عمرو بن يعفر الحميرى ، يرثي بلقيس ويصف ملكها في قصيدة منها :

ان بلقيس قد أذل لها الملك سليمان واصطفاه قديـــر

ويواصل الشاعر سرد قصتها مع سليمان في قصيدة طويلة [٢] .

وقد جاء في قصة الحضارة ذكر بلقيس وقدومها الى سليمان ، فقالوا جاءت اليه من بلاد العرب ملكة سبأ تخطب وده ، ولعلها جاءت أيضا لتطلب معونته [٣] ، ولكنهم لم يفصلوا في نوع المعونة التي جاءت من أجلها .

ومع ذلك ينشأ الشك في أن الملكة بلقيس بنت الهدهاد هي غير ملكة سبأ صاحبة القصة المعروفة مع سليمان ، التي ذكرتها التوراة في الاصحاح العاشر من سفر الملوك الأول . ولعل المؤرخين الاسلاميين الذين ذهبوا الى أن بلقيس الحميرية هي صاحبة القصة متأثرون بما راج في ذلك الحين من أقوال الرواة وأهل الأخبار . والأمر بحاجة الى تأمل لأن هذا العصر متأخر عن عصر النبي سليمان الذى يرجع تاريخه الى القرن العاشر قبل الميلاد ، بينما جعل بعض الباحثين حكم بلقيس في القرن الرابع الميلادى، ومع هذا فان ملكة أخرى بسبأ قد عاصرت سليمان ، وتربعت على عرش مأرب الذى لاتزال آثاره جنوب مدينة مأرب الحالية ، وهو المعروف عند المؤرخين بقصر (سلحين) ويسميه السكان باسم (عرش بلقيس) [٤] .

وخلاصة القول أن ملكة سبأ حقيقة ورد ذكرها في القرآن الكريم ، كما ذكرتها التوراة ، ولكن لم يذكر اسمها . لذا لا نعرف من هي ، أما بلقيس فاسم مفتعل من صنيع الرواة والقصاصين الذين نسجوا حوله رواياتهم وأساطيرهم .

ولعل الأمثلة الثلاثة شاهد على أن القرآن الكريم كان منبعا ثرا أمد الرواة بالمادة الأساس لقصصهم التي ينطلقون منها في تكوين قصصهم وأساطيرهم ، ويمدهم الخيال الواسع بعد ذلك بالاضافات والاجابات المتعددة عما يمكن أن يقوم حول الآيات من تساؤل واستفســـار .

---

(١) نشوان الحميرى ، ملوك حمير واقيال اليمن ٨٦

(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٦٧

(٣) ديورانت ، قصة الحضارة ٣ : ٣٣٣

(٤) أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ٩٥

وقد كان لانسياق الرواة ، وانجرافهم في تيار القصص الأسطوري ظواهر ونتائج طبعت نتاجهم الذي ملأ المصادر العربية بطابعها المميز ، وتكاد تكون تلك النتائج سمة عامة في معظم الأساطير ، ناهيك عن الخصائص الخاصة بكل نوع من أنواع الأساطير التي سنعرض لها مفصلين في صفحات لاحقة من البحث .

من تلك الظواهر أو تلك النتائج :

١ - مزج التاريخ بالأسطورة :

وهذه صفة تجعل الباحث في الأساطير العربية لايجد بغيته الا في المؤلفات التاريخية ، ونظرة الى كتب التاريخ العربية المختلفة تبين مصداق هذا القول ، عندما نجد تلك المادة الفنية من الأساطير التي انطوت في ثنايا الأحداث التاريخية ، وهي قد تتعلق بحدث كما هو الحال عندما تذكر الروايات التاريخية انهيار سد مأرب ، وما صحب ذلك من أقوال الكاهنة طريفة ، وحكاية الفأرة التي ثقبت جدران ذلك السد العظيم ، وقد تتعلق الأسطورة بشخصية معينة كما هو الحال في الحديث عن معظم الملوك اليمنيين كما وجدنا ذلك في حديثهم عن تبابعة اليمن . وفي الحديث عن شخصية اجتماعية كحاتم الطائي ، فجعلت هذه الشخصية رمزا للكرم والسخاء ، فوصل بالرواة الخيال أن جعلوه يقري الضيف بعد موته (١) ، وغير ذلك كثير مما تحفل به كتب التاريخ.

وان امتزاج التاريخ بالأسطورة لايعني ضياع الحقائق التاريخية ، فكثيرا ماتستند الأسطورة الى الأساس الواقعي المنبثق من الحقيقة التاريخية ، فقد وجدت بين الأخبار الخيالية بعض المعلومات الصحيحة عن الأوضاع السياسية وعن التقاليد الدينية والأحوال الاجتماعية . وقد اعترف أكثر من باحث بوجود الأساس التاريخي للأساطير (٢) .

وربما أدى مزج التاريخ بالأسطورة الى عزوف الباحث المؤرخ عن النظر في تلك المعلومات التاريخية التي لاتخضع لعقل أو منطق ، فيجدها أدخل في عالم الأساطير منها في عالم الحقائق التاريخية . وهنا تبدو مهمته شاقة في اكتشاف الأساس التاريخي الواقعي الذي بنيت عليه تلك الأسطورة .

---

(١) أنظر الأصفهاني ، الأغاني ١٧ : ٣٧٤

(٢) بتروفسكي ، مقاله في "الحكمة" العدد ٣٨ - ص٨٥ / د.يوسف عبدالله مقاله في الحكمة العدد ٣٨ ص ٤٦

وان امتزاج الأسطورة بالتاريخ قد دعا بعض الباحثين الى تسميتها "التاريخسطورة" Legend Myth، فهي تتضمن عناصر تاريخية ومجموعة خوارق تأخذ اطار الحكاية ، وهذه الحكاية تنقل بالتواتر من جيل الى جيل ، لأنها تتعلق بمكان واقعي أو بأشخاص حقيقيين ، وضرب مثلا بحكاية "سد مأرب" و"الجرهمي التائه" وغيرها، كما نجد عند الاغريق "حرب طرواده" وعند البابليين "ملحمة جلجاميش" (١).

ويعد الدكتور جواد علي التاريخ مصدرا لأهل الأخبار في الكثير من أساطيرهم ، وضرب مثلا على ذلك بأساطير التبابعة وفتوحاتهم العظيمة الخيالية ، اذ يرى أن لقصص الفتوح أصل ومنه مايرجع الى ماقبل الميلاد قبل فتح سبأ للسواحل المقابلة لليمن ، وهو الذى أوحى الى أهل الأخبار قصص فتح افريقيس لأفريقيه ، وقصص وادى الرمل وبلاد النسناس . وأما فتوح الهند والصين واذربيجان وقصص استيلاء شمريرعش على سمرقند فتعد جذورها الحروب المتوالية التى وقعت في جزيرة العرب بين قبائل معد ونزار ، أو بين ملوك الحيرة وبين السبئيين ، مثل حروب شمريهرعش مع ملوك الحيرة والفرس ، وأما فتح سمرقند وبلوغ التبت والصين فانها من ذكريات الفتوح الاسلامية التي ساهمت فيها قبائل يمانية (٢).

وعلى هذا النحو امتزج التاريخ بالأسطورة في تراث اليمن الثقافي ، فكان التاريخ أساسا ينطلق منه الرواة في تكوين الأسطورة حينا ، وكان التاريخ مصدرا مشجعا للرواة على نسج الأساطير المستمدة منه حينا آخر . فلذلك نرى أبطال الأسطورة أحيانا شخصيات معروفة لها وجود في تاريخ الأمة ، كما هو الحال في أساطير ملوك اليمن القدماء ، كما نجد الأسطورة أحيانا تتعلق ببيئة اجتماعية معينة عرفها التاريخ القديم ، وكان لها الوجود الحقيقي ، كما هو الحال في الأساطير التي اكتنفت بناء قصر غمدان ووصفه .

ب - <u>دخول الاسرائيليات المصادر العربية :</u>

لقد نتج عن نشاط الرواة في رواية الأساطير وتداولها دخول كثير من الاسرائيليات في المصادر العربية من كتب تفسير وتاريخ وسيرة ، والاسرائيليات اطلاح

---

(١) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٥١

(٢) جواد علي ، الكمة العدد ٧٨ - مقالة "أحاديث تبع" ص ٢٧ سنة ١٩٧٩

أطلقه المدققون من علماء الاسلام على القصص والأخبار اليهودية والنصرانية التي عرفها المجتمع الاسلامي بعد دخول عدد من اليهود والنصارى الى الاسلام أو تظاهروا بذلك[١] .

وقد كانت البيئة الاسلامية آنذاك تزخر بأهل الكتاب أو من اطلع على الكتب القديمة ، كما عرف الرواة اليمنيون باطلاعهم على كل من الثقافتين اليهودية والنصرانية مثل وهب بن منبه وكعب الأحبار . ويروى عن وهب قوله "لقد رأيت اثنين وتسعين كتابا كلها من السماء : اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي ايدى الناس وعشرون لايعلمها الى قليل"[٢] .

وروي عن عمر بن الخطاب تخوفه من أحاديث كعب في الناس من حوله ، فنهاه عن الحديث وهدده بالنفي الى بلاده اليمن[٣] . ومن الواضح أن تصرف عمر ذلك كان نابعا من خوفه من دخول مايخالف الشريعة الاسلامية ، اذ خشي على عامة الناس أن يفتنوا بما يسمعون من أحاديث كعب ، فتختلط لديهم الأمور لما يصاحب ذلك من أساطير وقصص خيالية قد تشوش عليهم عقائدهم ، وقد كان يرى أن يصرف الاهتمام الى مدارسة القرآن والحديث بدلا من هذه الاسرائيليات التي يرويها كعب وتلقى رواجا بن الناس .

ولما جاء الاسلام دخلت فيه طائفة من أحبار اليهود مثل عبدالله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم . وكان بعض المسلمين يسألهم عن جزئيات الأحداث والقصص والشخصيات والاعلام القرآنية . ومن ذلك مثلا مارواه المفسرون في سياق تفسيرهم لآيات ذى القرنين من سورة "الكهف" عن خلاف وقع بين ابن عباس ومعاوية في قراءة جملة "عين حمئة"[٤] ، حيث كان معاوية يقرؤها "عين حامية" بمعنى نبع ماء حار وكان ابن عباس يقرؤها "عين حمئة" بمعنى طينة سوداء ، فاتفقا على تحكيم كعب الأحبار ، فسألاه : كيف تجد الشمس في التوراة ؟ فقال لهما : في طينة سوداء ، فوافق جوابه كلام ابن عباس[٥] . وهكذا تسرب الكثير من الاسرائيليات الى المسلمين عن طريق تلك الاستفسارات والاجابات عنها .

---

(١) رمزى نعناعة ، الاسرائيليات ٧٣

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥ : ٥٤٣

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٨ : ١٠٨

(٤) سورة الكهف ، الآية ٨٦

(٥) الطبرى ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ١٦ : ١١٠

ودخلت الاسرائيليات كتب التفسير ، فيكاد لايخلو منها كتاب من تلك الكتب ، وان كانت تتفاوت في القلة والكثرة • فهناك مفسرون تصدوا لهذه الروايات ووقفوا منها موقف الناقد المتأمل ، فنبهوا على بطلان ماروي من الاسرائيليات في كتب التفسير كابن الكثير والفخر الرازى والشيخ محمد عبده •

ويعلل ابن خلدون لشيوع تلك الظاهرة ، ويرى السبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وانما غلبت عليهم البداوة والأمية ، واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود انما يسألون عنه أهل الكتاب ، ويستفيدون منهم ، وهم أهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولايعرفون من ذلك الا ماتعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لاتعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاجون لها مثل أخبار بدء الخليقة ومايرجع الى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك • وهؤلاء من مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام وغيرهم • فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات (١) •

وقد انتبه ابن خلدون في نصه الى الميل الفطرى الذى كان يدفع العامة من الناس الى حب المعرفة والتطلع الى سر الخليقة والوجود ، فلا يجدون من حولهم من يجيب على تلك الأسئلة والاستفسارات غير أهل الكتاب الذين يزودون بأحاديث طويلة حول بدء الخليقة والوجود ، ثم يتناولون التاريخ القديم وماحدث في الأزمنة القديمة من أحداث وملاحم ، وهم يقصون عليهم ويسعفهم في كل ذلك خيال خصب يضيف الى التفاصيل الكثيرة التي ترضي شغف السامعين ، وتملك عليهم ألبابهم ، فيقبلوا مبهورين عند سماعهم تلك الأساطير والقصص ليطلبوا منها المزيد حول هذا أو ذاك من الأمور المتعلقة ببعض الآيات القرآنية أو القصص القرآني •

وقد ظهرت جماعة - فيما بعد - من القصاص الذين عرفوا بتفسير القرآن ، فأرادوا أن يشرحوا ما أبهم في القرآن الكريم ، متأثرين بما سمعوه من اليهود والنصارى ، وأكملوا من ابتداع خيالهم ماوجدوه من نقص فيما تعلق ، وقد تحدث النظام المعتزلي عن هؤلاء المفسرين الذين لايتورعون عن تفسير القرآن بمثل هذه الخيالات والأوهام "••• كلما كان المفسر أغرب عندهم ، كان أحب اليهم ، وليكن عندكم

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ١ : ٧٩٤

عكرمه والكلبي والسدى والضحاك ومقاتل بن سليمان وأبوبكر الأصم في سبيل واحدة
فكيف أثق بتفسيرهم وأسكن الى صوابهم ؟" (١) .

فالأمر اذن انسياق وراء الخيال ، فكلما كان اغراقهم في الخيال قويا
فتمتلىء تفسيراتهم أو قصصهم بغرائب الأمور ، كلما وجدوا اقبالا عليهم ممن حولهم
فتحول الحال بذلك الى دائرة لحكاية القصص الأسطورية .

وقد أكثر الطبرى في تفسيره من رواية الاسرائيليات ، ولكنه كان يسندها ال
أصحابها ممحصا وناقدا ، وكثرا ماانقد المرويات الاسرائيلية التي يحاول بعض
المفسرين أن يفسروا بها ماوراء ظاهر اللفظ القرآني ، وهو بموقفه الجيد ذلك يحار
المنزع القصصي الخيالي الذى استفاض في عصره ، وحاول معرفة كل شيء أبهم في القرآ
الكريم ، مما لافائدة في معرفته .

وعندما أورد ذكر ذى القرنين حدث أنه أمة من الانس صالحة قالت لذى القرني
"ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ، وكثير منهم مشابه للانس ، وهم أشبا
البهائم ، يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ، ويأكلو
خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله في الأرض ، وأوضحو
خوفهم من غزوهم لهم ، ورجوه أن يجعل بينهم سدا ، فذهب ذو القرنين يستطلع أمرهم
فوجد لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا وأضراس وأنياب كأضراس السبا
وأنيابها ، وأحناك كأحناك الابل ، وعليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم
ومايتقون به الحر والبرد ، ولايموت واحد منهم الا بعد أن يلد ألفا ، وهم يتداعو
تداعي الحمام ، ويعوون عواء الكلاب" (٢) .

ويستمر الطبرى في وصف هذه العوالم الغريبة من البشر ، فيسرد حال أمة أخر
صالحة يصف منحاها في الحياة ، وهكذا دواليك . وكأن قصص القرآن كانت مثارا لنشا
الرواة وشحذ خيالهم ، فجاءوا بأساطيرهم التي تصور عوالم خيالية لاوجود لها الا ف
تصوراتهم وتخيلاتهم .

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ١ : ٣٤٣

(٢) الطبرى ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ١٦ : ١٦

ونجد الطبرى يعتمد في تفسيره على النقل والرواية ، وكأنه أحس الصلة بين التاريخ والتفسير ، واعتماد التاريخ عليهما أيضا ، ومما يدل على ذلك أن كثيرا من المصادر التي اعتمد عليها في تاريخه قد اعتمد عليها في تفسيره أيضا ، ولاسيما في تاريخ الأمم السابقة على الاسلام (١) .

ونستشهد بمؤلف آخر هو ابن كثير ، فنجده أحيانا يسرد بعض الاسرائيليات ثم يعقب عليها منتقدا ، ولكنه مع ذلك توسع في النقل عن رواة اليمن ، فنقل عن وهب بن منبه حديثه حول خراب سد مأرب "وكانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرد ، فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان ، فلما جاء القدر غلبت الفأر على السنانير ، وولجت الى السد ، فنقبته ، فانهار عليهم" (٢) .

ولقد انتقد ابن كثير الاسرائيليات وتزيد الرواة ، ولكنه ينقل أحيانا تلك القصص والاضافات الكثيرة الى قصص القرآن ، فذكر مثلا أن هدهد سليمان اسمه عنبر ، ولم يختلف عن غيره من كتاب التفسير عند وصفه بلقيس وعظمة عرشها وكثرة من حولها من الاقيال (٣) . ولكن نجده يحذر - بعد ذلك - في قبول تلك الأقوال وينبه الى أنه ينبغي عدم تصديقها واعتمادها حقائق مسلم بها ، فبعد أن يسرد الأقوال المختلفة حول مجيء بلقيس الى سليمان ، وما كان من أقوال المفسرين حول العرش ، ينتقد كل ذلك قائلا "والأدب في مثل هذه السياقات أنها متلقاه عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله ، فيما نقلاه الى هذه الأمة من أخبار بني اسرائيل من الاوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن ، وما حرف وبدل ونسخ" (٤) .

ونأتي الى الزمخشرى الذى ينحو في كشافه منحى عقليا ، ونجده ينساق مع الرواة ، فجاء بتفصيلات في أمر بلقيس وسليمان بعدت عن تفسير الآيات الكريمة (٥) . وكان المتوقع من الزمخشرى أن يقف من الاسرائيليات موقف الناقد ، لمجانبتها العقل والمنطق ، ولكنا وجدناه متسامحا ، لايرى بأسا في سرد أسطورة أو خرافة اسرائيلية متناقضا في موقفه هذا مع منهجه العقلي الذى اتخذه في التفسير .

---

(١) رمزى نعناعة ، الاسرائيليات ٢٤٢

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٥ : ٥٤٢

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٥ : ٢٢٨

(٤) المصدر السابق ٥ : ٢٤٠

(٥) الزمخشرى ، الكشاف ٣ : ٣٦٦

ودخلت الاسرائيليات كتب السيرة والتاريخ ، وتوسع الاخباريون والمؤرخون في قبولها وروايتها ، وكانوا أقل احترازا من كتاب التفسير ، وتساهلوا في قبول الروايات ولاسيما فيما يتعلق ببدء الخلق وأسرار الوجود وأحوال الأمم السابقة والملاحم .

ونظرة الى ابن هشام في "السيرة النبوية" نجده لايختلف عن غيره ، لأنه يعتمد كثيرا على ابن اسحاق في مروياته ، وان حرص على ذكر السند أحيانا ، فيذكر سد مأرب وما ورد فيه من آى الذكر الحكيم ، ثم يذكر قصة الجرذ الذى حفر سد مأرب وخروج عمرو بن عامر من اليمن[1] .

ولايختلف عنه ابن كثير في السيرة النبوية ، اذ يتوسع في أقوال الكهان ، وما كان من نصيحتهم لعمرو بن عامر اللخمي في الخروج من مأرب قبل وقوع السيل ، وما كان من خبر الجرذ الذى حفر في السد فسبب خرابه[2] .

كما يذكر في موضع آخر كهانة سطيح وشق لربيعة بن نصر وتأويلهما رؤياه[3] . وهو لايختلف في كل ذلك عما يكتبه أهل الأخبار في كتب التاريخ ، بل ينقل عنهم في رجوعه دوما الى ابن اسحاق . ثم يعقب ابن كثير مبررا بقوله: "وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته وماتضمن من الفتن والملاحم"[4] . فكانت الغرابة في مثل هذه الحكايات شفيعا للرواة وأهل الأخبار في تداولها وحسن انصات الآخرين لها واستزادتهم منها .

وننظر في كتب التاريخ فنجد الطبرى في كتابه "تاريخ الرسل والملوك والأمم" يروى الحكايات المختلفة عن الأمم الماضية ، ولعله لمس بعدها عن الحقيقة والعقل والمنطق ، ومع ذلك توسع فيها ، وتزيد منها على الرغم من الانتقاد الذى ضمنه مقدمته وأنه مجرد ناقل[5] .

وخير شاهد على دخول الاسرائيليات تاريخه هو بابه: "القول في ابتداء الخلق"[6] .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ١٣

(٢) ابن كثير ، السيرة النبوية ١ : ١٢

(٣) المصدر السابق ، ١ : ١٣

(٤) المصدر السابق ١ : ٣٨٤

(٥) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ١ :٨

(٦) المصدر السابق ١ : ٣٢

ويعنى الطبرى بذكر سلسلة السند حيث ينقل عن وهب بن منبه واسحاق بن شاه
وابن اسحاق ، بل ينقل أحيانا عمن يسميهم (أهل التوارة) أو (أهل الانجيل) ، وير
في بعض رواياته الى هشام الكلبي .

أما ابن كثير في "البداية والنهاية" فنجده قد اتخذ موقفا من الاسرائيلي
نص عليه في مقدمته مبررا لما أدخل منها"... فتذكره على سبيل التحلي به ، لا ع
سبيل الاحتياج اليه والاعتماد عليه" [1] ، فوضح منهجه في تناول الاسرائيليات ، ول
"نظرة التحلي" هذه كانت المنفذ الذى تسربت منه الاسرائيليات الى تاريخه ، و
انتقدها في بعض الأحيان .

وقد كان ابن كثير أقل المؤرخين اعتمادا على الاسرائيليات ، وان توسع ف
سرد بعضها أحيانا ، مفتونا بالغرابة في أقوال أهل الأخبار ، وقد روى من ابن عسا
خبر ذى القرنين وبحثه عن ماء الحياة في أرض الظلمات واجتماعه بالملائكة هناك [2]
كما نقل عن كعب الأحبار ووهب بن منبه العديد من رواياتهم .

ونجد ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" لايكاد يختلف عن الطبرى
فيبدأ بابتداء الخلق ، وينقل عن الرواة من مثل وهب بن منبه ، وابن اسحاق وغيرهم
فيحدثنا عن أنسر لقمان [3] ، كما يذكر في أخبار بلقيس الحكاية الأسطورية لزواج أبيه
بأمها ، ويعلق على ذلك كله بقوله: "والجميع خرافة لا أصل لها ولا حقيقة" [4].

ومع ذلك هو يسرد كل ماردده المصادر الغريبة التاريخية ، وان كان حدي
خرافة كما يذكر ، ولعله أورده على سبيل التحلية لمادة التاريخ كما صرح بذلك اب
كثير .

ويتضح مما سبق اتخاذ المؤرخين والمفسرين موقفا واعيا من الاسرائيليا
وتعبر مقدماتهم وتعقيباتهم عن ادراك ماتنطوى عليه من اغراق في الخيال يخر
بالرواية عن نطاق العقل والمنطق لتصبح حكاية أسطورية . وقد كان تداولهم لها م
معرفتهم بمجانبتها الصواب والعقل ، وفي هذا دليل على افتتانهم بالمادة الأسطوري
فيها ، وتناولهم لها كقصص أسطوري يحبون الاطلاع عليه .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ١ : ٦

(٢) المصدر السابق ٢ : ١١٧

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ١ : ١٥٠

(٤) المصدر السابق ١ : ٢٣٥

ويظن أن كثيرا من الاسرائيليات المبثوثة في كتب التفسير والسيرة قد نقل بعضها من أسفار أهل الكتاب مع وجود اختلاف يسير بين النصين أحيانا .

واذا تتبعنا المرجع القديم في تلك الروايات فاننا نجده يبعد عن عهد الكتاب المقدس في قدمه ، اذ كانت أساطير الجزيرة هي المعين الغزير الذى أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد الى ثلاثة الألف سنة أو نحوها قبل الميلاد ، وربما أخذ اليهود بعضها من الأدب البابلي ، والمرجح أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى[1].

أما الباحثون المحدثون فتختلف نظرتهم اليوم الى الاسرائيليات ، فقد أبدوا اهتماما بالرواة والاخباريين الذين رووا مثل تلك الحكايات ، أيام الاسلام الأولى من مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبيد بن شرية الجرهمي ، فرأوا في حكاياتهم دنيا خرافية ينبغي الاهتمام بها لأنها تخلد معتقدات العرب وأساطيرهم[2].

ج - تفشي ظاهرة النحل :

لقد أحدث النشاط المتزايد في الرواية الأسطورية ظاهرة طبعت معظم تلك القصص الأسطورية بطابعها ، وهي ظاهرة الشعر المنحول ، وان نظرة الى القصص الأسطورية في كتاب "التيجان" تجعلنا ندرك مصداق هذا القول ، حيث نجد تلك الكثرة الوفيرة من القصائد والأبيات على لسان هذا الملك أو ذلك الفارس . ومعظم تلك الأشعار تنضح بالفخر والاعتزاز بأمجاد اليمن والتحسر على حضارته القديمة ، مما يجعلنا مدركين أن وضع الشعر كان لأسباب لعل أهمها ارضاء العصبية القبلية في تلك الآونة .

كما أن الشعر اتخذ مقياسا لصدق الخبر نلمس ذلك في حوار معاوية لعبيد بن شرية الجرهمي ، واستزادته من قول الشعر للمسامرة قائلا: "ألا شددت حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ولو ثلاثة أبيات ؟"[3] ، وعبيد يروى الشعر على لسان هذا أو ذاك .

---

(١) ديورانت ، قصة الحضارة ٢ : ٣٦٨

(٢) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٧٣

(٣) عبيد بن شرية ، التيجان ٣٣١

وقد نحلوا الشعر بعض من لم يقل الشعر كالتبابعة القدماء ، من مثل الشعر المنسوب الى تبع بن الأقرن [(١)] ، والشعر المنسوب الى الحارث بن الرائش [(٢)] ، والشعر المنسوب الى أسعد تبع [(٣)] ، وليس هذا فحسب بل نسبوا الشعر الى الأقوام البائدة عاد وعمليق وطسم [(٤)] .

وقد أشار الى هذه الظاهرة ناقد قديم هو ابن سلام الجمحي ، وانتقد تلك الأشعار الموضوعة قائلا: "أفلا يرجع الى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ ألوف السنين" ، واستدل على ذلك بالآيات القرآنية التي تذكر عادا ، وتنص على عدم وجود باقية لهم [(٥)] .

ونحلوا الشعر أيضا شعراء مشهورين من مثل حسان بن ثابت ، وأمية بن أبي الصلت وامرىء القيس ، والنعمان بن بشير الانصارى • وقد ذكر طه حسين مقطوعة لحسان بن ثابت ، ولفت النظر الى ضعف آخرها على نحو لايتناسب وقوة الأبيات الأولى في المقطوعة [(٦)] • كما نقل طه حسين قصيدة للنعمان بن بشير الانصارى يخاطب فيها معاوية وأوضح كيف حملت الأبيات الثلاثة الأخيرة عليه حملا [(٧)] •

ويذكر الاصفهاني حكاية من نحل الشعر حسانا ، وهي شاهد آخر على أن النحل كان مألوفا لديهم [(٨)] • وبسبب دوافع معينة لاتخفي على الباحث المتمعن •

وقد ناقش طه حسين أسباب النحل في كتابه ، مغلبا جانب العصبية والسياسة ، وقد فند كل ذلك مفصلا [(٩)] • كما فصل في قضية النحل وأقوال القدامي والمحدثين فيها شوقي ضيف [(١٠)] ونوري القيسي [(١١)] •

---

(١) ابن قتيبة ، المعارف ٦٣٠

(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٨١

(٣) المصدر السابق ٨ : ٢٨٢

(٤) عبيد بن شرية ، اليتجان ٣٣٠ – ٣٣٢

(٥) ابن سلام الجمي ، طبقات الشعراء ٤

(٦) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ١٢٤

(٧) المصدر السابق ١٢٦

(٨) الاصفهاني ، الأغاني ١ : ٦٣٠

(٩) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ١١٣

(١٠) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ١٦٤

(١١) نوري القيسي ، تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ٧٥

وقد كثر النحل في الشعر الذى ورد على لسان أبطال القصص والأساطير كما أسلفت ، وقد ذكر الاصفهاني أن قصة (تبع) وشعره من وضع يزيد بن ربيعه بن مفرغ الحميرى المتوفى سنة تسع وستين للهجرة ، وهو شاعر عرف بتعصبه لليمن .

ومع كل ذلك فالشعر المنحول نتاج القوم الأدبي ، وقد كانت لروايته دوافع وأسباب ارتبطت ارتباطا وثيقا بالواقع التاريخي لليمن.[1]

ان تلك الظواهر التي سلفت مناقشتها - في رأيي - نتيجة طبيعية أسلمتنا اليها المنابع الأساسية المتعددة للأساطير العربية ، فطبعت الأسطورة اليمنية بطابعها الخاص ، وظهرت نتائجها في أساطير اليمن المتنوعة الأسس حيث سنتعرف عليها ونناقشها لاحقا على نحو مستفيض .

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ١٨ : ٢٥٥

البـاب الثـانـي

" أنـواع الأسـاطـير اليـمنـيـة "

" أنواع الأساطير اليمنية "

ويتضمن هذا الباب فصولا ثلاثة نتعرف من خلالها على أنواع الأساطير اليمنية مع مقارنتها بما عرف عن الشعوب القديمة الأخرى من أساطير مشابهة . وليتضح لنا تناقل الأساطير بين الأمم ، وارتباطها بحياة الشعب حيث يتم تحويرها وتطويعها بما يتفق وواقع القوم الذين تمثل الأسطورة نمط تفكيرهم ، ومنحاهم في الحياة .

وبعد الحصول على جمع وفير من الأساطير اليمنية ارتأينا أهمية تقسيمها الى أقسام رئيسية ثلاثة ، وذلك لتسهيل مهمة التعريف بها ، ودراستها عن كثب ، واستنتاج الخصائص المستقاة منها ، فكان هذا التقسيم الذى لايستند في الأساس على صفاتها أو أنماط أبطالها ، لأن مثل هذا التقسيم يوقعنا في مزالق متعددة ، منها التداخل والتكرار الذى سيواجهنا في دراسة معظم تلك الأساطير ، اضافة الى اتساع تلك الأساطير وشموليتها مما يجعلها قابلة للانضواء في الانماط المختلفة ، وأضرب مثلا لذلك : "بلقيس".. هذه الاسطورة المتعددة الجوانب ، يمكننا ادخالها في القصص الديني اذا اعتمدناها ملكة لسبأ ، التي ذكرها القرآن الكريم ، ويمكننا التفصيل في قصتها مع سليمان أثناء عبادتها وقومها للشمس ، ويمكننا ذكرها في أساطير التناج المشترك الذى عرف في أساطير اليمن حيث تجعلها الروايات مولودة من أم تنتمي الى "الجن".. ويمكن ادراجها في القصص التاريخي باعتبارها من ملوك اليمن القدماء ، اكتنف توليها الحكم قدر كبير من الحكايات الأسطورية .. وهكذا .

لذلك حرصت في ثنايا البحث على التعريف بمعظم الأساطير اليمنية ولاسيما تلك التي تحمل طابع الرواة اليمنيين ، وتضيف أشياء الى معارفنا عن حياتهم ونمط تفكيرهم ، مع محاولة تجنب هذا التداخل والتكرار ، ولا يتأتى ذلك الا بالتقسيم المنهجي لأنواع هذه الأساطير ، ذلك التقسيم الذى يرتكز على الأساس الذي تقوم عليه الأسطورة ، وباتباع هذا المنهج وجدتها تنقسم الى ثلاثة أقسام بحسب الأسس التالية :

١ - الأساس الديني .
٢ - الأساس الطبيعي .
٣ - الأساس التاريخي .

لقد وجدت اعتماد هذا التقسيم ييسر مهمة تعريف القارئ بها ، ودراستها لاستخلاص الخصائص الخاصة بها ، كما لاحظت استجابة الأساطير التي أخضعتها للدراسة لمثل هذا التقسيم ، وامكانية انطوائها في سهولة ويسر ضمن أحد الأنواع الثلاثة بحسب ما يقتضيه الأساس الذي تعتمد عليه الأسطورة .

" الفصـــل الأول "

" الأســــاس الديـنــــي "

نناقش في هذا الفصل الأساطير التي ترتكز على أساس ديني ، فتمس عن قرب أو بعد معتقدات القوم وديانتهم القديمة ، وتتصل بمظاهر عباداتهم وشعائرهم الدينية كما أنها تتضمن نتائج تلك المعتقدات وما أسفرت عنه قرائح الرواة وأهل الأخبار من تفسيرات وتأويلات حول الطقوس والعبادات القديمة ، فملأت بـه المصادر العربية القديمة ، كما هائلا من القصص الأسطورية الجميلة التي تمثل مرحلة من مراحل نمو التفكير الانساني قبل سطوع شمس الاسلام .

فكان الاهتمام بجميع ماورد من أساطير حول عبادتهم الكواكب ومظاهر الطبيعة ومقارنة تلك الأساطير بمثيلاتها لدى الشعوب والأمم القديمة ليتضح لنا وضع الأساطير اليمنية في هذه السلسلة الطويلة من الأساطير المنتقلة بين الأمم ، عن طريق الهجرات أو رحلات التجارة وغيرها .

ولعل الهدف الخلقي ينطوي في سياق الاهداف الدينية لما يتضمنه من وعظ وارشاد خلقي يحقق معه انتظام الكون في سياق سهل يشعر معه الانسان بالراحة النفسية والدعة والطمأنينة ، فلا تخلو أساطيرهم الخلقية من الموعظة التي لاتقل شأنا عن التوجيه والارشاد الدينيين، فكان ادراجها ضمن هذا النوع من الأساطير .

ويجمع بين هذه الأساطير جميعها اشتراكها في الأساس الديني الذى تعتمد عليه ويكون عصبا رئيسيا فيها ، وظفرت كل أسطورة منها بالدراسة الوافية والمقارنة الواضحة مع غيرها من الأساطير العربية أو من أساطير الأمم والشعوب المختلفة ، مع انهاء الفصل بالملاحظات والخصائص المستنتجة من دراسة هذه الأساطير .

عبـــادة الكواكـــب :

لقد مرت الأقوام في جنوبي الجزيرة العربية بمراحل في التطور الديني ، وتلفتوا حولهم الى مظاهر الطبيعة ، فعبدوا الكواكب والنجوم ، وكان الشمس والقمر أول كوكبين سماويين لفتا أنظار الناس اليهما ، فعبدوهما مجردين في بادىء الأمر ، فلما تقدمت مداركهم تصوروا لهما قوى غير مدركة، روحا وقدرة ، فأصبحت الشمس والقمر مظهرين لقوى روحيـة [(١)] .

وقد وردت في القرآن الكريم الآيات الكريمة التي تثبت عبادة الانسان للكواكب "ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لاتسجدوا للشمس والقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون" [(٢)] .

ولم يقف انبهار الانسان عند الشمس والقمر ، ولكنه أيضا فتن بالزهرة وان كانت غير بارزة بروز الشمس والقمر ، ولعل ذلك هو السبب الذى جلعها ابنا للشمس والقمر في أساطير العرب الجنوبيين ، وقيل بذلك عرف الجنوب التثليث بعبادتهم للآلهة الثلاث "ود" القمر، و"اللات" الشمس" و "العزى" الزهرة . فالقمر والشمس والزهرة ثالوث مقدس ، وربما قادتهم هذه الفكرة الى مقارنتها بظهور فكرة التثليث هذه بين الكواكب . فهذا الثالوث هو نفسه عند البابليين: الآله (سين) القمر و(شمش) الشمس و(عشتر) الزهرة ، وقد قدم العرب القمر على الشمس وهذا مافعله البابليون والكلدان [(٣)] .

عبـــادة القمـــر :

لقد لوحظ ما للقمر من منزلة خاصة في ديانة العرب الجنوبيين ، وهذا ماجعل بعض المستشرقين يدعو ديانة العرب الجنوبيين باسم "ديانة القمر" على سبيل التغليب ، وبذلك تميز أهل الجنوب عن أهل الشمال ، ويرجعون تقديم القمر على الشمس في ديانة عرب الجنوب الى الاختلاف في طبيعة الأقاليم والى التباين في الثقافة [(٤)] .

---

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٢٢
(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٧
(٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٥١
(٤) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٥٢

والاله القمر هو الاله (المقه) عند السبئيين ، وهو آله سبأ الكبير ، وهو (عم) عند القتبانيين ، و(ود) عند المعينيين ، و(سين) عند الحضارمة ، وكان الاله القمري (سين) في الألف الرابعة قبل الميلاد ابن الاله عثترت في كتابات المسند الحضرموتية[1].

وقد جرت أولى محاولات التنقيب في حضرموت ، قام بها عالم أثري يدعى "جيرترود كارتون تمبسون" الذي اكتشف معبد القمر في الحريضة "بحضرموت" ذلك المعبد الذى يرجع تاريخه الى مابين القرن الخامس والرن الثالث قبل الميلاد[2].

ويعد الاله "سين" الاله القومي الرئيسي لشعب حضرموت ، فكان الناس ينذرون له النذور ، ويتقربون اليه بالأدعية ليمنحهم العمر الطويل والخير والبركة .
ونظرا لوجود معابد كثيرة في حضرموت لعبادة (سين) ، فقد ورد هذا الاسم مضافا اليه كلمة أو كلمات لتمييز المعابد بعضها عن الآخر ، مثل "سين ذو مذاب" و"سين ذو مشور" و"سين ذو علم آله علق احن" وعلق احن اسم موضع قديم في حضرموت .

وتفيد النصوص التي عثر عليها أنه كان عند الحضارمة نوع من الشعور الديني الجامح نحو هذه الآلهة ، فقد ورد في بعضهما ماترجمته "ان جسمه وروحه وأولاده وما يمتلكه ويقتنيه ونور عينيه وكل مايفكر به في قلبه هو لسين آله حضرموت" . وفي نص ظهر فيه اسم الملك العذيلط دونه رجلان ربما كانا من موظفي هذا الملك جاء فيه أنهما قدما سبعة تماثيل من الذهب باسم ملك حضرموت الى الاله سين ذو علم[3].

وفي تنقيبات البعثة الامريكية في مأرب اليمن في حوالى سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد وجدوا جزءا من معبد القمر (المقه) يعود تاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد[4] . كما وجدوا تمثالا من البرونز لرجل تحمل يده اليسرى خاتما رسميا وقد ثبت خنجر في حزام الرجل ، وعلى التمثال نقش يمتد الى الكتف حتى أسفل الركبة اليمنى ، ويقول هذا النقش "ان هذا التمثال تمثال معدى كرب" وقد أهدى الى الاله القمر "المقه"[5] . ويبدو أن ذلك نوع من تقديم القرابين للاله القمر .

---

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٥٤
(٢) فيلبس ، كنوز مدينة بلقيس ١٦
(٣) سعيد عوض باوزير ، صفحات من التاريخ الحضرمي ١٥
(٤) فيلبس ، كنوز مدينة بلقيس ٣٦٢
(٥) المصدر السابق ٣٢٣ ، وانظر وصف الصنم عند ابن الكلبي ، الأصنام ٥٦

ثم انحدرت هذه الديانة ومالت الى الانكماش كمية النقوش المكرسة لمعبد المقه آله القمر في مأرب ، وقد ذكر آخر ملوك الحميريين في نقش هذا المعبد - شاران يحمن وابنه ملك كرب أبو أسعد - منتصف القرن الرابع ، ثم اختفت النقوش الوثنية في نهاية حكم مليك كرب[1].

وقد ارتبطت عبادة البقر بعبادة القمر خاصة ، فقد أشار الشهرستاني الى أن عبدة القمر من الهنود اتخذوا له صنما على شكل عجل يجره أربعة ، وبيد الصنم جوهر ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدوه ، وأن يصوموا النصف من كل شهر ولايفطروا حتى يطلع ، ثم يأتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ، فاذا فرغوا من الافطار أخذوا في الرقص والغناء واللعب بالمعازف بين يدي الصنم القمر[2] . وذكر الألوسي أن كنانة عبدوا القمر وفعلوا ماكان يفعله الهنود من طقوس[3] .

ولعل هذا يفسر السبب في تمثيلهم أو كنايتهم للاله القمر (المقه) بثور في اليمن ، وكان هذا اسمه في كتابات المسند ، ووجدت صور لرأس الثور كثيرة في الجزيرة العربية ، كما وجدت كثير من رؤوس الثيران محفورة وأمامها مسايل لدماء الحيوانات التي كانت تقدم قرابين[4]. كما أن قبائل وعشائر تسمت باسم "ثور" .

وربما كان اهتمامهم بالثور بسبب التشابه بين الهلال وقرني الثور في الصورة ، وان كان الارتباط الأول بعبادة القمر أقوى وأرجح .

ويمدح الأعشى الأسود بن المنذر اللخمي ، فيقرن علاقة الناس بممدوحه وعلاقتهم بالقمر المعبود قائلا :

أريحي صلت ، يظل له القو م ركوعا ، قيامهم للهلال[5]

فيظل القوم واقفين في خشوع وسكون للمدوح كأنهم في صلاة ورعة للهلال ، وهو أحد أشكال القمر .

---

(١) بتروفسكي ، مقالة في مجلة "الحكمة" اليمنية - العدد ١٠٩ ص ٢٩
(٢) الشهرستاني ، الملل والنحل ٢ : ٢٥٨
(٣) الألوسي ، بلوغ الأرب ٢ : ٢١٦
(٤) فيلبس ، كنوز مدينة بلقيس ٨
(٥) الأعشى الكبير ، الديوان ٩

وجعل أحد الباحثين آلهة القمر السبئية من الآلهة الدهرية القدرية، وسماه نسر أو نسور ، وقال أنه ورد في نصوص المسند السبئية باسم "بيت نسور" بل لقد أطلق على أهل سبأ بعامة "أهل نسور" ، وربط بينها وبين أسطورة لبد وأنسر لقمان

وينقل الدكتور أحمد كمال زكي مسجعة عربية قديمة لعلها كانت تصاحب الطقوس وما يمكن أن يرافقها من موسيقى ، يقول النص (٢) :

ود الهنا الحكم (٣)
رب الخلائق والأفاعي والمناجد والبهم
أن تملك .. فله الحياة
في البيد والقفار والأجم
ساله ، فلا قفض
ولا رفض
الرغد وربة الأثر
ذات حميم لا ذات حمم (٤)

ومن صراع الآلهة في الأساطير اليونانية يتضح لنا ظهور القمر للوجود قبل الشمس ، وكونه فيما بعد أبا للشمس ، ويرجع ذلك الى أسبقية عبادة القمر على عبادة الشمس في المجتمعات البدائية السابقة لظهور الحضارات ، مجتمعات الثقافة التي قدست القمر واعتبرته رمزا للأم الكبرى الهة المجتمع الأمومي ، وقدمته على الشمس التي كانت رمزا للذكر ، والتي قدستها المجتمعات الأبوية بعد ذلك باعتبارها رمزا للاله الذكر ، آله السماء الأعلى (٥) .

عبادة الشمس

وعبد أهل الجنوب الشمس كما عبدها أكثر الساميين ، وقد نص على ذلك القرآن الكريم على لسان الهدهد وهو يحدث سليمان بخبر ملكة سبأ "...وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله" (٦) .

---

(١) شوقي عبد الحكيم ، الفلكلور والأساطير العربية ١١٠
(٢) أحمد كمال زكي ، الأساطير ١٩٧
(٣) يلاحظ أن "نا" في "الهنا" هي أداة تعريف عند العرب في الجنوب .
(٤) يلاحظ أن "ذات حميم" أحد أسماء الشمس بمعني الحامية أو الحارسة .
(٥) فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ٢٤
(٦) سورة النمل ، الآيات ٢٢ - ٢٥

وقد كان الانسان القديم يميل الى تقديس الأشياء التي يعتقد أنها تمنحه الحياة والخصوبة ، فكان الناس قديما يعدون الآلهة - وخاصة الشمس - حماة العدل والقانون ، كما ظنوا أنها تنتقم من الظالم والمجرم ، لذا عبدت الأمم القديمة الشمس ، فقد كان الآله " شمش" من أشهر الآلهة البابلية والآشورية ، وتدل الآثار على أن اسمه قد تردد أكثر من ستة آلاف سنة • وذهب الأقدمون الى أنه ابن "سن" آله القمر ، مما يؤكد أن التقويم الشمسي قد حل محل التقويم القمرى ، كما حدث في كثير من بلاد الشرق القديم ، وتصفه النقوش بأنه "آله النور العظيم" ، وأنه "سيد الأحياء" و"مسبغ النعم على الأرضين" •

ولقد ارتبط النور بالحق والعدل والخير في نفس الانسان منذ أقدم العصور ومن ثم نسب البابليون والآشوريون اليه القدرة على التمييز بين العدل والظلم والخير والشر ، ومثلهم سائر الشعوب لأن الانسان رأى أشعة الشمس تنفذ الى كل مكان وتتخطى جميع الحواجز والأستار ، ولقد ورد اسمه على رأس النقوش التي سجلتها ألواح حمورابي المشهورة ، وفيها يرمز الى العدالة [1] •

وقد ظهرت الشمس في الأسطورة العربية مرفوعة آنا على قرني ثور ، وآنا آخر على هيئة بعير له قرنان ، والبقر أو الثور هو الوحيد من ذوى القرون بين البعير، كما لاحظنا ذلك في عبادة القمر [2] • ورمز العرب الجنوبيون للشمس بالحصان لما في ذلك من معنى التمنع والاباء ، فكانوا يتقدمون بتماثيل الخيل تقربا الى الآلهة [3] •

وقد عبد الشمس قبائل عربية عديدة في الجزيرة شخصوها بصنم ، وخصصوا لها هيكلا ، كما كثر في بلاد العرب وجود الأسماء التي انتسبت لها كعبد شمس ، وقيل أن أول من تسمى به سبأ الأكبر لأنه عبد الشمس [4] •

وتسمى الشمس عند المعينيين (ذات نكرح) وعند السبئيين (ذات حميم) أي الشديد الحرارة و(ذات بعدان) و(ذات غضران) و(ذات بران) ، وعند القتبانيين (ذات صنم) و(ذات محزن) و(ذات رحبن) •[5]

---

(١) Carl Clemen, Religion of the World P. 52

(٢) أنظر الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ١٤

(٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ١٦٩

(٤) المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ٢ : ٥٠

(٥) أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ١٤٨

ويستشهد الباحثون على عبادة العرب للشمس بهذا البيت لمية بنت أم عتبة - ويروى لغيرها - قالت :

تروحنا من اللعباء عصرا ... فأعجلنا الالهة أن تؤوبا

وسموها الالهة تعظيما لها لأنهم كانوا يعبدونها (١) .

ونجد لدى الأصفهاني هذه الأسطورة حول طلوع الشمس وغروبها ، قال : "لاتطلع الشمس حتى ينخسها (٢) سبعون ألف ملك ، ويقولون لها "اطلعي" فتقول "أأطلع على قوم يعبدونني من دون الله ؟" فيأتيها شيطان حين تستقبل الضياء ، يريد أن يصدها عن الطلوع ، فتطلع على قرنيه ، فيحترق تحتها ، وما غربت قط الا خرت لله ساجدة ، فيأتيها شيطان ، يريد أن يصدها عن السجود ، فتغرب على قرنيه فيحترق تحتها . فهي تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان" (٣) .

ولعل الألوسي تأثر بهذه الحكاية الأسطورية عندما زعم أنهم كانوا اذا طلعت أو غربت أو توسطت الفلك سجدوا لها ظنا منهم أن الشيطان يقارنها في هذه الأوقات الثلاثة (٤) . ولكن كيف يمكن أن يسجد لها القوم مع ظنهم بمقارنة الشيطان لها ؟ فلاشك أن سجودهم لها أمر سابق لأسطورة مقارنة الشيطان لطلوعها أو غروبها ، اذ كان سجودهم لها من طقوس عبادتها ، كآله يعم نوره الكون ، فينتفع به الخلق .

أما اذا قصد الألوسي سجود القوم في مرحلة تالية لعبادتها الأولى ، فذلك يعني أن القوم كان سجودهم لله استنجادا به لمساعدتها على التغلب على الشيطان الذى يصاحب طلوعها أو غروبها محاولا صدها عن السجود ، لأنها كانت تخر لله ساجدة كما ورد في نص الأصفهاني السابق .

وقد لاحظنا في عبادة القمر كيف اشتهروا الشمس أما في الثالوث الالهي ، ثم طرأ بعد ذلك التحول الذى يفسره الانثروبولوجيون بالأطوار الأربعة التي طرأت على تلك القبائل خلال تحولها من الأمومية الى الأبوية . وهكذا أصبح القمر الأب ،

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ١٧ : ٣٦٠

(٢) نخس الدابة : غرز مؤخرتها أو جنبها بعود أو نحوه .

(٣) الأصفهاني ، الأغاني ٤ : ١٣٠ - ١٣١

(٤) الألوسي ، بلوغ الأرب ٢ : ٢١٦

والأم الشمس ، والابن الزهرة ، ويلاحظ أن هذا التعريف النوعي مايزال محفوظا في اللغة العربية ، فالقمر مذكر بينما الشمس مؤنثة[1].

عبـــادة الزهـــرة :

يروي هومل - معتمدا على النقوش - أنه كان لعبادة النجوم في ديانة عرب الجنوب مكانة عظيمة[2]. كما كانت الزهرة تؤلف مع الشمس والقمر الثالوث الرئيسي عند الساميين الأقدمين ، وهي ترادف افروديت اليونانية وفينوس الرومانية وعشتار البابلية وعشتروت الكنعانية ، آلهة الفتنة والجمال والحب[3].

وقد احتفلت شعوب الأرض جميعا بهذه الكواكب ، وأقيمت للزهرة المعابد ونحتت لها التماثيل ، واقترنت الزهرة بالاقبال على الحياة والمبالغة في السرور وطلب المتعة ، وكان الاحتفال بها يقام في التحول من الشتاء بظلامه وبرده وتجرد أشجاره الى الربيع بنضرته وخضرته وتبرج الطبيعة والحياة فيه . ولهذا حملها العرب معاني البياض والحسن والبهجة ، فقال الشاعر :

وقد وكلتني طلتي بالسمره   وأيقظتني لطلوع الزهرة[4]

وكان اليونان يمثلونها امرأة عارية على صور شتى ، ويحتفلون بعيدها ليلا تحت أشجار الآس في ليالي الثلث الأول من شهر نيسان[5]. كما صورها الفن الميثولوجي الفارسي في الاسلام حسناء تعزف على العود[6].

ومن الميثولوجيا العربية الجميلة ما أورده المقدسي عن الزهرة وفتنتها الملائكة أيضا ، وقد بنى الرواة الأسطورة على ما ورد في القرآن الكريم ، لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم ، قال للملائكة : "اني جاعل في الأرض خليفه ، فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك "[7]. ووضعت بعد حين

---

(١) شوقي عبد الحكيم ، الفلكلور والأساطير العربية ٩٥ - ٩٧

(٢) Ency. of Islam 1 : 379

(٣) Langdon, The Mytholgy of all the World 3 : 25

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ٤ : ٣٢٤

(٥) البستاني ، دائرة المعارف ٩ : ٢٨٧

(٦) انظر الحوت ، على طريق الميثولوجيا ٨٩

(٧) سورة البقرة ، الآية ٣٠

ذرية كثيرة تعاطت الفساد ، فنادت الملائكة "يارب ، أهؤلاء استخلفتهم في الأرض ؟ ، وعندئذ أمرهم الله أن يختاروا من أفاضلهم ثلاثة ينزلهم الى الأرض ليحملوا الناس على الحق ، ففعلوا" .[١]

وأورد الطبري أنه أمرهم باختيار ملكين من أعظمهم علما وزهدا وديانة ، فاختاروا هاروت وماروت ، وأهبطا الى الأرض ، وأمرا أن يعبدا الله وينهيا عن المعصيات . وفي الأرض عرضت لهما امرأة هي "الزهرة" ، فأقبلا عليها وراودوها على نفسها فأبت الا أن يكونا على أمرها ودينها ، وأخرجت لهما صنما يعبدانه ويسجدان له ، فامتنعا ، وصبرا ردحا ، ثم أتياها ثانية ، فأبت واشترطت عليهما احدى ثلاث : اما عبادة الصنم ، أو قتل النفس ، أو شرب الخمر ، ولم يتوانا عن اختيار أهون المطاليب وهو شرب الخمر . فسقتهما حتى اذا أخذت الخمر منهما وقعا بالزهرة ! ويريدان الصعود الى السماء بعد أن عرفا وقوعهما في الخطيئة ، فلا يستطيعان ، ويكشف الغطاء بينهما وبين أهل السماء ، فتنظر الملائكة الى ما وقعا فيه من الذنب فيعجبون كل العجب ، ويأخذون بالاستغفار لمن في الأرض من البشر .

ثم طلبت الزهرة منهما تعليمها الكلام الذي يصعدان به الى السماء ، فعلماها وصعدت به الى السماء ، وهناك نسيت ماتنزل به ، فبقيت مكانها ، وجعلها الله ذلك الكوكب الجميل . وأما هاروت وماروت فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا لأنه ينقطع ، فجعلا ببابل يعذبان منكوسين في بئر الى يوم القيامة .[٢]

وفي رواية أخرى تقول الأسطورة أن الزهرة عند صعودها الى السماء مسخت كوكبا ، وقد عرف المسخ في الحكايات العربية ، ونجد المقدسي ينقل أيضا انتقاد ربيع بن أنس في قوله ".. ويظهر من هذه الرواية أن خرافة مسخ الزهرة دخلت في قصة هاروت وماروت على يد المفسرين تحت تأثير دواعي العصر" .[٣]

وما أظن دواعي العصر الا افتتان الناس بالقصص الخيالية ، واستجابة الرواة لهذا الشغف برواياتهم الأساطير العجيبة التي أقبل الجميع على تداولها .

---

(١) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ : ١٤ - ١٥

(٢) الطبري ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ١ : ٣٤٣ - ٣٤٦

(٣) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ : ١٥

وان هذه الأسطورة لدليل على ما كان لدى العرب من أساطير ترتبط بمعتقداتهم القديمة . وقد عرفت الزهرة عند العرب بأسماء أخرى حسب طلوعها بعد غروب الشمس أو قبل شروقها فكانوا يدعون نجمة المساء "عتر" وهي أيضا "استار" أو "عترتنا" .[١]

وروي في أساطير الشعوب القديمة أن الناس يرون عشتاروت ، خليلة تموز الآلهية ، في كوكب الزهرة "فينوس" ، وكان الفلكيون البابليون يتبعون بدقة تحولها من نجمة صبح الى نجمة مساء ، فيستخلصون الآيات وبزوغها وأفولها المتعاقبين .[٢]

ويقول نولدكه أن الشاعر السوري اسحاق الانطاكي الذى كان يعيش في أوائل القرن الخامس الميلادى ذكر احتفاء العرب بعبادتهم العزى أو نجمة الصباح أو الزهرة - فينوس - كما يقال أنهم كانوا يقدمون لها التضحيات ، اذ قدم لها المنذر ملك الحيرة قربانا من الأسرى ، وقيل أنه ذبح ابن حليفه المسيحي الملك الحارس قربانا لها .

ويضيف "سميث" ان عبادة الزهرة - أو نجم الصباح - انتشرت في اليمن ، وكانت تقام في أعيادها الاحتفالات والأفراح البهيجة[٣] ، كما روي أن باليمن واديا يعرف بوادى عشار ، كثير الاخصاب نسبة الى الآلهة "ايشار" أو "عشتروت" .[٤]

وكانت عشتار كايزيس ربة للخصب ، وسميت بالآلهة الأم أيضا ، بل أن السومريين لقبوها "Ama" في النصوص التي تعنى بعبادتها في طقوس محورها الخصب ، ونظيرها عند عرب الجنوب "عشتر" ، وهي الزهرة الكوكب الذي شاعت عبادته في اليمن وحضرموت .[٥]

وفي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد تقريبا اكتشفت بعثة التنقيب الامريكية في شمال اليمن "معبد عشتار" ، وسموها آلة الجمال عند العرب ، وبعد انتهاء رجال هذه البعثة من الحفر وجدوا أن المعبد الكبير قد بني خلال أربع مراحل

---

(١) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٣٥

(٢) جيمس فريزر ، ترجمة جبرا ، أدونيس أو تموز ١٨٧

(٣) شوقي عبد الحكيم ، الفلكلور والأساطير العربية ٣٧

(٤) المصدر السابق ٦٥

(٥) أحمد كمال زكي ، الأساطير ١٢

أقدمها في حوالى القرن السابع أو القرن الثامن قبل الميلاد[١]، وآخرها في القرن الأول قبل الميلاد . وقيل بقوم "عشتر" قوما كبيرا ، فقد وجد في نقوش قليلة في مأرب ، مقرونا في بعضها بالمقه[٢].

وهناك من يعتقد أن "عشتر" هو "الشعرى" لا الزهرة ، لأنه أسطع نجوم السماء في الليل[٣]. وفي الآية الكريمة "وأنه هو رب الشعرى"[٤] اشارة الى عبادة الكواكب ، وعد هذا النجم معبودا جاهليا ، فيقول الطبرى في تفسير الآية "هو ذلك النجم الوقاد الذى يتبع الجوزاء ، عبده قوم من العرب في الجاهلية ، فلذلك قيل لهم : أتعبدون الشعرى وتتركون ربها"[٥].

وقد جاء ذكرها في الشعر مع الشمس والقمر ، كقول النمر بن تولب يوم وفد على الرسول (صلعم) :

ياقوم اني رجل عندي خبر اللـه من آياته هذا القمـر
والشمس والشعرى وآيات أخـر[٦]

وهذا الشنفرى يذكرها مع الاشارة الى صفة من صفاتها عرفها العرب قديما ، وهي طلوعها في شدة الحر ، فقال في لاميته المشهورة :

ويوم من الشعرى يذوب لوابـه أفاعيه من رمضائه تتململ [٧]

كما ذكرها بشر بن ابي الخازم في قولـه :

جادت له الدلو والشعرى ونوءهما بكل أسحم داني الودق مرتجف [٨]

---

(١) فيلبس ، كنوز مدينة بلقيس ٢٠٥
(٢) زيد بن عنان ، تاريخ حضارة اليمن القديم ٥٩
(٣) نصرت عبد الرحمن ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ١٠٩
(٤) سورة النجم ، الآية ٤٩
(٥) الطبرى ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ٢٧ : ٤١
(٦) شعر النمر بن تولب ٦٩
(٧) الشنفرى ، الديوان ٦٥
(٨) بشر بن ابي الخازم ، الديوان ١٥٧ — النوء : النجم اذا طال للمغيب .

والعرب تطلق اسم "الشعريين" على "الشعرى العبور" التي في الجوزاء ، و "الشعرى الغميصاء" التي في الذراع [1]. واطلق على الأولى "اليمانية" وعلى الثانية "الشامية" في أسطورة لطيفة آثرت ادراجها في الأساطير الطبيعية لعدم تعلقها بالعبادة .

وقيل أن بعض قبائل لخم وخزاعة وحمير وقريش عبدوا (الشعرى العبور) . وسميت كذلك لأنها تعبر السماء عرضا [2].

وقد ورد ذكر (الشعرى العبور) في شعر الأخطل في مقدمة قصيدته اللامية :

وقد غابت الشعرى العبور وقاربت لتنزل والشعرى بطيء نزولها [3]

وهناك اعتقاد بأن العرب لم يعبدوا الأجرام السماوية لذاتها ، بل لاعتقادهم أنها تمثل ملوكهم وأجدادهم ، فربطوا بين تسمية بعض الملوك ، وبين عبادة تلك الأجرام السماوية ، والدليل على ذلك ورود اسم "رب الشمس نمران" في الكتابات العربية الجنوبية ، وكان من ملوك سبأ وذي ريدان ، فاما أن يكون هذا الملك هو "الاله الشمس" مع وضوح الأثر اليهودي في هذه التسمية ، واما أن يكون هو "رب الشمس" أي أنه الاله والشمس خاضعة له ، فهو كذلك أعلى مكانة منها [4].

ولا أرجح هذا الاعتقاد القائل بعبادة اليمانيين الكواكب لأنها تمثل ملوكهم وأجدادهم ، ولكن يلاحظ انتفاع القوم بهذه الكواكب . فقد رأوا الشمس تنير العالم وتخترق أشعتها الأستار والحجب وتحيطهم بالدفء ، وتنشر الحياة من حولهم ، ومثل ذلك يمكن قوله في عبادة القمر الذي ينير ظلام ليلهم الدامس ، ويرسل أشعته لتنير لهم الطريق ، فيرحل السارون مستنيرين بنوره وهديه . ان عبادة الكواكب مرتبطة ارتباطا وثيقا بحياة القوم ومظاهرها ، كما لمسنا ذلك في تاريخ عبادات الشعوب القديمة .

عبادة الأشجار :

لقد روى ابن اسحاق أن "أهل نجران" كانوا يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة ، اذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ٦ : ٨٤
(٢) الزبيـــدي ، تاج العروس (مادة شعر)
(٣) شعر الأخطل ٢٤١
(٤) مصطفى الجوزو ، مجلة "الفكر العربي" ـ العدد ٢٢ أيلول ١٩٨١ ص ٢٣١

ثم خرجوا اليها ، فعكفوا عليها يوما [١] .

ولم تقتصر عبادة الأشجار على أهل نجران وسكان الجنوب ، اذ تذكر المصادر عبادة العرب شجرة عظيمة يقال لها ذات أنواط ، يأتيها الناس كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ، وكانت قريبة من مكة [٢] .

ولم يكن العرب بدعا في هذه العبادة ، فقد سبقهم اليها الكنعانيون وعدد من الشعوب ، فكانت النخلة شجرة الميلاد المقدسة عند أغلب الشعوب السامية مثل نخلة نجران عند عرب الجنوب ، ونخلة تدمر أو تمر عند القحطانيين [٣] . وكانت النخلة هي الشجرة المقدسة عند الكاهنة دبورة ، أقدم شاعرة عبرية [٤] .

وتصف أسطورة عربية أن العرب عندما عبدوا العزى كانت شيطانة تسكن ثلاث سمرات (السمر نوع من الأشجار) [٥] ، وقد خرجت على خالد بن الوليد حين قطع أشجارها ، على هيئة امرأة حبشية شمطاء ، نافشة شعرها ، ولعل في هذه الأسطورة دليلا على عبادة العرب للأشجار [٦] .

وتستحضر الى الأذهان - هنا - اسطورة الشاعر اللاتيني أوفيد (٤٣ ق٠م - ١٧ ب٠م) الذي يروى أن مرها (Myrrhe) الجميلة ومعناها (شجرة المرالكاوي) أو سمرنا عشقت أباها ، وأغوته ، وحملت منه دون أن تتيح له تعرف شخصيتها ، وعندما اكتشف الأب الحقيقة المروعة راح يطارد ابنته في الغابة ، لكن افروديت حولت البنت الى شجرة ، وعندما أدركها الأب صعد الدم الى رأسه ، وضرب الشجرة بالسيف فشطرها شطرين ، فولد من الشق ادونيس الجميل .

ولنلحظ أن الاسم الثاني لمرها هو سمرنا ، وهو قريب من اسم شجرة السمرة ، كما أن أسطورة أوفيد تجعل مولد ادونيس في أرض سبأ . ويلاحظ التشابه الواضح بين

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ٢٢

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ : ٢٧٣

(٣) لم يرد ذكر لهذه النخلة في المصادر القديمة .

(٤) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ٨٧

(٥) يختلف الرواة في وصف شجرة السمرة ، وقيل هي شوكية ضخمة

(٦) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ١٨

الأسطورتين ، في التسمية وفي الصفات المعزوة الى الآلهة ، وفي موطن ولادة الطفل الأسطورى "أدونيس" . ان كل ذلك يؤيد الظن بالقرابة الشديدة بين الأسطورتين وبأنهما كانا من مصدر قديم واحد ، ولعله من هنا ربط بعضهم العزى بفينوس أو بأفروديت[١].

ولايمكننا تجاهل هذا التشابه الواضح بين الأساطير العربية وأساطير الشعوب الأخرى ، وان من ينظر الى أساطير الشعوب متتبعا احدى الآلهة يلاحظ التسلسل والتعاقب فيها ، وكأن اللاحق يضيف الى مارواه السابق متأثرا به .

ولابأس من الاستطراد المفيد هنا لايضاح هذا الأمر حول الأسطورة القديمة لتتجلى لنا المقارنة . يظهر الاله الشرقي (أدونيس) أو (تموز) في الأساطير الاغريقية في شكل شاب جميل أولعت به افروديتي حبا ، ولما كان طفلا خبأته الآلهة في صندوق ، ووضعته في عهدة "برسيفوني" الهة العالم السفلي ، بيد أن برسيفوني عندما فتحت الصندوق ورأت جمال الطفل ، رفضت أن تعيده الى افروديتي ، مع أن الهة الحب نزلت بنفسها الى الجحيم لتفدي حبيبها من سلطان القبر . ولم يحسم النزاع بين الهة الحب والهة الموت الا "زفس" اذ حكم بأن يبقي أدونيس مع برسيفوني تحت الأرض شطرا من السنة ، ومع افروديتي في العالم العلوى شطرا آخر ، وان قرار "زفس" الحاكم هذا ما هو الا شكل آخر عبر به الاغريق عن احتجاب أدونيس ودعوته الى الظهور مرة ثانية .

وينظر الى تموز في أساطير بابل كزوج أو محب شاب لعشتاروت الالهة الأم الكبرى التي كانت تتجسم فيها قوى التناسل في الطبيعة ، والعلاقة بينهما غامضة ، ولكن الناس يعتقدون أن تموز يموت كل سنة متنقلا من أرض المسرات الى العالم المظلم تحت الأرض ، وان قرينته الالهية ترحل كل سنة في البحث عنه الى البلاد التي لاعودة منها ، الى دار الظلام ، وف أثناء غيبتها تنقطع عاطفة الحب عن الشبوب في الصدور ، فينسى الانسان والحيوان على السواء تكثير جنسه ، ويهدد الفناء الحياة بأجمعها[٢].

ولا أظن كل هذه الأساطير الا تعليل لظواهر الطبيعة التي تنتاب الكون والحياة أثناء فصول السنة وحلولها في تعاقب مستمر ، اذ لابد لديهم من التعليل الأسطورى لتلك الظواهر التي تثير في نفوسهم تساؤلا وحيرة حول سر التغيير الذى يشمل الكون والأحياء على بسيطته .

---

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٢٣٨

(٢) جيمس فريزر ، أدونيس أو تموز ٢٠ - ٢٢

ويعزو بعض الباحثين عبادة الأشجار الخضر الوارفات الظلال الى مايراه الجاهلي من خضرتها الدائمة ، على الرغم من الجفاف القاتل الذى ينشر الخراب من حولها ، ومايراه من ضخامتها وقوتها ونفعها ، فيعتقد أن كائنات غير طبيعية تسكنها وتمنحها من روحها القوة والصلابة (١) .

وترى بعض الأمم البدائية أن الانسان الأول خرج من بطن الأشجار والأحجار ، كما نجد في أساطير قبائل افريقيا واستراليا ومدغشقر وبورنيو وفي أساطير الساميين أيضا (٢) . ولعبادة الأشجار بين السريان الوثنيين مكانة عظيمة ، كما أنها كانت عامة في بلاد اليونان الذين تحدثت أساطيرهم عن تحول الآلهة الى أشجار ، أو عن نمو الشجر في دماء الآلهة (٣) .

عمرو بن لحى والأصنام :

لم أفرد للأصنام دراسة خاصة أولا لارتباط عبادتها الأولى بشخصية عمرو بن لحى الخزاعي - التي تذكر المصادر العربية أنه ان أو من أدخل عبادتها الى بلاد العرب - ومعرفة الأسطورة المصاحبة لهذه الشخصية تغنينا في الموضوع ذاته ، وثانيا لتكرار حكاية عبادة هذه القبيلة أو تلك لبعض الأصنام وتمثيلهم اياها في صورة انسان ، ولايتعدى الأمر ذلك مما سنعرض له أثناء دراسة أسطورة عمرو بن لحى وادخاله الأصنام الى بلاد العرب ، والتفصيل حولها .

وقد عرفت العرب الوثنية قبل وجود عمرو بن لحى ، اذ ذكر ابن الكلبي أخذ العرب الحجارة المقدسة من الحرم في سفرهم وترحالهم تيمنا وتبركا ، وقد تمر السنون فترقى تلك الحجارة الى مرحلة التقديس والعبادة ، كما كان عند غيرهم من الأمم . ولكن المصادر العربية تربط دخول الأصنام الى الجزيرة العربية بعمرو بن لحى ، وتذكر في ذلك الأساطير المختلفة حول تعرفه على تلك الأصنام ثم احضارها معه الى مكة .. وقبل التعرف على تلك الأساطير ، ينبغي التعرف على شخصية عمرو بن لحى، فمن هو ؟ ومتى عـــاش ؟

---

(١) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ١٨

(٢) عبد المعيد خان ، الأساطير العربية والخرافات ٤٣

(٣) Religion of the Semites 186 - 191

(٤) ابن الكلبي ، الأصنـــام ٦

هو عمرو بن لحى بن حارثة بن عمرو ، أي أنه حفيد قبيلة خزاعة التي هاجرت الى شمالي الجزيرة العربية ، فسكنت تهامة ، ثم نشب نزاع بين عمرو بن لحى وجرهم ، وأجلاهم عن الكعبة ، ونفاهم من مكة ، وتولى حجابة البيت بعدهم .(١)

أما تحديد الزمن الذي عاش فيه ، فيمكن التخمين لأن بعض الروايات تنص بأنه كان في عهد لايبعد كثيرا عن عهد ابراهيم واسماعيل ، لأنه قاتل جرهما ونفاهم ، وجرهم هم الذين نزلوا على أم اسماعيل بمكة ، وقد ترعرع اسماعيل فيهم (٢). ولكن الشهرستاني يؤكد بأن عمرو بن لحى كان في زمن سابور ذى الأكتاف ملك الفرس (٣)، أي في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد ، ولعل هذا أقرب الى التصديق من الروايات الأخرى التي لاتثبت عند التمحيص وتتعارض مع العديد من الشواهد التاريخية ، كما أن الناس تداولوا أخبار عمرو بن لحى ، وقد جاء ذكره في حديث للرسول (صلعم) على أنه أول من غير ديانة ابراهيم عليه السلام (٤).

وتعددت الأساطير حول جلبه الأصنام لعبادتها في مكة ، فتقول الرواية الأولى أن عمرا مرض مرضا شديدا "فقيل له ان بالبلقاء من الشام حمة ان أتيتها برأت ، فأتاها واستحم بها ، فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام وسألهم عنها ، فقالوا : نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا ، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (٥)" وتكرر المصادر العربية الرواية نفسها مع اختلاف طفيف في عدد الأصنام أو تسميتها ، أو البلاد التي أحضرها منها ، اذ ينص بعض المصادر أنه جاء بالصنم "هبل" من "هيت" من أرض الجزيرة العربية ، وهي بلدة تاريخية تقع على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار .(٦)

ولاتهمنا تلك الاختلافات في أمر بقدر مايهمنا اطلاع عمرو بن لحى على ذاك النوع من عبادة الأصنام وادخالها لأول مرة الى مكة ، كما تعرفنا تلك الرواية على وجود الوثنية في تلك البقاع في القرن الميلادي (الثالث) ، واستخدامهم للأصنام

---

(١) ابن الكلبي ، الأصنام ٨
(٢) الأزرقي ، أخبار مكة ١ : ٢١
(٣) الشهرستاني ، الملل والنحل ٢ : ٢٢٣
(٤) صحيح البخاري ٦ : ٦٩
(٥) ابن الكلبي ، الأصنام ٨
(٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ : ٩٩٧

لتحقيق المنافع الشخصية من استسقاء للمطر أو استنصار على العدو ، ففي تحقيق تلك المآرب تعليل لاقبال عمرو على ادخالها الى البلاد .

أما الأسطورة الثانية لعمرو بن لحى وادخاله الأصنام الى مكة ، فتتلخص في أن ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا كانوا قوما صالحين ، ماتوا في شهر واحد ، فجزع عليهم أقاربهم جزعا شديدا ، فقال لهم رجل من بني قابيل : ياقوم هل أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ؟ غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ! فوافقوه على ذلك ونحت لهم خمسة أصنام على صورهم ، ونصبها لهم ، فكان الرجل من أقربائهم يأتي الى الصنم فيعظمه ، ويسعى حوله حتى انقضى القرن الأول .

ثم جاء القرن الثاني فاشتد معه تعظيمهم لهم ، وتلاه القرن الثالث فارتبط التعظيم برجاء الشفاعة عند الله ، فعبدوهم ، وعظم أمرهم ، واشتد كفرهم .

ثم بعث الله اليهم ادريس نبيا ، ودعاهم الى عبادة الله فكذبوه ، فرفعه الله اليه . ثم بعث الله اليهم نوحا ، فعصوه وكذبوه ، فأمره الله أن يصنع الفلك ففرغ منها وركبها ، فعلا الطوفان وطبق الأرض كلها ! وأهبط هذه الأصنام من جبل "نوذ" - وقيل هو الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ، وهو أخصب جبل في الأرض -[1] وأخذ الماء يشتد جريه وعبابه من أرض الى أرض حتى قذف الأصنام الى أرض "جدة" ، ثم نضب الماء وبقيت على الشط ، فسفت عليها الريح حتى وارتها !

وتجعل هذه الرواية الأسطورية "عمرو بن لحى الخزاعي" كاهنا يستعين بالقوى الخفية ، اذ أن له رئي من الجن يطلعه على بعض خفايا الأمور فيأتيه هذا الرئي قائلا : "عجل بالمسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة" ، ويستفسر عمرو فيقول له الرئي : أيت ضف "جدة" تجد فيها أصناما معدة ، فأوردها تهامة ولاتهب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجب !

فأتى ضفة جدة فأخرجها ثم حملها الى تهامة ، وأحضرها معه الى الحج ، وهناك دعا العرب الى عبادتها قاطبة .

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ : ٩١٣

وأجابته القبائل كلها ، فأخذ يوزع عليها تلك الأصنام ، وزع الى كلب "ودا" حيث أقر بدومة الجندل ، والى هذيل "سواعا" ، والى مذحج وأهل جرش "يغوث" ، وكان بأكمة في اليمن يقال لها مذحج ، والى همدان "يعوق" ، فكان بقرية لهم يقال لها "خيوان" على ليلتين مما يلي مكة ، والى حمير "نسرا" ، فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع ، ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي فأمر بهدمها [١].

ويمكننا استخلاص أمور عدة من هذه الأسطورة البديعة ، اذ علل الرواة تعليلا جميلا سبب نحت القوم لتلك الأصنام ، فليس أشجى الى النفس من فقدان عزيز لها ، عندما يقهرها الموت بأخذه ، وتجده بين لحظة وأخرى وكأنه لم يكن ، فيشتد بها الحزن ، وتتلمس الأسباب والوسيلة لرؤيته ، للاتصال به ان وجد الى ذلك سبيل .. ولكن لاسبيل الى ذلك ، وتروعها الحقيقة التي لامناص من مواجهتها ، فيشتد الأسى بهذه النفس الانسانية الضعيفة ، ويسلمها اليأس الى قبول مايذكرها بمن فقدت بالأمس ويجد الاقتراح صداه لدى القوم عندما يقترح عليهم ذلك من نحت لهم الأصنام الأولى ، وتكسب تلك الأصنام قداسة لعلها درجة أشد تحول اليها الحب والتعظيم الكبيران ، وربما كانت فيها اشارة الى تقديس الموت لدى القدماء ، وبمرور الزمن تزول الأسباب التي وجدت من أجلها تلك الأصنام ، وتبقى الرموز المقدسة تقام لها الطقوس والشعائر المختلفة حتى يتحول الرمز في مرحلة لاحقة الى آله معبود .

ويحلق الخيال بعيدا في هذه الأسطورة ، اذ يرسل الله أكثر من نبي على عبدة هذه الأصنام ، فلا يهتدى أولئك القوم الى سبيل الرشاد ، ويظلون على عبادتها والاستمرار في غيهم ، حتى يأتي الطوفان بعد ظهور نوح فيهم ، فينقل تلك الأصنام عبر المسافات البعيدة ليستقر بها على شاطئ جدة ، وتدفن في التراب ، لتظل غير مرئية آلافا من السنين ، لايعلم بها أحد ، حتى يأتي ذلك الرئي من الجن ، التابع لعمرو بن لحى ، اذ تشق أمامه الحجب فيراها ويستحث عمرو للذهاب اليها ، واحضارها متكهنا بقبول القوم واستحسانهم لها ، وتسند الخارقة لهذا الرئي ومعرفته بتلك الأصنام .

ونستشف أمرا آخر من هذه الأسطورة لايبعد بها عن النفس اليمني ، فينظر الى القبائل التي أخذ عمرو بن لحى في توزيع تلك الأصنام عليها ، وكلها يمانية - عدا هذيل - شغلت جهات مختلفة في أرجاء الجزيرة العربية ، بل الشخصية الرئيسية في الأسطورة تنتمي الى قبيلة خزاعة اليمنية ، فلا يستبعد أن يكون راويها يمانيا وضع

---

(١) ابن الكلبي ، الأصنام ٥١ - ٥٩

البذور الأولى للأسطورة ، وأتى الرواة من بعده يبنون عليها ويضيفون اليها أمرا هنا أو هناك ، انما تظل النزعة الأسطورية الى التعليل والاغراب بارزة فيها وهذه سمات معروفة لدى الراوي اليمني ، كما سنفصل ذلك في الخصائص الخاصة .

ويجدر بنا الوقوف أمام أصنام نوح التي تدعي الأسطورة عثور عمر بن لحى عليها واحضارها الى قبائل الجزيرة العربية ، وقد ورد ذكر تلك الأصنام في الآية الكريمة "وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا" (١) .

وكان الصنم "ود" معبود قبيلة كلب بدومة الجندل ، وصفه ابن الكلبي بأنه كان على شكل رجل عظيم ، وورد ذكره في قول النابغة الذبياني :

حياك ود ! فانا لايحل لنا   لهو النساء ، وان الدين قد عزما (٢)

كما وجدت في النصوص المعينية والسبئية والثمودية كتابات دينية من مثل "أموت على دين ود" و "يا الهي ود ، احفظ لي ديني وأيده" (٣) . وليس ذلك بالمستبعد اذ كان "ود" أحد أسماء آلهة القمـــر .

أما سواع فقد عبدته همدان ثم صار لهذيل ، وقد قال رجل من العرب :

تراهم حول قيلهم عكوفـــا   كما عكفت هذيل على ســـواع
يظل جنابه برهاط صرعـــى   عتائر من ذخائر كـــل راع (٤)

ودفع عمرو بن لحى بالصنم "يغوث" الى أنعم بن عمر المراوي ، فعبدته مذحج ومن والاها من أهل جرش ، وقد بقي لدى أنعم الى أن قاتلتهم عليه بنو غطيف من مراد فهربوا به الى نجران ، وأقروه عند جماعة من بني الحارث بن كعب . (٥)

---

(١) سورة نوح ، الآية ٢٢
(٢) ابن الكلبي ، الأصنام ١٠
(٣) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١٠٠
(٤) الزبيدى ، تاج العروس (مادة ساع) - عتائر: جمع عتيرة وهي الذبيحة المنذورة من الغنم .
(٥) ابن حبيب ، المحبر ٣١٧

قال الشاعر في ذلك :

وسار بنا يغوث الى مراد　　فناجزناهم قبل الصباح (١)

وقد سمي عدد من الرجال بعبد يغوث ، منهم عبد يغوث الحارثي من مذحج ، وهو الشاعر المعروف بيائيته المشهورة .

ويلفت النظر جرجي زيدان الى وجود صنم في آلهة المصريين على صورة أسد أو لبوءة يسمونها "تغنوث" ، ولايخفى مابين هذه اللفظة ولفظ يغوث من المشاكلة الصورية ، فربما يكون "يغوث" تحريفا لما كان معروفا لدى المصريين أيضا باسم "تغنوث" . (٢)

وروى ابن الكلبي أن خيوان اتخذت "يعوق" ، ورد ذكره في بيت ينسب الى مالك ابن نمط الهمداني حين قال :

يريش الله في الدنيا ويبري　　ولا يبري يعوق ولا يريش (٣)

أما آخر هذه الأصنام "نسر" فقد كان من نصيب حمير في موضع بلخع من أرض سبأ ولم تزل حمير تعبده حتى تهودت أيام ذي نواس ، وقد أورد ياقوت شعرا للأخطل يذكره فيه ، ولاوجود لهذه الأبيات في ديوانه ، حيث قال :

أما ودماء مائرات تخالها　　على قنة العزى وبالنسر عندما (٤)

وقد عرف "نسر" بصيغته الآرامية "نشرا" وعده التلمود وبعض الوثائق السريانية آلها عربيا . (٥)

تلك هي الأصنام التي روى الاخباريون الأساطير حول التعرف الأول عليها وقرنوا ادخالها أو مرة الى الجزيرة العربية بعمرو بن لحى .

ولاتكتفي الروايات بجعل عمرو بن لحى سببا في ادخال الأصنام الى البلاد ، ولكنها تنص أيضا على أنه ابتدع بعض الشعائر الدينية ، فهو أول من بحر البحيرة

---

(١) ابن الكلبي ، الأصنام ١٠
(٢) جرجي زيدان ، أنساب العرب ٤١
(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٦٣
(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٥ : ٢٨٤
(٥) Ency. of Religion and Eth. 1 : 664

وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي (وكلها أنعام كانت تجعل نذورا للأوثان) ، كما قيل أنه أول من غير تلبية ابراهيم التوحيدية [١].

وتروى الروايات أن عمرو بن لحى قد لقي معارضة من القوم في مكة ، فذكرت بعض الأشعار التي تعبر عن ذلك ، اذ نسب الى شحنة بن خلف الجرهمي قوله [٢]:

ياعمرو انك قد أحدثت آلهة	شتى بمكة حول البيت أنصابا
وكان للبيت رب واحد أبدا	فقد جعلت له في الناس أربابا
لتعرفن بأن الله في مهل	سيطغي دونكم للبيت حجابا

ومن الواضح أن هذه الأبيات منحولة في نسبها الى رجل من جرهم ، ولابد أن تكون قد نظمت بعد ذلك بزمن طويل ، ولايستبعد أن تكون من صنيع الرواة المتأخرين .

اساف ونائلة :

تقول الروايات "ان أسافا هو رجل يدعى اساف بن يعلى ، وان نائلة هي بنت زيد من جرهم أيضا" [٣]. وقد كان اساف يتعشق نائلة في بلاد اليمن ، وأقبلا حجاجا الى البيت الحرام ، فدخلا الكعبة ، ووجدا غفلة من الناس ، وخلوة في البيت ، ففجر بها فمسخا حجرين ، ثم أخرجا ليتعظ الناس بهما ، ولما تقادم الزمن عبدا . وقد كان أحدهما بلصق الكعبة والآخر في موضع زمزم ، ثم نقلت قريش الذى بلصق الكعبة الى جوار الآخر ، وكانوا ينحرون عندهما [٤]. كما روي أنهم كانوا يكسونهما كلما بليت الثياب التي عليهما [٥].

وقيل عندما اندرس الأمر ، وتقادم الزمان نسي الناس حديثهما وما كان من سبب مسخهما حجرين ، فأصبح يتمسح بهما كل من وقف على الصفا والمروة ، ولم يلبثا

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ١ : ١٢٦
(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٣٠
(٣) ابن الكلبي ، الأصنام ٩
(٤) المصدر السابق ٢٩
(٥) الأزرقي ، أخبار مكة ١ : ١٧٨

أن أصبحا وثنين يعبدان [١] . وتقول رواية ان الصفا والمروة كانا اسم رجل وامرأة أثما في الكعبة ، فمسخهما الله تعالى حجرين ، فوضعوا كل واحد منهما على الحجر المسمى باسمه لاعتبار الناس . [٢]

ويبدو أن قصتهما كانت تتناقل بين عرب الجاهلية وحتى الاسلام ، وقد نقل عن عائشة قولها "مازلنا نسمع أن أسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، أحدثا في الكعبة ، فمسخهما الله حجرين . [٣]

كما ورد ذكرهما في شعر ينسب الى أبي طالب حين تحالفت قريش على بني هاشم في أمر محمد (طلعم) :

أحضرت عند البيت رهطي ومعشري وأمسكت في أثوابه بالوصائل
وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم بمفضي السيول من اساف ونائل [٤]

وذكر الشاعر بشر بن أبي خازم اسافا في قوله :

عليه الطير مايدنون منه مقامات العوارك من اساف [٥]

وربما برز تساؤل أو تعجب حول قصتي المسخ وعبادة هذين الصنمين اللذين كانا على هيئة رجل وامرأة ، فاتخذها بعض الباحثين دليلا على ميل العزى قديما الى تقديس الانسان . [٦]

ونستبعد مثل هذا الارتباط المباشر لأن الروايات القديمة نفسها قد انتبهت الى مايمكن أن تثيره الرواية الأسطورية من تعجب ، فقيل أن اخراجهما الى الناس كان للعظة والعبرة ، ومع تقادم الزمن أقبل الناس على عبادتهما ، بعد أن درست حكاية مسخهما .

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ١ : ٨٨
(٢) المصدر السابق ١ : ٧٣
(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ٨٣
(٤) ابن الكلبي ، الأصنام ٢٩ / السيرة النبوية ١ : ٢٧٢
(٥) ابن الكلبي ، الأصنام ٢٩ ، وانظر ملحق ديوان بشر بن أبي خازم ١٣٤
(٦) جرجس داود ، أديان العرب قبل الاسلام ٣٤٦

وفي الأسطورة تعليل خيالي لطيف ربما أثاره وجود تمثالين على شكل امرأة ورجل ، فربطوا بينهما بعلاقة غرامية ، وجعلوا البيت الحرام مسرحا لاتمامها ، لتتضح في الأسطورة الغاية الخلقية منها ، فيردع الحجاج في الكعبة عن ارتكاب الفاحشة أو التفكير فيها ، لاسيما أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة أو شبه عراة .(١)

وقد رأى بعض الدارسين في اساف ونائلة صورة للزوجين الالهيين السوريين : بعل وبعلة . وتوسم فيهما بعض المستشرقين صورة أدونيس وافروديت ، لبعض المظاهر والصفات التي عرفا بها في الأساطي التي تروي قصصهما ، ولكن المصادر العربية تقف عند حادث ارتكابهما الفاحشة ، وتحولهما الى تمثالين ، ولاتعرفنا عن حياتهما العاطفية شيئا ، كما أنها لاتصور شيئا من صراع حدث بينهما وبين القوى الطبيعية من حولهما . ولعل ما أوقف الرواة هو نزعة الموعظة التي تتجلى في الأسطورة ، فكأن الرواة لم يحفلوا بشيء عن الشخصيتين الأسطوريتين ، ولم يظفر باهتمامهم شيء من ماضي خلفاه وراءهما . فقد انحصر جل اهتمامهم في حادث المسخ الى حجرين ، ووضع ذينك الحجرين أمامهم ، ثم تحول المثال الذى وجد للموعظة الى نوع من القداسة صاحبتها طقوس معينة لعبادتهما .

وشبيه بتلك الأسطورة ماروى الرواة حول رجل من قريش أعجبته امرأة تطوف عارية بالبيت ، فأراد أن يلمسها ، فلما فعل ذلك لصق بها ، ولم يستطيعا أن يفترقا الا بعد أن دعوا الله مخلصين ألا يعودا الى مثلها .(٢)

ويتجلى الهدف الخلقي وراء رواج مثل هذه القصص والحكايات التي فتن بها الشعراء ، وأقبل عليها الرواة يتداولونها في شغف ، وأقبل الاخباريون على نشرها ورواجها .

ويمكننا الحاق قصص المسخ المختلفة بما ورد سلفا عن اساف ونائلة .

<u>أساطير المسخ</u> :

لقد وجد في عقائد العرب القدماء شغفهم بحكاية مسخ الانسان حجرا أو شجرا أو حيوانا ، وكما قالوا ذلك في اساف ، فهم يروون أيضا حكايات كثيرة مسخ فيها الانسان الى جماد أو حيوان أو نبات لسبب أو لآخر .

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ١ : ١١٤

(٢) المصدر السابق ١ : ١١٥

ورويت أسطورة حول جبلي طيء ، فقيل سار طيء بابله وولده حتى نزل الجبلين فرآهما أرضا لها شأن ، ورأى فيها شيخا عظيما جسيما ، مديد القامة ، على خلق العاديين ، ومعه امرأة على خلقه ، يقال لها سلمى ، وقد اقتسما الجبلين بينهما . فأجا رجل من العماليق يدعى أجا بن عبدالحي ، عشق امرأة من قومه ، فسألهما طيء عن أمرهما ، فقال الشيخ : نحن من بقايا صحاره غنينا بهذين الجبلين عصرا بعد عصر أفنانا كر الليل والنهار . فسأله طيء أن يأذن له بمشاركته في المكان ليكون له موء انسا وخلا . فقال الشيخ (الجبل): ان لي في هذا رأيا فأقم..." (١)

ويتضح من الأسطورة ايمان طيء بأن الشيخ هو الجبل ، ولذلك جبل الشاعر الجاهلي على تصوير الجبل في صورة شيخ أسطوري على خلق العاديين وهيبة مظهرهم حين شبه الجبل بكبير أناس في قوله :

كأن ثبيرا في أفانين ودقه   كبير أناس في نجاد مزمل

وكان للغويين تصور آخر في الأسطورة السابقة ، اذ رأوا أن "أجا" الرجل بمعني فر" (٢) ، فابتكروا أسطورة جديدة منطلقين من التفسير اللغوي الجديد للفظة "أجا" ، مكونين أسطورة جديدة من أجزاء قديمة حول ثلاثة أجبل ، وهي أجا وسلمي والعوجاء . فقالوا: ان أجا اسم رجل أحب سلمى ، وجمعتهما العوجاء ، وكانت لهما حاضنة ، يجتمعان في منزلها حتي نزر بهما أخوة سلمى، فهرب أجا بسلمى وذهبت معهما العوجاء ، فتبعهم زوج سلمى ، فأدركهم وقتلهم . وقيل صلب كل واحد منهم على أحد الأجبل الذي سمي باسمه فيما بعد (٣). فكأنه توحد بالجبل أو مسخ في هيئته التي تسمت باسمه . ويلاحظ أن القتل أو المسخ قد كان جزاء لعلاقة آثمة ربطت بين سلمى المتزوجة وحبيبها المدعو "أجا" ، كما شاركت الحاضنة "العوجاء" في نمو هذه العلاقة الآثمة ، فلم يكن هناك مفر من أن تلقى جزاءها بالقتل أو المسخ على يد الزوج المخدوع الذى انتقم لشرفه ، فنكل بالشخصيات الثلاثة في نهاية مروعة ساوت بين كل منها والجبل الذى تسمى باسمها .

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ : ١٢٧

(٢) ابن منظور ، لسان العرب . مادة " أجا "

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ : ١٤٣ وابن كثير ، البداية والنهاية ٢ : ٩١

ويلاحظ الجانب الأخلاقي في هذه الأسطورة التي ترى في علاقة المرأة المتزوجة "سلمى" بحبيبها "أجا" علاقة آثمة لابد أن تلقى جزاءها ، وتنتهي نهاية وخيمة فتنتصر فيها القيم الاخلاقية على كل شعور آثم ، أو حتى ماكان له صلة بذلك ، كما لاحظنا في تلقي الحاضنة المصير الذى تلقاه العاشقان لاشتراكها في هذه العلاقة الآثمة بتشجيعها واتاحة الفرصة لنوها بينهما .

وأولع الرواة بأخبار الجبال ورأوا في شموخها وعليائها شخصيات أسطورية بائدة ، حاولوا أن يقرنوا بينها وبين تلك الجبال من حولهم . فقيل في جبل "ابي قبيس" أنه أضيف الى رجل من مذحج كان يتعبد فيه ، اسمه أو قبيس ، ومعنى "أبوقبيس" : "شيخ الجهل"[1]، ولم يتوقف الرواة عند هذا الحد حول هذا الجبل ، بل نسجوا أسطورة لطيفة رويت على لسان الحارث بن مضاض ابن عبد المسيح .

وخلاصتها أن هذا الجبل سمي باسم ابي قبيس بن سامخ ، وهو رجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاض وبين ابنة عمه "مية" ، فنذرت ألا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها ، فحلف ليقتلن أبا قبيس عند رؤيته له ، فهرب أبو قبيس منه في الجبل الذى تسمى به ، وانقطع خبره[2] . وكأن انقطاع خبره وتسمية الجبل باسمه قد عنى لدى الرواة توحده بهذا الجبل الذي أصبح يمثل اسطورة أبي قبيس ، ويخفى بين جوانحه سر اختفائه بعد أن دس بالنميمة بين عمرو بن مضاض وابنة عمه "مية" .

ويعتقد بعض القبائل أن قبيلة بني صخر من أولاد جبل رملي يقع قريبا من مدائن صالح .[3]

لقد رأى الرواة في الجبال الشامخات صدورا عريضة تضم بين جوانبها أخبارا وحوادث تتعلق بكائنات أسطورية ، طواها الزمان فلا يعرف عنها اليوم شئ ، ولدى الرواة استعداد دائم لخلق هذه الأساطير العجيبة التي تستخرج تلك الشخصيات من ضباب القدم ، وتصوغها في قالب أسطوري جميل ، يجد صداه لدى السامعين الذين يفتنون بالاستماع الى الأساطير وتداول روايتها .

---

(١) المقريزى ، الطرفة الغريبة في أخبار وادى حضرموت العجيبة ١٨
(٢) وهب بن منبه ، التيجان ١٨٠ - ١٩٧
(٣) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٥٩

ولعل الانسان - في مرحلة من مراحل تفكيره في الحياة والموت والوجود - حار في تفسير النهاية التي يؤول اليها البشر ، وسمع قصصا حول بطولات وشخصيات ملأت الأسماع يوما بما حققته ، ولكنه بعد ذلك يتلفت حوله فلا يرى لذلك كله وجود ملموس ويرى الجبال من حوله شامخة لاتمسها يد الحدثان ، ولاتنقص منها شيئا ، فهاله هذا الشموخ وهذه العظمة ، ووراءه هذا السكوت المطبق من حولها ، وظل السكون يتردد في نفس الراوي أصداء لما تناهى الى سمعه من روايات وأخبار أسطورية ، ولما عرفه من حكايات حول الانسان في العصور القديمة ، فروايات الأسلاف وأخبارهم لديه سلسلة يرويها السابق للاحق ، وتبقى تلك الروايات والأخبار مجردة لايجد من سبيل الى الدلالة عليها ، أو الاستشهاد بأمر ملموس في أي منها ، وكأني به يستصرخ الطبيعة من حوله لتمده باجابة عن بعض تساؤلاته التي لايجد لها تعليلا أو تأويلا . فأقبل على الكائنات الطبيعية ، أقبل على تلك الجبال يستشف منها اجابة لاستفساره ويتخذها أساسا لرواياته ، فيجعلها دليلا ملموسا على من درست الأيام ذكراه من أبناء البشر . فربط بين تلك الجبال وحكايات الأقوام السالفة في قصص أسطورية لاتخلو من المغزى الديني والمغزى الخلقي . وقد قوى هذا الارتباط معرفة العرب القديمة لقضية المسخ وايمانهم بها .

وكانوا يخاطبون الجبل كما يخاطب الرجل أخاه ، فنسب الى المشركين اذا أرادوا الافاضة قولهم "اشرق ياثبير كيما نغير" وكانت الشمس تشرق من ناحية جبل ثبير .(١)

وللرواة أساطير عجيبة في مسخ الانسان الى حيوان ، ويظهر تواتر الاعتقاد بالمسخ ما قيل عن امتناع العزى عن أكل الضب لأنه كان يظنه شخصا اسرائيليا ثم مسخ .(٢) كما روى الدميري عن مسلم عن ابي سعيد وجابر حديثهما عن امتناع الرسول (صلعم) عن أكل الضب قائلا: "....لا أدري لعله من القرون التي مسخت" ويعقب الدميري أن ذلك كان قبل أن يوحى اليه (صلعم) .

ولايقتصر اعتقادهم على المسخ بل نسبوا الى قوم القدرة العجيبة في الرجوع ثانية الى هيئة الانسان ، كما ورد في قول المقريزي "أن بوادي حضرموت .. بالقرب منه على مسيرة يومين الى نجد - قوم يقال لهم "الصيعر" يسكنون القفر في أودية ،

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان :

(٢) الأزرقي ، أخبار مكة ٦٩

وفرقة منهم تنقلب ذئابا ضارية أيام القحط ، واذا أراد أن يخرج أحدهم من مسلاخ الذئب الى هيئة الانسان وصورته تمرغ بالأرض واذا به يرجع بشرا سويا . (١)

واذا تأملنا المسخ في هذه الأسطورة نجده اختياريا ، بل هو قدرة عجيبة على الخروج من جنس الانسان الى عالم الحيوان ، ونلاحظ ارتباط هذه القدرة على التحول الى ذئاب بأيام القحط ، عندما تقل الغلات فلا تكفي القوم ولاتقوم بسد حاجتهم الغذائية فكأنهم يحتاجون في تلك الحقبة القاسية في حياتهم الى استخدام ضراوة الذئاب في الحصول على ما يسد أودهم ويحفظ رمقهم . ونسبوا الى الانسان القدرة في التخلص من مسلاخ الذئب الى هيئة الانسان ، فحالة الكينونة ذئابا أمر اقتضته ظروفهم المعاشية للخروج من حالة القحط ، اذ يستطيع الذئب ما لايستطيعه الانسان من انقضاض على فريسته والبحث عنها في الحيوان من حوله ، بينما يبقى الانسان مكتوف الايدى أمام مايهدد حياته أيام القحط والمحل .. فوجدت الأسطورة مخرجا لحل أزمتهم المعاشية تلك بالقدرة على التحول الى ذئاب .

ومن أساطير المسخ أن في وادي حضرموت قبائل منها البراوجة ، والجلاهية والنباشنة وآل ابي مالك وآل مسلم وآل ابن الربيع وآل ابي الحشرج . وجميع هذه القبائل لها أحوال عجيبة ، منها أن الرجل منهم يمر في الهواء ليلا من حضرموت وقد انقلب في هيئة طائر كالرخمة والحدأة حتى يبلغ أرض الهند . (٢)

فتنسب الأسطورة الى عدد من القبائل تلك القدرة العجيبة على التحول الى طائر .. يطير بالفرد منهم حتى يصل به أرض الهند ، وربما كانت هذه الأسطورة ممهدا للرواة الذين يدعون القدرة على الطيران ، والوصول الى أرض الهند العجيبة ، فتأتي مرحلة تالية يتلون فيها ماشاهدوه من المناظر العجيبة والحوادث الغريبة أثناء تجوالهم ليلا وقدرتهم على الرحيل في شكل طائر من حضرموت الى الهند .

ويلفت نظرنا في الياذة هوميروس الحديث عن هيلين ثمرة الحب السافر ، ابنة زيوس زير النساء ، من ليدا الفاتنة التي حولها حبيبها كبير الآلهة السيد أرباب الألبب ، الى بجعة بيضاء تتهاوى في مرايا المستنقعات والغدران ليسهل عليه لقاؤها دون رقيب . (٣)

---

(١) المقريزى ، الطرفة الغريبة ، أخبار وادي حضرموت العجيبة ١٩
(٢) المصدر السابق ٢٠
(٣) هوميروس ، الالياذة ـ ترجمة دريني خشبة ٢٨

فالأسطورة اليونانية أيضا نسبت القوى الخارقة الى أبطالها من الآلهة ، والقدرة على مسخهم حيوانات أحيانا بحسب ماتقتضيه الضرورة .

كما قيل ان بخت نصر مسخ أسدا ، فكان ملك السباع ، وذلك ايغالا في تصوير القوة والسطوة .(١)

ومثل ذلك ماحدث في الأساطير الاغريقية لباخوس اله الخمر ، الذى أجر سفينة من قرصان "تيريينا" لتنقله من مكان الى آخر ، ولكنهم بدل أن يحملوه الى غايته اتجهوا به الى آسيا ليبيعوه رقيقا ، فصار باخوس أسدا ، وحول الشراع والمجاديف ثعابين ، وأنبت اللبلاب حول السفينة ، وانطلقت الأصوات من كل جانب ، وجن الملاحون جميعا ، ووثبوا الى البحر ، وفيه مسخوا دلافين ، فتبين الأسطورة عقيدة الناس فيما تستطيع الآلهة أن تفعله اذا أراد أحد بها سوءا .(٢)

وقد ارتبط في التراث العربي العصيان الديني أو الخلقي بالمسخ قردة ، فربطوا قديما بين القدر الذي وحدوه بقدرة الله الخالق ، وقالوا: "انه في آخر الزمان ، تأتي المرأة فتجد زوجها قد مسخ قردا ، لأنه لايوءمن بالقدر" . كما رددوا الكثير من الحكايات عن اناس خلطوا اللبن بالماء فمسخوا قردة .(٣)

ولهذه الأسطورة ظل يعيش حتى اليوم في اليمن ، حيث يسود في أوساط الشعب اعتقاد بمسخ الانسان قردا اذا عاث فسادا في الطعام ، أو اذا دأب على الغش والخداع في توزيع طعام أو غذاء .

وكثرت رواية الأساطير المتعلقة بمسخ الانسان حيوانا وأحجارا ، واختلف الناس في مسألة المسخ ، فمنهم من زعم أن المسخ لايتناسل ولايبقى ، ومنهم من زعم أنه يبقى ويتناسل حتى جعل الضب والأرانب والكلاب من أولاد تلك الأمم التي مسخت في هذه الصور .(٤)

---

(١) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٥٩

(٢) الطاهر مكي ، القصة القصيرة ١٠

(٣) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٢ : ١٨٠ - ١٨٣

(٤) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ٢٣

ومن الطريف ارتباط اليمن بالقردة والنسانيس ، بل حدد المسعودي بلاد النسناس ، ونص على أنها في بلاد حضرموت من أرض الشحر ، وروى حكاية اصطاد فيها أحدهم نسناسا ، ونسب اليه حديثا ، بل أبيات شعر .(١)

كما رووا عن الاصطخري رواية تنبئ عن كثرة القرود والنسانيس باليمن ، ونسج الحكايات حولها .(٢) وربما هذا ما دعا عبد المعيد خان الى الربط بين تصورهم لشكل شق وسطيح وبين القردة وبقية أفكارهم عن السعلاة .(٣)

ولاشك أن هذه الحكايات والأساطير حول القردة تعبر عن بقايا الاعتقاد بالمسخ الى حيوان ، وربما قوى هذا الشعور لديهم قدرة القرد العجيبة على الحركة كالانسان فاطلق الرواة لخيالهم العنان في تكوين أمة من القرود ، لها همومها وقصصها الكثيرة ورواياتها التي تعبر بها شعرا أحيانا ، كما نقل المسعودي .

أما وهب فقد شطح به الخيال بعيدا في تصوره ، ففي حديثه عن رحلة أحد الفراعنة الى بلاد الجنوب ، فرأى بها أقواما خلقتهم كخلقة القرود ، ولهم أجنحة يلتفون فيها . وكعادة وهب ، لايقف به الخيال فيستمر في حديثه عن الفرعون بأن غزا أقواما عند البحر المظلم فرأى واديا مظلما ، فكانوا يسمعون فيه صياحا عظيما ، ولايرون فيه أشخاصا لشدة ظلمته ، ورأى هناك سباعا سودا غريبة الخلقة ، وهي مخزومة الانوف . وسار حتى انتهى الى البحر الأسود فرأى هناك عقارب طيارة ، أهلكت عسكره ، ثم وصل مدينة بها حية عظيمة الخلقة طولها ميل ، وكانت تبتلع النيل العظيم ، فرجع ذلك الفرعون الى مصر .(٤)

فلم يقف الخيال بوهب عند تصور القوم من القردة ، ولكنه أضاف اليهم القدرة على الطيران ، فجعلها قردة ذات أجنحة ، كما أوجد في بلاده حيوانات مختلفة غريبة الخلقة ، ذات أحجام وصفات أسطورية ، فالعقارب تطير أيضا والحية مفرطة في الطول والضخامة ، وما الى ذلك من مبالغات خرافية . وقد حشد وهب حيواناته

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٢٠٨

(٢) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٢ : ٤٨١

(٣) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٢

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ١ : ١٥

الأسطورية للدفاع عن وطنه ضد فرعون الذى جاء بعسكره غازيا لبلاده ، فأوجد في تلك البلاد حشدا من حيواناته العجيبة التي أخافت الفرعون وعسكره ، فانقلب عائدا الى مصر ، فيمكننا أن نلمس في مثل هذه الأسطورة المنطلق الوطني الذى انطلق منه وهب في تكوينها حبا لبلاده ، ودفاعا عنها ضد أي غاز دخيل .

وفي حديث عبيد لمعاوية أخذ يسرد له أخبار أبرهة ذي المنار ، ومعاوية يسأله عما قيل في هذا الملك من شعر ، فنسب عبيد هذه الأبيات الى رجل من حمير تربطه القرابة بذي المنار ، ويدعى المحموم بن مالك بن يزيد ، ويرد فيها ذكر لارض النسناس العجيبة ، حين قال مادحا :

ولقد بلغت من البلاد مبالغـــا	ياذا المنار فما يرام لحاقكـــا
قدت الجنوب فأمعنت في برهـــا	وحملت منها في السفين كذلكـــا
حتى وطى الجمعان حيث تبـــوأت	أولاد حام ثم جئت بلادكـــــا
أوغلت عبدا فاستقر به النــوى	حيث العجيب بغير خلق جالكـــا
فاتاك بالنسناس خلق وجوهــــم	في الصدور منهم قابض لقناتكـــا (١)

ويستمر الشاعر في مدح الملك ، وينتهي بمدح حمير التي علت بعلو كعبه . والنسناس في هذه الأبيات أرض أو بلاد يقطنها قوم ذات صفات أسطورية عجيبة ، نرى وجوههم قد خلقت في صدورهم ، ودانوا جميعا للملك الفاتح .

انها عوالم غريبة حلق فيها الراوي اليمني بعيدا ، فجاءت أساطير جميلة ، تروي قصصا من البطولات الخارقة ، وأوصافا لانماط عجيبة من البشر أو المسخ أو النتاج المشترك كما سنفصل ذلك في الفصل القادم .

النار في اليمن :

لقد ارتبط ذكر النار باليمن لما ورد في روايات الاخباريين حول دخول اليهودية الى اليمن ، اذ رووا أن التبع أسعد أبا كرب رجع الى اليمن ومعه حبران من اليهود ، كانا قد أخلصا له في النصيحة أثناء اقامته في الحجاز ، فأحضرهما معه الى اليمن . ولما وصل اليهما دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه ، أي أن يتبعوا الحبرين ويدينوا باليهودية ، فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمــن .

---

(١) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٢١

ويصف ابن هشام تلك النار قائلا: "وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم شيئا" .

فخرج أهل اليمن بأوثانهم وقرابينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلدين بها حتى قعدوا للنار عند مخرجها ، فخرجت النار اليهم واقبلت نحوهم حتى غشيتهم ، وأوكلت الأوثان وماقربوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حمير . وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما ولم تضرهما ، فوافقت حمير على اعتناق اليهودية .

ويحكي الراوي نفسه رواية أخرى حول الموضوع نفسه.."أن الحبرين ومن خرج من حمير اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا: من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال حمير ليردوها ، فلم يقدروا ، ودنت منهم لتأكلهم ولم يستطيعوا ردها ، فدنا الحبران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة وهي تنكص الى مخرجها الذي خرجت منه ، فرجعت عند ذلك حمير الى دين الحبرين .(1)

ونستخلص من الروايتين التأثر باليهودية وثقافتها والانتصار لها ، وقد كان وهب بن منبه يهوديا ، مطلعا على الثقافة اليهودية واسفارها ، ومثله كعب الأحبار أيضا ، فلعل رواة اليمن أرادوا اثبات القداسة والمعجزة لليهودية عند دخولها اليمن ، ما صاحب تدين القوم بها من أفعال خارقة أثبتت لأهل اليمن أنها الحق الذي يجب اتباعه ، ولا نستغرب مثل تلك الروايات ممن ذكرنا من الرواة وهم على ما كانوا عليه اما يهود اليمن أو متهوديها .

ولكن مايلفت الانتباه هو وجود هذه النار في اليمن ، ولاتدل الروايات على ابتداع الحبرين لوجودها ، فقد عرفها أهل اليمن من قبلهما ، وكأنهم قد اعتادوا التحاكم اليها ، فتجدهم يعتقدون أنها تأكل الظالم ولاتضر المظلوم شيئا ، بدليل ابداء استعدادهم للتخلي عن معتقداتهم الوثنية القديمة اذا أثبتت لهم النار اصابة الحبرين ، مما يدلنا على قدسية تلك النار لديهم ، وانهم يعدونها الحكم الفيصل في أمورهم الدينية والدنيوية ، فما سر هذه النار ؟ ومتى عرفتها اليمن ؟ وهل وصل تقديس القوم لها الى درجة العبادة ، كما كان حال المجوس ؟

---

(1) التيجان ٣٠٧

وفي الواقع قد عرف العرب النار ، وكان لها أثرها في حياتهم الاجتماعية ، ومن نيرانهم نار التحالف ، ونار القرى ، ونار المزدلفة ، ونار الاستسقاء ، ونار الزائر ، ونار العذر ، ونار السلامة ونار الحرب ونار الصيد ونار الأسد ونار السليم ، ونار الغداء ونار الوشم . ولقد كانوا يقولون للرجل: ما نارك ؟ وقد فصل الجاحظ في ايقادهم النار لتلك الحاجات جميعها (١) .

وهذه كلها يستعين بها القوم في حياتهم وفي طقوسهم الاجتماعية . ولاتنبىء بتقديسهم لها . وان كان بعض الباحثين يرون أن العربي كان يرى نارا في الأشجار الخضراء ، وفي بطون الأحجر والجبال ، فليس ببعيد أن يعتبر النار شيئا قدسيا لارتباطها لديه بالمنفعة والاستفادة منها في أموره المختلفة (٢) . مع العلم بعدم وجود ماينص على عبادة العرب للنار ، وان ذكر النويري بعض الطقوس التي تدل على عبادتهم لها ، فهم يحفرون اخدودا مربعا في الأرض ، ولايضرمون فيه النار ، ثم لايدعون طعاما ولاشرابا ولاثوبا ولاعطرا ولاجوهرا الا طرحوه فيها تقربا اليها ، وحرموا القاء النفوس فيها (٣) . ويسمون الرجل القيم بأمر تلك النار "المهول" وقد ذكرته الشعراء ، فقال الكميت :

" كهولة ما أوقد المحلفون لدى الحالفين وما هولوا" (٤)

وقال أوس بن حجر ، وذكر عير قائما فوق نشز :

اذا استقبلته الشمس صد بوجه كما صد عن نار المهول حالف (٥)

واذا عدنا الى النار في اليمن نجد اسطورة تعلل منشأ تلك النار فيها ، اذ قيل "لما قتل قابيل أخاه هابيل ، وهرب من أبيه آدم الى اليمن ، جاءه ابليس وقال له : انما قبل قربان هابيل وأكلته النار لأنه يخدمها ويعبدها فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك ، فبنى بيت نار" (٦) .

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ١٧٢ - ١٧٥
(٢) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٩٨
(٣) النويري ، نهاية الأرب ١ : ١٠٥
(٤) الكميت بن زيد ، الديوان
(٥) الحوت ، الميثولوجيا عند العرب ١١٨ / أوس بن حجر ، الديوان
(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك والأمم ١ : ٨٢

ولعل الرواة بذلك أرادوا اثبات صفة القدم للنار التي كانت موجودة في اليمن ، أي منذ عهد قابيل ، كما نصوا أنها كانت بصنعاء [١]. وقد ورد ذكر النار المقدسة في أكثر من نقش (CIH 353 و CIH 337) كما عد بتروفسكي ذلك مؤشرا على وجود هذه الديانة الوثنية [٢].

ومن الواضح في حكاية النار المقدسة بروز الأثر اليهودي ، فالتحاكم الى النار تقليد معروف عند اليهود ، وقد قام به ايليا النبي الذي كان غاضبا على ايزابيل ملكة اسرائيل وزوجها اللذين قادا شعب اسرائيل الى عبادة البعل . وقد طلب هذا النبي من الملك أن يجمع الشعب الى جبل الكرمل ، وأن يحضر أنبياء البعل. وتقدم محرقة يصلي عليها هو وأنبياء البعل ، ومن تستجاب صلاته وتأتي نار من الهه لتلتهم المحرقة فهو صاحب الحق ، والهه هو الاله المعبود [٣].

وقد استجاب الله صلوات "ايليا النبي" ، وأرسل نارا التهمت محرقته ليظهره على أنبياء البعل ، "الكذبة" [٤].

ونلاحظ الشبه الواضح بين هذه الحادثة وقصة الحبرين وتبع ، وما كان من احتكام أهل اليمن الى النار قبل استجابتهم لتبع وأتباع اليهودية .

ويرى الأب جرجس داود أن الأثر اليهودى الواضح وتأثر العرب بتعظيم النار وتقديسها ربما كان تشبها بالعبرانيين ، اذ "سمع موسى أول نداء الهي من العليقة التي رآها تشتعل ولاتحترق، يقول له: اخلع نعليك من رجليك فان الموضع الذي أنت قائم فيه أرض مقدسة" [٥].

ومما يجدر ذكره أن النار قد قدست لدى الشعوب والأمم القديمة على نحو يتفاوت في درجة القدسية ، فقيل أنه كان في قادس وهي من أقدم المستعمرات الصورية على ساحل اسبانيا الأطلسي ، معبد قديم لهرقل ، ذائع الصيت ، واسع الثراء ،

---

(١) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٩٣

(٢) بتروفسكي ، ملحمة أسعد الكامل ١١٦

(٣) قاموس الكتاب المقدس ١٤٤ / سفر الملوك ١٧ : ٥

(٤) التوارة ، السفر الثالث صموئيل ١٨

(٥) جرجس داود ، أديان العرب قبل الاسلام ١٨٦ / وانظر سفر الخروج ٣:١ - ٦

فقالوا أن الاله مدفون هناك ، ولم يكن في هيكله تمثال أو صورة ، بل كانت هناك نار دائمة اللهيب ، يلقي بالبخور فيها كهنة .[(١)]

وكان الناس في أرض الرافدين يعتقدون أن المرء يستطيع الانتقام من ظالميه وأعدائه بحرق صورهم أو تماثيلهم في النار ، وهو يخاطب اللهب بقوله :

أيها اللهيب اللاظي ، يا ابن السماء المقاتل
يامن أنت أشد اخوتك بطشا
وتحكم في القضايا كالقمر والشمس
احكم في قضيتي ، وانطق بحكمك.... [(٢)]

ومن الجلي هنا أن المرء يلجأ الى النار لما يعرف من قدرتها على التدمير، ولكن للنار ارادتها، وهي لن تحرق الصور - وبالتالي اعداءه - الا اذا شاءت هي . وحين تقرر النار أن تحرق أو لاتحرق الصور ، فانها تصبح حكما بين الرجل وأعدائه ، وهكذا تتخذ قوة النار شكلا محددا ، وتصبح النار حاكما .

أما الادعاء القائل باحتمال وجود تأثير المجوسية على اليمن ، فأمر بعيد الاحتمال على الرغم من وجود الاحتكاك بالفرس ، ولكن لم تورد المصادر شيئا يجزم بذلك أو يصف شبيها لطقوس الفرس ، كما أن النقوش لم تثبت شيئا لدى أهل اليمن مما كان لدى الفرس حيث كان للنار بيوتها ومعابدها وسدنتها .[(٣)]

ولانستبعد وجود النار في اليمن نتيجة لظاهرة طبيعية ، فقد نص المؤرخون على أن مصدر النار قد يكون الغاز الطبيعي الذى يتسرب من الأرض لتشعله البروق . وقد عرفت النيران الطبيعية التي من هذا النوع في الجزيرة العربية منذ آلاف السنين ، ولعل كانت هناك وسائل معينة للاحتفاظ بها .[(٤)]

---

(١) جيمس فريزر ، ادونيس أو تموز ١٠١
(٢) فرانكفورت ، ماقبل الفلسفة ١٥٦
(٣) انظر الألوسي ، بلوغ الأرب ٢ : ٢٣٣
(٤) أحمد كمال زكي ، الأساطير ٩٢

وقد أشار بتروفسكي الى أن لأسطورة النار المقدسة سندا واقعيا ، وذلك
منطقة "أرحب" حيث معبد ريام ، غنية بمخلفات براكين قد خمد أوارها الآن .[1]

وفي هذه المعلومات مايقوى الاعتقاد بأن نار اليمن قد كانت ذات أصل بركا
كما هو معروف عن بعض مناطق في اليمن ، ولم يكن لوجودها ارتباط بعبادة القوم
اليمن ، وليست اسطورتها الا صدى لما كان يردده يهود اليمن ، محاولين بذلك اثب
المعجزات لليهودية .

رئـــام :

لقد ذكر الهمداني أن "رئام بيت ، كان متنسك تنسك عنده . ويحج اليه
رأس جبل "أتوه" من بلد همدان" ثم ذكر نسبة هذا البيت الى شخص يدعى رئام
نهفان بن تبع بن زيد بن عمرو بن حمدان .

وفيه قال علقمة بن ذي جدن :

وذا رئام وبني فارس وأجدع القيل أخا يحمدا [2]

وهذا يتفق مع رواية ابن اسحاق عن رئام بأنه "كان بيتا لهم يعظمو
وينحرون عنده ويكلمون منه اذ كانوا على شركهم..." [3]

وينص أحد الباحثين أن "تالب ريام" في النقوش اسم اله معروف ، ولاشك
الهمداني قد ألتبس عليه الأمر ـ كما يحدث دوما ـ عندما جعله في الأصل اسما لش
ينتهي نسبه الى همدان [4] . ولكننا نجد بتروفسكي يسميه معبد ثعلبة في ريام [5] ، م
يدل على أن ريام اسم بلدة أو أرض ، ويتفق هذا مع القول بأن "رئام مخلاف م
مخاليف اليمن ، فنقل عن الأصمعي: هي مدينة من مدائن حمير ، تحل فيها أود
واستشهد بقول الافوه الاودي :

انا بنو أود الذي بلوائه منعت رئام وقد غزاها الأجدع [6]

---

(١) بتروفسكي ، ملحمة أسعد الكامل ١١٦
(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٢٨
(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ١٧
(٤) يوسف عبدالله ، مجلة "الحكمة" ، " العدد ٣٨ ـ ص ٤٧
(٥) بتروفسكي ، ملحمة عن أسعد الكامل ١١٥
(٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ : ١١٠

ويوجد اليوم مكان أثري بهذا الاسم في الجهة الجنوبية من مدينة رداع ،
وفيه آثار حميرية .[1]

كما انتقد جواد علي خلط الهمداني وعدم تمكنه من ترجمة النصوص ترجمة
صحيحة عندما جعل (تالبا) ، وهو اسم اله من آلهة اليمن ومعبود قبيلة همدان – اسم
رجل من رجال الأسرة المالكة لهمدان ، وجعل (رياط) – وهو اسم مكان به معبد معروف
للاله (تالب) – ابنا من أبنا (نهنان) ، ومن أبناء (تالب) .[2]

ويصف الهمداني قصر رئام العظيم الذي كان الحجيج يفدون اليه ، وفيه قلعة
أمام بابها حائط فيه بلاطة نقشت فيها صورة الشمس والهلال ، وكان اذا خرج الملك
رفع بصره اليها ، ثم خر بذقنه عليها[3] . وكعادة الهمداني يسوق الشواهد الواقعية
لاثبات مايرويه من أخبار اليمن وأساطيرها ، فجعل حال الملك في قصر رئام تفسيرا
لقوله تعالى "ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا" .[4]

وقد روى ابن اسحاق حديث الحبرين لتبع عندما أرادا القضاء على كل مظهر
ديني تمهيدا لنشر اليهودية ، فأخبراه أن في البيت المقدس رئام شيطان يملؤون له
حياضا من دماء القربان . فيخرج فيصيب منها ويكلمهم . فوافقهما تبع على ضرورة
استخراجه والقضاء عليه ، فاستخرجا – فيما يزعم أهل اليمن – كلبا أسود ، فذبحاه
ثم هدما ذلك البيت ، وظلت بقاياه بها آثار الدماء التي كانت تهدمت عليه مما
يقدم اليه من قرابين ، حتى زمن ابن اسحاق .[5]

وقيل بل أخذ الحبران يتلوان التوراة عنده ، فتخاذل ذلك الشيطان ، وطار
حتى وقع في البحر .[6]

ولاشك في وضوح البصمات اليهودية على هذه الأساطير التي عمل الرواة على
رواجها انتصارا لليهودية ، ومحاولة لاثبات قدرتها على المعجزات ، وذلك بوساطة
نسبتهم الى الحبرين بعض خوارق الأفعال كما أسلفنا .

---

(١) القاضي السياغي ، معالم الآثار اليمنية ٦٠
(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١ : ١٠١
(٣) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٦٦
(٤) سورة الاسرى ، الآية ١٠٩
(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ١٧
(٦) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٦٦

ويلفت الانتباه نقشهم لصورة الشمس والهلال ، ولعل في ذلك ارتباط بعبادتهم الكواكب ، اذ ربما كان رئام معبدا لتأدية هذه الشعائر نحو الكواكب ، ولكن درج اليمانيون على تمجيد مآثر اسلافهم من القصور والمآثر العمرانية ، لأنهم يجدون في ترديد ذكراها وفي تعظيمها مايدل دلالة ملموسة على حضارتهم القديمة ، فكأنهم قد اتخذوا منها شاهدا ودليلا على ما كان عليه قدماءهم من تقدم وحضارة وفن معمار ، لذا أكثروا من التغني بعظمتها وفخامتها ، وحاولوا اكسابها هالة من القداسة ، وجهت أنظار الباحثين المحدثين الى امكانية تعدد الآلهة لديهم ، وأن يكون ذلك المعبد لاله يعبد باسم رئام . وقد سبقهم القدماء الى هذا الاعتقاد ، فهذا اليعقوبي قد ذكر أن للازد صنما يقال له رئام .(١)

ومما يقوي هذا الرأي أن ينص باحث - جعل اعتماده الأول على النقوش - أن هذا المعبد في ريام لم يكن معروفا كثيرا خلافا للمعبد المأربي (المخا) الذي كان مرتبطا بوثنية اليمن .(٢) فلماذا فتن الرواة بمعبد ريام ونسجوا حوله الأساطير ، وحاولوا لفت الانظار اليه ، لاشك أنه الترويج للمعجزات المقترنة بالديانة اليهودية ، ثم هذا الولوع العجيب بذكر القصور والمعابد واظهار عظمتها ومحاولة نسج الأساطير من حولها .

<u>أسطورة التنيـــن :</u>

وكما ارتبط دخول اليهودية الى اليمن بالأساطير والحكايات ، فقد صاحبت النصرانية أيضا بعض الأساطير والقصص الخيالية التي حاول فيها الرواة اثبات ما للنصرانية من معجزات ، كما لمسنا منهم ذلك في الحكايات المرتبطة بدخول اليهودية ونشرهـا .

فنسجوا الأساطير حول ابتداء دخول النصرانية الى اليمن ونشرها ، وردد الرواة وأهل الأخبار أن عبدالله بن الثامر كان رأسا للنصارى في نجران وسعى الى نشر النصرانية في القوم.(٣) ولم يقف الأمر عند هذا الحد ولكنهم أيضا ردّدوا أن ابن الثامر كان يشفي العليل السقيم(٤) ، وهي من صفات المسيح عيسى بن مريم .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٢٥

(٢) بتروفسكي ، ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل ١١٦

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٢ : ١١٩

(٤) تاريخ اليعقوبي ١ : ١٦١

ويرجع أهل الأخبار والرواة تلك القدرة وذلك الاطلاع على تعاليم النصرانية لدى ابن الثامر الى شخص أسموه "فيميون" كان يبشر بالنصرانية ويدعو اليها . فروى ابن اسحاق أن عبدالله بن الثامر تتلمذ على يد "فيميون" في نجران ولازمه ، وكان يشفي كل سقيم ، ثم ينصحه باتباع دينه النصرانية . فأقبل أهل نجران ممن به ضر للاستشفاء لديه ، واتبعوه . ورفع شأنه الى ملك نجران ، فاتهمه بافساد أهل نجران عليه ، ومخالفتهم دين قومهم ، وهدده ، "ثم أخذ يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه ، فيقع الى الأرض ليس به بأس" (١)، فتبعه ذلك الملك ، وكان انتشار النصرانية .

وفتن الرواة اليمنيون بفيميون هذا ونسجوا حوله الأساطير ، وأضفوا عليه صفات خاصة يعلو بها على مستوى قدرة البشر ، فوصفه وهب بن منبه - رواية ابن اسحاق - بأنه كان زاهدا عرف بالصلاح والاجتهاد ، وكان بناء يعمل الطين ، وجد أهل نجران يعبدون النخلة ، فأخذ ينصحهم ببطلان مايعبدون ، وسأله القوم أن يدعو ربه بهلاكها ليتبعوه ، فدعا الله عليها ، فأرسل ريحا اجتثتها من أصلها ، فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران ، ودخلوا النصرانية (٢).

أما اغناطيوس فقد جعله تاجرا وثنيا من نجران اسمه حيان ، عاش في أوائل القرن الخامس ، فسافر ذات مرة الى القسطنطينية في تجارة وعاد الى بلاده ، ومر بالحيرة ، فتنصر ، ولما عاد الى نجران أوقف قومه على بطلان الشرك ، وهداهم الى النصرانية (٣).

ويلاحظ في هذه الأساطير تأثرها بروايات النصارى ، وذلك من مثل شفاء عبدالله بن الثامر للسقيم ، ونجاته من الغرق ، وهاتان صفتان من صفات المسيح حيث كان يسير على الماء دون أن يغرق ، ويشفي السقيم .

ويذكر الرواة ملازمة عبدالله بن الثامر لفيميون في رواياتهم على نحو يذكرنا بما ورد في القرآن الكريم من ملازمة موسي للحكيم الذى ظل يسأله عن سر أفعاله ، والأخير يضيق بها ذرعا قائلا: "ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا" (٤). ولايدل ذلك الا على تأثير قصص القرآن في أولئك الرواة .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ٣٥

(٢) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ : ١٨٢

(٣) اغناطيوس ، الشهداء الحميريون ٧

(٤) انظر سورة الكهف ، الآية ٦٦ فما بعدها

ونسب الرواة المعجزات الى فيميون ، ويذكرون من تلك المعجزات أن التنين أقبل عليه وهي يصلي فلم يصبه بأذى .(١)

وتلفت نظرنا أسطورة التنين الذي لم يجرؤ على ايذاء فيميون لتحصنه بقوى خارقة منعت عنه أذى ذلك الوحش المائي الرهيب الذي دخل معظم الأساطير العالمية القديمة ، فاسطورة التنين شائعة في كل مناطق الشرق القديم ، وأجد من النافع تتبع هذه الأسطورة في بعض أساطير الأمم ، لنرى كيف دخلت الى الأساطير اليمنية ، ولنقارن بين وجودها في الأسطورة اليمنية والأساطير العالمية الأخرى لنلحظ ما أضافه الراوي اليمني ، أو ما أحدث في دلالة رمز التنين من تغيير أو تحوير بحسب ما اقتضته ظروف عصره ، أي عصر الرواية لا عصر الأسطورة .

وقد أفرد فراس سواح في كتابه فصلا أسماه سفر التنين لمقارنة أسطورة التنين في الأساطير العالمية القديمة .(٢)

أ - التنين في الأساطير السومرية :

يندفع من باطن الأرض تنين العالم الأسفل "كور" الاله المطلق لعالم الموت والظلام ، في محاولة لمد نفوذه على بقية العوالم ، وارجاع الحياة الى جماد ، والحركة الى سكون والنور الى ظلمات ، ولكن الالهة الشابة تتصدى له وتعيده الى عالمه .

وقد تصدى لكور على التوالي ، وفي مواقع مختلفة ، كل من "انانا" آلهة الحياة والحب والخصب ، و "انكي" آله الماء واهب الحياة ، و "ننورتا" ابن انليل آله الهواء والحركة .

وبطل التنين في الأسطورة السومرية هو اله "انانا" اله الخصب والحب ، واله الحرب والدمار أيضا . تتصدى للاله "كور" فتتغلب عليه ، فتحمل لقب "قاهرة كور" الذى نعتها به كثير من الروايات السومرية ، جاء في أحد النصوص :

---

(١) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ : ١٨٢
(٢) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٧٠

سأرميه بالحربة الطويلة
وسأوجه ضده كل أسلحتي
وبالغابات المحيطة به سأضرم النار
وفيه سوف أغرس فأسي البرونزي
وكجبل آرارتا ، سأنزع عنه هيبته
وكما يفعل جيبيل اله النار المقدسة سأجفف ماءه
وكمدينة لعنتها آن لن يعود سيرته الأولى
وكمدينة نبذها انليل ، لن ينهض ثانية

ورغم أن "آن" يحذرها من المخاطرة ، الا أنها في حماسة شديدة تشهر القتال وتوجه أسلحتها في صراع ناجح ضد "كور" لتطأه أخيرا بقدميها .(١)

ب - التنين في الأساطير البابلية :

وصف التنين وحشا جبارا ، وقد خرج هذا الوحش من الأعماق المائية الى ديار الحضارة ، محاولا تدمير كل ما بناه الانسان ، الى أن ينجح أحد الآلهة - أي بطل التنين - في القضاء عليه ، وأسمت النصوص هذا الوحش "باللابو" ، ووصف اللابو في أحد النصوص ، جاء فيها :

تنهدت المدينة ...
تناقصت أعداد البشر...
ولم يكن لنواحهم أحد
ولا لصراخهم أحد
من الذي أنجب الحية ؟
البحر (من أنجب الحية)
قام انليل لرسم شكل (للتنين) في السماء
كان طوله خمسين ساعة مضاعفة وارتفاعه ساعة مضاعفة
وكان اتساع فمه ستة أذرع...
أما محيط أذنه فستة أذرع...
كان يستطيع قنص الطيور عن بعد ستين ذراعا
وتسعة أذرع في العمق يستطيع الانسلال تحت الماء

---

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٧٤

كان يرفع ذيله...
وجميع آلهة السماء...
سجد الآلهة أمام سن في السماء
وبلهفة أمسكوا بأذيال ردائه :
"من الذي سيمضي لقتل اللابـــو
وتخليص الأرض الواسعـة
فتكون له السيادة من بعد على الجميع ؟
فقال الاله سن :
"امض يا تيشباك واقتل اللابو
خلص الأرض الواسعة من شره
فتكن لك السيادة من بعد على الجميع"
لقد أرسلني سيدي لقتال وحش النهر
ولكني لا أعرف اللابو" (١)

ونقف عند خوف تيشباك وتردده في قتال التنين ، ثم نجد أنفسنا في المعركة ، دون أن نعرف أي اله قد تجرأ على المضي للقاء اللابو :

... فحرك الغيوم وصنع زوبعة
وخاتم حياته (وضعه) أمام وجهه
أطلق سهما (وصرع) اللابو...
ولثلاث سنوات ، وثلاثة أشهر ، ليل نهار
جرى دم اللابو" (٢)

ويرى البابليون أن البحر أنثى تدعى تعامت ، وهي الأم التي ولدت الآلهة والتنانين بخصب زاخر أدى الى تعريض بناء الكون الى الخطر ، وفي أحد النصوص يروون أن مردوك قد قتلها في احدى المعارك ، وضع الدنيا من جسمها . (٣)

---

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٨٠

(٢) King, The Seven Tablets of Creation 162

(٣) فرانكفورت ، ماقبل الفلسفة ٢٦٥

فالتنين هنا مولود من أم الاله (تعامت) أي البحر ، ووجود التنانين بكثرة يتطلب دوما وجود الاله البطل الذى يستطيع أن يصرع التنين الذى يهدد بناء الكون والبشر . بينما في الأسطورة السومرية السالفة نجد التنين مخلوقا كونيا اندفع من باطن الأرض ، لذا جعلوه اله العالم الأسفل "كور" ، وتتفق الأسطورتان في أن وجوده يهدد الكون ، بل أن السومريين جعلوا التنين الاله المطلق لعالم الموت والفناء ، ولهذا توالى صراع الالهة معه وتصديهم له الى أن صرعته "انانا" الهة الحياة .

ج - التنين في الأساطير الاغريقية :

وتذكر الاساطير الاغريقية التنين في أكثر من موضع ، بل جعلته وحشا رهيب المنظر ، له مئة رأس تنين ، وأسمته احدى الاساطير "طيفون". وكما ورد في الاساطير السابقة - لايقدر على مصارعة التنين سوى الالهة ، وفي مصارعة الالهة لطيفون ، تغلب عليه "زفس" وألقى به في البحر . وهناك روايات تقول أنه مسجون في كليكيا أو تحت بركان اتنا أو المناطق البركانية الاخرى التي يسبب انفجاراتها . فهو لذلك يمثل القوى البركانية ، ويعد أيضا ابا الاعاصير المريعة التي تسبب الفيضانات والهلاك .(١)

وتتفق الأساطير الاغريقية مع غيرها في جعله مصدرا للهلاك ، وارتباطه بصراع الالهة ، ونجد هذا في الياذة هوميروس عندما كان قتل التنين على يد هرقل بطل الأبطال ، فأنقذ بذلك عذارى طروادة من شره . ونعرف ذلك من الحوار الدائر بين باريس وأبيه حول محنة طروادة التي صنعها "لايوميدون" الجد . قال له الاب :

"أجل ! جدك .. أبي لايوميدون ، هو الذى نكث بعهده لبطل الأبطال "هرقل" . الرجل العظيم الذي أنقذ هسيونين من براثن هذا الوحش البحري الهائل .. الوحش الذي فتك بعذارى طروادة ، لقد أعلن أبي أن من يقتل التنين فانه يتزوج هسيونين .. ولما قتله هرقل العظيم ..(رفض ذلك) . (٢)

---

(١) جيمس فريزر ، ادونيس أو تموز ١٣٩

(٢) هوميروس ، الالياذة ٢٦

د - التنين في الأساطير الاوغاريتية :

وقد ارتبط ذكره بالالهة "عناة" التي هي مجموعة من الخصائص المتناقضة ، فهي من جهة ربة الحب والجنس والخصب وربة الحياة ، ومن جهة أخرى هي ربة الحرب والدمار . ويرسل اليها الاله "بعل" مبعوثين طالبا اياها أن تترك الغضب وأن تضع السلاح ، وترفع راية السلام ، واعدا اياها بكشف أسرار الطبيعة ان هي أتت لزيارته .

وعندما يقترب الرسولان تتطير "عناة" وتظن أن مكروها ما قد أصاب "بعل" ، فتسأل الرسولين ملهوفة :

أي عدو قام في وجه " بعل " ؟
وأي خصم قد ناهض راكب الغيوم ؟
ألست التي محقت يم حبيب ايل ؟
ألست التي قضت على نهر الاله العظيم ؟
ألست التي أفنت التنين !
وسحقت الحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة
لقد قضيت على موت مختار آلهة الأرض

وتستمر "عناة" في سرد بطولاتها ، وتعيد تساؤلها للرسولين ، فيجيبها الشابان قائلان :

لم يقم في وجه بعل عدو
لا ولم يناهض راكب الغيوم خصم
ولكن هي ذي رسالة من بعل العلي
وكلمة من علي المحارب :
"ضعي في الارض خبزا
وضعي في التراب لفاحا
واسكبي في الارض قربان السلام
والتقدمات في وسط الحقول"

وعندما ينتهيان تجيبهما ملهوفة :

سأضع في الأرض خبزا
وسأضع في التراب لفاحا
وسأسكب في الأرض قربان السلام
والتقدمات في وسط الحقول

ثم انها لاتنتظر عودة الرسولين بجوابها ، بل تطير لتوها قاطعة مئات الأميال ، تطوي الفيافي والقفار • وعندما يراها بعل قادمة من بعيد ، يرسل جمعا من النساء في استقبالها ، ويحتفل بها احتفالا مشهودا • وبقدومها تبتهج الطبيعة ، فيرقص النبات ، ويتكاثر الحيوان[1].

فالالهة "عناة" اذن هي بطلة التنين في النص الاوغاريتي ، أما التنين فمجرد وحش يهدد البشر بافناء ، ويستعصي القضاء عليه ، من الأفراد العاديين ، لايستطيع صرعه سوى الالهة الأقوياء ، لذا نلحظ لدى "عناة" نبرة الافتخار والتعالي لانها "التي أفنت التنين" •

هـ - التنين في التوارة :

لقد جاء في التوراة ذكر التنين في هذا النص :

"في ذلك اليوم ، يعاقب الرب بسيفه
القاسي العظيم ، لوياثان الحية الهاربة[2]
لوياثان الحية الملتوية ، ويقتل التنين الذي في البحر" •

وننظر الى ما جاء في اسطورة اوغاريتية ، وندهش للتشابه العجيب بين النصوص :

"في ذلك لوقت سنقتل لوثانا
الحية الهاربة ، وتضع النهاية[3]
للحية الملتوية ، ذات الرؤوس السبعة" •

وفي هذا دلالة قاطعة على تأثر النصوص التوراتية المتداولة بما ورد في أساطير الأمم القديمة ، فيهوه اله اليهود بطل يصارع الوحوش ، والتنانين تماما كاله السومريين والبابليين والاغريق ، وهو مذلل المياه الأولى كمردوخ وبعل ، وهو يركب السحاب كما يفعل بعل ، جاء في أحد نصوص التوراة :

استيقظي ، استيقظي
البسي قوة ياذراع الرب
استيقظي كما في ايام القدم
كما في الأدوار القديمة
ألست أنت القاطعة رهب
الطاعنة التنين

---

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ٩٩

(٢) التوراة ، سفر اشعيا ، الاصحاح ٢٧ : ١

(٣) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٦٩ عن H. Gordon, Ugarit

ألست أنت هي المنشفة البحر
مياه الغمر العظيم
الجاعلة أعماق البحر طريقا لعبور المفديين" (١)

وتذكرنا هذه النصوص بحديث الالهة "عناة" في النص الاوغاريتي السالف الذكر، عندما تتساءل "ألست التي محق يم...ألخ ، ويهوه (الذى يبس أنهارا دائمة الجريان) كما جاء في النص الثاني (منشف البحر مياه الغمر العظيم) .

ونجد في رؤيا يوحنا وصفا مرعبا لليوم الاخر وظهور الشيطان والاختام السبعة والمصائب السبعة ، فكلما يبوق أحد الملائكة تحل مصيبة فادحة بالعالم ، وعندما يبوق السابع معلنا انتصار المسيحية في هذه الفترة يظهر الملاك ميكائيل ، ويحارب التنين حتى ينتصر عليه ، وخرجه من السماء (٢).

وينبغي الاشارة هنا الى ما أصاب التوراة "الكتاب المقدس" من تشويه وتحريف أدخله فيه من عالجوا نصوصه حسب هواهم ، وفقا للظروف التي وجدوا فيها ، والضرورات التي واجهوها (٣) ، ولايعزل ذلك كله عن تأثر أولئك المدونين بأساطير الأمم السالفة .

بعد هذا العرض السريع للتنين في أساطير الامم القديمة وأسفارهم ، نقف أمام التفسيرات المختلفة لهذا الوحش المائي ، فالتنين في معظم الأساطير هو نتاج القوى البدئية ، السابقة لتنظيم الكون ، دفعت به المياه ، التي ترمز في الأسطورة لقوى العماء والفوضى ، الى الكون المرتب لزعزعة بنيانه واعادته الى حالته السابقة (٤).

ولعله انطلاقا من هذا التصور جعلته الأسطورة السومرية اله العالم الأسفل "كور" ، اله الموت والظلام الذى يحاول القضاء على مظاهر الحياة في الكون ، ومن الواضح أن الأسطورة السومرية قد أدهشتها قوة ذلك الوحش الذي لايمكن أن تتوفر الا لاحدى الالهة المتعددة . فعزت اليه الوهية العالم الأسفل عالم الظلمات الذي لايعرف عنه شيئا .

---

(١) التوارة ، سفر أشعيا ، الاصحاح ٥١ : ٩ - ١٠
(٢) فؤاد حسنين علي ، اليهودية واليهودية المسيحية ٢٢٠
(٣) التوارة والانجيل والقرآن والعلم ٢٢
(٤) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٨١

ولم تكتف الأساطير بعده الها ، ولكن نجد فيه مزيجا من الصفات المتناقضة أحيانا ، فمع ارتباطه بالفناء والقضاء على الحياة ، ترى أسطورة أن التنين وغيره من الكائنات في معقل سماوي حصين ، الى أن يحل البطل الموعود الذي يصرع التنين أو غيره من الوحوش وينقذ العذارى[1].

لقد جعلوا للتنين صفات متناقضة ، كما كان للآلهة ذلك ، ألا يذكرنا هذا بصفات الالهة "عناة" في الأسطورة الاوغاريتية ؟ اذ نجدها ربة الحب والجنس والخصب وربة الحياة ، وفي الآن نفسه هي ربة الحرب والدمار والكوارث . والتنين كذلك هو يحرس الكنوز والعذارى الفاتنات ، وهو ينقض عليهم أيضا كما في الياذة هوميروس عندما أنقذ هرقل العظيم هسيونية من براثن التنين الذى فتك بعذارى طروادة .

فالتنين قوة عظيمة تنطلق من أعماق المياه لتبطش بمظاهر الحياة في هذا الكون ، كما أن الصراع الدائر بين الالهة أمره معروف في أساطير الشرق القديمة وفي الأساطير الاغريقية ، فلابد أن يدور صراع بين الهة الخير والهة الشر ، تنتصر فيها قوى الخير وقوى الحياة والخصب والنماء .

كما أن هذا العالم المزدان بمظاهر الجمال التعددة ، تبدو فيه الطبيعة متناقضة أحيانا . فكثيرا ما عكر هذه الطبيعة وصفوها زمجرة الرعد ولمعان البرق وهياج الموج ، فينقلب وضع الانسان من حال الى حال ، فعندما فكر الانسان في بدء تفكيره لم يستطع أن يعزو أي فعل عظيم الا لقوى خارقة ، جعلها تلك الآلهة المتعددة في أساطيره .

ولعل هذا يفسر ظاهرة صاحبت تواتر تلك الأساطير ، هي ظاهرة الاقتراب من الواقع ، والنزول من عالم الآلهة والتحليق في السماء الى العالم الأرضي ، كلما مضى الانسان في مسيرته عبر الزمان . فلا نجد التنين الها الا لدى السومريين ، أما بعد ذلك ، فعدته الأساطير المختلفة مجرد وحش يتطلب للقضاء عليه وجود قوى الالهة الخارقة . وربطته بعض الأساطير بعالم الظلمات ، كما لاحظنا ذلك في الأسطورة السومرية .

ومال بعض علماء الأساطير الى اعتبار التنين رمزا للظلام ، وتربطه أحداث صراعه بالسحب الكثيفة السوداء التي تنذر بالبرق والرعد ، وتحجب النور ، الى أن يحل البطل ويقوم بتبديدها[2].

---

(١) Lewis Spence, An Introduction to Mythology 50

(٢) مجلة عالم الفكر ، مقالة ص ٢٥ — العدد الأول ١٩٧٢

ويقوى هذا الارتباط لديهم الأسطورة المصرية التي تجعل الشمس متنقلة بزورق، وجعلوا لها زورقا للنهار وآخر لليل . وللزورقين بحارة من آلهة ذوي شأن ومكانة . ولم تتصف هذه الرحلة دائما بالابهة والسلام ، فقد يكمن في الطريق ثعبان ينوي مداهمة الزورق والتهام الشمس ، ولابد من القتال لقهر هذا الحيوان .

ولهذا نشأ الاعتقاد الشائع في أقطار كثيرة بأن الكسوف ناجم عن ابتلاع ثعبان أو تنين للشمس . ولكن الكسوف لم يكن الظاهرة الوحيدة في الأمر ، ففي كل ليلة تجابه الشمس محاولة لالتهامها ثم تقهرها ، في العالم السفلي [١] .

وعدت بعض الأساطير التنين رمزا للقوى الطبيعية المتفجرة ، فهو لذلك يمثل القوى البركانية ، ويعد أبا الأعاصير المريعة التي تسبب الفيضانات والهلاك [٢] . وذلك عندما مال الانسان - في فترة لاحقة - الى التعليل والتبرير ، وربط الأسباب بالمسببات على نحو يرضي تفكيره وتصوره .

أما أصحاب التفسير النفسي من علماء الأساطير فيشتطون كثيرا في خيالهم ويذهبون بعيدا في تصورهم ، اذ تؤكد أحد تفسيراتهم أن التنين ليس الا قوى اللاشعور المكبوته ، ذلك أن اللابو - مثلا - قد اندفع من أعماق المياه التي ترمز في الأسطورة الى أغوار اللاشعور [٣] . وأجد في هذا التحليل محاولة توفيقية لربط الظواهر الملموسة في الأسطورة القديمة بما جد اكتشافه من مواضع مختلفة تتكون منها دائرة التحليل النفسي .

وبعد ، يقتضينا الحال الوقوف أمام البطل الذي يتولى القضاء على التنين ، من هو في الأساطير المختلفة ؟ ما الصفات التي تحاول معظم الأساطير اتسامه بها ؟ وذلك لنقارن بينه وبين البطل في الأسطورة اليمنية المتعلقة بالتنين .

ان البطل في معظم ما مر بنا تقريبا من الآلهة ، اذ تتوفر لديه قوى خارقة فوق قدرة البشر ، وقد امتاز هذا البطل دوما بالذكاء الخارق والطموح الشديد ، والعزم العظيم والقوى الجبارة والجرأة الفاتكة ، في تصديهم للتنين ومحاولتهم صرعه وانقاذ البشر والكون منه . والبطل يتحدى المخاطر ويستهين بالموت ، ليتسنى له قتل التنين ، ويعلو فخارا بذلك ، كما لمسنا في أكثر من أسطورة . فاذن هناك

---

(١) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ٦٣

(٢) جيمس فريزر ، ادونيس أو تموز ١٣٩

(٣) فراس سواح ، مامرة العقل الأولى ١٨٢

تشابه كبير في معظم ما مر بنا من الأساطير بين الأبطال الالهة من مثل بعل ومردوخ وعناة ويهوه الذي "بقوته يزعج البحر ، وبفهمه يسحق رهب . بنفخته السماوات مسفرة ويداه أبادتا الحية الهاربة"(١).

وقد انتقل "رهب" الى الأساطير المسيحية فيما بعد ، ولكن الاله هنا لا يباشر معه قتال التنين ، بل يترك ذلك لأحد القديسين ، وهو القديس جاورجيوس الذي تمثله الأعمال الفنية المسيحية في القرون الوسطى وهو يطعن بحربته التنين الرهيب .(٢)

ويعزز هذا القول الاعتقاد باقتراب الأسطورة من الواقع كلما مر الزمن بالأقوام والجماعات ، فالبطل في الأساطير المسيحية من الملائكة ثم أصبح من القديسين ، ولم يعد من الآلهة ، ومثل ذلك ماروا‌ه "وهب بن منبه" عن فيميون الذي نسب اليه المعجزات ، و "فيميون" هذا شخص من البشر ، ارتبطت حياته ببعض المعجزات ولكن ليست لديه القوى الجسدية الخارقة في مصارعة التنين كما لمسنا ذلك في آلهة الأساطير القديمة ، ولم يعد الصراع مجديا بين التنين والقديس ، لذا نجد "تنين" وهب يرعوي عن ايذاء القديس ولا يصيبه بأذى ، فالقوى الخارقة لدى "فيميون" أصبحت قوى روحية ومعنوية ، ولم تعد تلك القوى الجسدية التي كانت الأساطير تصف بها الآلهة التي تصرع التنين . فيتمكن القديس بوساطة تلك القوى من التصدي للتنين . ونستطيع أن نستشف من أسطورة "فيميون" أن تلك القوى هي اتصاف فيميون بالزهد والصلاح والعبادة .

ويظل القضاء على التنين وصرعه - في ذهن وهب بن منبه - مرتبطا بالبطولة والقدرة ، فقد ذكر من جملة أساطيره التي تمجد اليمانيين - أسطورة تتعلق في أساسها بتولي بلقيس ولاية الملك على قومها ، وملخص هذه الأسطورة :

أن بلقيس عندما وليت الملك أنف بعض قومها من أن تحكمهم امرأة ، وبلغ ذلك عمرا ذا الأذعار ، فجمع الجيوش ونهض الى بلقيس ، فهربت مصطحبة معها أخاها عمرو بن الهدهاد حتى أتت جعفر بن قرط الازدي ، ويذكر نسبه في سلسلة طويلة تنتهي به الى حمير بن سبأ .

كان جعفر بن قرط أنجد فارس في زمانه ، نزلت عليه بلقيس في حصنه علعال على نهر الحفيف من أرض الأحقاف ، وطلبت منه أن يجيرها وأخاها ، فأجارها جعفر بن قرط ، وقد اعتاد في كل عام أن يحج الى مكة للعمرة مدة شهر ، ثم يرجع الى حصنه علعال .

---

(١) التوارة ، سفر ايوب ، الاصحاح ٢٦ : ١٢ - ١٣

(٢) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٨٧

رحل جعفر بأهله وولده وبصحبته بلقيس وأخوها عمرو الذي كان طفلا ، فسار جعفر وعندما نزل بالاحقاف بجوار قبر هود ، اتبعته السباع ، فيقاتلهم ويقتل من لقيه منهم ، ثم يخرج اليه تنين عظيم ، فيقاتله حتى يولي من بين يديه ويقول لأهله : "لاتجزعوا فانه لص شيطان" .

وفي تلك الأثناء يداهمه صعلوكان هما عمرو بن عباد وشريك بن عمرو ، فتصدى لهما جعفر بن قرط ، وأبدى بطولة فائقة في النكال بهما ، وأظهر مروءة عالية في أسرهما ، ولم يتمكن الصعلوكان من جعفر بن قرط على الرغم من شيخوخته وشبابهما .. والأسطورة طويلة تتخللها أشعار الفخر التي يتبادل فيها الصعاليك الحوار مع جعفر ابن قرط .

وبعد أن يفرغ جعفر من أسراه يقول لهم : "أقيموا حتى أقارع التنين.." فأخذ بيده شجرة أم غيلان ، وأخذ بيمينه خشبة عظيمة ، فاذا هجم عليه التنين أدخل الشجرة في فمه ، وضربه بالخشبة في الرأس ، فلم يزل يقاتله حتى كل التنين وانصرف . وانه كان كذلك يفعل"(١).

وتستمر القصة في اثبات قدرة جعفر ، ثم تصف ظهور الريح العقيم التي هبت من جور عمرو ذي الاذعار ، ويذكر وقوف جعفر وصحبه على ما كشفت لهم تلك الريح من القبور ومنابر القدماء المتوارية تحت التراب . ثم يغدر عمرو بجعفر ، فانتقمت بلقيس له ولشعبه وقتلته في قصة لطيفة ، واستقر لها الملك من بعد ذلك .

ويمثل سير الأسطورة تمثيلا واضحا الاتجاه الغالب في أساطير اليمن ، اذ يحاول الراوي اليمني دوما اثبات البطولات الخارقة لملوك اليمن وشخصياته المعروفة ويتخذ منها طريقا الى التغني بأمجاد اليمن الغابرة . وان من يرجع اليها كاملة يلمس نبرة الفخر والشعور والاعتزاز . فالبطل اليمني - لدى وهب - لاتقل قدرته عن آلهة الشعوب القديمة والقديسين الذين تمكنوا من صرع التنين .

ويختلف البطل - هنا - في كونه فردا عاديا من سراة قومه ، أراد وهب أن يثبت له كل شجاعة فائقة وكل قدرة ممكنة . وكان لاطلاع وهب على الكتب والأسفار القديمة أثره في التعرف على بطل التنين ، وكانت لتلك البطولات أثرها في نفس وهب ، لذا لم يتورع عن جعل البطل اليمني أيضا يتصدى للتنين فيما يواجه من مخاطر الحياة وأهوالها . وقد كان دأب وهب - كشأن رواة اليمن - اثبات البطولات الخارقة والمعجزات لملوك اليمن القدماء وشخصياته المشهورة .

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١٥٠

ويتضح تأثر وهب بالأساطير القديمة في وصفه لصراع جعفر بن قرط مع التنين ، فجعل البطل (يحمل بيده شجرة وبالاخرى خشبة عظيمة ، فاذا هجم عليه التنين أدخل الشجرة في فمه وضربه بالخشبة في الرأس)٠٠ ويستحضر قوله هذا الى أذهاننا ـ صورة صراع الالهة الأسطورية القديم ضد التنين حيث قالت بطلة التنين الآلة "اناتا" سأرميه بالحربة الطويلة٠٠٠وفيه سوف اغرس فاسي البرونزي)٠٠ كما يخاطب الكتاب المقدس يهوه (شرخت رؤوس التنانين على المياه) ٠ لقد حمل وهب بطل التنين اليمني كل ما اختزنته ذاكرته من تلك الثقافات القديمة ، وأخذ يثبت البطولات الفائقة لمواطنيه اليمانيين ، بل يؤكد عليها بكل ما أوتي من قوة ٠ وان المتأمل في اسطورة جعفر بن قرط يتضح له ذلك من عبارات الرواي (فلم يزل يقاتله حتى كل التنين وانصرف ، وانه كان كذلك يفعل٠٠٠) ٠

والبطل في اسطورة وهب يستمر في قتال التنين ، ولكنه لايصرعه كما وجدنا ذلك في أساطير الأمم القديمة ٠٠ وانما يظل يقاتله حتى يكل التنين وينصرف ٠ فكأن التنين في اسطورة وهب رمز للمخاطر الدائمة التي تواجه الفرد في حياته ، ولايعرف في أية لحظة يمكن أن تداهمه وتحيط به ، وبحسب ما أوتي الفرد من قوة وقدرة على التغلب عليها يمكنه الصمود أمامها ، وان انتصاره وتغلبه يعني القضاء المطلق عليها وفناءها من الوجود ، بقدر ما يعني الأمر مرور هذا الفرد بتلك الأزمة الطارئة ، وتلك المخاطر المحدقة ونجاته منها ٠٠ ولعل وهبا يرى الحياة مليئة بتلك المحن والمخاطر التي تداهم المرء في حياته ، وتقلبها رأسا على عقب ، فلا يعرف لنفسه منها خلاصا أو مخرجا ، الا بقدر ما وسعته الشجاعة والحكمة في التغلب عليها ٠ وليس ما يمثل تلك المخاطر لديه غير التنين ، ذاك الحيوان المائي الخرافي ذي الأيدى الطويلة المتعددة ، أو كما تصفه الأساطير (الحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة) ، ذاك الذي يحيط بفريسته من كل جانب ، والخلاص من التنين وخطره أمر هام لدى الرواة والتغلب عليه قدرة خاصة ، توفرت للآلهة القدماء في أساطير الشعوب القديمة ، ثم لبعض القديسين في الآثار المسيحية ثم للابطال اليمنيين في أسطورة وهب بن منبه ٠

ويذهب المنطق الفرويدي في التحليل الى أن هذه التنانين تعد تمثيلا لقوى اللاشعور الفردي ، الذي يضطرم على الدوام بكل ما يناقض الوضع الحضارى للانسان ، تلك القوى التي تحاول دوما اقتحام عالم الشعور ٠ وعلى هذا يمثل البطل الذي يقهر التنين الفرد السوي داخل المجتمع ، أي الذي يستطيع كبح جماح لاشعوره والسيطرة عليه ليحيا متوازنا مع قيم الجماعة ٠(١)

---

(١) فراس سواح ، مغامرة العقل الأولى ١٧٢

وتجد هذه الصفات المعنوية في بطل التنين لدى وهب ، اذ يصف جعفر بن قرط بالسيادة على من حوله ، يجير من يستغيثه ، عند اغاثته بلقيس واخاها ، ويعطف على من حوله ، فلا يتوانى عن اصطحاب أهله وولده عند الرحيل للعمرة خوفا عليهم من أي مكروه يلم بهم في غيابه ، ويجمع هذه الصفات بقوله (كان أنجد فارس في زمانه) .. وكان شجاعا يصد أي خطر يداهمه ، فيأسر (الصعلوكين اللذين هدداه بالاغارة على من معه ، ويظهر مروءة عالية في معاملتهما) .. فأية خصلة حميدة لم يجعلها له وهب ، فهو خير ممثل للشخصية السوية المتلائمة مع مجتمعها ، الفاعلة في احداثه وتغيير مجريات الأمور فيه (عندما يجير من تنقذ قومها وتتولى الملك فيهم) .. وتبلغ هذه الشخصية السوية لدى وهب ذروتها من كبح اللاشعور والسيطرة عليه بالتغلب على التنين الذي تظل تقاتله حتى يكل وينصرف .

أساطير أخلاقية :

ويمكننا الحاق هذه الأساطير بالأساطير الدينية ، فقد وجدت في أساطير اليمن بعض الأساطير الاخلاقية التي تدور حول التحلي بالاخلاق الفاضلة والخصال الحميدة التي كانت مجال اعتزاز العزي ومفاخرته من حوله بها كالكرم وطاعة الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك .

١ - في بر الوالدين :

روى اليافعي[(١)] هذه الأسطورة قائلا :

كان النبي سليمان جالسا على عرش ملكه ، شاكرا لله على ما أولاه من النعم ، اذ أوحي اليه أن يخرج الى ساحل البحر فيرى عجبا . ولم يتوان ، بل خرج توا ومعه الانس والجن والوحش والطير ، حتى بلغ الساحل ، فنظر يمينا ، ونظر شمالا لكنه لم ير شيئا ، عندئذ أمر أحد العفاريت من الجن أن يغوص في البحر ويأتيه بما يجده فيه ، فغاص العفريت ، ورجع بعد ساعة من غير أن يصل الى القاع أو يرى شيئا غريبا في الماء ، وكذلك فعل عفريت آخر مما أثار دهشة سليمان ، وجعله يأمر آصف بن برخيا وزيره بالقيام بهذا العمل . وصدع آصف لارادة سليمان ، وغاص في البحر ساعة ثم عاد بقبة عظيمة من الكافور الأبيض ، لها أربعة أبواب : باب من الدر ، وآخر من الياقوت ، وثالث من الجوهر ، ورابع من الزبرجد الأخضر ، وكلها مفتوح ، ومع ذلك لم يدخل في أي منها قطرة من الماء .

ونظر سليمان ، فاذا وسط القبة شاب جميل ، حسن الشباب ، نظيف الأثواب ، قائم يصلي ، فدخل اليه وسلم عليه ، وسأله عما أنزله الى قاع البحر ، فقال الشاب: "يانبي الله ، تريد أن أحدثك بقصتي ؟" أجاب سليمان : "نعم" .

---

(١) وهو يماني نسب الى "يافع" منطقة تقع في جنوب اليمن .

فبدأ الشاب يروي: "كان لي أب مقعد ، ووالدة عمياء ، أقمت في خدمتهما سبعين سنة ، فلما حضرت والدتي الوفاة سألت الله أن يطيل حياتي في طاعته ، ولما احتضر والدي قال على سرير الموت: "اللهم استخدم ابني في مكان لايكون للشيطان فيه عليه سبيل" .

وذات يوم خرجت أريد النزهة ، فجئت الى ساحل هذا البحر ووجدت قبة عظيمة ، دفعني فضولي لأدخلها وأنظر مافيها ، وما كدت أعبر الباب حتى احتملها ملك من الملائكة وأنزلها في قاع هذا البحر كما رأيت ، وذلك في زمن ابراهيم عليه السلام".

وحسب سليمان التاريخ فوجد له حتى تلك اللحظة الفي سنة واربعمائة سنة ، وعجب لكون الرجل لم يشب ، بل انه لم يزل في ريعان الشباب ، وسأله عن طعامه وشرابه في البحر ، فأجابه : "يانبي الله ، يأتيني كل يوم طائر أخضر في منقاره شيء أصفر مثل رأس الانسان ، فآكله وأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا ، ويذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والوحشة" . فسأله : "أتحب أن تكون معنا أم ترجع الى موضعك ؟ "فأجاب الشاب: "بل ردني الى موطني يانبي الله" . فيأمر سليمان آصف برده الى مكانه ، ويتفكر في فضل بر الوالدين وأثر دعائهما..."(١).

انها اسطورة طريفة يمكن أن نستشف منها أمورا عدة ، منها :

١ - تتضح فيها الغاية الخلقية في اعلاء شأن بر الوالدين ، والعناية بهما في الشيخوخة والمرض ، وأثناء حاجتهما الى عناية الأبناء ورعايتهم ، فكان آن صورت لنا صبر البطل على خدمة أم عمياء وأب مقعد مدة سبعين سنة ، وما كان من دعوات والديه له بطول العمر في طاعة الله ، وبألا يجعل للشيطان عليه سبيل ، فاستجاب الله دعاء والديه ، وجعله في مأمن من الشيطان أي في قبة أرسلها الى قاع البحر ، يقضي وقته في عبادة الله ، وجعل البطل أيضا في مأمن من مرور الدهر وأثره في البشر ، فرغم مرور السنين نجده شابا (بل في ريعان الشباب) ، فلم تطله غوائل السنين ، ولم تبله بمرورها كغيره من البشر ، فقد اكتسب البطل مناعة خاصة بفضل دعاء والديه .. اكتسب مناعة ضد الشيطان ومنعا له في دفع البشر الى ارتكاب المعاصي ، ومناعة ضد التأثر بمرور السنين التي لاينجو منها بشر .

٢ - تعتمد الأسطورة على عنصر الادهاش وخوارق الأمور ، فالأعمار والسنون ملغية في حساب الزمن ، بصرف البطل سبعين سنة في خدمة والديه ، وتمر عليه بالاضافة اليها ألفان وأربعمائة سنة وهو في قاع البحر ، دون أن تحدث أثرا على مظهر البطل ، وكأنه بمعزل عن الارتباط بهذا الكون ومجريات الأمور فيه .

---

(١) اليافعي ، مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ٥٧

كما نلاحظ محاولة ادهاش الراوي للسامع في وصف القبة وأبوابها المكونة من الأحجار الكريمة الثمينة من در وياقوت وجوهر وزبرجد أخضر ، كما يثبت الراوي الخوارق لتلك القصة ، فهي في قاع البحر ، وأبوابها مفتوحة ، وعلى الرغم من ذلك لم يدخل فيها قطرة من الماء ، فهي معصومة من الماء ، لاينفذ اليها شيء منه .

ولايترك الرواي شيئا لتساؤل السامع اذا عجب كيف يحصل على الغذاء هذا المخلوق المعزول عن الكون في داخل قبة في أعماق البحر ، فيجيب عن ذلك كله ، معللا ومفسرا ، لحياة ذلك الكائن وحسن الجزاء الذي حظي به نتيجة بره لوالديه ، فسر أن الغذاء يأتيه به طائر في منقاره ، والغذاء "مادة صفراء مثل رأس الانسان" فهي غذاء اليوم كاملا ، وتغنيه عن أي طعام وشراب ، وليس هذا فحسب ، ولكنها تذهب عنه الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والوحشة" انها لاتقتصر على الغذاء ، وانما هي تسد كل حاجة بشرية ، فتسد جوعه وتحفظ له الحرارة المطلوبة في جسمه ضد الحر والبرد ، كما تذهب عنه النوم (وهو حاجة بشرية) ، وتزيل عنه وحشة الوحدة والانقطاع عن العالم .

٣ - نلمح في الأسطورة ناحية اجتماعية طريفة تكمن في نبذ البطل للمجتمع الذي كان يعيش فيه ، فآثر حياة الانعزال في تلك القبة القابعة في أعماق البحر، لايحيط به بشر ، وعندما خيره سليمان بين البقاء معهم أو الرجوع الى موضعه بداخل القبة ، فضل العودة الى موطنه الجديد (أعماق الماء بداخل القبة) على السكن معهم ، فأمر سليمان آصف برده الى مكانه .

فكأن الراوي أراد أن يضمن هذه الأسطورة هرب الشاب من المجتمع الانساني الذي كان ينتمي اليه ، فآثر الوحدة في تلك القبة ، والسكن في أعماق المياه يعبد الله ، على أن يسكن مع البشر في مجتمعهم المليء بالشرور والآثام ، لان (الشيطان لايجد اليه سبيلا) ، فقد جعل انعزاله في ذلك المكان بمأمن من الشيطاع نتيجة دعوة والده (بأن يكون في مكان لايكون للشيطان فيه عليه سبيل) ، فالراوي يرى في المجتمع الانساني مرتعا للشيطان يمارس فيه أعماله بدفع الانسان الى الحاق الأذى بأخيه الانسان ، وبارتكاب الشرور والآثام المختلفة ، فلا يتيسر الابتعاد عن الشيطان ولايتحقق الاعتصام منه - في نظر الراوي - الا بالعزلة والوحدة ، التي فرضها على البطل .. وهو يعلم ما يمكن أن يشعر به الانسان من قسوة الوحدة وألم الانقطاع عن البشر ، فجعل العوض في انهماك البطل في عبادة الله دون أن يشعر بملل الحياة في الانقطاع عمن حوله .. كما عالج ألم الشعور بالوحدة وقسوتها في ابتكار (مادة صفراء) يتعاطاها البطل الأسطوري على يد طائر أخضر يأتيه بها كل يوم وهي في حجم رأس الانسان ، وفيها الغناء عن الأكل والشرب ، بل يجد فيها متعة تعادل طعم كل نعيم في دار الدنيا ، وهي أيضا تذهب عنه وحشة الوحدة وقسوتها . فحاجة البطل المادة الى الطعام والشراب قد أشبعت ، كما أن حاجته المعنوية الى زوال أثر الشعور بالوحشة والوحدة قد أرضيت على ذلك النحو ، ببساطة متناهية جدا ، ضمنها تلك المادة الأسطورية المتضمنة اكسير الحياة .

ب - الكـــرم الحاتمـــي :

كانت غنية امرأة سخية ، تقري الضيف ولاتدخر شيئا ، ولاتمنع شيئا عن سائل أبدا . فلما رأى أخوتها حالها تلك حجروا عليها ، ومنعوها مالها . فمكثت دهرا لايدفع اليها شيء منه ، حتى اذا ظنوا أنها وجدت ألم ذلك ، أعطوها قطيعا من الابل فجاءتها امرأة من هوازن ، كانت تأتيها في كل سنة تسألها ، فقالت لها غنية : "دونك هذا القطيع فخذيه ، فوالله لقد عضني من الجوع ما لاأمنع معه سائلا أبدا" .

وتزوج الفتى عبدالله غنية ، وحملت منه . واذ هي في المنام ذات ليلة جاءها آت يسألها : "أغلام جواد يقال له حاتم ، أم عشرة غلمان كالناس ، ليوث ساعة البأس ، أحب اليك ؟" أجابت: "بل حاتم" . فولدت ولدا أسمته حاتما .

فلما ترعرع كان يخرج طعامه ، فان وجد من يأكل معه أكل ، وان لم يجد طرحه . فلما رأى أبوه أنه يوزع طعامه ، ألحقه بالابل ، ووهب له جارية وفرسا ومهرا ، فطفق يبغي الناس فلا يجدهم ، حتى بصر يوما بركب على الطريق ، فسارع اليهم ، واذا هم يبادرونه السؤال: "يافتى هل من قرى ؟" وكأنما وجد ضالته ، فنحر لهم ثلاثة من الابل ، مما أدهشهم ، وجعل أحدهم يقول: "انما أردنا بالقرى اللبن ، وكانت تكفينا بكرة[1] اذا كنت لابد متكلفا شيئا" . فأجاب حاتم : "قد عرفت ، ولكني رأيت وجوها مختلفة ، وألوانا متفرقة ، فظننت أن البلدان غير واحدة ، وأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى اذا أتى قومه" . عندئذ قالوا فيه أشعارا امتدحوه بها ، وذكروا فضله ، فما كان منه الا أن فرق فيهم سائر ابله ، حتى أصاب كل واحد منهم تسعة وتسعين بعيرا ، ومضوا في سفرهم .

وبلغ الأمر أبا حاتم ، فهرع يسأل ابنه عن ابله ، فقال له حاتم : "يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة مجد الدهر ، وكرما لايزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضا من ابلك !" فخاصمه أبوه ، وخرج بأهله عنه .

فبينما حاتم ، يوما نائم ، اذ انتبه وحوله مائتا بعيرا أو نحوها ،تجول ويدفع بعضها بعضا ، فساقها الى قومه ، ووزعها بينهم .

وظل حاتم يحيا حياة الفارس الكريم ، بين مال يسخى به على الفقراء أو يطلق به الأسرى ، وقتال يدفع به عن نفسه الأعداء واللصوص حتى هرم ومات ، فوضعوا حول قبره أنصابا متقابلات من حجارة كأنهن نساء نوائح .

---

(١) البكرة : الناقة الفتية .

ومر يوما نفر من بني أسد بالقبر ، وقالوا: "لنجعلنه بخيلا ، ولنجدن العرب انا نزلنا بحاتم فلم يقرنا" ، وجعلوا ينادون: "ياحاتم ، ألا تقري ضيفك ؟" وكان رئيس القوم رجلا يقال له أبا الخيبري ، فاذا هو بصوت ينادي في جوف الليل :

أبا الخيبري ، وأنت امروء   ظلوم العشيرة شتامهـا
فماذا أردت الى رمــة   ببادية صخب هامهـا (١)
تبغي أذاهـا واعسارهـا   وحولك غوث وأنعامهـا
وانـا لنطعم أضيافنـا   من الكوم بالسيف نعتامها (٢)

فلما كان آخر الليل ، نام القوم حتى اذا كان السحر وثب أبو الخيبري خائفا ، وأخذ يصيح: "واراحلتاه !" (٣)

فسأله أصحابه عن أمره ، أجاب: "خرج والله حاتم بالسيف ، وأنا أنظر اليه ، حتى عقر ناقتي" ، فقالوا: "كذبت !" ، لكنه أقسم لهم أنه صادق . فنظروا الى راحلته ، فاذا هي منقطعة لاتتحرك . فقالوا "قد والله قراك" . وظلوا يأكلون من لحمها ، ثم اردفوا أبا الخيبري وساروا ماشاء الله .

وفي الطريق نظروا ، فاذا عدي بن حاتم راكب جملا أسود يلحقهم ويقول: "أيكم أبا الخيبري ؟" فقالوا: "هو هذا" . فأخبرهم أن أباه جاءه في النوم ، وذكر له شتم ابي الخيبري اباه ، وأنه أقرى راحلته لأصحابه ، وقال فيه شعرا ردده لعدي حتى حفظه ، وهو الشعر الذي سمعه أبو الخيبري في جوف الليل (٤).

وتصور هذه الأسطورة كرم حاتم الطائي ، ولايقتصر الأمر على رواية الأصفهاني للأسطورة ، فقد أغرق الرواة المصادر العربية بأخبار حاتم الطائي وكرمه ، شعرا ونثرا ، حتى أصبح علما بارزا يشار اليه بالبنان في مضمار الكرم والجود ، بل هم نسبوا اليه الكرم في قولهم "كرم حاتمي" .

وعند تأملنا هذه الأسطورة تلفت الانتباه فيها بعض الأمور التي ينبغي الوقوف عندها والتفصيل فيها :

---

(١) الرمة : العظام البالية ، الهام : جمع هامة – الطير التي كان العرب يظنون خروجها من رأس القتيل .
(٢) الكوم : النوق العظام السمان . اعتام : اخذ
(٣) الراحلة : الناقة
(٤) الجوزو ، من الأساطير العربية ١٧٣ عن الأغاني للأصفهاني ١٧ : ٣١٣

١ - ربما من متعجب لنسبة هذه الأسطورة الى اليمن ، ورواويها أو ناقلها هو الأصفهاني • كما أن نشأة حاتم الطائي في شمالي الجزيرة وليس جنوبيها •

وردا على مثل هذا التعجب أقول ان حاتم الطائي من قبيلة طيء اليمنية التي نزحت منذ القديم مع من هاجر من القبائل اليمنية من جنوبي الجزيرة العربية الى شماليها ، ولكن ظلت نظرة الرواة اليمنيين الى هذه الشخصية بحسب انتسابها الى اليمن ، فكان مالها من قصص وحكايات أسطورية وكان ما اكتنف أخبارها من مبالغة أجدها من سمات المرويات اليمنية ، على الرغم من نشأة هذه الشخصية في شمالي الجزيرة العربية •

ونستشف من الأسطورة النفس اليمني في سرد الحكايات وأقاصيص الفخار الذي لايعلو عليه فخار ، والكرم صفة ظل العربي يفخر بها ويطول على من حوله بالاتصاف بها ، ورواة اليمن لايدخرون سبيلا في اثبات كل مجد وفخار للشخصيات التي تتصل باليمن بسبب ، ناهيك بمن ينتهي نسبه الى قبيلة طيء وهي قبيلة يمنية •

كما سنلاحظ شبه هذه الأسطورة ببعض الأساطير اليمنية التي سنعرض لها في البحث ، مما يقوي الاعتقاد باهتمام رواة اليمن بهذه الشخصية وكونهم رافدا ثرا لكل ما ملأ المصادر العربية من روايات وأخبار حول حاتم الطائي •

٢ - تتجلى الغاية الاخلاقية في الاشادة بالكرم ، كصفة محببة الى النفوس ، تكسب المتحلى بها حب من حوله واحترامهم له ، كما تكسبه مجدا وشهرة عظيمين ، وامعانا في تحلي حاتم بهذه الخصلة الحميدة فقد بدأ راوي الأسطورة بأمه "غنية" التي كانت لاتتوانى عن اعطاء مالديها لأي سائل يأتيها • فالمجد في حاتم متوارث لم يكتسبه حاتم في نشأته فحسب ، وانما فطر عليه ونشأ على تقديره حتى أصبح صفة ملازمة له جعلته يتعرض لانتقاد أبيه وبعض أهله ، كما كان أخواله ينتقدون أمه لبعثرتها المال والابل على من يسألها من النساء •

والحقت صفة الكرم بحاتم مذ كان جنينا في بطن أمه حين خيرت في المنام بين عشرة أولاد شجعان وبين حاتم كمثال للجود والكرم ، فاختارت حاتم على أن ترزق بعشرة من الأولاد • فكأنه قد أصبح رمزا للجود والكرم من قبل أن يأتي الى الوجود • ثم ظل طوال حياته مثال الفارس الكريم الذي لايتوانى عن اكرام من يأتيه ، ولاينتهي كرم حاتم للضيف وقراه بموته ، بل تجعله الأسطورة يقري الضيف حتى بعد موته ، حين عز عليه أن يتهم بالبخل ، كما أراد ذلك أبو الخيبري • فلقي الرد العاجل بنحر راحلته ، فانتقم لنفسه منه بتلقينه الدرس الذي لن ينساه ، وجعله يولول حزنا على ناقته ، كما كان في نحر الناقة قرى له ولاصحابه في ذلك الخلاء •

---

x (١) الجوزو ، من الأساطير العربية ١٧٣ عن الأغاني ، للأصفهاني ١٧ : ٣١٣

٣ - يتضح في هذه الأسطورة أسلوب رواة اليمن في نسب المجد والشهرة الى الشخصيات اليمنية ، وعدم اقتصار تمجيدهم للملوك المنتسبين الى اليمن . فهم باحثون عن المجد والشهرة دوما في أية شخصية تنتمي الى اليمن بسبب، وحاتم الطائيء أحد تلك الشخصيات .

ويمكن أن نستشف البحث عن المجد في انتهاج حاتم سبيل الجود والكرم مع السعي الى الشهرة والصيت الذائع ، ويتضح ذلك عندما ترى الركب النازل عنده بنحر ثلاثة من الابل ، وعندما رأى دهشتهم أخبرهم أنه يحسبهم من مناطق مختلفة ، فأراد كل واحد منهم أن يذكر لقومه مارآه من حسن ضيافته لهم . وحينئذ عرف القوم قصده ، فانطلقت ألسنتهم بالمديح شعرا ونثرا ، كما تروي ذلك الأسطورة ، وبذلك حقق شهرة واسعة ، وعرف القريب والبعيد ماكان من كرمه وقراه .

فالكرم والجود خصال مغروسة في حاتم الطائي وقد جبل عليها ، ولكنه أيضا ينتهج طريق الجود والكرم لتحقيق المجد وطلب الشهرة بين أقوام العرب .

٤ - يعتمد الراوي على الاحلام - كعادة رواة اليمن - فأم حاتم غنية "يأتيها آت في الحلم ليخيرها بين حاتم وعشرة من الأولاد، فتختار حاتما" . مما يذكرنا بطريقة بنت الخير الحجورية الكاهنة التي أتاها في الحلم من يخيرها بين الولد أو العلم الذي تقر به عينها ، فآثرت الحصول على العلم ، وأصبحت بذلك كاهنة تتنبأ لقومها بما سيحدث ، فيسعى الراوي الى تقوية الصفات المرجوة في أبطاله ودلالتها المعنوية من خلال تلك الأحلام .

وهذا عدي بن حاتم - أيضا - يرى أباه في المنام وقد حكى له ما كان من أمر أبي الخيبري معه ، فعلم عدي بما جرى على قبر أبيه في حلم أطلعه فيه أبوه على ذلك . وهكذا يتخذ الراوي من الاحلام منفذا الى التعبير عن اشراك بعض الأبطال في الاطلاع على مايريد من ايصاله من مضامين ومعان .

" خصائص الأسطورة اليمنية ذات الأساس الديني " :

بعد اطلاعنا على نماذج من الأساطير اليمنية ذات الأساس الديني ، يمكننا أن نستخلص منها بعض الخصائص التي اتسمت بها ، وقد لاحظنا في هذه الأساطير اتصالها الوثيق بمظاهر التقديس والعبادة لدى اليمانيين ، من هذه الخصائص :

١ - لوحظ في مظاهر عبادتهم وتقديسهم للآلهة القديمة أنه يتوفر فيها عنصر المنفعة على نحو دائم ، مما يدل على ارتباط تقديسهم بما تحققه لهم تلك الآلهة المتعددة من منافع جمة في حياتهم اليومية ، فكأن التقديس جاء مرحلة تالية بعد الانبهار بقدرة تلك الآلهة وقوتها.. ووجدوا أنفسهم يتمتعون بتلك المنافع دون أن يستطيعوا التعليل لما يحيط بهم من نعمها ، من ذلك عبادتهم للكواكب والأشجار وغيرها من مظاهر الطبيعة .

وفي عبادتهم للأصنام الأولى التي قيل أن عمرو بن لحى قد جلبها معه وذرعها بين القبائل نجد الدافع الأول لعمرو بن لحى في جلبها هو ماتقوله الأسطورة في أن قوم نوح كانوا يعبدونها استسقاء للمطر واستنصارا على العدو ، فأراد عمرو بن لحى نفع قومه بها بعد كا ماسمعه عنها في تحقيق آمال القوم في شؤون حياتهم اليومية ، وهم بحاجة دائمة الى المطر الذي ينتج عنه الغذاء الكافي للقوم ولماشيتهم ، كما أنهم لايأمنون دوما اغارة العدو وهم بحاجة دوما الى القوى الخفية التي تعينهم في التغلب على العدو المغير عليهم . فكانت عبادة تلك الأصنام ترتبط بمنفعتها لهم ارتباطا وثيقا وبمدى ماتحققه لهم من مآرب في حياتهم اليومية .

٢ - تقودنا الخاصة الأولى على نحو تلقائي الى السمة الثانية وارتباط أساطيرهم بالواقع الذي يحيونه . فالأسطورة تعد تمثيلا حيا للواقع ، وان اقبالنا على دارسة الأساطير - مع فهمنا لهذا الجانب فيها - يجنبنا الوقوع في اللبس .

وقد رأينا ذلك في تمثيلهم المادى لمعبوداتهم ، فصورت معظم الأصنام على أشكال مخلوقات واقعية من بشر أو حيوان ، كما مثلت الآلهة من الكواكب أحيانا على شكل حيوانات مألوفة لديهم ، اضافة الى تقديم القرابين للآلهة في تماثيل مصنوعة على شكل حيوانات ، كما لمسنا ذلك في تقديم التماثيل التي على شكل حصان لإله الشمس وغيرها . حتى الشيطان الذي نسبوا الى الحبرين اخراجه من بيت رئام قد مثل بكلب أسود ، امعانا في واقعية الأسطورة .

وتلاحظ النزعة الواقعية في أسطورة المسخ الاختيارى عندما تعزو الأسطورة الى الجماعة التي تدعى "بالصيعر" قدرتهم على الانسلاخ الى هيئة الذئاب الضارية أيام القحط ، ليتمكنوا بذلك من الحصول على أقواتهم ، وليستطيعوا الانخراط في عالم الحيوان مستخدمين ضراوة الذئاب في انتزاع قوتهم ومايسد أودهم ويحفظ لهم الحياة .

وبعد زوال ظروف القحط والمحل ، نجدهم يعودون ثانية الى هيئتهم الانسانية ، فما كان ذلك الانسلاخ الموءقت الا تلبية لحاجتهم الغذائية ، وتمشيا مع ظرف طاريء يأملته عليهم حالة القحط . وبزوال تلك الحال يعود القوم الى انسانيتهم أي (آدميتهم) بحسب زعم الأسطورة .

ومما يتخذ دليلا على النزعة الواقعية في أساطيرهم تعلق الأسطورة دائما بمخلوقاتهم الواقعية من بشر أو حيوان ، أو بما يحيط بهم من مظاهر الكون المحسوسة (أي المرئية والمسموعة) لديهم . فالصيعر خلق منهم ، وقوم يعيشون بينهم ، وعمرو بن لحى الذي جلب الأصنام شخصية معروفة لديهم وتنتمي الى احدى قبائلهم ، والكواكب المعبودة تحيط بهم كل يوم ومألوفة لديهم . والنار التي عرفت في اليمن وكانوا يحتكمون اليها ، هي أيضا ذات أساس واقعي ، لأن البلاد قد عرفت ببراكينها ، ووجدوا النار في أكثر من موضع فيها ، بل نص الباحثون على أن منطقة الأسطورة "أرحب" غنية بمخلفات البراكين التي خمد أوارها .

ان أبطال عبادتهم أي آلهتهم وأبطال أساطيرهم شخصيات وكائنات منتزعة من واقعهم . ولم يصل بهم الحال الى التجريد والتعميم ، الذي يتطلب منهم التصور الذي لايستند الى الواقع . وقد لاحظنا ذلك في بطل التنين الذي تحلق به الأساطير العالمية في السماء بين الآلهة وتنزل به الأسطورة المسيحية في شكل القديسين ، أما الأسطورة اليمنية - لدى وهب - فقد تمثل لنا بشرا عاديا هو "جعفر بن قرط" الذي اتصف بالشجاة والنجدة ، واستطاع ردع التنين ودحره ...

٣ - تتضح الغاية الخلقية جلية في معظم هذه الأساطير ، ولانستغرب ذلك والأمر متعلق بديانات القوم وعباداتهم ، فتجلت فيها النزعة الى الوعظ والارشاد وهداية القوم الى الطريق المستقيم .

ونضرب مثلا على وضوح الغاية الخلقية في أسطورة اساف ونائلة اللذين مسخا حجرين نتيجة لارتكابهما الاثم الفاحش في ربوع البيت الحرام ، فكان هذا المسخ ، وتصرح الأسطورة بالغاية من هذا المسخ ، كما تنص على سبب وضع الحجرين أو التمثالين في الكعبة ، وذلك ليتعظ القوم بما لقياه ، وليعرفوا عاقبة من أتى الفاحشة ولاسيما في البيت الحرام .

وتتضح الغاية الخلقية في جميع قصص المسخ ، فقد مسخ أجا وسلمى وحاضنتهما العوجاء الى جبلين هما الجبلان المعروفان (أجا وسلمى) بعد أن خالف كل منهم العرف الخلقي واتبعوا الهوى ، ومثل ذلك القوم الذين مسخوا قردة لعدم ايمانهم بالقدر ، أو لارتكابهم الغش والخداع في تعاملهم مع من حولهم في مجتمعهم ، ولذلك مسخهم الله قردة .

ونجد تلك النار التي الف القوم الاحتكام اليها في شؤونهم الخاصة والعامة في اليمن ، فقد كان سبب اقبالهم عليها الانتصار للمظلوم وانصافه من الظالم الذي يطغى ويجور عليه ، فارتبطت عند القوم بقدرتها ، أو ماتوسموه فيها من قدرة على تحقيق تلك الغاية الخلقية النبيلة التي تظهر الحق وتنتصر له ضد الباطل .

وننظر الى أسطورة الزهرة التي كانت امرأة جميلة ، استطاعت غواية الملكين "هاروت وماروت" ، وبعد أن علمت منهما ما استطاعت به الصعود الى السماء لم تتمكن من النزول ثانية ومسخت كوكبا مضيئا . ويتضح في الأسطورة الجانب الاخلاقي في صراع الملكين ومقاومتهما لاغرائها بارتكاب المآثم حتى وقعا فيها ، ثم مسخها كوكبا في السماء رحمة بالبشر والخلق من قوة اغرائها واستجابتهم لدعوتها الى ارتكاب الفواحش وتبصيرا للملكين هاروت وماروت بما ارتكباه بسبب "الزهرة" .

٤ - تتجلى النزعة الوطنية في بعض هذه الأساطير ، وتصبغها بطابع معين ، نجد فيه الراوي ينتصر لبلاده ويكسبها مناعة وقوة ضد المعتدين الغازين ، فلا يستطيع ملك أو غاز دخولها واسترقاق أهلها . ويمكننا هنا الاستشهاد بأسطورة وهب الذى جعل اليمن تستعصي على الفرعون بابتكار مخلوقات غريبة الخلقة وحيوانات مفترسة وعقارب طيارة أخافته وأهلكت عسكره ، فهرب ينجو بمن بقي منهم . لقد أطلق وهب لخياله العنان في تصور تلك المخلوقات المخيفة ، وحشدها جميعا ليجعلها سببا في انصراف فرعون القوي بجنوده ، كل ذلك تحقيقا للهدف الوطني وهو حماية بلاده من أي غزو خارجي ، مهما أوتي الغازي من عدة وعتاد ، فمخلوقات وهب الغريبة كفيلة باخافته وهروبه واكساب البلاد القوة والمناعة .

٥ - يبدو الافتتان بمظاهر الطبيعة واضحا في أساطير اليمن ، ولانستغرب هذا والأمر متعلق بالأسطورة التي تصحب بداية التفكير في المخلوقات الكونية والطبيعية . ويتضح لنا هذا في عبادتهم الكواكب التي تكون الثالوث المعبود لدى الامم القديمة وهي الشمس والقمر والزهرة ، ولعل بروز الشمس والقمر وارتباطهما بحياة الناس جعلهما أول معبودين قبل غيرهما من الكواكب وتلتهما بعد ذلك الزهرة ، وقد رأينا في عبادة الكواكب تجسيد القوم لتلك المعبودات من حولهم بعدد من الحيوانات ، فمثل القمر بثور وصوروه في معابدهم ، كما كانت الشمس تصور على هيئة بعير له قرنان ، اضافة الى صور الحيوانات الكثيرة التي كانت تقدم قرابين وصورتها النقوش أمام مسايل الدماء في المعابد .

ان الافتتان بمظاهر الطبيعة من حولهم جعلهم يعبدونها متأثرين بنفعها الكبير لهم ، ثم أخذوا يبحثون عن محسوسات من حولهم تمثلها ، وتجسدها لهم في تأدية طقوسهم الدينية ، فلم يجدوا أفضل من الحيوان الذي يملأ حياتهم ويسد حاجتهم اليومية من الغذاء ، فمثلوها به .. كما قدموه لها قربانا .

وأوطلهم افتتانهم بالنجم المضيء "الزهرة" الى تخيلها امرأة حسناء تتولى غواية الملائكة واخراجهم من ملكوت السماء والتحليق فيها ، وأدى هذا الى تلك الأسطورة الجميلة حول "الزهرة" النجم والملكين هاروت وماروت .

ومن مظاهر الانبهار بالطبيعة من حولهم عبادة الأشجار وما اكتنفها من روايات وأساطير صورت الأشجار ممثلة لقوى خارقة أوجدوا لها تفسيرا في أساطيرهم .

ومثل ذلك يمكن قوله حول الجبال ، فكان لشموخ الجبال وعظمتها رهبة في قلوب الناس دفعهم الى خشيتها ، وهالهم ذلك الشموخ والعلو ، ولم يجدوا لذلك تفسيرا في الطبيعة من حولهم ، فأقبلوا يربطونها بمظاهر اجتماعية في حياتهم ، وأخذوا يبحثون عن تعليل لوجودها ، وأخذ الرواة يحيكون الأساطير من حولها متخيلين هذا الصمود وهذا الثبات قوى متحولة عن الانسان الذي مسخ في تلك الهيئة وتوحد بها .

فجعلوا تلك الجبال ممثلة للانسان الذي تحول اليها لأسباب معينة كما لاحظنا ذلك في أساطير المسخ الى جبال .

والنار أيضا مظهر طبيعي مألوف ، لم يتورع الناس عن اكسابها قوة معنوية تسيرهم في شؤون حياتهم حين أكسبوها تلك القدرة على الحكم بين الناس والفصل في أمور حياتهم ، لجعلوها تنتصر للمظلوم على الظالم ، وقبلوها حكما في التخلي عن وثنيتهم وقبول اليهودية دينا لهم .

٦ - تظهر في أساطير اليمن النزعة الى الخيال الجامح الذي ينفي القول الشائع عن افتقار العربي قديما الى الخيال الابتكاري ، كما مر بنا في رأي عبد المعيد خان وغيره من المستشرقين . وقد لمسنا في مامر بنا كيف انساق الراوي وراء خياله المجنح في ابتكار أساطير جميلة حول عدد من الكواكب كما لمسنا ذلك في أسطورة الزهرة المرأة الحسناء التي تولت غواية الملكين . والطريقة التي عللوا بها مسخ تلك المرأة الى كوكب مضيء ظل في السماء لعدم استطاعتها معرفة ماتنزل به الى الأرض ، أو خوفا من غوايتها للناس في الأرض ، وايضا في أسطورة اساف ونائلة وتخيل الرواة لأسطورة خلقية بعد رؤيتهما تمثالين لرجل وامرأة لم يتوانوا في الجمع بينهما عن سبيل الى ابتكار أسطورة تجمع بينهما ، وعدوا ذينك التمثالين أو الحجرين ممثلين لرجل وامرأة جمعت بينهما قصة غرامية فكانت أسطورة وقوعهما في الخطيئة في الكعبة .

وننظر الى أصنام نوح وخيال الرواة في الطريقة التي دفنت بها تلك الأصنام بعد الطوفان ، ثم انتقالها عبر السنين الطويلة الى "عمرو بن لحي" ، فجعلوا له رئيا يستشف الغيب ويتكهن بما يمكن حدوثه عندما أخبر عمرو بن لحى بالذهاب الى ضفة جدة وجلب تلك الأصنام وتقسيمها بين القبائل ، وكان ذلك كله في أسطورة لطيفة لعب الخيال فيها دورا كبيرا .

وأضيف الى ماذكرت ذلك الحشد من المخلوقات الغريبة التي تمتلئ بها أساطير وهب بن منبه ، وهي تدل على خيال ابتكاري في تصور مخلوقات عجيبة ليس لها وجود في حياتهم . فترى القوم أحيانا وقد خلقت وجوههم في صدورهم والحيوانات لديه مفرطة في الغرابة ، فالسباع سود ومخزومة الأنوف والعقارب تطير ، والحية ضخمة وطويلة ، تستطيع ابتلاع الفيل والنسناس يتحدث بل يقول الشعر .

ان في كل ماذكرت لدليل على ابتكار الرواة ووجود قدرة عجيبة لديهم على الخيال المجنح في ابتكار عوالم وشخصيات لاوجود لها في حياتهم اليومية .

٧ - ولع الراوي اليمني بخفايا الأمور وغرائبها ، ولعل هذا ماوجه المفسرين الى الاغراب في تفسيرات بعض الآيات القرآنية ، والامعان في الخيال بعيدا عن النص الذي تتقيد به الآية أحيانا ، وقد انتبه المقدسي لهذه الظاهرة ، وانتقد المفسرين ، وأرجع دخول الأساطير والروايات في تفسيراتهم الى تأثير دواعي العصر ، ولا أظن تلك الدواعي تخرج عن ولوع الرواة والناس بخفايا الأمور وغرائبها ، مما جعل المفسرين ينساقون وراءهم ، مقتنصين أية فرصة تتيحها لهم آية من آيات القرآن الكريم ، للولوج في عالم الخيال والأساطير ووجدوا في الرواة اليمنيين ومالديهم من تفسيرات وولع بتلك الأمور مايغذي هذه الحاجة ويقوي هذا الميل لديهم .

فعمرو بن لحى يطلع على أصنام نوح على نحو عجيب على الرغم من بعد المسافة وبعد الزمن فكل ذلك بوساطة قوى خفية يتمتع بها الرئي الذي كان يلازمه ويطلعه على خبايا الأمور وخفاياها .

وقد ساقهم الولع في الاغراب الى ابتكار تلك المخلوقات الغريبة ، والعوالم العجيبة مما حدا بهم الى ربط النسناس ببلاد اليمن ، وماصاحب وجودهم من قصص وأساطيـــر .

٨ - يلاحظ في معظم الأساطير النزعة الى التعليل والتبرير ، فيربطون الأسباب بالمسببات على نحو عجيب يدعو الى التأمل والملاحظة ، فهم لايكتفون بنسج الأساطير والحكايات الخيالية العجيبة ، ولكننا نلحظ محاولتهم ايجاد المنطق الذي يربط بين الظاهرة وسبب نشوئها ، أو بين الحدث وسبب وجوده . وتسعفهم قرائحهم بابتكار الصلات الطريفة بين الأسباب والمسببات ، والروابط بين العلة والمعلول .

فتلك الأصنام التي عبدها قوم نوح ، لم يعبدوها فجأة ، ودون سابق انذار ، ولكنهم ابتكروا قصة لوجودها عندما جعلوها ممثلة لخمسة من القوم الصالحين ، افتقدهم أهلهم عند وفاتهم وبلغ بهم الحزن مبلغه ، فصنعها لهم المثال على هيئة صورهـــم .

وحار القوم أيضا في اختفاء البشر من بينهم ، وأخذوا يربطون بين اختفائهم ووجود تلك الجبال المحيطة بهم في شموخ وشمم ، فوحدوا بينهم وبين تلك الجبال التي خلبت ألبابهم بوجودها الدائم ، وصاغوا في ذلك قصص المسخ الطريفة .

وهذه الشمس التي تظهر في بداية اليوم لتعود الى الاختفاء ثانية بعد جولتها ، أخذوا يبحثون في سر اختفائها . وابتكروا أسطورة طريفة تعليلا لشروقها وغروبها كل يوم .. كما ابتكر غيرهم من الامم اسطورة يعللون بها كسوف الشمس .[1]

ان كل تلك التفسيرات والتعليلات لدليل على وجود هذه النزعة لديهم ، والميل الى التعليل والتبرير على نحو منطقي يقنع سامعيهم في عصر الرواية .

٩ - تسود أساطير اليمن نزعة الى الافتخار بملوكهم القدماء وما حققه اليمن من حضارة وسؤدد في الزمن القديم ، فيميلون الى تضخيم وتفخيم ماحققوه وما أنشأوا من معابد ومبان دينية وقصور .

ونلمس هذه النزعة في الخلط بين المدلولات المأثورة عن اليمن وما صاحبها من أساطير ، فهذا رئام الذي جعله الهمداني اسم شخص امعانا في التعظيم والدلالة على ماكان عليه القدماء من ملوك اليمن ، فتتسمى المعابد والبيوت الدينية باسمائهم ، أو يرجع الفضل اليهم في انشائها ، مع أن النقوش تثبت عكس ذلك ، وتنص على أن رئام مخلاف عبد فيه الاله الذي تسمى باسمه وأقيم فيه ذلك المعبد المعروف ، ولكن النزعة الى تمجيد الملوك القدماء جعلتهم يربطونهم برئام وماتحيط به من قداسة وغرابة . وأخذوا يروجون له في أساطيرهم ، وينسجون حوله الحكايات .

ان الميل الى تمجيد الملوك جعل أحد الباحثين يربط بين تسمية بعض الملوك وبين عبادة تلك الأجرام السماوية مستشهدا بتسمية الملك "رب الشمس نمران"[2] ولا أظن ذلك الا من مظاهر اللبس الناتج عن الخلط الذي ساقهم اليه الافتتان بالملوك القدماء وتمجيدهم .

ومثل ذلك ماقيل في اسطورة تولي بلقيس الملك وقصتها في القضاء على الملك السابق الذي طغى وتكبر ، فعانى أهل اليمن من جوره وطغيانه الى أن تم خلاصهم منه على يد بلقيس في تلك الأسطورة ، فأثبتوا للملكة اليمنية بطولة فائقة في التغلب على الملك الظالم بالدهاء وحسن الحيلة ، وكان خلاص شعبها من ظلمه وطغيانه .

---

(١) أنظر البحث ص ٩٨

(٢) أنظر البحث ص ٩٧

١٠ - ولايكتفي رواة اليمن باثبات البطولات للملوك ، ولكن أعيان اليمن أيضا وقادتها المشهورون قد حققوا بطولات فائقة كما لمسنا في أسطورة جعفر بن قرط ، وماكان من خبر رحلته الى الحج للعمرة فقضى على كل ماصادفه من صعوبات وعوائق كانت تعترض طريقه ، فأثبت شجاعة نادرة في قضائه على الصعلوكين الشابين ، وأسرهما وأخذ يعاملهما بلطف في الأسر ، كما أن الراوي لم يكتف بذلك ولكن جعل البطل اليمني يجابه التنين ذلك الوحش الرهيب الذي دخل معظم الأساطير العالمية ، وكلها تصور خطره وفتكه ، ولايتأتى القضاء عليه الا على يد أحد الالهة الذي يتولى صرعه • أما الراوي فقد جعل البطل اليمني يصارع حتى كل التنين وانصرف ، ولعل في ذلك منتهى الشجاعة ومنتهى القدرة على الدفاع عن النفس ، وحماية الأهل والحمى ، عزاها الراوي الى الشخصية اليمنية "جعفر بن قرط الازدي" •

ويحرص الراوي على اكساب أبطاله من اليمانيين قدرات خارقة لاتتأتى البشر كما لمسنا ذلك في أسطورة فيميون الذي جعلوه سببا في دخول النصرانية الى اليمن ، فجعلوا فيميون متحصنا بقوى أخافت التنين منه ، وجعلته ينصرف دون أن يصيبه بأذى•

ومما يلحق بتلك النزعة محاولة الرواة اكساب عمرو بن لحى - وهو يمني خزاعي - قوة خفية تمثلت في وجود الرئي الذي يلازمه ويطلعه على بواطن الأمور ومكنه من معرفتها ، واستشفاف مايحقق النجاح منها ، عندما أملى عليه وجود تلك الأصنام ، وأشار عليه باحضارها وتوزيعها على القبائل العربية المعروفة كما مر بنا • ولعل لهذه الاشارة ارتباط بظاهرة الأولوية التي أولع بها رواة اليمن وحاولوا دائما ارجاعها الى اليمن بشخصياته المختلفة من ملوك وقادة وأبطال • فلذلك عمرو أول من جاء بالاصنام المعروفة بأصنام نوح ، وأول من أدخل عبادتها الى بلاد العرب ، فكأني بالراوي - هنا - لايهمه فحوى عبادة الأصنام ما تحمله من مضامين دينية وثنية ، ولايهمه ماكانت عليه عبادة القوم بقدر مايهمه اثبات الأولوية لشخصية يمنية كانت لها قدرة خارقة في استشفاف الأمور ، وهمه عجيبة في تنفيذها •

١١ - يتضح في أساطير اليمن التأثر بالثقافة اليهودية ، ووجود بصماتها جلية على روايات اليمانيين وهم على ماكانوا عليه من اطلاع على تلك الثقافة ، بل كان تدينهم باليهودية ، كما قيل عن كعب الأحبار ووهب بن منبه • وقد نص وهب على الاطلاع على العديد من الاسفار القديمة • ويتضح هذا في الأسطورة التي حكت ابتداء دخول الديانة اليهودية الى اليمن ، وحديث الحبرين اللذين اصطحبهما تبع معه الى اليمن ، وما كان من احتكام أهل اليمن الى النار التي اندحرت بعد أن تلا الحبران التوراة ، فكان دخول اليمن الى اليهودية ايمانا منهم بتلك المعجزات التي أثبتها الحبران ، وتعددت تلك الأساطير حول الحبرين وتنوعت ، بعد احتكامهم الى النار التي كانوا يؤمنون بحكمها الحق في أمور حياتهم المختلفة • والتحاكم الى النار تقليد يهودى قام به بعض أنبيائهم كما أسلفنا • (١)

---

(١) انظر البحث ص ١٢١

ومثل ذلك ماصاحب وجود معبد ريام من حكايات أسطورية تحاول اثبات المعجزات لليهودية وذلك في قضاء الحبرين على الشيطان الذي ادعيا وجوده في بيت ريام ، فأمرهم الملك باستخراجه ، وكان ذلك عندما استخرجا كلبا أسود اعتبراه ممثلا للشيطان الذي خلصا البلاد من شره .

ان الترويج لليهودية واضح في تلك الأساطير ، كما أن صبغة الثقافة اليهودية تبدو جلية .

١٢ - وتأثرت الأساطير أيضا بالثقافة النصرانية ، كما لمسنا ذلك في الأساطير التي تحكي عن ابتداء دخول النصرانية الى اليمن . فربطوا دخولها بشخصيتين هما فيميون وتلميذه عبدالله بن الثامر ، فنسبوا الى ابن الثامر قدرته الى شفاء العليل والسقيم ، ثم نجاته من الغرق عندما ألقاه ملك اليمن في (بحور نجران) التي لايقع فيها شئ الى هلك . والملاحظ أن هاتان الصفتان من صفات المسيح حيث كان يشفي السقيم ويسير فوق الماء دون أن يغرق .

وجعل الرواة هذه المعجزات سببا في اتباع اليمن وملكها وأهلها الديانة النصرانية ، كما تغنوا في اثبات المعجزات ونسبها الى فيميون عندما جعلوا التنين (الحيوان الخرافي) يقبل عليه دون أن يلمسه بأذى ، وذلك لتحصن فيميون بقوى خارقة جعلت التنين يتراجع عنه ويتورع عن ايذائه ، ومسألة التنين وخطره أمر لاشك في اطلاع الرواة عليه من أسفار العهد القديم التي تنص على وجوده وتكوينه خطرا يهدد من حوله ، وهم يتوسمون في بهوه القدرة على صرع التنين وخلاصهم منه كما مر بنا .[1]

ان في كل ذلك تأثر بالثقافة النصرانية ، وبما كان يروجه معتنقوها من محاولات تثبت للنصرانية الخوارق والمعجزات .

١٣ - ويظهر التأثر بالقصص القرآني في عدد من هذه الأساطير ، فكأن قصص القرآن كانت منطلقا للرواة في البناء عليها ، واتخاذ مادتها أساسا لأساطيرهم ورواياتهم العجيبة .

وقد أسلفنا أن القصص القرآني قد ورد للعظة والعبرة لأولي الألباب ، فل يشف شغف الناس الا الاطلاع على ماوراء هذه القصص من تفاصيل أخذ الرواة يغرقون بها المصادر العربية ، ووجدت تلك الأساطير طريقها الى كتب التفسير ، كما ألمحنا . ويتضح أثر القرآن في حكاية عبدالله بن الثامر وملازمته لفيميون ، وشبهها الواضح بحكاية النبي ومسي مع الحكيم الذي ظل يلازمه ويسأله عن سر أفعاله ، والحكيم ضيق بها لأنها ناتجة عن جهله ببواطن الأمور .

---

(١) أنظر البحث ص ١٢٨

كما يتضح بناءهم أسطورة الزهرة والملكين هاروت وماروت على ماورد في القرآن الكريم من آيات ، وذلك عندما أراد الله تعالى أن يخلق آدم ، فقال للملائكة: "اني جاعل في الأرض خليفة" قالوا: "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسف الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك"(١) ، وتستمر الآيات ، ويستمر معها تفسير الطبري عندما جعل الملكين المختارين في الأرض هاروت وماروت ، ويأخذ في سر أسطورة الزهرة التي كانت امرأة حسناء ، وماكان من أمر غوايتها لهما (٢) .

وربما كان ذكر الأصنام الخمسة في القرآن الكريم حافزا على وجود أسطورة عمرو بن لحى وحصوله على تلك الأصنام التي اصطلح الرواة على تسميتها بأصنام نوح ، وهي التي جاء ذكرها في الآية الكريمة "وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ردا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا"(٣) . فحاك الرواة أسطورة لطيفة تروي كيف اختبأت تلك الأصنام طوال السنين حتى عثر عليها عمرو بن لحى .

١٤ - ان الشعر الذي قيل في هذا النوع من الأساطير قليل اذا قورن بما دخل الأساطير بعامة من شعر انطق به الرواة أبطالهم على نحو دائم ، فلماذا قل الشعر في هذه الأساطير التي تعنى بأديان القوم ومعتقداتهم ، ويحتمل قول الرواة الشعر على لسان بعض أبطالهم ، ولكنه حذف على يد الرواة المتأخرين بعد الاسم تحرجا وخوفا من اتباع السامعين لما يسمعون ، فيكون الحذف حينئذ ناتجا عن غيرة دينية أملت على الرواة حذفه واسقاطه من رواياتهم .

ولانستطيع الجزم - هنا - بوجود ذلك الشعر ، وان ما دعانا الى احتمال وجوده في مثل هذه الأساطير هو تلك الكثرة من الأشعار التي حرص الرواة على حشدها في أساطيرهم ، وانطاق أبطالهم بها في أنماط أخرى من الأساطير ، كما سنلاحظ في الأنواع القادمـــة .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٠

(٢) أنظر البحث ص ١٠٠

(٣) سورة نـــوح ، الآية ٢٣

الفصل الثاني

" الأساس الطبيعي "

نخضع في هذا الفصل مجموعة من الأساطير التي ترتكز على الأساس الطبيعي ، وتتناول مظاهر الطبيعة والكون والحياة ، ووقوف الانسان ازاءها حائرا . لقد وقف الانسان في حيرة أمام بعض مظاهر الطبيعة التي أحاطت به ، ولمس في الكون أسرارا أثارت في ذهنه تساؤلات عديدة ورسمت فيه علامات استفهام وتعجب ، وحار في وجود الاجابة الشافية عن ذلك كله . ثم تلفت حوله لعله يجد في واقعه مايعينه على ذلك في تفسير مسألة أو تحليل قضية تتعلق بالحياة ، ولكن الواقع لايسعفه في الوصول الى الاجابة التي تشفي غليله وتروي صداه .

حينئذ لم يجد ذلك الانسان بدا من اللجوء الى عالم الخيال ، وكانت تلك الحيرة دافعا لانطلاق في عالم التصور والتهويم ، فأخذ يبحث فيها عن أسرار الطبيعة والكون ، ويفلسف تلك الظواهر ويعلل لوجودها في قصص أسطورى طريف ، يحمل آراءه وتعليلاته في تفسير تلك الظواهر .

وكانت النتيجة مجموعة من الأساطير الجميلة حملها الانسان نظراته في الحياة مستخلصا اياها من تجاربه في الحياة وعراكه مع الدهر الذي كانت له وقفة خاصة معه في الأساطير التي أصطلحنا على تسميتها بأساطير الدهر . حيث جسد الراوي صراع الانسان مع القدر ومحاولته المستميتة في تحقيق الخلود والانتصار على الدهر دون جدوى ، ثم التسليم بقضاء الله وقدره والوصول الى الحقيقة الساطعة في استحالة الخلود والبقاء لله وحده .

وتقبل الانسان حقيقة النهاية المحتومة وهي "الموت" ، ولكنه حار ثانية عند الوقوف أمام الجسد المسجى وقد فارقته الروح ، وتساءل عن انفصال الروح عن الجسد، ثم حاول أن يربط بين بعض الاعراف السائدة ومصير الروح بعد موت الشخص ولاسيما اذا مات مقتولا .

ونجد الراوي في هذه الأساطير يختار أبطاله من الواقع الذي يملأ حياته ويحيط بها ، فيلتصق بواقعه التصاقا ملموسا دون تجريد للكائنات من حوله ، أو محاولة للخروج من اطار ذلك الواقع ، ومع ذلك شغلت اهتمامه كائنات غير مرئية كالجن ، فوقف ازاءها محتارا ، وصاغ الأساطير الكثيرة حولها ، محاولا خلق الصلات الوطيدة بينها وبين شخصياته اليمنية في قصص أسطوري طريف ، وهو في كل ذلك يحدوه التوفيق بين مايسمعه ويراه ومايعرف عنه من المصادر المختلفة .

أسطورة سهيل والشعريين :

لقد فتن العرب بمظاهر الطبيعة من حولهم ومالوا الى تجسيدها في أساطيرهم، اذ أخذوا يحتسبون حركتها في الكون ، وأخذوا يكونون القصص الذي يفسر ويعلل مايرونه في مسارها من حركة أو سكون .

ومن أجمل الأساطير التي تتناول مظاهر الكون هذه الأسطورة التي جعلوا أبطالها من النجوم ، فتقول الأسطورة ان "الشعريين هما: "الشعرى العبور" التي في الجوزاء و "الشعرى الغميصاء" التي في الذراع[1].

وجعل الرواة الشعريين أختين لسهيل ، حيث كان ثلاثتهم مجتمعين ، فانحدر سهيل فصار يمانيا ، وتبعته الشعرى اليمنية عابرة المجرة ، وبذلك سميت عبورا ، أما الغميصاء فظلت مقيمة مكانها ، وبكت على أثر عبور أختها وراء سهيل ، وذلك لفقدهما ، ومازالت تبكي حتى غمصت فسميت الغميصاء[2] .

وقداول الفينيقيون ظاهرة هبوط النيزك في السماء ، فقرنوا بداية عيدهم بوميض نيزك يسقط في يوم معين من قمة جبل لبنان في شهر ادونيس (شهر ابراهيم اليوم) ، وكان المظنون أن النيزك انما هو عشتاروت نفسها ، ومن الطبيعي أن يؤول سقوطه في الأجواء السماوية بأنه هبوط الالهة الى ذراعي حبيبها ، ويذكرنا هذا الهبوط بعبور الشعرى خلف سهيل بعد انحداره .

وقد ذكر الشعراء قديما (الشعريين) وتغنوا بهما ، فنسب الى المهلهل قوله :

وتخبو الشعريان الى سهيل   يلوح كقمة الجبل الكبير[3]

وفي البيت ايحاء لطيف بحاجة الشعريين الى وجود سهيل بجانبهما يستمدان منه نورهما وهو الوضاء المنير الذى لاح بوضوح شامخ كقمة الجبل الكبير . ولكن سهيل ينحدر في الأسطورة ، وتتمكن الشعرى العبور من اتباعه بينما تحرم الشعرى الغميصاء من الانتفاع بجواره وحمايته ، ولذا تظل صورتها حزينة وهي تبكي لفقدانهما كما تقول الأسطورة .

وتستحضر هذه الصورة الى أذهاننا صورة افروديتي الالهة الاغريقية التي تغلب عليها الحزن فعطت وجهها بوشاحها ، بينما وقفت منافستها العنيدة برسيفوني تحمل غصنا بيد ، وتشير بالأخرى الى صندوق مغلق لعله يحتوي على ادونيس الصغير ، الذي

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب (مادة شعر)
(٢) الزبيدي ، تاج العروس (مادة شعر)
(٣) لويس شيخو ، شعراء النصرانية ٢ : ١٧٠

أولعت به الالهتان المتنافستان حبا ، واحتكمتا في ذلك الى زفس اله الموت ، فحكم بأن يبقى "أدونيس" مع "برسيفوني" تحت الأرض شطرا من السنة ، ومع افروديتي في العالم العلوي شطرا آخر (١).

وتتكرر صورة افروديتي النائحة وهي تجلس في وضع حزين في العديد من الأساطير الاغريقية ،ونرى الشبه الواضح بينها والشعرى الغميصاء التي انفرط قلبها حزنا ، وغمصت عيناها من فرط البكاء على فراق سهيل ، وان حذف عنصر التنافس بين الشعريين في الأسطورة العربية يجعلهما اختين لسهيل ، ولكن ظل حرمان الغميصاء من سهيل مدعاة لحزنها الدائم ، في حين استأثرت الشعرى العبور بصحبته الدائمة لها .

وقيل ان أصل هذه الأسطورة من الكلدان ، ، فكان للشعرى شأن عظيم في مراثيهم ، كما بنت عليها جميع الأمم القديمة خرافات كثيرة (٢).

وتجعل الأسطورة الاغريقية نهاية للشاب الجميل أدونيس بعد صراع الالهة حوله ، فتسجل أن خنزيرا بريا قتله وهو في الصيد ، وقيل ان الذي صرعه (آريس) - وهو اله الحرب ومن عشاق افروديتي - لغيرته ، اذ تنكر في شكل خنزير لكي يستطيع أن يودي بغريمه ، وما أشد مابكت افروديتي حبيبها المقتول (٣).

وقد وجدت على صخرة كبيرة صورة حفرت لأدونيس وافروديتي ، وهو مصور وفي يده رمح ينتظر هجوم دب ، بينما جلست هي في وضع حزين ، وكان عباد أدونيس يعتقدون أن البهم يموت كل سنة جريحا في الجبال فيتضمخ وجه الطبيعة كل سنة بدمه المقدس ، وكان النهر يجري محمرا الى البحر ، فيحيط سواحل البحر المتوسط المتعرجة بخيوط قرمزية كلما هبت ريح نحو الساحل (٤).

وننظر الى صورة مشابهة لسهيل في أبيات ابي العلاء المعري حين قال :

وسهيل كوجنة الحب في اللو	ن وقلب المحب في الخفقان
مستبد كأنه الفارس المعـ	ـلم يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح في احمرار كما تس	رع في اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الأعادي	فبكت رحمة له الشعريان
قدما وراءه وهو في العجـ	ز كساع ليست له قدمان (٥)

---

(١) فريزر ، أدونيس ٢٣
(٢) شفيق معلوف ، عبقر ١٤
(٣) فريزر ، أدونيس ٢٢
(٤) المصدر السابق ٣٨
(٥) المعري ١ : ٤٣٣ ، سقط الزند

ان التشابه واضح بين الصورتين ، فكما حارب أدونيس الخنزير البري أو الدب المفترس ، نجد سهيلا يصارع الأعداء ، وفي الأسطورة الاغريقية يحارب البطل أدونيس الهة تنكرت في شكل حيوان متوحش انقض عليه حتى صرعه ، أما في الأسطورة العربية فسهيل يحارب أعداءه ويستميت دفاعا في مصارعتهم ويبدي بطولة خارقة في دفاعه ضدهم ، ولكنهم يحيطون به من كل جانب ، وتنزل عليه سيوف الأعادي ضربا حتى تضرجه في دمائه • وتشفق عليه الشعريان وتبكي لما فعله به خصومه ، ونلحظ هنا الشبه الكبير بين صورة سهيل المضرج بدمه وصورة أدونيس الذي سالت دماءه في النهر حتى البحر فتلونت سواحله بخيوط قرمزية ، لقد ضمخ الطبيعة بدمه • وتبكي الشعريان سهيلا كما بكت افروديتي أدونيس ، ويبدو أن الشاعر العربي لم ينس رابطة الأخوة التي تربط سهيلا بالشعريين ، فجعل الأثنتين تشتركان في الحزن على ما ألم به من أعدائه •

وقد أرجع البطليوسي أصل هذه الأسطورة الى واقع العصبية بين اليمانيين والمضرية ، فقال: "جعل سهيل لاحمراره واعتزاله الكواكب الشامية كأنه فتيل مضرج بالدم ، وجعل الكواكب الشامية كأنها أعاد للكواكب اليمانية ، فلذلك ضرج سهيل بالدم ، لأنه بعضها (١) •

وأرى في تعليله بعض المبالغة وابتسار التأويل ، وفي الواقع لا أرى أسطورة سهيل الا صدى للأسطورة الاغريقية حول أدونيس الاغريقية •

وقد فتن الشعراء بأسطورة سهيل واستمدوا منها صورا جميلة في تعبيراتهم وتشبيهاتهم ، فننظر الى عمر بن أبي ربيعة الذي ذكر سهيلا في تورية لطيفة حين قال :

أيها المنكح الثريا سهيــلا	عمرك الله كيف يلتقيـــان
هي شامية اذا ما استقلــت	وسهيـل اذا استقل يمـــان (٢)

وأراد الشاعر التورية لأن الثريا هي بنت عبدالله بن الحارث صاحبة عمر ، وسهيل هو سهيل بن عبد العزيز (٣) ، وروى البغدادي أن سهيلاً هو سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وأمه بنت يزيد بن سلامة ذي فائش الحميري ، تزوج الثريا ، ونقلها الى مصر • وكان عمر يشبب بها ، فضرب لها المثل بالكوكبين •(٤)

---

(١) المعري ، سقط الزند ١ : ٤٣٦

(٢) البغدادي ، خزانة الأدب ٢ : ٢٨

(٣) الأصفهاني ، الأغانـــي ١ : ٩٠

(٤) البغدادي ، خزانة الأدب ٢ : ٢٩

وفي احدى الروايات أن سهيلا ركض وراء الجوزاء ، فركلته برجلها فطرحته حيث هو ، وضربها بالسيف فقطع وسطها ، ولايختلف ذلك عن الميثولوجيا عند اليونان وغيرهم ، مما زخرت به أساطيرهم من حوادث بين الهتهم (١)

ومما يلحق بهذه الأساطير قولهم ان سهيلا كان عشارا على طريق اليمن ظلوما فمسخه الله كوكبا (٢). لذلك رسم الشعراء صورته على نحو اتسم ببعض العداء وذلك لارتباطه في أذهانهم بقصة المسخ كوكبا نتيجة ظلمه عندما كان عشارا ، لذلك قال فيه ذو الرمة في الرجز :

اذا سهيل لاح كالوقـــود   فردا كشاة البقر المطـــرود

وشبيه بذلك قول جران العود :

أراقب لوحا من سهيل وكأنـــه   اذا مابدا من آخر الليل يطـــرف
يعارض عن مجرى النجوم وينتحي   كما عارض الشول البعير المؤلف (٣)

ولعل فكرة المسخ أثرت في الشاعر ، فجعلته يشبه اعتزال سهيل النجوم وميله عنها ببعير ضم الى ابل وليس منها ولذا يقف بعيدا عنها . فظل الشاعر ينظر الى سهيل مرتبطا بما عرف حوله من أساطير ، وهذا ذو الرمة أيضا الذي قال فيـه :(٤)

اذا عارض الشعري سهيل كأنـــه   قريع هجان عارض الشول جافـر (٥)

وفي تشبيه الشاعر لسهيل مايصور معنى الابتعاد والانفراد ، بل النفور أيضا ، ولاشك أن ذلك وليد ماشاع من أساطير حول النجم اليمني "سهيل" .

ان الأساطير التي اكتنفت النجم "سهيل" لاتقل روعة واغراقا في الخيال عما نجده في الميثولوجيا اليونانية ، بل نستطيع أن نلمس فيها قدرا كبيرا من مظاهر التشابه ، لانستطيع الجزم بمصدره ، هل هو اطلاع الرواة على تلك الأساطير الاغريقية وتأثرهم بها ، فدخلت ضمن مادخل رصيدهم الثقافي من خلال ماتتناقله الأمم من روايات وأساطير ، أم أن التشابه يرجع الى مرور الأمة بمرحلة معينة من التأمل في مظاهر الطبيعة والكون والتفكير فيها ، ومن ثم تجسيد الكائنات المختلفة من حولهم في قصص يتصورونها فيها أبطالا فمر رواة اليمن بما مر به رواة الاغريق من مراحل التفكير المختلفة في مظاهر الكون من حولهم .

---

(١) محمود سليم الحوت ، في طريق الميثولوجيا عند العرب ١٠١
(٢) الزبيدى ، تاج العروس (مادة سهل)
(٣) أبو العلاء المعري ، سقط الزند ١ : ٤٣٤
(٤) ذو الرمة ، الديوان ٣٣
(٥) الجافر هو المكثر من الضراب حتى يحسر وينفرد عن النوق

من أساطير الخلق :

لقد روج كعب الأحبار لبعض هذه الأساطير وانتشرت رواياته في المصادر العربية القديمة ونقل بذلك بعض معتقدات اليهودية أو ما اصطلحوا على تسميته بالاسرائيليات ، كما أسلفنا .

ومن أساطير الخلق لديه "ان الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والأرض ، ثم نظر اليها نظرة هيبة فصارت ماء ، ثم نظر الى الماء فغلى ، وارتفع منه زبد ودخان وبخار ، وارعد من خشية الله ، فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة .

ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه ، واحدى يديه في المشرق والأخرى في المغرب باسطتين قابضتين على قرار الأرضين السبع ، حتى ضبطها ، فلم يكن لقدميه موضع قرار ، فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن ، وأربعون ألف قائمة ، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه ، فلم تستقر قدماه ، فأحدر الله ياقوته خضراء من أعلى درجة الفردوس ، غلظها مسيرة خمسمائة عام ، فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليه قدماه ، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار هذه الأرض وهي كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر ، فهو يتنفس كل يوم نفسا ، فاذا تنفس مد البحر ، واذا رد نفسه جزر ، ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار ، فخلق الله تعالى صخرة خضراء ، غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ، فاستقرت قوائم الثور عليها ... ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا ، وهو الحوت العظيم ، اسمه لوثيا وكنيته بلهوت ، ولقبه بهموت ، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال ...." (١)

لقد كان كعب الأحبار يجد آذانا صاغية فيمن حوله حين يروي أساطيره تلك ، لميل الناس من حوله الى معرفة التفاصيل وماوراء الآيات القرآنية من تفسير وتعليل ووجدوا لدى كعب الأحبار أو رواة اليمن ضالتهم في الرد على استفساراتهم وارضاء شغفهم في الاطلاع ، فكثرت أساطيرهم التي يعللون فيها ويفصلون حول خلق الكائنات والطبيعة من حولهم ، وقد جاء في الآية الكريمة "الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها..."(٢) فأقبل الرواة يضيفون ويفصلون في ماتشير اليه الآيات حول خلق السموات والأرض ، غير مكتفين بالاشارات الطفيفة التي تومىء اليها الآيات .

---

(١) الثعالبي ، قصص الأنبياء ٤

(٢) سورة الرعد الآية ٢

وعند تأملنا أسطورة الخلق لدى كعب الأحبار نلاحظ الخيال المجنح في تكوين الصورة التركيبية المتكاملة لاستواء الأرض على ظهر الحوت - على حد زعم الراوي - كما نلمس فيها النزعة الى التعليل المادي لبعض الظواهر الطبيعية كظاهرة المد والجزر في البحر وما ينتج عن ذلك من امتداد المياه وانحسارها ، ففسر ذلك معللا بتنفس الثور الذي جعل منخره في البحر ، فشهيقه يعني مد البحر ، وزفيره يعني الجزر .

يلاحظ في الأسطورة أثر للنظريات البابلية وذلك في كون الماء مبدأ الكائنات ، كما يتضح فيها الأثر اليهودي ، كقول الراوي "بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الأرض"[١] ، كما ان تسميته الحوت أو الكائن المائي لوتيا تذكرنا بالحية الملتوية التي ورد ذكرها في التوراة باسم لوثايان[٢] . ولانستغرب ذلك اذا عرفنا اطلاع كعب الأحبار بالثقافة اليهودية وتبحره بها .

ويرى رفائيل تباي أن العبريين هم الذين استعاروا أفكارهم عن الحيتان والحيوانات البهيمية ذات الجثث الهائلة ، من العرب الأوائل أو البائدة وهو ماكان يطلق عليه العرب "تعفون" ومنها "بعل تعفون" ، وهو مايشير الى البهيمية ، وصراعات الحيوانات الخارقة الوحشية مثل الثيران والبقر الوحشي والحيتان[٣] .

ومن الطريف أيضا وجود تشابه بين هذه الأساطير واحدى الأساطير الصينية التي تجعل الأرض قائمة على ظهر حوت ، كما كان الهنود الحمر يعتقدون أن الأرض قائمة على ظهر سلحفاة . وكان الهنود يظنون أنها على ظهر فيل أو ضبع[٤] .

وذكر الطبري من أساطير الخلق أسطورة مشابهة للسابقة ".. ثم خلق الحوت ودحا الأرض على ظهره . ولما كان الحوت في الماء ، وكان الماء على ظهر حجر صلد ضخم لا نبات عليه ، وكان الحجر على ظهر ملك ، وكان الملك على صخرة ، وكانت الصخرة على الريح ، تحركت الريح ، فاضطرب الحوت، فمادت الأرض . عندئذ أثبتها الله بالجبال ، ففخرت هذه على الأرض.." [٥]

ويلاحظ - هنا - أيضا التعليل لزلزلة الأرض التي جعل الراوي حركة الريح ثم حركة الحوت مسببا لها ، كما تعلل الأسطورة لوجود الجبال التي أرسيت لتحفظ توازن الأرض فتوقف اهتزازها ، فيبدو الميل الى التعليل واضحا ، والنزعة الى التفسير المادي الذي يقنع تصورهم البدائي ، فجميع الكائنات الطبيعية من حولهم قد وجدت لسبب متعلق بغيره .

---

(١) عبدالمعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ١٦٠
(٢) التوراة ، سفر ، الاصحاح
(٣) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١٤٤
(٤) الجوزو ، من الأساطير العربية ٤٧
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١ : ٣٢

تفسير الزلازل :

لقد تلفت الفرد حوله ورأى ظواهر كونية تلم بالطبيعة من حوله ، فحار في أمرها ولم يستطع أن يجد لها تعليلا ماديا يقنعه ، ولذا نقل الينا الراوي اليمني مافكر به أولئك القوم في تعليلهم لظواهر الكون المختلفة ومانجم عنها من حركة في مظاهر الطبيعة ، وأخذوا يعللون بما يسعفهم به خيالهم الخصب .

وخير مثال على هذا النمط من الأساطير مانجده لدى وهب بن منبه في تعليل الزلزلة ، الذي تصوره فقال :

"ان ذا القرنين أتى على جبل قاف ، فرأى حوله جبالا صغارا ، فقال له : من أنت ؟ قال: أنا قاف ، وسأله عن الجبال من حوله ، فقال: هي عروقي ، فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرني لحركت عرقا من عروقي فتزلزلت الأرض المتصلة بـه" (١).

لقد ربط وهب بين السبب والمسبب على نحو عجيب مستنتجا بذلك تعليله من الواقع حوله ، فالزلزلة هزة عنيفة لايمكن أن تحدث الا عن تحرك كائن أو جسم ضخم ، متى تحرك سببت حركته تلك الهزة التي حار المرء في تفسير سبب لها ، وليس في نظره أضخم أو أكبر من الجبل الذي أمامه ، وهو جبل شامخ تحيط به جبال صغار ، فخلق تلك الرابطة بين الجبل قاف والجبال من حوله ، وجسد الجبل الضخم ، وجعله كائنا بث فيه الحياة ، وربط حركته بحركة أجزائه ، فالجبال من حوله عروقه التي يأمره الله بتحريكها اذا أراد أن يزلزل أرضا .

ان هذه الأسطورة التعليلية لخير مثال على ما كان يتمتع به الراوي من خيال خصب وقدرة فائقة على التعليل الأسطوري الجميل ، مما يدل على وجود الأسطورة اليمنية ، بل الأسطورة العربية على نحو لايقل عما نجده لدى الاقوام المختلفة ، وليتضح مصداق هذا القول يجدر بنا مقارنة هذه الأسطورة بما أثر عن بعض الأمم في أساطيرهم التعليلية للظاهرة الطبيعية نفسها (الزلزال) .

كان الأهالي في جزيرة "ساموا" في أثناء هزات الزلازل ينطرحون على وجوههم ويعضون الأرض ، ويصرخون لاله الزلازل "مانودي" راجين منه أن يتوقف لئلا تتحطم الدنيا . وكانوا يعزون أنفسهم بأن ليس لمافووي الا يد واحدة قائلين: (ولو كانت له يدان اثنتان ما أفظع ما كان يهز الأرض !) .

وفي جزائر الفليبين يعتقد أقوام "باغوبو" بأن الأرض محمولة على عمود كبير ، ولكن هناك ثعبانا ضخما يحاول انزالها عنه . فاذا ماهز الثعبان العمود

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان

ارتجفت الأرض . حينئذ يضرب الناس كلابهم لكي تنوح ، لأن الثعبان يخشى نواح الحيوانات فيتوقف عن هز العمود ، ولذلك فان نواح الكلاب يسمع صادرا من كل دار في قرى "الباغوبو" مادام الزلزال مستمرا . (١)

ومن الملاحظ ميل هذه الأساطير الى التعليل المادي لهذه الظاهرة الطبيعية التي قد تحل ببعض بقاع الكرة الأرضية ، فأخذوا يضعون لها أسبابا ويتخيلون تحت العالم الأرضي كائنات وقوى خفية تتحكم في الأرض ، فتسبب هزتها ، كما لمسنا ذلك أيضا لدى وهب بن منبه ، في تعليله .

ونجد لدى كعب الأحبار أسطورة مماثلة في التعليل للزلزال الذي يحدث فتهتز الأرض من حولهم ، حين قال "ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الأرض فوسوس اليه ، وقال له : "أتدرى ما على ظهرك يالوتيا من الأمم والدواب والشجر والجبال وغيرها ، لو نفضتها أو ألقيتها عن ظهرك أجمع لكان ذلك أريح لك ، قال: فهم لوتيا أن يفعل ذلك ، لولا أن بعث الله تعالى اليه دابة دخلت في منخره ، ووصلت الى دماغه حتى عج الى الله منها ، فأشفق الله عليه ، وأذن لها بالخروج ، ومنذ ذلك الحين والحوت ينظر الى الدابة واهي تنظر اليه ، ان هم بشيء مما وسوس اليه الشيطان عادت..." (٢)

ويلاحظ هنا تعليله للزلزال تعليلا ماديا في أسطورة أبطالها من الكائنات التي يعمر بها الكون من حوله .

من أساطير الدهر :

لقد وقف اليمانيون في حيرة وخشوع أمام الدهر ، وصرحوا بذكره في الكثير من أشعارهم ، حيث يبديه الشاعر اليمني تعجبه ازاء صروف الأيام وأحداث الدهر وتقلبه ، كما وقف اليمانيون خاشعين ازاء الدهر وفناء الانسان ، فضمنوا أساطيرهم تلك المعاني الانسانية التي تنم عن تفكيرهم في الخلود والدهر ، ونهاية الانسان المحتومة في الفناء ، مهما وصل في تحقيق شهرة أو مجد . وللتعرف على تفاصيل تلك المضامين ، يجدر بنا التعرف على هاتين الأسطورتين لنرى المعاني الانسانية التي تتضمنها :

أ - أسطورة ذي القرنين :

قد دار جدل واسع حول اسمه ونسبه وهويته ، ولايهمنا - هنا - اثبات الحقيقة التاريخية حول وجوده وصحة نسبه وهويته ، ولكن مايهمنا هو التعرف على الأسطورة اليمنية التي تجعل ذا القرنين ملكا يمنيا وتسميه الصعب ذا القرنين

---

(١) فريزر ، ادونيس أو تموز ١٤٤

(١) النيسابوري الثعلبي ، قصص الأنبياء ٥

ابن الحارث الرائش ، فجعلته الروايات اليمنية ملكا يمنيا ، وكان الاختلاف بينهم حول نسبه الى حمير أو الى كهلان .[١]

وقد روى وهب بن منبه في تيجانه أسطورة جميلة بطلها الملك اليمني ذو القرنين [٢] ، وهي موضوع دراستنا ، والخص هذه الأسطورة مع الاعتماد الكبير على أسلوب وهب :

قال وهب: ان الملك الصعب ذا القرنين بن الحارث الرائش ذي مراقد قد ولي الملك ، وتجبر تجبرا لم يكن في التبابعة متجبر مثله ، ولا أعظم سلطانا ولا أشد سطوة . وكان له عرش من الذهب المرصع بالجواهر النادرة ، وكان عظيم الحجابة . وفي ليلة رأى رؤيا كأن آتيا أتاه فأخذ بيده وسار به حتى رقي به جبلا عظيما منيفا لايسلك فيه ساثر من هول مارأى ، اذ تزفر تحته جهنم ، وأمواجها تلتطم وفيها قوم سود تتخطفهم النيران من كل جانب . فسأله الصعب عنهم ، قال له : الجبابرة . فاخلع ياصعب رداء الكبر وتواضع لله يعطيك عزا أعظم من عزك وهيبة أجل من هيبة الكبر وعزا أعظم من عز الملك ، فاختر لنفسك أي المقامين أحب اليك .

فلما أصبح برز للناس بعد الحجابة وتواضع بعد القسوة ، وجلس بين الناس ودخلت قلبه الخشية فخاف من الله ، ثم أمر بالعرش فأخرج ، ثم قال: أيها الناس اهتكوا ولكل يد ماأخذت . فهتك العرش وانتهبه الناس ، ثم رمى بثوبه فتخطفه الناس .

قال وهب: ثم انه رأى في الليلة الثانية كأنه نصب له سلم الى السماء ، ورقى عليه ، فلم يزل يرقى حتى بلغ الى السماء ، فسل سيفه ثم علقه مصلتا الى الثريا ، ثم أخذ بيده اليمنى الشمس ، وأخذ القمر بيده اليسرى ثم سار بهما وتبعته الدراري والنجوم ، ثم نزل بهما الى الأرض ، فلم يزل يمشي بهما وتبعته النجوم في الأرض ، فأفاق . فلما أصبح خرج الى الناس هائما لايدري ماهو فيه ، فاستنكر أمره .

ولما كانت الليلة الثالثة رأى كأنه جاع جوعا شديدا ، وظهر الى الأرض فصارت له غذاء ، فأقبل عليها يأكلها جبلا جبلا وأرضا أرضا حتى أتى عليها كلها ، ثم عطش فأقبل على البحار يشربها بحرا بحرا ، حتى أتى على السبعة الأبحر . ثم أقبل على المحيط يشربه فلما أمعن فيه اذا هو بطين وحماء سوداء لم تسغ له ، فتركه ثم أفاق من نومه ، فلما أصبح هام وحار فيما رأى وغاب عن الناس لما به .. فقال الناس : يوما يظهر ، ويوما يحتجب .

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير واقيال اليمن ١١٣

(٢) وهب بن منبه ، التيجان ٩١

فلما نام في الليلة الرابعة رأى كأن الانس والجن أتوه من الأرض كلها حتى جلسوا بين يديه ، ثم أقبل البهائم والانعام من الأرض كلها حتى جلست بين يديه ، ثم أقبلت الوحوش من الأرض كلها حتى جلست بين يديه ، ثم أقبلت الطير كلها حتى أظلته وأقبلت الهوام من جميع الأرض كلها حتى حفت به . ثم أقبلت الرياح حتى استدارت فوقه . فأرسل أمما من الانس والجن مع ريح الشمال ، فهبت بهم الى يمنى الأرض ، فلما ذهبت الانس والجن أمر البهائم والأنعام فذهبت بهم الرياح الأربع وجوها من الأرض ، فذهبوا في سبيل الانس والجن ، ثم أمر الطير فذهبت بها الرياح في الوجوه الأربع ، ثم أمر الرياح فذهبت بالوحوش وحبس سباعها تحت قدميه ، ثم أمر الرياح فذهبت بالهوام في سبيل من مضى من جميع من أرسل .

فلما أصبح غلب عليه هول مارأى من الرؤيا الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، فأرسل في وزارئه وأهل مشورته فجمعهم ، ثم قص عليهم جميع مارأى . فهالهم ماسمعوا منه ، ونصحوه أن يجمع أهل العلم والتأويل والكهانة ليفسروا له رؤياه في المرات الأربع ، قائلين له : أيها الملك هذا شأن عظيم لم تدرك عقولنا تأويله .. ثم قال له شيخ منهم له عقل ودين وقد حنكه الدهر: ... لقد رأيت أيها الملك عظيما ، فليس على الأرض من يفسر تأويل رؤياك الا نبي ببيت المقدس من ولد اسحاق بن ابراهيم الخليل .

فجمع ذو القرنين الجموع العظيمة والعساكر الجرارة ، وسار بها حتى انتهى الى البلد الحرام ، فمشى في الحرم راجلا حافيا وطاف بالبيت وحلق ونحر ، فقضى حجه . ثم سار الى بيت المقدس ، وهناك سأل عن النبي الذي ذكر له ، فظهر له موسى الخضر الذي ينتهي نسبه الى ابراهيم الخليل ، وسأله الصعب: أيوحى اليك ياموسى ؟ قال له : نعم ياذا القرنين ، قال الصعب : وما هذا الأسم الذي دعوتني به ؟ قال: أنت صاحب قرني الشمس وذلك ان أول من سماه ذا القرنين الخضر .

قال وهب: ثم قص عليه رؤياه ، فأجابه قائلا: ان الله مكن لك في الأرض وأعطاك من كل شيء سببا ، فأما جهنم فقد أنذرت فانتبه ، فأما طلوعك الى السماء لهو علم من عند الله تدركه ، وأما الشمس والقمر والدراري والنجوم فانه لايبقى معك في الأرض ملك الا خلعته ولا رأس الا تبعك . وأما الأرض التي أكلتها الى غايتها فلم تبق منها شيئا فانك تملك الأرض ومن عليها . والسبعة البحار التي شربتها فانك تركب السبعة الأبحر وتملك جزائرها . وأما المحيط فانك تركبه وتبلغ منه غاية حتى يأتيك عكر لاتستطيع تعبره فترجع دونه ، وأما الانس والجن فانك تنقلهم في الأرض من مكان الى مكان تحول أهل المغرب الى المشرق وأهل المشرق الى المغرب وأهل يمين الارض الى شمالها وأهل شمالها الى يمينها . وأما الانعام والبهائم فانها تسخر لك وأما الوحوش والطير والهوام فانها تسخر لك لاتضر شيئا في زمانك وحيث ماشئت عقدتها بيدك زمامها وأما الرياح فانك تملك عقدها تصرف ضرها عن أي بلد شئت ، وأما رؤياك أنك طفت بالشمس والقمر في الأرض فانك ستجاوز مغرب الشمس وتصير في ظلمة لاتهتدي الا بما في يديك من العلم ، ويذهب عنك ضوء الشمس والقمر، فانهض بأمر الله ، واعمل بطاعة الله ، فان الله يغنيك ويسددك ويوفقك .

ثم نام ذو القرنين فرأى سببا كأن الأرض كلها عليها ليل الى أن طلعت له الشمس من المغرب ببيضاء صافية ، فسار يلقى الشمس ، فلم يزل يتبع نورها حتى بلغ أرضا مفروشة بنجوم السماء ، فمشى عليها . ثم أفاق فاعلم الخضر بهذا السبب ، قال له الخضر: أمرت بأن تسير الى المغرب وتبلغ وادي الياقوت .

ثم سار ذو القرنين الى المغرب بصحبة الخضر ، وأخذ ينقل الناس من أرض الى أرض ، فعاد الى أرض الحبشة ، فلم يزل يفتحها أرضا أرضا وأمة أمة حتى بلغ أقصاها .

وكان ذو القرنين في ترحاله يعمل بما أمره الله ، فيقتل من كفر ويعفو عمن آمن ، ومر بقوم بكم ، ثم مضى يسير حتى انتهى الى قوم سود زرق الأعين ، ثم مضى الى قوم بلق ، آذانهم كآذان الجمال ، فقتل منهم أمما وعفا عمن آمن ،ثم انتهى الى قوم آذانهم كبار من أعلى رأس أحدهم الى ذقنه ، فاذا رقد وضع شقا عليها وغطت الأخرى الشق الأعلى ، وهكذا ظل ينتقل في الأرض حتى وصل الى جزيرة الاندلس فغلب عليها الى أقصاها .

ثم رام ركوب البحر المحيط ، فزفر عليه البحر وصار كالجبال الشم فرأى في الأسباب عقده ، فبنى منارة وجعل عليها صنما من نحاس عقد بها عاصفات الرياح ثم سكن البحر فركبه وسار بجميع جموعه حتى أبعد عن العقد ، ثم طغى عليه البحر، فبنى منارة أخرى ونصب عليها صنما عقدا . فلم يزل يسير في المحيط وكلما عبر وزفر عليه بنى منارة وعقد عقدا حتى انتهى الى عين الشمس فوجدها تغرب في عين حمأة في البحر المحيط ، ووجد من دونها جزائر فيها أمم لايفقهون مايقولون ولا ما يقال لهم .. وسار حتى بلغ وادي الرمل ، وأقبلت الشمس حتى سقطت في العين الحمأة ، فكاد يهلك ويهلك جميع من معه من حر الشمس .

فلما أتى وادي الرمل وجده يسيل بالرمل كالجبال الرواسي ، فرام أن يعبره فلم يطق . وأقام عليه أربعة أيام حتى دخل عليه السبت فسبت . وأخذ يرسل قواده بجنودهم لعبور الوادي ، ولكنه لاحظ أنه كلما أرسل أحدهم مع جنوده لم يأت لا القائد ولا جنوده ، ولايعرف عنهم شيئا.. وسار مع وادي الرمل حتى بلغ الى الظلمة فصار ليله ونهاره واحدا ، وعين الشمس تسقط خلفه.. وظل يسير بجنوده أياما حتى وصلوا الى جهة أشرق عليهم نور أبيض يكاد يخطف أبصارهم ، وسأله رجاله عن هذا الوادي ، فأجابهم بأنه وادي الياقوت فمن أخذ منه قال: ليتني أخذت كثيرا . ومن لم يأخذ قال: ليتني أخذت منه قليلا . ثم انتهى الى الصخرة البيضاء ، فكادت تذهب بأبصارهم من نورها وشعاعها.. ثم دنا ذو القرنين من الصخرة ليرقى عليها فانتفضت وارتعدت وتقعقعت فرجع عنها فسكنت ، وتكرر هذا ثلاث مرات ، ثم دنا منها الخضر فسكنت ، فرقى عليها ، فلم يزل يرقى وذو القرنين ينظر اليه والخضر يطلع الى السماء حتى غاب عنه ، فناداه مناد من السماء : امض أمامك فاشرب ، فانها عين الحياة ، وتطهر فانك تعيش الى يوم النفخ في الصور ، ويموت أهل السماوات وأهل الأرض ، فتذوق الموت حتما مقضيا . فمضى حتى انتهى الى

رأس الصخرة ، فأصاب عينا ينزل فيها ماء من ماء السماء ، فشرب منه وتطهر ، فلما رأى الماء ينزل ويستدير ولايسيل منه شيء قال: الى أين تذهب أيها الماء ، فنودي : قد بلغ علمـــك .

فما رجع الخضر الى ذي القرنين قال له : ياذا القرنين اني شربت من ماء الحياة وتطهرت منه وأعطيت الحياة الى يوم النفخ في الصور وموت أهل السماوات والأرض ، ثم أموت حتما مقضيا ، ومنعت أنت ذلك ، ولك مدة تبلغها وتموت فارجع فليس بعدها مزيد لانس ولاجن . ولم ير ذو القرنين سببا فأقام حينا ينتظر ، وروى وهب على لسان ذي القرنين اثنين وعشرين بيتا من الشعر . ذكر فيها تقلبه في البلاد ، ومدى ماوصل اليه من مجد وسوءدد في فتوحاته العظيمة ، واخضاع البلاد والعباد لسطوته وقوته ، ويسلم أمره لقضاء الله قائلا:

للدهر أيام لعبن بنــا يأتي القضاء بحكم الطــرس

ثم قال الخضر لذي القرنين: قد بلغت مبلغا ليس وراءه من مزيد ولامرمى ، وطئت جزائر المحيط وبلغت حجة الله على الجن والانس بالمغرب ، فانتظر مايوحى اليك ، فأقام حينا ينتظر حتى رأى السبب الصادق ، فناداه مناد من السماء يأمره بالحكم العادل بين الناس والصبر على الضر في تحقيق مايرضي الله فاليوم الفناء وغدا الفنــاء .

ثم أخذ وهب يسرد وصية الخضر لذي القرنين ، وهو يعظه فيها باتباع مرضاة الله ، وتحقيق العدالة في الأرض ...

ثم ينسب وهب الى ذي القرنين ثلاثين بيتا من الشعر يسرد فيها أخبار رحلاته وفتوحاته واخضاع القوم لاتباع دعوة الله ، ويظهر فيها افتخارا بقوته وماحققته من مجد وسوءدد .

وصحب الخضر ذا القرنين ، فسارا يريدان مطلع الشمس يدعوان الى الايمان ولا يأتيان على أمة الا آمنت أو هلكت ، ثم عطف على الجزيرة ومضى الى العراق ، ثم أرض فارس ، ونزل على قصر المجدول وهو القصر الأبيض الذي بناه عابر بن شالخ ، وبنى فيه الصرح وبنى القصر بألواح الرخام الأبيض وسقوفه بالزجاج الأبيض وأرضه ألواح الزجاج الأبيض ، وكان لحامه القصدير ، وأفرغ الماء تحت الزجاج من أسفل القصر . فكان القصر الأبيض أعجب مابني في الدنيا في وقته ، ولم يبن في الدنيا مثله وهو آبدة من أوابد الدنيا .

ثم سار حتى بلغ نهاوند ثم سمرقند حتى وصل أرض يأجوج ومأجوج ، فقاتلهم حتى غلبهم ، وانتهى الى الأرض الشماء ، وهي جبال شم شواهق شوامخ ، فافتتحها وبلغ الأرض الهامدة ، وغلب من بها . ثم بلغ جزائر الأرض الرواب التي تزاور عنها الشمس عند طلوعها ، فوجد عندها قوما صغار الأعين صغار الوجوه مشعرين ، وجوههم كوجوه القردة ، وهم لايظهرون في النهار وانما يظهرون في الليل ، يختفون من حر

الشمس في المغارات والكهوف في الجبال ، فدعاهم بلسانهم وقد أعطاه الله سببا من كل لسان ، ثم صار في أرضهم حتى بلغ أطراف جزائر المحيط ، فأصاب بها أمما من يأجوج ومأجوج يقال لهم "الاحرار" تطلع عليها الشمس وهم قوم سود زرق الأعين طوال الوجوده ، طوال الأنوف ، تشبه وجوههم وجوه الخنازير ، وهم يختفون في النار من حر الشمس ويظهرون في الليل ، فدعاهم وآمنوا .

ثم ركب البحر المحيط ولجج في الظلمات ، حتى وصل الى أرض بيضاء كالثلج ، فيها نبات ، وعليها ضوء ليس كنور الشمس ، نور أبيض يكاد يخطف الأبصار . فسار ذو القرنين وحده أحيانا حتى أشرف على دار مفردة بيضاء فيها بيت واحد ، وعلى باب الدار رجل أبيض واقف ، وعلى سطح الدار رجل مبيض واقف ، قد أخذ كمزمار فجسه في فمه ، وأمكه بيديه جميعا ، وعيناه تشخص الى السماء يشخص بهما ، قال له الرجل الواقف بباب الدار: الى أين تريد ياذا القرنين ، ألم يكفك أرض الانس والجن حتى أتيت أرض الملائكة ! وسأله ذو القرنين من يكون فأجابه أنه ملك من ملائكة اله ، ثم سأله عن الدار ، فقال له الملك: هذه الدار دار الدنيا ، وهذا الذي عليها ملك من ملائكة الله ، وأوحى الله اليه أن يريك كيف أخذ اسرافيل الصور وعيناه شاخص بهما الى العرش ، ينظر حتى يؤمر بالنفخ في الصور ، فصعق من في السموات ومن في الأرض ، ثم ينفخ فيه أخرى ، فيقومون الى الميقات ، فهناك الفصل والعدل ، وكفى بالله حسيبا ياذا القرنين ، ارجع ، فليس لك مزيد .

ثم أعطاه عنقودا من عنب ، وقال له : كل منه ياذا القرنين ، وليأكل منه عساكرك ، فان لهم فيه آية وهو يبلغكم الى أرض الانس والجن . وخذ هذا الحجر (وأعطاه حجرا مثل البيضة) وزنه بما ترى عينك في الدنيا ، فان لك فيه عظة وعبرة . فرجع ذو القرنين بالعنقود والحجر الى عساكره ، فأكل العنقود ، وأكل عساكره وهو لاينقص ، ثم أخذ الحجر فوزنه بجميع جواهر الأرض ، فرجح الحجر ، فلم يزل يزنه بالحجر العظيم والحديد الكبير ، فرجح عليه ، ولم يزل يرجح كل ماوزنه به ولو وزنه بالكثير من جميع مافي الأرض ماوزنه . فالتفت ذو القرنين الى الخضر وسأله عن سر هذا الحجر . فأجابه الخضر: هذا الحجر مثل لعينيك ، لم يملأ عينك جميع مافي الأرض مثل هذا الحجر الذي لم يرجح عليه شيء في الأرض ، ولكن هذا يملؤها ، ومد يده فأخذ قبضة من تراب فجعلها في الكفة ، وجعل الحجر في الكفة فرجح عليها التراب ، وخف الحجر . قال له الخضر: هذه عينك لايملؤها الا التراب وهو الغلب عليها .

وسار ذو القرنين يريد أرض الهند حتى أتى "قطر بيل" ، فوجد بها قوما سموا بالترجمانيين وهم من بني يافث بن نوح ، سموا بالترجمانيين لأنهم ترجموا صحف ابراهيم بلسانهم . وجدهم ذو القرنين قد سكنوا مقابرهم ووجدهم لاغني فيهم ولافقير ، ولاقاض فيهم ولاأمير ، ولاناه فيهم ولاآمر ، ورأى مواشيهم بلا رعاة ، رآهم بين الأنهار في خلاء من الأرض وقفار ، واستغنوا منها باليسير عن الكثير ، فسألهم عن سبب سكناهم المقابر ،فقالوا :

"ياذا القرنين سكناها لئلا ننسى الموت ونطمئن الى الحياة وتستهوينا الدنيا ، وانا رأينا الأرض كالبحر يسلكه المرء فيغطي قدميه ثم يمضي فيغطي ساقيه ورجليه ، فتقلبه أمواجه فتذهب به حيث شاءت ، فلا يدري ماتحته من الهواء ومافوقه من السماء ، فكذلك تستدرج المرء تخدعه ، ويتبعها حتى اذا لجج سارت به حيث شاءت ، والدنيا دار ابليس والآخرة دار الله..."

وأخذ ذو القرنين يسألهم عن نمط عيشتهم وهم يجيبونه معللين في مواعظ متتالية في فضل الآخرة على الدنيا ، وفي محاولتهم عدم الانسياق الى الدنيا والانجراف في تيارها ليكسبوا عيش الآخرة ، ويضربون له المثل بما يسود البشر في المجتمعات من ظلم اجتماعي .

ويستمر ذو القرنين في رحلته ، فمضى الى أرض سمرقند فوجد فيها الزط والكرد والصفد ، ثم أرض مرد والديلم ثم أرض هراة الى أرض الصين والسند ، ودخل أرض الهند ، ثم رجع الى بابل ، ثم سار الى أرض تهامة والحج بمكة .

فلما صار من رمل العراق بموضع "حنو قراقر" رأى في الأسباب أنه يموت بالحنو ويكون فيه قبره ، وأعلم الخضر بذلك ، فقال له الخضر : ياذا القرنين انقضى الأمل وحان الأجل وبقي العمل .. ونسب الى ذي القرنين في تلك اللحظة ثلاث وخمسون بيتا من الشعر ، نعى فيها نفسه ورثاها ، وضمنها ذكريات فتوحاته في البلاد المختلفة ومشاهداته فيها ، حيث شرق وغرب في بلاد الله الواسعة .

فقال في انقضاء عمره وقرب رحيله :

قد حقق السبب الخبير بأمـــره	لما أتاك بحدق الموعــــود
ودعاك اذ حان الرحيل ولم تجد	لما دعاك عن الرحيل محيـــدا
ولقد رجوت بأن تقال له فلم تجد	عند الرجاء في السنين مزيدا
ولت سنوك وغاب عنك مقامهــــا	وأرى لعمرك فقدها موجـــودا

وقد نقل الهمداني الثلاثة والخمسين بيتا نفسها في اكليله ، والعجيب في تعقيبه "وهذه الأبيات من قصيدة طويلة في أربعمائة بيت تركنا باقيها" (١).

ومرض ذو القرنين ثماني ليال ثم مات . وغاب الخضر فلم يظهر الى أحد بعده الا الى موسى بن عمران . ودفن ذو القرنين بحنو قراقر . فقال النعمان بن الأسود الحميري يرثيه قائلا :

بحنو قراقر أمسى رهينـــا	أخو الأيام والدهر الهجـــان
لئن أمست وجوه الدهر سودا	جلين بذلك للملك اليمانــــي
هناك الصعب ذو القرنين ثار	ببطن تنوفة الحنوين عانــــي

---

(١) الهمداني ، الاكليل ٨ : ١٩٠

وروى عبيد بن شرية أن تبع ابنه ملك بعده ، ونسب اليه شعر يتندم فيه على أنه لم يحمل أباه حين مات الى اليمن :

قد كان من رأيي وعزم أرومتي — حمل الهمام الى محل يماني
اعني ابن مرشد حين ودع حميرا — وابن الملوك وقاتل الفرسان (١)

ثم أخذ يتحسر على حال حمير بعده ومايمكن أن تقع فيه من ذل وهوان فقال:

ذهب الزمان به وخلف بعده — أحياء حمير في ردى وهوان
يالهف نفسي يوم ولت حمير — يوم الرحيل بترك خير زماني (٢)

وبعد الاطلاع على ملخص أسطورة ذي القرنين يمكننا استنتاج ماتضمنته هذه الأسطورة من معان انسانية اختلجت في نفس اليمانيين القدماء فعبروا عنها في أشعارهم وأساطيرهم ملمحين تارة ومصرحين أخرى ، ولعل أبرز مايلفت النظر في هذه الأسطورة هو صراع بطل الأسطورة ذي القرنين مع الدهر ، ومحاولته المستميتة في الظفر بالخلود ولكن دون جدوى ، وتعد أسطورة ذي القرنين وقفة تأملية للانسان ازاء الدهر ، ذلك الانسان الذي استطاع الوصول الى ذروة المجد ، فلم يرض طموحه شيء ، بل ظل يتطلع الى المزيد .

ذور القرنين والدهر :

لقد انتبه القدماء من الشعراء والرواة الى الملمح البارز في أسطورة ذي القرنين فقال فيه الربيع بن ضبع :

أمن الأمور أخو الدهور فهل رأى — ذا مرة من قبله معصوما (٣)

ولذا كانوا لاينفكون يذكرونه مقترنا بالدهر والزمان ، وهم لايفتأون يذكرون ماحققه من مجد وسؤدد لم يدم ولم يكتب له الخلود ازاء الدهر وحدوث القضاء ، متخذين من هذه الأسطورة عبرة وعظة في مآل الانسان الى الفناء ، كما ذكره في مثل هذا السياق حكيم قومه قس بن ساعدة الايادي قائلا في موعظته : "... أين الصعب ذو القرنين ، جمع الثقلين وأداخ الخافقين وعمر الفين ، لم تكن الدنيا عنده الا كلحظة عين ، من لم يتعظ اتعظ بها ..." (٤)

وظل ذو القرنين مرتبطا - في أذهان الشعراء - بالدهر ، مما حدا بهم الحال الى تلقيبه "بملك الدهر" ، ولابد أن يذكر التعجب من الدهر وتقلب حاله في كل موضع يستشهدون فيه بذكر ذي القرنين ومدى ماوصل اليه من مجد وقوة .

---

(١) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٤٨
(٢) المصدر السابق ٤٤٨ ، زماني : كذا
(٣) وهب بن منبه ، التيجان ١٣٢
(٤) المصدر السابق ١٢٦

وعند تأملنا في أسطورة ذي القرنين يتضح لنا صراعه مع الدهر منذ بداية الأسطورة التي جعلته ملكا جبارا شديد القوة والسطوة ، يظل صراعه الدهر يستمر في تصاعد مع أحداث الأسطورة حتى نهايتها .

وتأتيه المعرفة على نحو لطيف في شكل أحلام تتوالى عليه ، ولاتخلو أحلامه من خيال لطيف لجأ اليه الراوي لتصوير مضمونه الانساني ، في الأسطورة ، فيفسرها الراوي بانتهاج الزهد وترك الكبر طريقا في الحياة ، والعمل بما يرضي الله في التحذير من جهنم والخشية منها ، والعلم الذي يدركه من عند الله ويأتيه بالأسباب الصادقة الى جانب اصطحابه الخضر الذي كان يعلمه بما يجهل ويفسر له ماخفي علمه ، وملك الأرض الواسعة شرقا وغربا والوصول الى ذروة المجد ، فهل تحقق له الخلود ؟

ان هذه الأمور كلها لم تقر به من الخلود ، ولم تمكنه من البقاء مع الدهر ، فظل ذو القرنين يضرب في بقاع الأرض شرقا وغربا ، يسيره طموحه الانساني في تحقيق المزيد من المجد ، ولايكتفي بفتوحاته في أقاصي البلاد ، ولايقنعه ما حقق من مجد وعلم وسوءدد ولكنه يستمر في رحلته حتى يدخل أرض الملائكة فينصحه الملك بالاتعاظ والعودة "وكفى بالله حسيبا ياذا القرنين ، ارجع فليس لك مزيد" ويأمره الملك بالتوقف عما هو فيه .

ولكن ذا القرنين بضعفه الانساني يحاول تحقيق المزيد دون توقف ويضرب في بلاد يسكنها أقوام غريبو الخلقة ، ويصطحبنا الراوي فيها لمشاهدة عوالم غريبة من البشر ، وذو القرنين في جميع فتوحاته ومغامراته يدعو الناس الى عبادة الله فيقتل من كفر ، ويبقي على من آمن ...

وينصحه مناد بالشرب من ماء الحياة ليعيش الى يوم النفخ في الصور ، فمضى يبحث عنه ليرى الماء ينزل من عين ليستدير ثانية دون أن ينزل منه شيء ، وتساءل ذو القرنين في دهشة ، ولقي الاجابة لدى الخضر الذي تمكن من الشرب من ماء الحياة والتطهر منه ، فلذا أعطي الحياة الى اليوم النفخ في الصور ، وقال له : "... منعت أنت ذلك ولك مدة تبلغها وتموت ، فارجع فليس بعدها مزيد لانس ولاجن..." ، وكأن الراوي اليمني قد أوجد تعليلا لعدم تحقيق الخلود في ارادة الله أن يمنع الانسان الممثل في ذي القرنين من الشرب من ماء الحياة والظفر بالخلود ، مهما حققه في حياته من مجد وسطوة وقوة ، وقد كان هذا التعليل ردا عمليا لعزوف ذي القرنين عن كل ما أصاب وما حقق من انتصار ومن مجد وقوة وعلم ، في محاولته الدائمة الظفر بالخلود .

وقد ذكر النعمان بن الأسود في رثائه جريه الدائب في تحقيق الخلود في قوله عن ذي القرنين :

لقد جاز الخلود الى مداه   وسار كما جرى فرسا رهان[1]

كما صورت هذه الأبيات التي وردت على لسان ذي القرنين عدم استطاعته تحقيق الخلود حين قال :

حاولت أن أعطى الخلود وأرتقي   في الخافقين الى السماء صعودا
فأبى لي الله الذي أملته   أمس المنى دون الرضا مردودا[2]

لقد حاول ذو القرنين أن يجتاز عتبات الخلود مرتين ، ولكنه لم يستطع ، الأولى عند مغرب الشمس حين صادف جبل الصخرة فأبى الجبل أن يكون له مرتقى ذلولا ، بل اهتز وصدرت منه أصوات مخيفة فتراجع عنه ، بينما رقيه الخضر ليصل الى قمته حيث يشرب من ماء الخلود ، ويعود الى ذي القرنين وقد نال مالم يستطع الملك الجبار أن يحصل عليه ...

والثانية في مطلع الشمس حين يصل الى أرض الملائكة حيث يجد ملاكا يذكره بوقفته بالفناء ، فهو يتطلع الى السماء نافخا في مزمار ، وكأنما يقول له ما العالم كله الا فناء يوم ينفخ في الصور[3].

ولايجد ذو القرنين مناصا من التسليم بالقضاء ، وينتابه الشعور بالضعف والعجز أمام الدهر الذي لايفنى ، فنسب اليه الراوي أبياتا أظهر فيها التسليم بحكم القضاء في قوله :

والموت أسى للنفوس متى   حل القضاء رجعن للأسى[4]

ويدعو ذو القرنين الى تقوى الله والاتعاظ بفناء من حوله ومآلهم المحتوم حين قال :

ليعرف حق الله من قد أضاعه   ويهتك بالأسباب سجن المظالم
ويعلم أن الدهر يبلى جديده   ومن قارع الأيام ليس بسالم

والدهر لدى ذي القرنين - يبني ويشيد الأمجاد الشامخة ، ولكنه في لحظة القضاء المحتومة يهدم مابناه ، ولايستطيع الانسان بضعفه - ازاء الدهر - أن يهدم شيئا وهو محكوم عليه بالهدم في يوم ما :

ألم تر أن الدهر يهدم مابنى   ومن يك مهدوما فليس بهادم[5]

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١١٨
(٢) المصدر السابق ١١٧
(٣) فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٣٠
(٤) وهب بن منبه ، التيجان ١٠١
(٥) المصدر السابق ١٠٥

ولايستطيع امرؤ الوقوف أمام الدهر مخلدا مهما أوتي من قوة ومنعة ، ومن ظل ذلك جعلته الأيام عبرة ، كما جاء في قوله :

من كان في حقب الدهور مخلدا   أو كان في جمع العبيد عتيدا
تستعبر الأيام منه جدة   بعد النعيم ولو غدا جلمودا
لا يطمئن الى الزمان وريبة   من كان لم يعهد عليه خلودا (١)

وصور ذو القرنين صراعه مع الدهر الذي هزمه في معركة ظل فيها حسامه مغمودا ، تلك المعركة التي لايمك فيها حق الدفاع عن نفسه حين قال :

هتكت خطوب الدهر عزك هتكة   أمسى حسامك دونها مغمودا (٢)

وكأن امرأ القيس بن حجر الكندي قد استحضر في ذهنه هذه الصورة عند ذكره ذا القرنين ، فصور الدهر غولا يغدر بمن يلتهمهم :

ألم يحزنك أن الدهر غول   ختور العهد يلتهم الرجالا (٣)

وبعد ذلك كله فالانسان عاجز ضعيف ، يظل عجزه قيدا يتخبط في الخلاص منه دون أن يستطيع لنفسه فكاكا . ويشعر ذو القرنين بالضعف الانساني والعجز ازاء الدهر ، فيسلم بقضاء الله وبحتمية الموت في هذين البيتين :

أين الذي يخشى وينسى عمره   يوما على بعد المدى معدودا
لابد أن يلقى المنون وأن نأت   وتأبدت أيامه تأبيدا

ويسلم ذو القرنين أنه لامفر من مواجهة القضاء مهما طال الأجل :

سيموت من تنى المنية يومه   وتنال بنت الدهر منه بعيدا
ياصاحب حقا كل شيء هالك   الا الاله الواحد المعبودا (٤)

ونستخلص من أسطورة ذي القرنين أمورا عدة ، تتجلى لنا عند دراستها والتمعن فيها ، ويمكن ايجازها في النقاط التالية :

١ - <u>الاقتباس من القرآن الكريم</u> :

لقد نسج الرواة اليمنيون أسطورة ذي القرنين منطلقين من ذكر "ذي القرنين" في القرآن الكريم ، فقد ورد في الآية الكريمة : "ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا" (٥) . وفي قوله تعالى: "قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا" . (٦)

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١١٦
(٢) المصدر السابق ١١٦
(٣) المصدر السابق ١٢٤
(٤) المصدر السابق ١١٦ : ١١٨
(٥) سورة الكهف ، الآية ٨٣
(٦) المصدر السابق الآية ٨٦

وقد عرف شغف اليمانيين بخلق الصلات المختلفة بالانبياء والمرسلين ، أو بمن عرفت قوته من الملوك ، فجعل الرواة ذا القرنين ملكا يمنيا مفسرين ما أوردته الآيات حوله بما يغذي أسطورتهم ، محاولين بذلك اثبات صدقهم في انتساب ذي القرنين الى اليمن ، وليس مجالنا هنا التحقيق في الجدل الواسع الذي أثاره هذا الانتساب وفي صحة هوية ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم ، ولكن مدار اهتمامنا الشخصية الأسطورية لدى اليمانيين .

ويستشهد الراوي بآيات القرآن الكريم في تعلق ذي القرنين بالأسباب وتفسيرها بما كان يطلع عليه من العلم والمعرفة . ويقول ذو القرنين في ذلك :

وبدت لك الأسباب عن آياتها ... لما بدوت وجردت تجريدا
ان اليقين يزيد لحظا صادقا ... وترى من الأمر الخفي وعيدا [١]

كما قال في موضع آخر :

وأعطيت أسبابا أرى الرشد عندها ... تناهت بصدق العلم عن كل عالم [٢]

ويظهر الأثر القرآني في الأسطورة اليمنية في وصية الخضر لذي القرنين في قوله "ياذا القرنين حملت أمانة لو حملت على السماء انفطرت وعلى الجبال انهدمت وعلى الأرض انشقت..." [٣] ، ويتضح شبه قوله بما ورد في أكثر من آية قرآنية معنى وتعبيرا . كما يلاحظ الاقتباس من آيات القرآن في تصويرهم الملك الذي حمل شيئا كالمزمار فحبسه في فمه وأمسكه بيديه جميعا وعيناه تشخص الى السماء" ، وعند استفسار ذو القرنين قيل له "ان اله أوصى الى الملك أن يريه كيف أخذ اسرافيل الصور وعيناه شاخص بهما الى العرش ينظر متى يؤمر بالنفخ في الصور ، فصعق من في السموات ومن في الأرض ، ثم ينفخ فيه أخرى فيقومون الى الميقات فهناك الفصل والعدل وكفى بالله حسيبا" [٤].

ولايكتفي رواة اليمن باضفاء صفات القوة والجبروت لذي القرنين ولكنهم ينسبون اليه قوات معنوية وقدرة خارقة تذكرنا بما كان للنبي سليمان من قدرة في تسخير الرياح بأمره وفي تصريف الجن والحيوان ، كما ورد في القرآن الكريم ، في قوله تعالى "وحشر لسيمان جنوده من الجن والانس والطير فهو يوزعون" [٥] ، وفي الآية الكريمة "ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير". [٦]

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١١٥
(٢) المصدر السابق ١٠٥
(٣) المصدر السابق ١٠٣
(٤) المصدر السابق ١١١
(٥) سورة النمل ، الآية ١٧
(٦) سورة سبأ ، الآية ١٢

فنجد ذا القرنين في حلم الليلة الرابعة وقد أتاه الجن والانس ماثلين بين يديه ، ثم أقبلت عليه البهائم والأنعام والوحوش والطير ، ثم أقبلت الرياح حتى استدارت فوقه ، فأرسل الأمم من الانس والجن مع الريح ، وأمر البهائم والأنعام فذهبت بهم الرياح ، كما أمر الرياح فذهبت بالوحوش وحبس سباعها تحت قدميه ، ، ثم أمر الرياح فذهبت بالهوام ، وقد فسر له هذا الحلم بأن الانعام والبهائم والوحوش والطير والهوام تسخر له وحيث ماشاء عقد بيده زمامها ، كما أنه يملك عقد الرياح فيصرف ضرها عن أي بلد شاء • ويقول ذو القرنين في هذا الأمر :

وردت بباب الغرب والجمع مشرع　　على موج بحر مزبد متراكـــم
عقدت بعين الريح عقدا يكفــه　　فأمسك عن مجرى المدى المتفاقم (١)

وقد ذكر الربيع بن ضبع قدرة ذي القرنين في قوله :

فهل بعد ذي القرنين ملك مخلـد　　وهل بعد ذي الملكين يوم فلاح
تريش له الأطيار عند غــدوه　　وتجنح ان ارمى لها بــرواح (٢)

٢ - النزعة الدينية :

وتتجلى النزعة الدينية في أكثر من موضع في هذه الأسطورة ، فذو القرنين يؤدي شعائر الحج المعروفة قبل رحيله الى بيت المقدس ، وهناك "يمشي في الحرم راجلا حافيا ويطوف بالبيت وينحر" ، ويقضى مناسك الحج المعروفة • ولايكتفى الراوي بذلك بل يصرح بأنه كان مسلما ، وذلك في الأبيات المنسوبة الى أسعد تبع:

وأقام ذو القرنين فيها حجــه　　خوفا يطوف على اللظى المتوقـد
اذ كان ذو القرنين جدي مسلما　　فمتى تراه له المقــاول تسجــد (٣)

ويتجلى في الأسطورة التأثر بالفتوحات الاسلامية ، فذو القرنين يضرب في مشارق الأرض ومغاربها يفتح البلاد تلو الأخرى ، يدعو الناس الى الايمان بالله ، ويعفو عمن آمن ويقتل من كفر ، فيقول في ذلك :

فهديت منها مؤمنا ذا همــة　　وقسرت منها كافرا وجحــودا

وهكذا يسير في البلاد المختلفة يدعو القوم الى الايمان بالله ، ولاتثنيه الانتصارات المتكررة عن ذكر الله والتسليم بقدرته فيقول :

وعلوت في الدنيا بعزة قـادر　　أكدت فيها للبقاء تأكيــدا (٤)

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١٠٤
(٢) المصدر السابق ١٣٥
(٣) المصدر السابق ١٢٣ ، وأنظر نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٠٣
(٤) المصدر السابق ١١٧

ومما يلحق بالنزعة الدينية قطع الموعظة المختلفة فيها ، كما جاء في وصية الخضر عليه السلام التي أوصى بها ذو القرنين • وتتضمن الموعظة طرائف التعامل مع الدنيا ، فينصح فيها ذو القرنين بالقناعة وترك مالم تستطع اليد الوصول اليه •• كما ينصحه بالعمل لآخرته ، فالمطمئن الى الحياة مخدوع •• فيختتمها بقوله: "ياذا القرنين اجعل الصبر دثارا والحق أشعارا والخوف من الله جنه ، يزكو لك العمل وتأمن من هو الأجل•••الخ"

ويؤمن ذو القرنين على انتهاج الزهد وترك اللهو في قوله :

خرجت على الدنيا عن اللهو محرما   وسقت جموعا كالهضاب الرواكم (١)

ومن مظاهر الزهد ماورد في الأسطورة حول سكان المقابر ، ومادار بينهم وبين ذي القرنين من حوار حول نبذ العيش الرغيد والميل الى الحياة في الدنيا الفانية ، فيشبهون "الأرض كالبحر يسلكه المرء فيغطي قدميه ثم يمضي فيغطي ساقيه ، ثم يتمادى فيعلو حقويه ثم يمضى فيعلو منكبيه ، ثم يعلو رأسه ، ثم يخطرب بيديه ورجليه فتقلبه أمواجه ، فتذهب به حيث شاءت فلا يدرس ماتحته من الهواء ولامافوقه من السماء ، فكذلك تستدرج المرء تخدعه ويتبعها حتى اذا لجج سارت به حيث شاءت". (٢)

وتنتشر الموعظة في أجزاء متعددة من الأسطورة على نحو يعزز من وجود النزعة الدينية للراوي ومحاولته تحقيقها وتأكيدها •

٣ - النزعة الاخلاقية :

ومما يلحق بالنزعة الدينية أن يحرص الراوي على الانتصار للاخلاق الفاضلة وانتقاد مايراه من مظاهر التسلط والتجبر ، فنجد ذا القرنين ينصحه من اصطحبه في الحلم الأول قائلا: "••• فاخلع ياصعب رداء الكبر وتواضع لله يعطك عزا أعظم من عزك وهيبة أجل من هيبة الكبر وعزا أعظم من عز الملك" فكان أن ترك القسوة والتجبر ، ومال الى الزهد بتوزيع عرشه على الناس (٣) •

وتتضح النزعة الاخلاقية أيضا في الموقف الذي أعطاه فيه الملك حجرا بحجم البيضة ووجده يرجح على كل جسم ثقيل في الأرض يزنه معه ، ثم وجد تفسير ذلك لدى الخضر الذي شبه الحجر بعين ذي القرنين التي لايملؤها جميع مافي الأرض ، ولكن يملؤها التراب ، فأخذ حفنة من التراب ورجحت عندما وزنها مع الحجر (٤) • فأراد الراوي بهذا المثال أن يجسد صفة الطمع التي تلازم الانسان فيقبل على الحياة بنهم متزايد يريد الحصول على كل ماتقع عليه عينه ، تلك العين التي لايملؤها الا التراب••• ولهذا التمثيل ظل حتى اليوم في أمثال اليمن السائرة •

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١٠٤

(٢) المصدر السابق ١١٣

(٣) المصدر السابق ٩١

(٤) المصدر السابق ١١١

ويصور الراوي طمع الانسان أيضا في مرور ذي القرنين بوادي الياقوت ، بقول ذي القرنين : ذلك وادي الياقوت فمن أخذ فيه قال: ليتني أخذت كثير ، ومن لم يأخذ قال: ليتني أخذت منه قليلا (١).

فالأمر سيان في ميل الانسان دوما الى الحصول على المزيد أكان أخذ قليلا أم أخذ كثيرا ، فلابد أن يطلب زيادة على ماحصل عليه ، ولابد أن يتمنى ذلك من لم يأخذ لما فطر عليه الانسان من طمع في الحصول على ماتراه عينه ، وفي الاستزادة منه بعد الحصول عليه .

ويضمن الراوي الأبيات التي نسبها الى ذي القرنين نوعا من النقد الاجتماعي لما هو سائد في عصره ، يحمل الدهر مسؤولية مايراه ، متعجبا من حال تلك الأيام في قوله :

للدهر أيام لعبن بنـــــا	يأتي القضاء بمحكم الطـــرس
كم من قرير العين في دعة	ومروع الأيام فـي نحـــــس
وعسيف قوم ظل في سعـــة	ومقام حر عاش فـي تعـــس

فيرى ضعيف القوم الذي آثر السلامة وتجنب المعارك يعيش في دعة ويسر ، بينما يعيش الحر الشجاع الذي غامر بالنفس ، في عسر وضنك ، كما يستمر في نقده الاجتماعي قائلا :

وسود من غير مكرمـــة	ويمجد في ذاته يمســـي
ومعزز لم يلق قط وغى	وحليف ذل فارس الدعس

فهذه الأيام ترفع من ترفع وتسود من تسود دون أن تعير أعمال المرء اهتماما ، ودون أن تتخذ الشجاعة وقوة البأس معيارًا في علو الفرد أو ضعته ، فترفع الذليل وتذل العزيز ، فكأني بذي القرنين مصلح اجتماعي يود أن تسود مجتمعه العدالة الاجتماعية في أن يجد كل امرئ حقه في الحياة .

وقال ذو القرنين في ماتكشف له من معرفة بأحوال الناس وأخلاقهم :

فلقد كشفت الناس عن أخلاقهـم	وبلدت منهم طارفا وتليـدا
ولقيت منهم أنوكا ومحنكـــا	ورأيت منهم عاجزا وتليدا (٢)

فهو الخبير باختلاف البشر وتقلب أحوالهم .

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ٩٩

(٢) الهمدانـــي ، الأكليـل ٨ : ١٨٩

ولعل الحال يضيق بالراوي لكثرة مايرى حوله من ظلم اجتماعي ، ويشتد به اليأس في اصلاح تلك الحال ، فنجد ذا القرنين يأتي الى من أسماهم "سكان المقابر" وهم الذين نبذوا السكن في البيوت ، فسكنوا مقابرهم لا فرق بين غني ولا فقير ، وعندما سألهم ذو القرنين عن سبب ذلك أجابوه بأنهم فعلوا ذلك لئلا ينسوا الموت ويطمئنوا الى الحياة وتستهويهم الدنيا . فغني الدنيا فقير بالآخرة . وتساووا في عيشهم لئلا يكون منهم ضعيف يحسد قويا ويبغضه ، ولايكون قوي يحقر ضعيفا ، فتكافأ الناس في معاشهم . وهم ليس لهم قاض ولا آمر لأنهم رأوا في دهرهم القوي الجاهل يغصب الضعيف ويستطيل كل ذي يد الى ماقدرت عليه ، ولذلك كفوا بعضهم عن البعض الآخر ليس فيهم ظالم ولامظلوم . ويحمد ذو القرنين أحوالهم ولكنه ينتقد خلودهم الى المقابر وعدم سعيهم لعمارة الأرض وحفظها لمن يخلفهم من العقب . ويحدثهم حديث المصلح الاجتماعي الذي يحثهم على حرث الأرض واستخدام الانهار ، ليكفلوا عنصر البقاء والعيش الطيب لمن يخلفهم [(١)].

٤ - الأثر اليهودي :

يبدو الأثر اليهودي في الحديث عن ذي القرنين عندما "أتى وادي الرمل ، فرام أن يعبره فلم يطق ، وأقام عليه أربعة أيام حتى دخل عليه السبت فسبت..." [(٢)] ونسب الى ذي القرنين قوله :

فلما أتاه السبت أسبت وارتقى ... على متنه عمرو وعاد بن عاصم [(٣)]

ومن المعروف أهمية السبت لدى اليهود ، ولانستغرب هذا الأثر والراوي لهذه الأسطورة هو وهب بن منبه ، وقد كان على قدر كبير من الثقافة اليهودية ، مطلعا على أسفارهم القديمة كما أسلفنا .

٥ - الأثر النصراني :

ونلحظ أثرا نصرانيا في الأربيات التي نسبها نشوان الحميري الى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي حين قال في ذي القرنين :

فنودي لما سار والشمس خلفه ... على الماء ذا القرنين قف واحب طافيا
فقد جئت حد الأرض والظلمة التي ... مررت بها تهوى على الماء ماشيا [(٤)]

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١١٢ - ١١٤
(٢) المصدر السابق ٩٨
(٣) المصدر السابق ١٠٥
عمرو وعاد بن عاصم : هما من قواده الذين أرسلهم للمضي في الأرض فلم يرجعوا
(٤) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٠١

فقد عزا الشاعر الى ذي القرنين القدرة على المشي فوق الماء والطفو فوقه ، وهي قدرة خارقة لاتتوفر للبشر ، وقد عرفت هذه الصفة - لدى النصارى - من صفات المسيح الذي مشى على الماء ونجا من الغرق ، فأراد الشاعر أن ينسب الى الملك اليمني كل قدرة خارقة عرفوها . وقد كانت النصرانية معروفة في اليمن .

٦ - الشبه بأساطير يمنية أخرى :

من الواضح أن في أسطورة ذي القرنين مظاهر شبه متعددة بأساطير يمنية أخرى ، مما يدل على أن المنبع واحد ، فصفت أساطيرهم بصفة معينة ، حيث يتجلى فيها الفخر بما حققه ملوك اليمنيين القدماء ، ويتكرر هذا الفخر في معظم الأساطير بل جلها .

واذا فصلنا القول في مظاهر الشبه فسنجد ذا القرنين يصحب الخضر كما صحب عبدالله بن الشامر فيميون في أسطورة سابقة حول دخول النصرانية الى اليمن ، وقد ورد على لسان ذي القرنين :

صحبت وليا مسكن الوحي قلبه   ليعلم من أسراره كل كاتم(١)

ويمر ذو القرنين بالقصر الأبيض يتوسطه الصرح وبني القصر بألواح الرخام الأبيض وسقوفه بالزجاج الأبيض وأرضه بألواح الزجاج الأبيض ، وأفرغ الماء تحت الزجاج من أسفل القصر(٢) . ويذكرنا هذا الوصف بما جاء حول القصر الذي استضاف فيه سليمان بلقيس ، حيث صنع زوبعة لسليمان مجلسا من قوارير ، جعل أرض المجلس لجة ، ثم جعل فوق ذلك صرحا ممردا من قوارير ، فلما رأت بلقيس الماء حسبته لجة فكشفت عن ساقيها لتخوض الماء"(٣) .

وليست هذه الظاهرة الا دليلا على أن مصدر الرواية واحد حيث تتكرر بعض المشاهد وبعض الأحداث ، كما نلاحظ في الشبه بين الفتوحات التي ينسبونها لكل من الملوك اليمنيين القدماء ، كما لمسنا ذلك لدى ذي القرنين .

٧ - الميل الى التفسير والتعليل :

يلاحظ في الأسطورة كثرة الميل الى التفسير والتعليل ، فلا تمر الظواهر دون أن نجد مايفسرها ويشرحها ، ويبدأ الراوي بتلك الأحلام التي توالت على ذي القرنين ، وكل منها يحمل له قدرا من المعرفة عظيما ، ويجد تأويلها وماتحمل من معان لدى النبي الذي في بيت المقدس ، ونعرف لكل حلم تأويلا وتعليلا

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١٠٥
(٢) المصدر السابق ١٠٧
(٣) المصدر السابق ١٧١

بما يتناسب وحال ذي القرنين أو بالاحرى مايتلاءم والمضمون الانساني الذي أراد الراوي الاشارة اليه . ولا يأتي التفسير سهلا ميسورا ، ولكنه يتطلب الرحلة الطويلة من ذي القرنين ، فينتقل حتى الوصول الى بيت المقدس حيث ينبئه النبي هناك بتأويل أحلامه ، ويتضمن التأويل علما ومعرفة يحيط بهما ذو القرنين ويحاول اتباع مايشير به ذلك التأويل ، غير مخالف مامكنه الله من معرفة وعظة .

ويسعى ذو القرنين الى الخلود ، ولايكتب له الخلود لسبب تعلل به الأسطورة هو عدم استطاعته الشرب من ماء الحياة ، كما استطاع الخضر الوصول اليها والشرب منها .

ويبتكر الراوي شخصية الخضر التي ترافق ذا القرنين وتتولى تفسير كثير من الأمور وتعلل لظهورها ، فينتهي ذو القرنين الى صخرة بيضاء على أحد مناكبها نسور ، ويتعجب ذو القرنين منها ومن تعلقها في ذلك الموضع ، ويجد التفسير لدى الخضر في قصة أسطورية لطيفة (١) .

وقد مر بنا كيف وجد ذو القرنين عند الخضر التعليل لثقل الحجر الذي لايوازيه وزن أو ثقل في هذه الدنيا.. فلكل ظاهرة غريبة تعليلها وايضاحها الذي يقنع السامع ، حتى أوجدوا تعليلا لتسميته بذي القرنين في قول الخضر: أنت صاحب قرني الشمس ، فكان أول من سماه بذي القرنين (٢) .

٨ - الاغراق في الخيال :

يسود الأسطورة جو خيالي يحلق بالقارئ في أجواء بعيدة ، سحيقة في القدم ، كما يلج به الى أراض غريبة فتارة هي متوهجة حارة تسقط فيها الشمس وتارة هي بيضاء تشع نورا وضاء ينير ماحولها ، ومرة هي صخور لاتقبل أن تطأها قدم ، فتهتز وترتعد وأخرى هي واد يسيل بالرمل كالجبال الرواسي ، فقال ذو القرنين :

أتيت الى واد حيث مسيلــه   برمل تراه كالجبال الرواسم (٣)

ثم يعبر بالقارئ أكثر من واد ، فمرة هو وادي الياقوت المملوء بالاحجار الكريمة النادرة ، ومرة هي أرض الظلمات :

وولجت في الظلمات حتى جبتها   خوفا وكان رتاجها محدودا (٤)

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ٩٩
(٢) المصدر السابق ٩٥
(٣) المصدر السابق ١٠٤
(٤) المصدر السابق ١١٧

وفي تلك الأسفار العجيبة والرحلات الأسطورية نشاهد أقواما غريبة الخلقة ، فنمر "بقوم سود زرق الأعين" ، ثم ترى آخرين "بلق آذانهم كآذان الجمال" ، وبعدهم "قوم آذانهم كبار من أعلى رأس أحدهم الى ذقنه ، واذا رقد وضع شقا عليها وغطت الأخرى الشق الأعلى" . ثم نأتي الى أقوام تزاور الشمس عن أرضهم عند طلوعها ، فهم "قوم صفار الأعين صفار الوجوه مشعرون ، وجوههم كوجوه القردة ، لايظهرون في النهار ، وانما يظهرون في الليل ، ويختفون من حر الشمس في المغارات والكهوف في الجبال" ، وينحدر بنا الى قوم آخرين "سود زرق الأعين طوال الوجوه طوال الأنوف ، تشبه وجوههم وجوه الخنازير ، وهم أيضا لايظهرون الا في الليل" ، وقد عبر عن ذلك ذو القرنين في قوله :

ولقيت تحت الشمس قوما خلتهم ... تحت الظلام خنازرا وقرودا (١)

٩ - كثرة الشعر :

نلاحظ في هذه الأسطورة كثرة الشعر المنسوب الى ذي القرنين ، يروي فيه أسفاره وما لاقاه أثناءها من عظة وعبرة ، كما يصف فيها تجربته مع الدهر وايمانه بالقضاء المحتوم الذي لامفر منه ، والنهاية التي تنتظر كل مخلوق على الأرض وهي الفناء والموت ، ولذلك يذكر عدم استطاعته تحقيق الخلود الذي لايحقق لبشر ، فهو يؤمن بأن البقاء لله وحده .

ولم يقتصر الشعر في ذي القرنين واسطورته عليه ، ولكننا نجد شعرا منسوبا الى بعض الملوك اليمنيين القدماء من أحفاد ذي القرنين الذين ذكروه بل أخذوا يفخرون بذكره وماحققه من مجد وسلطة في امتلاك الخافقين ، وفي الانتقال عبر الأرض مشرقها ومغربها ، كما ضمنوا الرثاء أشعارهم . قال في ذلك تبع الأقرن ابنه :

هل بعد ملك الصعب ملك يرتجي ... يهدي بكل مسًا وكل صباح

ملك السعود بكل أرض حكمه ... تبع الهدى مستبصرا بنجاح

ولى وخلف ذكره من بعده ... وهما لنا شبحًا من الأشباح (٢)

فضمن رثاءه الفخر بملك الصعب ذي القرنين وماحققه من نصر متبعا الهدى والايمان بالله .

وهناك أيضا شعراء يمنيون قد ذكروا ذا القرنين ورثوه متخذين من الرثاء مدخلا الى الافتخار بملوك اليمن القدماء وماحققوه في القرون السالفة من مجد وسؤدد . فذكره عبد الملك عبدالرحيم الحارثي وعلقمة بن ذي جدث وأمروء القيس والنعمان بن الأسود الحميري والربيع بن ضبع والأعشى وأوس بن حجر وغيرهم .

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١١٤

(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢١٥

قال النعمان بن الأسود اليعفري في مرثيته :

هناك الصعب ذو القرنين ثاو ... ببطن تنوفة" الحنوين عاني
فمن صحب الزمان بغير صعب ... لقد صحب الزمان بلا أمان
هو الوزر الذي يلجأ اليه ... بنو الأيام من انس وجان (١)

فتعلو منزلته لدى الشعراء ويروا فيه الملاذ الذي يأويهم وقت الشدة .

كما قل علقمة بن ذي جدن في رثائه :

أين الذي بلغ المشارف كلها ... ومغارب الأرض التي لم تعمر
فتناولته منية قصدت له ... فأجابها ومض كأن لم يذكر (٢)

ونلاحظ الفخر لدى علقمة مشوبا بالعبرة والاتعاظ في زوال الكائن الذي عندما حانت منيته استجاب لها طائعا ، ومض وكأنه لم يكن .

ويفخر حسان بن ثابت الانصاري بملوك اليمن يذكر فيهم ذا القرنين ومسيره في البلاد ، حين قال :

اذا انتسبت شوس الملوك فاننا ... لنا الراية العليا التي ليس تكسر
لنا ملك ذي القرنين هل نال ملكه ... من البشر المخلوق خلق مصور (٣)

ولانستغرب كثرة الشعر الذي صاحب أسطورة ذي القرنين ، أو اكتنفت بشخصيته فالأمر مقترن بدواعي الفخر الذي طالما ملأ أشعار اليمانيين ، والتغني بأمجار ملوكهم القدماء وماحققوه في حياتهم من مجد ورفعة . وليس هنا أدعى من ذي القرنين الملك اليمني الذي أدان الخافقين ، وحقق انتصارا يعلو على كل انتصار في مشارق الأرض ومغاربها ، فلم تترك قوة بشرية لم تتوفر فيه بل نسبت اليه قوى خارقة تمكن بها من تحقيق الكثير من الأمور . وقد ضمن الراوي أشعار الفخر في مانسب الى ذي القرنين ، وتعلو نبرة الفخر في قوله :

كتبت بخط الحميرية آية ... بأن ليس بعدي من مسير لقادم
ولامذهب غير الذي قد أتيتم ... بني حمير غير النسور القشاعم
ولابد مما أن تربحون غزوة ... لقتل الاعادي والملوك النواجم (٤)

لقد نسب الراوي أشعار الفخر الى ذي القرنين كما نشرها هنا وهناك على لسان الملوك القدماء والشعراء .

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١١٨
(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٩٨
(٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ٩٩
(٤) وهب بن منبه ، اليتجان ١٠٥

١٠ - مظاهر الشبه بالأساطير العالمية :

أ - الشبه بجلجامش :

يلفت النظر بعض التشابه بين أسطورة ذي القرنين والأسطورة البابلية "جلجامش" ، فجلجامش شاب شديد العزيمة ، وهو حاكم مدينة "أوروك" في بلاد سومر ، يسوق شعبه سوقا عاتيا ، فيلتمس الشعب الى الآلهة بأن يخلق منافسا له يشغله ، فيجد الشعب شيئا من الراحة ، فتستجيب الآلهة وتخلق انكيدو ، ويصبح هذا رفيق جلجامش وصديقه .

وكان ذو القرنين جبارا حكم شعبه بالقوة ، ولكنه تخفف من هذا الجبروت مع حلمه الأول ، وآثر الزهد والعمل بالمعروف .

ويخرج جلجامش وصاحبه انكيدو في طلب المغامرات والأخطاء ، ويشقان الطريق الى غابة الارز في الغرب ، ويقاتلان الوحوش الضارية ، ويبدو جلجامش شجاعا لايهاب الموت ويعرف أنه النهاية المحتومة للانسان ، وذلك في قوله لرفيقه :

من ذا الذي ، يارفيقي ، ادرك من السمو (مايمكنه من)
الصعود الى السماء والاقامة مع شماش الى الأبد ؟
مجرد انسان - أيامه معدودات ،
ومهما فعل ان هو الا هبة ريح .

ولكنه بعد موت رفيقه انكيدو يفجع ويرفض الاعتراف بالموت ، ولايبقى له الا هدف واحد هو العثور على الحياة الدائمة ، فيخرج للبحث عنها وفي نهاية العالم ، فيما وراء مياه الموت ، يقيم سلف له حظي بالحياة الأبدية ، يذهب اليه جلجامش ليعرف سره ، ويرحل لوحده في الطريق الطويلة النائية الى الجبال التي تغرب الشمس فيها ، ويطرق الممر المظلم الذي تقطعه الشمس في الليل ، ويكاد ييأس من رؤية النور مرة ثانية .

ويسير جلجامش ، ويجتاز سلسلة من الجبال بها وحوش ضارية وينتهي الى جبل أعظم ارتفاعا من الجبال السابقة ، على حراسته رجال كالعقارب وهو جبل "ملشو" الذي تغرب عنده الشمس • وفي طريقه يسأل عن الطريق الى سلفه اوتنابشتيم وعن الحياة الأبدية ،والكل يجيبه بأن بحثه لا أمل يرجى منه :

جلجامش ، أين رحت تجول ؟
ان الحياة التي تبحث عنها ، لن تجدها أبدا
لان الآلهة عندما خلقت الانسان ، جعلت
الموت نصيبه ، وأمسكت
بأيديها عنه الحياة

ويستمر جلجامش في الرحيل حتى يصل الى شاطئ البحر فيشاهد ملاح اوتنابشتيم ويمخر به هذا عباب الموت ، ويلتقي أخيرا بأوتنابشتيم ويسأله كيف يفوز الانسان بالحياة الأبدية ، ولكن اوتنابشتيم يعجز عن معونته ، فقد فاز هو بالحياة الأبدية في ظروف فذة لن تتكرر مطلقا[1].

وقد مر بنا في أسطورة ذي القرنين تغلبه على من حوله ، ومامر به في بقاع الأرض المختلفة حتى وصول أرض الظلمات وغيرها في مشرق الدنيا ومغربها ، ثم صحبته للخضر الذي حظي بالشرب من ماء الحياة وحرم منه ذو القرنين ، فكتب للخضر الخلود ولم يكتب لذي القرنين ، وأيقن حينئذ ذو القرنين باستحالة الخلود الذي ظل يسعى للوصول اليه ، وكان هذا يحاول تحقيقه والظفر به .

ويهئ جلجامش نفسه للعودة الى "أوروك" بائسا كئيبا ، فيودعه اوتنابشتيم بهدية ، اذ يخبره عن نبتة تنمو في قاع البحر ، تعيد الى من يأكل منها شبابه ، فينتعش جلجامش بعد اكتئابه ، ويصحبه ملاح اوتنابشتيم الى المكان المعين ، حيث يغوص جلجامش ، ثم يصعد وفي يديه النبتة العزيزة . فيبحر في اتجاه "اوروك" ، ويبلغان ساحل الخليج العربي ، ثم يرحلان في البر مشيا على الأقدام ، وكان اليوم قائظا ، فحينما يرى جلجامش بركة تغريه مياهها الباردة فيلقي بنفسه فيها . أما النبتة فيتركها على الضفة . وفيما هي ملقاة هناك ، تشم رائحتها احدى الافاعي ، فتخرج من جحرها وتختطفها .

فعللت الأسطورة لاستحالة عودة الانسان الى الشباب ، لأن نبتة جلجامش ضاعت عليه ، كما عللت الأسطورة العربية لاستحالة الخلود لذي القرنين لأنه لم يستطع الشرب من ماء الحياة .

وتذكرنا شخصية اوتنابشتيم في الأسطورة البابلية بشخصية الخضر ، فكلاهما كتب له الخلود في ظروف نادرة لن تتكرر .. وتعلل الأساطير لتلك الأسباب ، فاوتنابشتيم منح الخلود ، لانه في سالف الأيام عندما عزمت الآلهة على محق البشر ، وانزلت الطوفان بهم بزعامة انليل ، لم ينج الا اوتنابشتيم وزوجته ، فقد أنذر مقدما ، وابتنى فلكا كبيرا أنقذ به نفسه وزوجته وزوجا من كل شئ حي ، وقد ندم انليل فيما بعد على ارساله الطوفان معتبرا ذلك طيشا منه . ووهب اوتنابشتيم الحياة الأبدية جزاء له على انقاذ الحياة في الأرض[2].

وفي أسطورة ذي القرنين يظفر الخضر بالخلود لشربه من ماء الحياة ، ولكن هذه القدرة نتيجة لعمل سابق قام به الخضر ، وترويه بعض الأساطير العربية .

---

(١) انظر فرانكفورت ، ماقبل الفلسفة ٢٤٦ - ٢٥١

(٢) المصدر السابق ٢٥٠

فقيل أنه ظفر بالخلود لأنه الذي قام بدفن جثمان آدم . فقيل ان جثمانه ظل مع نوح حتى نزل ببابل فأوصى بنيه بدفنه ، ولكنهم لم يعرفوا الطريق الى تلك الأرض الموحشة ، فقل لهم نوح: ان آدم قد دعا الله أن يطيل عمر الذي يدفنه الى يوم القيامه ، فلم يزل جسد آدم حتى كان "الخضر" هو الذي تولى دفنه فلذا كتب له الخلود الى يوم القيامة"(١) فهناك شبه قوي بين الخطوط العريضة في الأسطورتين البابلية واليمنية ، ويمكن أن نستنتج من مظاهر التشابه المختلفة التي مرت بنا أحد أمرين : الأول هو اطلاع رواة اليمن الذين نسجوا أسطورة ذي القرنين على ملاحم الشعوب القديمة وأساطيرها في حكايات سائرة اطلعوا عليها ، فاختزنتها ذاكرتهم لتعيد صياغتها بما يتناسب وواقعهم المعاش . ولايمكن أن يعزل الراوي ما اختزنته ذاكرته من معرفة عند سرده تلك الأساطير ، وقد عرف عن وهب بن منبه - راوي أسطورة ذي القرنين - اطلاعه على الأسفار القديمة ، وتشربه بالثقافات القديمة .

الأمر الثاني: هو تشابه التفكير الانساني في مرحلة من مراحل تفكيره التي مر بها .. فكلا الأسطورتين تمثل خلجات ملأت نفوس رواتها والمجتمع من حولهم ، كما تجسد طرائق التفكير البدائي لديهم ، والوقوف ازاء لغز الحياة المحير "الموت" فصورت تفكيرهم في البحث عن مخرج ينجو فيه الانسان من هذا المآل .. وفي الأسطورتين محاولة للتفسير والتعليل لعدم وصول الانسان الى تحقيق الخلود ، وان كان في الأسطورة اليمنية طابع اسلامي صرف حرص الرواة على اضفائه على الملك اليمني ذي القرنين منذ بداية خروجه للرحلة وذلك في انتهاجه طريق الزهد ونبذ التشبث بالحياة ، وربما بدا هذا الانتهاج مناقضا لمحاولة ذي القرنين الوصول الى تحقيق الخلود ، ولكن ذا القرنين في رحلته يسعى لمرضاة الله ، يعمل بما يأمر به الله ، ويبدو في رحلته مصلحا اجتماعيا يسعى في تحقيق العدالة في الأرض ولايريد تحقيق الخلود الا لنشر العدالة والانتصار للمظلوم من الظالم ، ولتثبيت كلمة الله في الأرض ، فكان يفتح البلاد فيعفو عمن آمن ويقتل من كفر .

ورحلة ذي القرنين دروس وعظيمة وعبر اخلاقية تأتي أحيانا على لسانه ، وأحيانا أخرى على لسان مرافقه الخضر الذي كان يكشف له ماخفي علمه . فكانت الغاية الدينية بارزة كما أسلفنا .

ب - وقد تتضح لنا مظاهر شبه بأساطير أخرى ، فتذكر الأساطير البابلية ماء الحياة الذي كانت عشتاروت تضمخ نفسها به لتعود من أرض الظلمات الى الأرض العليا ، ربما مع حبيبها تموز ، لكي تنتعش الطبيعة بعودتهما من جديد .(٢)

---

(١) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١١٢

(٢) فريزر ، أدونيس أو تموز ٢٠

فماء الحياة أو ماء الخلود قد ذكر في أكثر من أسطورة ، واقترنت الحياة أو الخلود بالشرب من ماء الحياة ، ونجد مثل ذلك في الأساطير الاغريقية ، فننظر في الياذة هوميروس الى "ذيتيس" التي تضع طفلها فتتنبأ لها العرافات بأنه سيكون محاربا عظيما ، تتحدث بذكره الركبان ، فلابد لها من الرحلة به الى الدار الآخرة "هيدز" مملكة بلوتو حيث تستطيع غمسه في نهر الخلود الزاخر ، الذي أودعته الآلهة أسرارها . وحدثتها العرافات أنها اذا غمست ابنها في مياهه فستكسبه مناعة ضد الموت والفناء .

ووقفت به الأم على شاطئ نهر الخلود ، وهالها ما رأت من تلاطم مياهه وقوتها.. ثم هدأت المياه واستقرت ، فتقدمت الأم المضطربة حاملة ولدها "اخيل" من احدى رجليه ، وغمسته في الماء الهادئ في أقل من لمح البصر . وعادت أدراجها فرحة متهللة . ولكن جزءا واحدا من جسم "أخيل" لم يغمره الماء ، ذلك هو عقب قدمه اليسرى .

وذهبت الى الكاهن الأكبر تستكنه ماينتظر "أخيل" ، ويخبرها أن "أخيل" سيدعى للقتال في صفوف الاغريق ، وانه سيلقى حتفه تحت أسوار طروادة ، بسهم يرميه به ألد أعدائه ، يصيب منه مقتلا في موضع دقيق من جسمه ، هو عقب قدمه اليسرى التي لم تغمرها مياه نهر الخلود[1].

ففي الأسطورة الاغريقية تعليل لمقتل البطل الأسطوري "أخيل" ، وذلك بعدم غمس ذلك الجزء من جسمه في مياه نهر الخلود ، كما ورد التعليل في الأساطير السابقة لعدم الشرب من ماء الحياة ، فحرم أخيل من الخلود ، وحرم منه أيضا جلجامش ، وحرم منه ذو القرنين ، رغم محاولة كل منهم الحصول على مايوصله الى تحقيقه . وقد انتهى كل بطل في الأساطير السالفة الى الفناء والعدم .

وعلى الرغم من اختلاف الأهداف أو الأغراض التي يسعى اليها البطل لتحقيق الخلود في أساطير الأمم المختلفة ، فان ظاهرة التفكير المشتركة فيه تعد ملمحا في اشتراك الفكر الانساني في الهلع من الموت ، والافتجاع بتخطفه البشر من حولهم ولذا كان البحث عن الحياة الدائمة ، وكان البحث عن سر الخلود ومحاولة تحقيقه .

ولذلك كان اشتراك الأساطير العالمية المختلفة في اقتران الخلود بالماء لأنه الذي يمد الانسان دوما بالحياة ، فعشتاروت تتضمخ به لتطلع الى الأرض العليا مع أدونيس فتنتعش الحياة ، وأخيل تحاول أمه غمسه في هذا الماء ، وذو القرنين يسعى للشرب منه ، وكل منهم لايحقق له ذلك لأن الفناء مآل حتمي للبشر . وتلتفت الأسطورة اليمنية الى أن الخلود أمر غير محقق لبشر وأن البقاء لله وحده ،

---

(١) هوميروس ، الالياذة ٤٥

كما جاء في قول ذي القرنين لنفسه :

ياصعب حقا كل شيء هالك الا الاله الواحد المعبودا

ان الأسطورة اليمنية وقفة تأملية للانسان ازاء الدهر ، ذلك الانسان الذي استطاع الوصول الى ذروة المجد ، فلم يرض طموحه شيء ، بل ظل يتطلع الى المزيد ثم يعود الى واقع حاله ، ويسلم بقضاء الله .

٢ - أسطورة لقمان والنسور السبعة :

وهي اسطورة أخرى من أساطير الدهر لدى اليمانيين ، بطلها لقمان بن عاد، وهو من قوم عاد الذين سكنوا الاحقاف ، أضفى عليه رواة اليمن صفات نادرة لاتتوفر في بشر ، وقد صرح بذلك وهب بن منبه فقال انه كان ملكا حميريا أعطاه الله مالم يعط غيره من الناس في زمانه أعطاه حاسة مائة رجل ، وكان طويلا لايقاربه أهل زمانه .

وكان لقمان بن عاد يدعو قبل كل صلاة ويقول :

اللهم يارب البحار الخضر والأرض ذات النبت بعد القطر

أسالك عمرا فوق كل عمر

فنودي قد أجيبت دعوتك وأعطيت سؤالك ، ولاسبيل الى الخلود ، واختر ان شئت بقاء سبع بقرات عفر في جبل وعر لايمسهن ذعر ، وان شئت بقاء سبع نوايات من تمر ، مستودعات في صخر ، لايمسهن ندى ولاقطر ، وان شئت بقاء سبعة نسور كلما هلك نسر عقب بعد نسر . فاختار لقمان سبعة نسور . وقال الأعشى في ذلك :

فأنت الذي سقيت عمرا بكأسه ولقمان اذ خيرت لقمان في العمر

فقال مميت الخلق مايصحب الندى ثم لم يلق بدعوتها القطر

لنفسك أن تختار سبعة أنسر اذا ما مضى نسر خلفت الى نسر

فقال فنسر حين أيقن أنه خلود ، وهل تبقى النسور مع الدهر (١)

وتوحي أبيات الشاعر بأن لقمان قد ظن أنه باختيار النسور يحقق بعضا من خلود ، ولكن النسور أيضا الى فناء ، ولاتبقى مع الدهر .

وقد عرف لقمان في قومه بالصلاح والرشد والسداد ، يدعو الى الله والى أبواب البر ، وكان في عاد قوم أسموهم بني كركر عرفوا بالغدر والمكر ، حاربتهم جميع القبائل وعاشوا في ذل بعد عز ، فنصحهم سيدهم السميدع بن زهير الذهاب الى لقمان بن عاد ، ورحل بهم قائلا :

---

(١) التيجان ٨٦ ، وقد وردت في حديث عبيد ص ٣٦٨ مع بعض الاختلاف

سيروا بني كركر في البلاد — اني أرى الدهر الى فساد
قد قام من حمير ذو الرشاد — لقمانها فقد هداه الهادي
يدعو لها النادي وأهل النادي — من حمير السادة في العباد
فغير المنكر بالسداد — ياحبذا من رائد مرتاد

ويدل هذا على حسن سيرة لقمان في قومه وماكان له فيهم من ذكر حسن . ويسرد الراوي قصة خيانة بني كركر للقمان في زوجته بعد أن أحسن عشرتهم ومأواهم . (١)

وترد اسطورة لقمان بن عاد على لسان عبيد بن شرية أيضا ، فيفصل فيها تفصيلا أكبر مما وجدناه لدى وهب بن منبه ، اذ فصل الحديث حول كل من النسور السبعة التي كانت للقمان (٢) :

النسر الأول :

بينما لقمان يدور ذات يوم في جبل أبي قبيس بمكة سمع مناديا لايرى شخصه وهو يقول: يالقمان بن عاد المغرور ببقاء النسور ، اطلع رأس شبير يعدو قدرك المقدر ، فطلع رأس شبير فاذا بوكر نسر فيه بيضتان قد تعلقتا من فرخيهما، فاختار لقمان أحد الفرخين ، ثم عقد في رجله سير ليعرفه وسماه "المصون" ، ثم قال: المصون الخالص المكنون من بيت المصون ومحذور السنون وغيظ العيون والباقي بعد الحصون الى آخر الدهر الخؤون .

وظل لقمان يرعى "المصون" حتى أدركه الكبر ، فضعف فلم يطق أن يطير . فبينما لقمان يطعمه لحما قد بضعه له ، اذ غص ببضعة منه ، فخر ميتا، فجزع لذلك جزعا شديدا ، وانشأ يبكي نفسه ويقول :

موت المصون دل على انا — نذوق الحمام حقا يقينا
ضل رأيي عند اختياري واني — خفت من حسرتي عليه جنونا

وتستمر الأبيات مليئة بالتصحيف ، على نحو لايجعل بعض معانيها تستقيم .

النسر الثاني :

وكان لقمان يومئذ بالطائف ، فبينما هو يبكي نفسه ، اذ سمع المنادي ينادي: يالقمان دونك البدل رأس الجبل فوق مرعى الوعل ، مأمور بطاعتك كالأول ، فطلع لقمان حيث وصف له المنادي فاذا بوكر فيه بيضتان قد تغلقتا عن فرخيهما ، فاختار احدهما ، وسماه عوض قائلا: انت العو المبرأ من تلف العوض وآفات المرض ، وحقك علي مفترض أؤديه كلما عرق نبض . وكان لقمان لايغفل عن اطعامه . حتى أدركه الكبر فضعف ، فدعاه لقمان ذات يوم تحت شجرة لاطعامه فخر ميتا . فهال لقمان موته هولا عظيما ، فأنشد يبكي نفسه ويقول :

---

(١) التيجان ٨٢

(٢) عبيد بن شرية ، التيجان ٣٧٠ -٣٨١ وانظر ، تاريخ الطبري ١ : ٢١٩ - ٢٢٦

مالي صبر عن المصون وقـــد ... عوضت من بعده عوضـــا
فارقهما الموت من حمامهما ... واخلقا مارجوت فافترضا
كذاك أفنى حقا كما فنيـــا ... أجرع كأسا ممزوجة عرضا

النسر الثالث :

وكان لقمان يومئذ بالسراة يبكي نفسه تحت شجرة ، اذ سمع مناديا يالقمان بن عاد ، اطلع الصفا تجد عن العرتون شرفا تصادق فيه خلفا..

فطلع لقمان رأس الجبل ، فوجد وكر نسر فيه بيضتان ، قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختار احدهما وسماه خلفا ، وكان لايغفل عن اطعامه ، حتى اذا أدركه الكبر وضعف ولم يقدر أن يطير ، أخذ له لقمان قفصا يحمله فيه حيثما توجه ويطعمه فيه .

وبينما لقمان في مجمع عكاظ ومعه نسره ذلك في قفصه ، اذ اجتمع اليه من حضر من العرب بعكاظ وطلبوا اليه أن يريهم نسره . فبينما هم يقلبونه وينظرون اليه اذ مات النسر في أيديهم ، فاغتم لقمان لموته وجزع عليه جزعا شديدا ، وقال :

يانفسي ابكي عليه أن تجدي ... عند اختياري أن عندي لك النصفا
اخترت من هفوتي بلا حـــدث ... ولا احترام مني لـــك التلفـــا
عليك أبكي اذ صرت نصب الردى ... ولست أبكي بعبرتـي خلفـــا

النسر الرابع :

ثم توجه لقمان الى جبل قريب منهم ، فلما دنا من الجبل سمع مناديا : يالقمان بن عاد ، اطلع الى الجبل تلق في تلة العرتون المنتصب مغيبا لم يغب من حلول موت قد كتب على أهل المشرق والمغرب ، فطلع لقمان ذلك الجبل حيث وصف المنادي ، فاذا هو بوكر نسر ، فاختار أحد الفرخين وعقد في رجله سيرا ليعرفه به وسماه مغيبا . ثم قال: أنت المغيب ، عيشك معي العيش المخصب ، وأنا عليك حدب في بقائك مرتقب ، فكن أبقى ممن قد ذهب . وكان لقمان لايغفل عن اطعامه . ثم كبر الطائر وضعف ، ودعاه لقمان ذات يوم من رأس الجبل فلم يجبه ، فطلع اليه فوجده ميتا فهاله ذلك ، ونزل به كرب عظيم فانشأ لقمان يبكي نفسه ويقول :

أملت مالا أنا له أبـــدا ... اذا ازم الرأي نال ماطلبا
أرعى نسورا لم يرعها أحد ... قبلي كأني بذاكم نصبـــا

النسر الخامس :

وبينما لقمان يبكي نفسه اذا سمع مناديا يقول : يالقمان بن عاد لك في الجبل الأيسر فوق الشاهق الاعر فأخرجه منه واستبشر ، فبطاعتك قد أمر ، والى الموت يصير البشر . فطلع لقمان الجبل ، فاذا هو بوكر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخين ، فاختار أحد الفرخين وسماه ميسرة قائلا: أنت الميسر الباقي.. انك النسر الباقي بقاء الدهر . وكان لقمان لايغفل ذات يوم ليطعمه فأقبل نحوه لايطيق أن يطير ، فذهب لقمان ليحضر له قفصا ، وعاد ليجده ميتا . فهال لقمان

موته ، وجزع لذلك جزعا شديدا ، فانشأ يقول :

رجوت بأن أبقى وعمر ميسر	ففات وأودى مفرد الى ميسر
فصرت أرجي واحدا بعد واحد	نسور وهل تبقى على الدهر أنسر

النسر السادس :

وبينما لقمان يبكي على نفسه ذات يوم ، اذ سمع مناديا يقول : يالقمان بن عاد ، اطلع فوق الصفا الأملس مستقبلا مطلع الشمس تجد وقرة كالترس فيها راسخ محترس عن طاعتك لايحتبس وستموت كل نفس . فطلع لقمان حيث وصف له المنادي ، فوجد وكر نسر ، فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختار أحد الفرخين ، ثم علق في رجله سيرا ليعرفه وسماه أنسا ، ثم قال له : أنت الأنس من روعات الدحس والدهر غير التعس وحياتك ببقاء النفس . وكان لقمان يرعاه ويطعمه حتى نهض طائرا ، ثم كبر وضعف . ودعاه لقمان يوما الى الطعام فانقض كاسرا نحوه ثم وقع ميتا . فاغتم لذلك لقمان غما شديدا ، وأخذ يبكي نفسه وهو يقول :

أمرضني سادس النسور وقد	جدد حزننا وكان قد درسا
سميته لي لوحشتي أنسا	أودى لعمري ولم يدم أنسا

النسر السابع :

وبينما لقمان يبكي نفسه اذ سمع مناديا يقول : يالقمان بن عاد، لك فوق الصفا الأسود حيث الشجر المتلبد فرخ به وفاء الموعد ، مأمور بطاعتك فاصعد . فصعد لقمان رأس ذلك الجبل ، فاذ هو بوكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختار أحد الفرخين وسماه لبدا ، وقال: أنت لبد الباقي المخلد الى آخر الأبد ، عيشك معي رغد ، ويزاح عنك النكد ويوفق لك الرشد وعمرك لاينفد ، وكان لقمان لايغفل عن اطعامه حتى نهض ، ثم أدركه الكبر وضعف .

فلما دنا أجل لقمان وبلغ الميقات، اقبل ذلك النسر لبد حتى وقع على شجرة ، فدعاه ليطعمه ، فأراد لبد أن ينهض فلم يطق أن يطير ، فأقبل لقمان فزعا مرعوبا ، حتى قام تحته وقال: "انهض لبد ، أنت الأبد ، لايقطع بي الأمد ، نهضا شدد نهض الملك المجرد الحارث بن ذي شدد" ، فلم يطق لبد أن ينهض وتفسخ ريشه ، فهال ذلك لقمان هولا عظيما ، ووقع موته منه موقعا جسيما ، فانشأ لقمان يبكي نفسه ويقول :

موتي اني أموت اليوم بالبد	وحسرتي ان قد تصرم الأبد
فطر كما كنت سالما لبدا	نحيا ونحيا معا ونحتفد
ان مت لم أبق انما أجلي	ماعشت فابق ها ان لك الرشد

ثم سقط لبد ميتا ، فجاء لقمان لينهض فاضطربت عروق ظهره ، وخر ميتا .
وقال عبيد ان عمر لقمان كان ألف سنة وسبعمائة وأربعا وستين سنة ، وأخذ معاوية يسأله عن عمر النسور ، فاخبره انه كان عمر كل نسر مائة سنة، وزيد لبد عليها نيفا .

وذكر عبيد بن شرية أن لقمان ونسوره كانوا مثلا في العرب ، فقال لبيد بن ربيعه الكلابي :

لما رأى لبد النسور تطايرت — رفع القوادم كالعقير الأعزل
من تحته لقمان يرجو نهضه — ولقد رأى لقمان أنه لا يأتلي
ولقد جرى لبد فأدرك شأوه — ريب المنون وكان غير مغفل

فذاع ذكر النسر لبد في العرب وماكان من ارتباطه بلقمان ، وعند وفاة لقمان رثاه المثنى بن عمرو العمليق الذي كان شاهدا هلاك نسره ، فقال في رثائه مخاطبا النسر :

فنيت وأفنى الله نسلك من نسر — هلكت وأهلكت ابن عاد وماتدري
فمن ذا ينبي بعد لقمان فكره — تخلصه ياقوم من تلف الدهر

وقيل أن لقمان دفن بالاحقاف الى جوار قبر هود .(١)

وعند تأملنا في أسطورة لقمان ونسوره السبعة نلاحظ أن غاية البطل لقمان فيها هو الخلود ، ولهذا - عندما سئل اختار طول عمره ، ظانا أن النسور يمد لها في العمر ، ويتضح ذلك في تسمية النسر السابع لبد ، وقد فسر عبيد أن اللبد في لغة العرب تعني الدهر ، فأراد لقمان أن يكون نسره الأخير الدهر ، فيمتد عمره مع الدهر ، ولكن النسر لبد أيضا يفنى ، وبموته يموت لقمان .

ونلمح في الأسطورة موقت البطل المتشبث بالحياة الذي يسعى الى تحقيق الخلود منذ بداية اختياره طول العمر . وفي مواقف حزنه الشديد عند موت كل نسر، اذ يرى في موتها النهاية المحتومة تقترب منه . وعلى الرغم من رعاية نسوره الرعاية الكاملة وحدبه عليهم ، فلكل نسر أجل معلوم ينتهي بانتهائه ، ولايستطيع لقمان عمل شئ سوى البكاء المرير عند موت كل منهم ، وهو متيقن من الأجل المحتوم الذي ينتظر نسوره .. وينتظره ، فيقول بعد وفاة النسر الأول (المصون) :

موت المصون دل عى أنا — نذوق الحمام حقا يقينا

كما يصرح بحتمية الموت بعد موت النسر الثالث خلف في قوله :

أيقنت أن النفوس لاحقة — لاشك في ذاكم بمن سلفا
والموت لاشك في يطلبني — وهو مدركي وملحقي قرفا (٢)

كما قال بعد وفاة النسر الثاني :

وكل من ظن أن مهجته — تدوم في عيشه فقد دحضا (٣)

---

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٨٥
(٢) عبيد بن شرية ، التيجان ٣٧٣
(٣) المصدر السابق ٣٧٢

ومع ذلك هو في كل مرة يرعى نسرا نجده يظهر أملا في الخلود وسعيا في تحقيقه ، وعندما يموت النسر يجزع عليه جزعا شديدا ، ويخاف قرب انتهائها الذي يعني انتهاءه أيضا .

ويؤمن لقمان أن الموت مدركه ولاسبيل الى الفرار منه ، ولكنه يبدي تخوفه من الموت ، ويصرح بذلك في قوله بعد وفاة النسر الثالث :

فما نجاتي من مدركي هربا ... ومن غلوب علي قد عكفا
فالقلب مني لخوف سطوته ... واحدة في الوقت قد رجفا

كما يخاف من لحاق الموت به على حين غرة منه :

والخوف منه أن سوف يلحقني ... في غفلتي سادرا قد التحفا (١)

ويتجلى هذا الخوف من الموت عندما قربت نهاية "لبد" نسره الأخير ، فقال :

قد هالني ما أرى وأرعبني ... اني واجد فترة كما تجد
أنكرت ظهري وركبتي ويدي ... فالبطن والصدر فيهما ويد
قد غالني كلما أرى نفسي ... والموت آت اذا انقضى لبد (٢)

وتمر لحظات بلقمان فيؤمن بحتمية الموت ومآل الانسان اليه مهما عاش من سنين عمره ، وهو القائل :

ولو عشت أضعاف الذي عشت لم يكن ... من الموت بد ذاك حتم مقدر (٣)

ويتحقق من استحالة تحقيق الخلود ، مشبها ماجرى له مع النسور (كنبهة من مسافر نعسا) في قوله :

شبهت ماقد مضى ومنزلتي ... كنبهة من مسافر نعسا
أخلف ظني وذو طمع بالخلد ... قبلي أخطاه ماحدسا

ثم يعزي نفسه بأنه اذا داهمه الموت ، فقد عاش مجتنبا العيب ، لم يقترف اثما يندم عليه ، حين قال :

فان امت قد حييت مجتنبا ... للعيب لم أجر سادرا دنسا (٤)

---

(١) عبيد بن شرية ، التيجان ٢٧٣
(٢) المصدر السابق ٢٧٩
(٣) المصدر السابق ٢٧٦
(٤) المصدر السابق ٢٧٧

وننظر في تسمية لقمان النسور السبعة : وهي المصون وعوض وخلف ومغيب وميسرة وأنس وسابعها لبد الذي يعني الدهر . وكلها تحمل معاني قد تعبر عن وقفة الانسان ازاء عمره أو رحلته في هذه الحياة ، فيصون الانسان عمره ويخاف من الموت كما يصون كل شيء عزيز يمتلكه ، واذا رزيء بفقد المصون فهو يبحث عن العوض الذي يعوضه خيرا عن المفقود ، وفي رحلة العمر لاينجو المصون من الفقد والضياع ، ولايفتأ الانسان يبحث فيما حوله عن العوض ، ويسأل الله دوما أن يعوضه خيرا في المفقود ، وتمر بالمرء رحلة الحياة ويجد الخلف بعد السالف في توال مستمر ، ولعل هذا التوالي يجعل السابق دوما في مغيب ليحتل مكانه اللاحق ، ثم الميسرة وهي حال يسعى الانسان في رحلة الحياة الى أن يحظى بها ، وهي ترادف الحظ والسعد بما يكفل له العيش الرغيد والانس الدائم طوال حياته . ويعد ذلك "لبد" وهو الدهر الذي وقف ازاءه الانسان في حيرة .. وهو الذي رجا لقمان أن يظفر به ويعيش أبده .. فلم يحقق له ذلك .

وتؤكد الأسطورة فناء الانسان واستحالة تحقيق الخلود منذ بدايتها ، فعندما يأتي المنادي وينادي لقمان في بداية اقتنائه كل نسر نجده يؤكد على استحالة الخلود ، وقد رهن عمره ببقاء الانسر السبعة مهما قدر لعمرها أن يطول ، ولابقاء بعد موتها ، وعندما سئل واختار لقمان النسور السبعة ، قيل له "قد أعطيت ماسألت ولاسبيل الى الخلود" ، لأنه أمر غير متاح لبشر ، وقد جاء على لسانه أمله في بقاء تلك النسور حين قال :

وتبقى نسور سبعة كل واحد   طويل المدى يرقى الردى ويعمر (١)

فقد كان أمله في أن تعمر تلك النسور فيحقق بذلك العمر المديد ، وقد آمن لقمان بالنهاية المحتومة لكل بشر ، يتضح هذا في قوله :

ان كل النفوس من خلق ربي   للمنايا أمس وأضحى رهينا (٢)

وقد ظل لقمان ونسوره السبعة رمزا للتشبث بالحياة والاعتقاد بالخلود أو العمر المديد ، فورد الاستشهاد بها لدى أكثر من شاعر ، متخذين منها عظة وعبرة ، فهذا عمرو بن نمارة يعظ ويذكر لقمان بن عاد قائلا :

في أمر لقمان عبرة لكم   اذ قال نسرا يختار أو بعرا
في كهف طود ولاترى أبدا   وطأة واط ولا ترى مطرا
أو أنسر سبعة لها أمد   يفنى فقال الشقي بل أنسرا
ففاته الخلد اذ تخيره   يفنى كفاكم بذاكم عبرا (٣)

---

(١) عبيد بن شرية ، التيجان ٣٧٦
(٢) المصدر السابق ٣٧١
(٣) المصدر السابق ٣٧٤

وذكر النابغة الذبياني النسر "لبد" في موضع العبرة والاتعاظ عند خلو الدار من أهلها فقال :

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبد (١)

وظل الشعراء يذكرون لقمان ونسوره عند حديثهم عن الدهر الذي يأتي على كل شيء ليلتهمه ولايبقي عليه ، فقال تيم اللات محذرا من الدهر :

رأيت الفتى ينسى من الدهر حقه ... حذار لريب الدهر والدهر آكله
ولو عاش ماعاشت للقمان أنسر ... لصرف الليالي بعد ذلك يأكله (٢)

هكذا كان الشعراء يتعظون بموت اخوانهم وينعون على الدهر خيانته ويبكون على القدر المحتوم مهما طال العمر والبقاء . وفي كل وقفة ازاء الدهر نجد الشاعر يتذكر لقمان وذا القرنين ، فهذا طرفة بن العبد يتعجب ممن يتطلع الى الخلود ويأمن الدهر مستشهدا بما جرى للقمان وذي القرنين :

وكيف يرجى المرء دهرا مخلدا ... وأيامه عما قليل تحاسبه
ألم تر لقمان بن عاد تتابعت ... عليه نسور ثم غابت كواكبه
وللصعب أسباب تجلت خطوبها ... أقام زمانا ثم بادت مطالبه (٣)

وقد انتقد عبد المعيد خان العربي الذي اكتفت عقليته الساذجة المحدودة أن تقنع بأن الدهر هو المحي المميت ، ولم يطرأ بباله أن يجرد هذا الدهر ما يحيط به من المادة والمحسوسات وأن يصعد به الى سماء المعاني المجردة (٤) . ولكنني أجد في أسطورة لقمان بن عاد ونسوره السبعة مايرد على هذا الانتقاد ، ففي سعي لقمان الى الخلود ونضاله في بقاء النسور السبعة يمثل صراعه للظفر بمساواته بالقوة الخفية التي أسماها "الدهر" في أكثر من موضع ، لأن الراوي حريص على أن يجعل القدرة لله تعالى في تصريف الأمور وكأن لقمان أراد الخلود مجاراة للدهر الذي يفني الوجودولايفنى . أما تجسيدات الشعراء فأمر لايتعدى التشبيهات التي تستحضرها أذهانهم لتقريب الصورة وايصال معانيهم الى من حولهم في سهولة ويسر .

وقد حاول بعض الباحثين عند حديثهم عن نسر لقمان "لبد" أن يربطوه بالنسر الذي ورد ذكره ضمن الآلهة التي كانت تعبد في جنوب الجزيرة العربية بوجه خاص .(٥)

---

(١) عبيد بن شرية ، التيجان ٣٨٠
(٢) وهب بن منبه ، التيجان ٨٥
(٣) المصدر السابق ١٣٦
(٤) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ١٣٧
(٥) ثلها وزن ، بقايا الوثنية العربية ١٣

ويربط آخر بين نسر لقمان وبين الآلهة الدهرية القدرية آلهة القمر السبئي نسر أو نسور الذي ورد في نصوص المسند باسم "بيت نسور" ، كما يلاحظ أن الاله القمري "نسر" الذي يتوحد بالدهر والزمن ، هو ما أصبح رمزا قوميا لدى غالبية الشعوب العربية والسامية عامة[١]. ولعل ماوجه التفاتهم الى تلك الوجهة هو ارتباط نسر لقمان بالدهر ، اضافة الى تسميته له "لبد" التي تعني الدهر .. مما قوى من اعتقادهم في ارتباط تلك الآلهة القديمة المعبودة ونسر لقمان .

ويلاحظ في أسطورة لقمان والنسور السبعة كثرة الشعر الذي رواه عبيد بن شرية الجرهمي عند موت كل نسر من نسوره السبعة ، ولعل الراوي لجأ الى أقرب الأدوات تعبيرا عما يختلج في النفوس ، وأدقها في الاثابة عن الأحاسيس والمشاعر ، فالشعر يكمل الصورة ويعطيها عمقا ويرسم ظلالها وألوانها في تصويره الحركة الداخلية لنفس البطل .

ويحس القارئ في هذه القطع الشعرية تدرجا نحو اليأس والمرارة ، والخوف يزداد شدة من قطعة الى قطعة حتى اذا ماوصلنا الى القطعة السابعة وجدنا نغمة اليأس والمرارة تصل الى قمتها . ان هذه القطع الشعرية تحكي أحساس رجل يموت سبع مرات ، عند موت كل نسر يحس أنه يقترب من الموت خطوة ، ويوقظه موت النسر لحظات فينتزعه فيها من الحياة ليريه النهاية المحتومة المقدرة[٢].

- <u>أسطورة الهامـــة</u> :

لقد ذكر هذه الأسطورة الزبيدي في معجمه المعروف ، وهي تدور حول ظاهرة اجتماعية عرفها المجتمع العربي القديم ، وظلت بقاياها في بعض المناطق الى يومنا هذا ، وهي ظاهرة الأخذ بالثأر ، فقد شاع في المجتمع القبلي الأخذ بالثأر، وعللوا لذلك بأسطورة الهامة ، فزعموا أن القتيل اذا لم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة لاتزال تصيح : اسقوني ، اسقوني ، فاذا أخذ بثأره ارتوى ظمأها ، فكفت عن الصيــاح[٣].

وذكر هذه الأسطورة ابن دريد الازدي ، فسمى الطائر "الصدى" يخرج من هامة الرجل عند قتله وينادي الليل كله "اسقوني" حتى يقتل قاتله ، ويسمونه أيضا "الهامة"[٤]. وقيل أن الهامة طائر من طيور الليل ، والذكر "الصدى"[٥]. ولعلها

---

(١) شوقي عبدالحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١١٤
(٢) فاروق خورشيـــد ، في الرواية العربية ١٧٢
(٣) الزبيدي ، تاج العروس ٩ : ١١٢
(٤) ابن دريد ، الاشتقاق ٢٣٤
(٥) الفيروز ابادى ، القاموس المحيط ، مادة (هام)

الطائر الذي نعرفه اليوم باسم "البومة" ، وقد ارتبط وجوده في الذهن بالشؤم والتطير لسكناه الاماكن الخربة ، ويسود اعتقاد شعبي بوجودها عند حدوث الوفاة وان لم يكن الميت قد مات مقتولا .

ويمكن تفسير أسطورة الهامة واحتمال نشأتها تعليلا وتبريرا لظاهرة الأخذ بالثأر في المجتمع القديم ، ولكن يضعف من هذا الاحتمال ما أورده ابن منظور حول هذه الأسطورة ، اذ نص أن "مما اعتقده العرب أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة "(١) ، ويكمل بقية الحكاية الأسطورة . ومعنى هذا أنهم كانوا يسلمون بفناء الجسد وبقاء الروح في شكل طائر هو الهامة أو الصدى ، ويظل هذا الطائر يصيح حتى يؤخذ الثأر من القاتل ، فاذا أخذ بثأره سكن وكف عن الصياح .

ويمكن الاستشهاد على هذا الاعتقاد بما ورد على لسان الشاعر ذي الأصبع العدواني حين قال :

ياعمرو الا تدع شتمي ومنقصتي	أضربك حتى تقول الهامة: اسقوني (٢)

وقد ذكر المسعودي مايؤكد اعتقاد العرب في تحول الروح أو النفس الى شكل طائر في قوله "وطائفة تزعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الانسان ، فاذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به ، متصورا اليه في صورة طائر ، يصرخ على قبره مستوحشا . ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم..." (٣)

ولعلهم وجدوا في هذا الاعتقاد اجابة لما كان يحيرهم ويشغل بالهم من تساؤل حول مصير الروح بعد فناء الجسد ، وجسد هذا التساؤل أمرؤ القيس في قولـه :

ليت شعري وللميت نبـوة	أين صار الروح اذ بان الجسد ؟
بينما المرء شهاب ثاقب	ضـرب الدهـر سنـاه فخمـد (٤)

فيبدي الشاعر عجبه من المرء اذ تعلو شهرته ومكانته ، فيضربه الدهر فجأة ليخبو ويسكن وكأنه لم يكن ، ولعل هذا التساؤل المحتار قد جعل الجاهلي يبحث عن تعليل يقنعه ، فكان الاعتقاد بتحول الروح الى طائر ، ووجد في هذا المعتقد الذي تطور الى أسطورة الهامة نوعا من التبرير لظاهرة الأخذ بالثأر وحث المحيطين بالمقتول على الأخذ بثأره .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (الهوم)
(٢) ذو الأصبع العدواني ، الديوان ٩٢
(٣) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١٣٣
(٤) أمرؤ القيس ، الديوان ٢١٧

ونقل ضرار بن الخطاب الفهري صورة للهام والأصداء فوق جثث القتلى تصيح وتصرخ في يوم أحد ، وتهيب بالمسلمين للتأهب من أجل معركة أخرى ، يثأر فيها للمقتولين في أحد ، قال :[١]

اني وجدك لولا مقدمي فرسي ... اذا جالت الخيل بين الجزع والقاع
مازال منكم بجنب الجزع من أحد ... أصوات هام تزاقي أمرها شاعي [٢]

ويلفت الانتباه في هذه الأسطورة هذا التكامل اللغوي في معاني الألفاظ ، فالصدى ذكر الهامة ، والصدى من معاني الظمأ والشعور بالحاجة الى الماء ، وعندما يحلق الطائر بعد موت القتيل يصيح قائلا: اسقوني ٠٠اسقوني ولايهدأ حتى يقتل القاتل ، حينئذ يروى ، فكأن ارتباط الصدى بالحاجة الى السقيا أو الماء ، وقد التفت الشاعر طرفة بن العبد الى هذه المعاني في قوله :[٣]

فذرني أروي هامتي في حياتها ... مخافة شرب في الحياة غير مصرّد
كريم يروّي نفسه في حياته ... ستعلم ان متنا صدى أيّنا الصدى [٤]

فأراد الشاعر ارواء هامته قبل أن يموت لئلا تخرج الهامة منه فتصيح ظمأ ولا تجد من يرويها ، وكأنه أراد بذلك الأخذ بالثأر من الخصوم والأعداء والفتك بهم قبل أن يحين موته ، ليكفل لنفسه حياة حرة كريمة ، وليؤدي في حياته ماعليه تأديته واتمامه ، فيموت حينئذ وقد رويت الهامة ولايكون بذلك (الصدي) .

ولعل اقتران الروح بالطائر جعل الجاهليين يعتقدون أن الهامة والصدى لايقتصر خروجها من الميت المقتول وحده ، وانما هي تخرج من الأموات كلهم ، ووجد في الشعر الجاهلي مايدل على هذا الاعتقاد ، من ذلك قول أبي دؤاد الايادي في رثاء أقربائه الذين يجد هامهم في صدى المقابر :

سلط الدهر والمنون عليهم ... فلهم في صدى المقابر هام
وكذاكم مصير كل اناس ... سوف ، حقا ، تبليهم الأيام [٥]

وهذا عبيد بن الأبرص الذي يعتقد أن جسده سيصبح رميما تحت التراب ، أما روحه فستصبح طائر هامة كالبومة تحلق تارة فوق رؤوس الروابي وتهبط تارة أخرى الى الأراضي المنخفضة ، وذلك في قوله :

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ : ١٤٥
(٢) تزاقي : تصيح ، شاعي : شائع
(٣) طرفة بن العبد ، الديوان ٣٥
(٤) الصدى : العطشان
(٥) ديوان الهذليين ١ : ١١٦

اني وجدك لو أصلحت مابيدى — لم يحمد الناس بعد الموت اصلاحي
أشري التلاد بحمد الجار أبذله — حتى أصير رميما تحت ألـــواح
أو صرت ذا بوقة في رأس رابية — أو في قرار من الأرضين قـــرواح[1]

أما عروة بن الورد فينعي نفسه التي لن تبلغ الخلود يوما ، فمصير الانسان الفناء ، عندما تتحول روحه الى هامة ، تظل تحلق فوق قبره ناشحة كلما رأت انسانا ، سواء أكانت تعرف ذلك الانسان أم تجهله :

ذريني ونفسي أم حسان انني — بها قبل ألا أملك البيع مشتري
أحاديث تبقى والفتى غير خالد — اذا هو أمسى هامة فوق صيّــر (٢)
تجاوب أحجار الكناس وتشتكي — الى كل معروف رأتـــه ومنكــر(٣)

ان أسطورة الهامة تنبئنا عن وقوف العربي الجاهلي أمام الموت بعد أن تفارق الروح الجسد.. وصعب عليه تلاشي الروح بعد الموت فأخذ يبحث عن تعليل لمآل الروح ، وأين تذهب بعد مغادرتها الجسد ، فاعتقد أنها تتشكل في هيئة طائر يظل يرفرف على الجدث بعد موته ، وقد يصل بهذا الاعتقاد الى أنها تخبر الميت بما يفعل أهله على الرغم من موته وفناء جسده ، ونجد مثل هذا الاعتقاد فيما نسب الى الصلت بن أمية حين قال :

هامي تخبرني بما تستشعروا — فتجنبوا الشنعاء والمكروها(٤)

ولاتذهب الأسطورة الى أبعد من ذلك ، فلا نعلم عن ها الطائر شيئا ، هل يظل حيا الى الأبد ؟ هل يذهب الى عوالم أخرى غير التي كان يعمرها الجسد ؟ مانهايته ؟ كل ذلك لانجد له تفسيرا في الميثولوجيا العربية القديمة .

وقد اكتفى الجاهلي بتفسير الأسطورة الأولى في تشكيل الروح في هيئة طائر بعد أن تفارق الجسد ، ثم وجد في هذا الاعتقاد مايبرر ظاهرة الأخذ بالثأر ، وقد كانت سائدة في المجتمع الجاهلي ، فأراد القوم أن يكسبوا هذه الظاهرة نوعا من الالزام المعنوي الذي يلزم به الأحياء تجاه الميت المقتول ، فكانت تبريرًا لظاهرة الأخذ بالثأر . وجدوا هذا الالزام في صراخ الطائر الذي يظل يصرخ ، لايهدأ حتى ينتقم من القاتل ويتحقق الثأر .

---

(١) عبيد بن الأبرص ، الديوان ٤٠
(٢) الصير : القبــر
(٣) عروة بن الورد ، الديوان ٦٧ — الكناس : اسم موضع
(٤) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١٣٢

ويرى بعض الباحثين أن مصدر هذه الأسطورة قد يكون القبائل العبرية العربية : بني القريظة وبني النضير وبني قنيقاع ، لأن هذه الفكرة قد وجدت عند اليهود في مرحلة متأخرة ، في أحد أسفارهم الممنوعة . فالهامة التي تخرج من رأس الميت "كنسيم رقيق" وزالت حساتنا كاثر غمامة اضمحلت مثل ضباب يسوقه شعاع الشمس ويسقط بحرها"[١] فالهامة مثلها مثل "النسيم الرقيق أو الغمامة"[٢].

ونستشف من بعض النصوص أن الأصداء والهام ، تصاحب خروج الروح من الجسد ، وتظل تصرخ متى دعت الحال الى ذلك ، محققة المرمى المعنوي من ذلك الصراخ ، ولكنها بعد ذلك تفنى أيضا ، شأنها شأن بقية الكائنات على هذه الأرض ، ويقوي هذا الظن قول ابي بكر بن الأسود :

يخبرنا الرسول بأن ستحيا   وكيف حياة أصداء وهام[٣]

فلاشك أن ارتباط الأصداء والهام بالمآل الى الفناء قد جعل الشاعر ينفي عنها الحياة ، بل يستنكرها .

ونجد مثل هذا الاعتقاد في فناء الهام والأصداء عند النمر بن تولب ، فهو أيضا يشتد جزعه على اخوته بعد موتهم ، ويدعوهم ولكن هيهات أن يسمعوا نداءه ، فالهام لاتسمع من يناديها ، وذلك يعني أنها تكون قد فنيت كما فني أصحابها ، قال في رثاء اخوته :

جزعا جزعت عليهم فدعوتهم   لو يسمعون وكيف تدعى الهام[٤]

فالاشارة الخفية الى فناء الهام ملموسة لدى الشعراء ، ومن الواضح ارتباط وجود الهام والأصداء ورفرفتها لتحقيق هدف معين ، تفنى بعد تحقيقه .

وربما كان لهذه الأسطورة علاقة باحتفاء قدامى اليمانيين بأخبار قبورياتهم كما وجدنا ذلك لدى الهمداني الذي أفرد جزءا من أكليله لأخبار القبور وما وجد فيها من تماثيل ومقابر ، فوصف أنهم وجدوا في أحدها رسما فيه أن الشخص الذي يحمل في يده ابريقا يسقي منه العطشان[٥]. ونجد ظاهرة العطش ترتبط بمطالبة الموتى تحقيق أمر ما ، يكون في تحقيقه السقيا لهم ، ويرتوون بعد أن ينجز لهم الأحياء مالم تمكنهم حياتهم من انجازه وتحقيقه .

---

(١) انظر الكتاب المقدس ،سفر الحكم ، الفصل الثاني
(٢) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١١٨
(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ : ٢٩
(٤) النمر بن تولب ، الديوان ٩٨
(٥) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٠

وظل صدى هذه الأسطورة يتردد في أذهان الشعراء في الأزمان اللاحقة ، فاستغلها الشعراء بصورة كافية لأن يخفي خلالها الأديب بما يريد ، فجرير مثلا عندما يقول :

اذا ما الليل هاج صدى حزينا ... بكى جزعا عليه الى الممات

يغمز خصمه الفرزدق عن طريق أسطورة الهامة أو الصدى . والصدى الذي يعنيه جرير في البيت كان للزبير بعد أن قتل في جوار آل الفرزدق ولم يؤخذ بثأره [1].

ومما يجدر ذكره أن تصور الروح في شكل الطير ليس بشيء غريب خاص بالعرب، لأنه يوجد عند الأمم جميعا في دور بداوتها . فقبائل الهنود في امريكا يعتقدون أن الطيور التي تحلق في الجو ماهي الا أرواح آبائهم الأولين ، وكذلك الازدكيون والبوهاتيون في أرجينيا يقولون أن أرواح الشهداء تكسى لباس الطير المفردة ، وتقفز من زهرة الى زهرة في ضوء الشمس .[2]

- أساطير الجن :

ان الاعتقاد بالجن قديم جدا ، ولاتخلوا الميثولوجيا العالمية من هذا الاعتقاد الذي حافظ على بقائه منذ أن خشي الانسان خوافي الطبيعة ، أو الكائنات المحتجبة عن العيون ، ويؤدي الجن دورا هاما في حياة الأمم القديمة لايقل أحيانا عن دور الآلهة .

وكان العرب كغيرهم من الأمم القديمة قد عم لديهم الاعتقاد في الجن ، وتناقل الحكايات عنهم ، كما كان لليمن دور بارز في رواج أساطير الجن ونسج الحكايات المختلفة حولها .

ولعل من المفيد قبل الدخول في دراسة الأساطير أن ننقل ماجاء لدى العرب من تعريفات للجن ، لتتوضح لنا نظرتهم اليها . فتكاد المعاجم تجمع على أن "الجن" كلمة عربية تتضمن معنى التخفي والتستر[3] ، وينقل القزويني زعم القدماء بأن "الجن" حيوان هوائي مشف الجرم ، من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة"[4]، وقال الدميري في تعريف الجن أنها "أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ،

---

(١) أحمد كما زكي ، الأساطير ٢٢٠

(٢) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٥٧ عن Lewis Spence, Myths and Legends of Ancient Egypt P. 6

(٣) انظر : لسان العرب وتاج العروس مادة (جن)

(٤) القزويني ، عجائب المخلوقات ٣٦٨

لها عقول وأفهام وقدرة على الاعمال الشاقة" (١) . وقال الهمداني: "ان الجن كانوا عمارا للأرض ومستخلفين فيها ، وسموا الجن لأنهم يجتنون عن النظر اليهم أي يستترون" . (٢)

وعرفوا من الاشتقاق اللغوي "الجني" بأنه حارس الجنة ، وهو عادة مايسكن، كشيطان شطئان البحار والمستنقعات وآبار الماء بل والرأس مسببا الجنون . (٣)

ونستدل من اعتقاد القوم الذي تحمله الأخبار أن الجن أصناف مختلفة : منها مايقدر على التشكل ويملأ حيزا ، ومنها مايتشكل وهو جرم خيالي . (٤)

وقد وردت آيات قرآنية تخبر أن الجن من عنصر النار في قوله تعالى : "والجان خلقناه من قبل من نار السموم" (٥) ، وفي هذه الآية اشارة الى خلق الجان قبل آدم ، كما جاء في آية أخرى "وخلق الجان من مارج من نار" . (٦)

وقد قال أهل الأخبار ان الجن هم سكان الأرض قبل أن يسكنها آدم ، وعندما أكثروا في الأرض فسادا وثاروا على الآلهة ، لاحقتهم الملائكة وحاربتهم ، ثم شتتهم وطردتهم الى أطراف الجزائر في البحور بعد أن أسرت منهم الكثير . (٧)

كما قيل ان الانسان عرف الجن بعدما فكر في بعض التجارب مثل النوم والحلم والظل والسراب والنفس والموت ، واتسعت هذه الفكرة عنده فهدته الى معرفة الجن والروح ، ومازالت تتسع شيئا فشيئا حتى غشي الطبيعة بالأرواح . (٨)

ويروي المسعودي أسطورة لطيفة حول خلق الجن ، نقلها عن وهب ابن منبه وابن اسحاق ، وهي "أن الله عز وجل خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته ، فحملت منه ثم باضت احدى وثلاثين بيضة ، وان بيضة تفلقت من تلك البيضة قطربة وهي أم القطارب ، وأن القطربة على صورة الهرة ، وأن الأبالس من بيضة أخرى ومسكنهم الجزائر ، وأن الغيلان من بيضة أخرى ومسكنهم الخرابات والفلوات ، وأن السعالى من بيضة أخرى وسكنوا الحمامات والمزابل ، وأن الهوام من بيضة أخرى

---

(١) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٨٥
(٢) الهمداني ، الأكليل ١ : ٩٩
(٣) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ٢٠٩
(٤) الحوت ، في طريق الميثولوجيا ٢١٠
(٥) سورة الحجر ، الآية ٢٧
(٦) سورة الرحمن ، الآية ١٥
(٧) انظر تفسير الطبري ، جامع البيان ١ : ١٥٢
(٨) عبد المعيد خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ٥٠

وسكنوا في صورة الحيات ذوات أجنحة ، يطيرون هنالك ، وأن الحماميص من بيضة أخرى" .(١)

وفي هذه الرواية تعليل طريف حاول الرواة أن يعللوا به تعدد أنواع الجن التي دخلت أساطيرهم ، فجعلوا الاختلاف مرهونا باختلاف البيضات الأولى التي وضعتها أنثى الجان .

أنواع الجن :

لقد جعل أهل الأخبار الجن أنواعا متعددة ، وقد ذكر القرآن الكريم في أكثر من آية ماحبا به الله نبيه سليمان من سلطة على الرياح والجن التي سخرها بأمره ، من ذلك ماورد في الآية الكريمة "وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون" .(٢)

فتلقف وهب بن منبه ماجاء حول الجن التي امتثلت لسليمان ، وأخذ - كعادته - يطلق لخياله العنان ويحلق في عوالمه الغريبة ، فقال "لما حشدت الريح الصرصر الجن لسليمان ، وجدهم على صور عجيبة ، منهم من كان وجهه على قفاه ، يخرج من فيه النار ، ومنهم من كان يمشي على أربع ، ومنهم من كان له رأسان ، والبعض له رؤوس الأسد وأبدان الفيلة . ورأى سليمان شيطانا ، نصفه صورة كلب والنصف الآخر صورة سنور ، وله خرطوم طويل ، فسأله عن نفسه فذكر اسمه وقال: صنعتي الغناء وعصر الخمر وشربه ، وتزيين ذلك للبشر ، فصفده . وسأل آخر قبيح الشكل يقطر الدم من كل شعرة على بدنه ، فأجابه : أن عمله سفك الدماء ، فأمر بتصفيده ، ولكنه قدم عهدا بأن لايفسد ، فختم على عنقه وأطلقه . ومر به ثالث في صورة قرد له أظافر كالمناجل ، وهو قابض على بربط ، فسأله عن اسمه وعمله ، فقال: أنا مرة بن الحارس ، أول من وضع هذا البربط وحركه ، فلا يجد أحد لذة الملاهي الا بي ، فأمر بتصفيده .(٣)

لقد كان جن سليمان منطلقا لوهب في خياله المحلق ، فجاءنا بصورة أسطورية بديعة لمخلوقات غريبة ، وتدل روايته على وجود أنواع من الجن ، ارتبطت بارتكاب المآثم ، فجعل سليمان يصفدها لمنع انتشار تلك المحرمات وارتكابها بين البشر . وكأن وهب يربط بين أولئك النفر من الجن وبين ابليس الذي يتولى دوما غواية الخلق وحثهم على ارتكاب المحرمات .

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ١ : ٣٢٠
(٢) سورة النمل ، الآية ١٧
(٣) القزويني ، عجائب المخلوقات ٣٧٢ - ٣٧٤

ونجد ابن الكلبي يصرح بأن لابليس خمسة أولاد من الشياطين ، نسب اليهم ارتكاب الآثام ، وجعلهم ينزعون الى الشر ، فذكر أن أسماءهم : ثبر والأعور ومبسوط وداسم وزلنبور ، أما ثبر فصاحب المصايب يأمر بالثبور وشق الجيوب ، وأما الأعور فانه صاحب الزنا يأمر به ويزينه في أعينهم ، وأما مبسوط فصاحب الكذب ، وأما داسم فيدخل بين الزوجين ويوقع بينهما البغضاء ، وأما زلنبور فهو صاحب السوق ، وبسببه لايزال أهل السوق متخاصمين (١) .

وهكذا أوجد الراوية اليمني تبريرا وتعليلا لاتيان البشر المعاصي ، وأرجع ذلك الى اتباعهم تلك القوى الخفية المستترة التي تومىء الى الخلق بارتكاب الآثام ، ثم تسعى الى نشر الشر بينهم .

ونجد وهب بن منبه لايتوانى عن تخيل أصناف مختلفة للجن ، وعندما سئل عنهم أجاب: "هم أجناس ، فاما الصميم الخالص من الجن ، فانهم ريح لايأكلون ولايشربون ولاينامون في الدنيا ولايتوالدون . ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم السعالى والغيلان والقطارب وأشباه ذلك" (٢) .

ويذكر الاخباريون أنواعا متعددة من الجن ، ذكروا منها الغدار والهاجس ، والتابع والرئي والهاتف والعامر والدلهاب والنسناس والمسخ (٣) . وفصلوا القول فيها ، وجعلوها تتشكل في صور الانس والبهائم ، وتقوم بالأعمال الخارقة .

موطن الجن :

ولعل الوهم والخوف جعل العرب تعتقد قديما أن الجن تسكن المواضع الموحشة المظلمة ، والأماكن المهجورة ، والفجوات العميقة ، وفي المغاور والجبال والآكام والأودية والفلوات ، وكلها أماكن رهيبة ، تلقي الرعب في قلوب الناس . وقد ذكر الجاحظ بعض تلك المواضع التي ليس فيها الا الجن والابل الوحشية . (٤)

وتأثر الشعراء بأقوال الرواة ووصفهم لأماكن الجن ، فهذا زهير بن أبي سلمى يصف بلدة نائية عن العمران ، وقد سكنها الجن فامتلأت بأصواتهم حتى أن الثعالب لتصرخ مذعورة منها :

وبلدة لاترام خائفـــة	زوراء مغبرة جوانبهـــا
تسمع للجن عازفين بها	تضج من رهبة ثعالبهـــا (٥)

---

(١) القزويني ، عجائب المخلوقات ٣٦٨

(٢) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ١ : ١٩٢

(٣) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ٤١٧ ، ٤٤٧ - ٥٢٨ و البيان والتبيان ٢ : ٣٢٥

(٤) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ٤٦٢

(٥) زهير بن أبي سلمى ، الديوان ٢١٢

وهذا طرفه بن العبد يذكر طريقا مجهولة ، تصوت الجن فيها منذ أقدم الأزمـان :

وركوب تعزف الجن بـه　　　قبل هذا الجيل من عهد أبد (١)

وقد اشتهر من مواطن الجن "عبقر" ، الذي قيل أنه موضع بالبادية كثير الجن ، وهو في أرض اليمن (٢) . فقال زهير يذكر عبقر :

عليهم فتيان كجنة عبقـر　　　جديرون يوما أن ينيفوا فيستعلوا

فيذكرها الشاعر - هنا - في موضع الاستحسان والاعجاب بشكلها .

وشاركه حاتم الاعجاب بجنة عبقر ، فقال مايشبه قول الأول :

عليهن فتيان كجنة عبقر　　　يهزون بالايدي الوشيج المقوما (٣)

وقد ورد في الأمثال : كأنهم جن عبقـر (٤) .

ونسب كل شيء في الجودة الى عبقر حتى قيل "لم ير عبقريا مثله" (٥) ويقولون ان عبقر أرض في اليمن ، كما قيل أن عبقر اسم لجبل بالجزيرة ، كان يصنع به الوشي ، وبعد أن خرب واندثر ولم يعرفوه ، فنسبوه الى الجن ومن ثم نسب كل شيء جيد الى عبقـر (٦) .

ونقل عن ابن مفرغ الحميري قوله :

وخاض حياض الموت من دون جاره　　　كهولٌ وشبانا كجنة عبقـر (٧)

كما شبهوا الرجال بالجن اذا بدرت منهم شجاعة وبطولة فائقة ، فقال وضاح ابن اسماعيل بن عبد كلال :

فانك لو رأيت الخيل تعدو　　　عوابس يتخذن النقع ذيـلا
رأيت على متون الخيل جنا　　　تغير مغانما وتفيت نيـلا (٨)

---

(١) طرفه بن العبد ، الديوان ١٣٤
(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ١٢٨ ، ١٥٤
(٣) الجاحظ ، الحيوان ٤ : ٤٥٣
(٤) ابن منظور ، لسان العرب ٤ : ٥٣٤
(٥) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ٢ : ٢٨١
(٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ : ٦٠٦
(٧) ابن مفرغ الحميري ، الديوان ٨٤
(٨) ديوان الحماسة ١ : ٢٦٦

وشغف الشاعر الجاهلي بذكر الجن مدعيا معرفته بأحوالهم وطريقة عيشتهم ، حتى المطايا التي يركبونها في أسفارهم ، فقال بعض الاعراب على لسان الجن يذكر أنواع المطايا التي يستخدمونها :

وكل المطايا قد ركبت فلم أجد ألذ وأشهى من مطايا الثعالب
ومن عنظوان صيغة شمّرية تخب برحليها أمام الركائب
ومن جرذ سرح اليدين معرج يقوم برحلي بين ايدي المراكب
ومن فأرة تزداد عنفا وجدة تبرح بالخوص العتاق النجائب
وعن كل فتلاء الذراعين حرة مدربة من عافيات الأرانب
ومن ورل يعتام فضل زمانه أضر به طول السرى في السباسب(١)

وقد كان العرب يستجيرون بالجن في أسفارهم وفي منازلهم ، لاعتقادهم بسكنى الجن في بعض تلك الأماكن . وبلغ بهم الأمر الى نسب بعض القبائل الى الجن، كما عللت بعض الأساطير العربية لظهور الزوابع ، وعدتها ظواهر مرئية لمعركة بين عشيرتين من الجن (٢) .

عبادة الجن :

لقد كان العرب في خوف دائم من الجن ، فكانوا اذا سار أحدهم في تيه من الأرض ، وخاف من الجن يقول بصوت مرتفع "أنا مستجير بسيد هذا الوادي" . ويصير له بذلك خفارة (٣) .

ويروى أن حجاج بن علاط السلمي نزل بواد موحش في ركب له ، وهو يقصد مكة، فقال وقد جن الليل :

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي من كل جني بهذا النقب
حتي أأوب سالما وركبي(٤)

ويروي الألوسي أن أحدهم قال مستعيذا بمالك الوادي :

قد بت ضيفا لعظيم الوادي المانعي من سطوة الأعادي
راحلتي في جاره وزادي

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ٦ : ٧٤
(٢) 134 Smith, Religion of the Semites
(٣) الراغب الأصبهاني ، محاضرات الأدباء ٢ : ٢٨٠
(٤) السهيلي ، الروض الانف ١ : ١٣٦

فاذا أصاب الركب بأس شعروا بخيبة الأمل وعدم قبول سيد الوادي أن يجيرهم كما حدث ذلك للرجل الذي أكل الأسد ولده ، فقال :

قد استعذنا بعظيم الوادي   من شر مافيه من الأعادي
فلم يجرنا من هزبر عادي[1]

ثم تطورت الاستعاذة وأخذوا يقدمون للجن الذبائح ، وغالوا في ذلك ، حتى وصل بهم الأمر الى عبادتهم ، كما ورد في قوله تعالى : "وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون"[2] وفي الآية الكريمة "قالوا: سبحانك ، أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون"[3] . ويذكر ابن الكلبي أن (بنو مليح) من خزاعة ، رهط طلحة الطلحات كانوا يعبدون الجن[4].

لقد تطور الشعور بالخوف لدى العرب من الجن ، ودفعهم ذلك الى رهبتهم وخشيتهم مما حدا بهم في مرحلة لاحقة الى عبادتهم ، وان كانت عبادتهم للجن محدودة ، وربما انحصرت في قبائل معينة ذكرها ابن الكلبي ، ولعل تلك القبائل كانت تسكن البادية ، فاندفعوا الى الايمان بها كقوة خفية ، ولم تنتشر هذه العبادة في القبائل الأخرى .

وحفلت المصادر العربية القديمة بأخبار الجن وماقيل فيهم من الشعر ، وأولع الرواة بحكايات الجن ، ولاسيما رواة اليمن الذين ولعوا بغرائب الأمور ومخفياتها ، فأولوها اهتماما خاصا ، وزعموا اتصالهم بالجن ومصاهرتهم لهم ، فقالوا ان الملكة اليمنية بلقيس من أم جنية ، ومثلها أيضا الملك الحميري الصعب ابن ذي مراثد ، كما رووا عن جنية كانت تسكن جبل ضهر باليمن[5].

وقيل أيضا ان ابرهة بن الرائش - وكان يدعى ذا المنار - كان من أجمل أهل زمانه ، فهوته امرأة من الجن ، يقال لها العيوف بنت الرابع ، فتزوجها ، فولدت له العبد بن أبرهة[6]. ونسب الى طرفة بن العبد قوله فيها :

لابنة الجني بالجو طلل   حله الرابع حينا وارتحل[7]

---

(١) الألوسي ، بلوغ الأرب ٢ : ٣٢٦
(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٠٠
(٣) سورة سبأ ، الآية ٤١
(٤) ابن الكلبي ، الأصنام ٣٤
(٥) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٢ : ١٨
(٦) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٢٠
(٧) وهب بن منبه ، التيجان ١٣٨

كما ذكر الهمداني أن تبعا كانت له تابعة من الجن ، تسكن في جبل ينور ، على ساعة من صنعاء ، ونقل حكاية طريفة عن ارسال تبع الى الجنية ، عندما حضرته الوفاة [١].

ولم يقتصر الأمر على هذا بل جعلوا بعض القبائل تنتسب الى الجن ، كما كانت قبيلة بني مالك وبني شيصبان وبني يربوع [٢]. وينتقد الجاحظ حكايات النتاج المشترك قائلا: "قد يكون هذا الذي نسمعه من اليمانية والقحطانية ، ونقرؤه في كتب السيرة ، قص به القصاص وسمروا به عند الملوك ، وزعموا أن بلقيس بنت ذي يشرح ، وهي ملكة سبأ... أن أمها جنية وأن أباها انسي ، غير أن تلك الجنية ولدت أنسية خالصة صرفا بحتا ، ليس فيها شوب ولانزعها عرق ، ولاجذبها شبه ، وانها كانت كاحدى نساء الملوك..." [٣]

فنبه الجاحظ الى ارتباط الحكايات والأساطير اليمنية بمسامرة الملوك أحيانا ، وبما تأتي به مخيلة القصاص والرواة لتغذية تلك المنادمة والمسامرة ، فينتقد ظاهرة الزواج من الجن مشيرا الى سلامة بلقيس من أي عيب خلقي ، والى كونها امرأة انسية خالصة .

وجعل الرواة ملوك اليمن القدماء يسخرون الجن لخدمتهم [٤] ، وانتقد الهمداني الروايات المتداولة حول بناء الجن لقصور اليمن [٥] ، واقتصر نقده على البناء ، أما خدمة الجن لملوك اليمن في شؤونهم الخاصة والعامة ، فقد أقر به بل روى أنهم كانوا يأتونهم بفواكه بلاد الهند طرية [٦].

ويذكر وهب بن منبه أن الهدهاد عندما حضرته الوفاة أراد أن يستخلف بلقيس على قومه ، فاحتج بعضهم ، ولكنه أخذ يذكر لهم حصافة رأيها وعلمها ورجاحة عقلها ، مؤملا أن تظهر لهم عامة أمور الجن مما ينتفعون به في الدنيا.. [٧]

فقد عرف عن الجن قدرتهم على الأعمال الخارقة التي لايستطيعها البشر ، ومعرفتهم بخفايا الأمور ومستعصياتها ، مما يدق فهمه على عامة الناس .

---

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٣٥
(٢) الألوسي ، بلوغ الارب ٢ : ٣٤٠
(٣) رسائل الجاحظ ٢ : ٣٧١
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٢ : ١٩
(٥) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٦٦
(٦) المصدر السابق ٨ : ٦٨
(٧) وهب بن منبه ، التيجان ١٤٧

ويذكر وهب بن منبه أسطورة زواج الهدهاد بن شرحبيل وهو والد بلقيس من أمها التي زعم انتماءها الى الجن ، تقول الأسطورة :

"لما ولي الهدهاد بن شرحبيل زحف اليه عمرو ذو الاذعار ، وبرز اليه الهدهاد ، والتقوا بموضع معروف باليمن ، فتحاربوا أياما... وفي يوم خرج الهدهاد على ناقة في زي اعرابي ليتدبر عساكر عمرو ذي الاذعار ، وفي طريق عودته الى معسكره سار حتى بلغ مشرف العالية في يوم قائظ... فنظر الى شجاع[1] أسود عظيم هارب ، وفي طلبه شجاع رقيق أبيض فأدركه ، فاقتتلا حتى لغبا ، ثم افترقا ، ثم أقبل الشجاع الأبيض الى الهدهاد فتشبث مع ذراع ناقته حتى بلغ رأسه الى كتفها ففتح فمه كالمستغيث فمد الهدهاد يده الى سقائه . فصب الماء فيه حتى روي ثم عطف في طلب الأسود فأدركه ، فاقتتلا طويلا ، فلغبا فافترقا ، وأقبل الأبيض الى الهدهاد كما فعل أولا كالمستغيث ، فصب الهدهاد الماء في فيه حتى روي ، ثم أقبل على الأسود وأخذه ، فلم يزل الأبيض حتى قتل الأسود ، ثم مضى على وجهه حتى غاب عنه .

ومضى الهدهاد الى شعب عظيم فاختفى فيه ، فبينما هو مستتر بشجر أراك اذ سمع كلاما فراعه ، فسل سيفه ، فأقبل عليه نفر جان حسان الوجوه ، عليهم زي حسن، فدنوا منه ، فقالوا: عم صباحا ياهدهاد لابأس عليك . وجلسوا ، وجلس . فقالوا له : أتدري من نحن ؟ قال: لا . قالوا: نحن من الجن ولك عندنا يد عظيمة . قال: وماهي؟ قالوا له : هذا الفتى أخونا من أبناء ملوكنا ، هرب له غلام أسود فطلبه فأدركه بين يديك ، فكان مارأيت وفعلت . فنظر الهدهاد الى شاب أبيض أكحل في وجهه آثار خداش . قال له: أنت هو ! قال: نعم ، قالوا له : ماجزاؤك عندنا ياهدهاد الا أخته ، نزوجها منك وهى رواحة بنت السكن ، فزوجوه اياها ، وقالوا له : لها عليك شرط : لاتسألها عن شيء تفعله مما تستنكر منها ، فان سألتها فهو فراقها ، فوافق وقالوا له : ارجع الى قصرك بنيون ، فانها تأتيك ليلة كذا ، ارجع فلا تقم لأن عمرا ذا الاذعار رجع الى غمدان بعد انصرافك عنه ، فرجع الهدهاد وفرق عساكره ، ولحقه الخبر أن عمرا رجع ، فجلس في الليلة التي أمروه أن يجلس فيها مرتقبها حتى أحس ثقلا في القصر ، وهرب جميع من معه في القصر من الثقل الذي أحسوه ، وداخت قلوبهم وحشة حتى أتوا بها اليه ، فأدخلوها عليه .

وأولدها ولدا ذكرا ، فلما شب وصار ابن سنة ، فبينما هو يناغيه ، اذ أقبلت كلبة من باب المجلس فأخذت برجل الطفل وجرته حتى ذهبت به عنه ، فغاب ، فنظر الى رواحة فسكتت ، وسكت . ثم ولدت أنثى ، فلما صارت بذلك السن أتت الكلبة ، فجرت رجلها وهو ينظر ، فسكت وغابت عنه ، ثم ولدت ذكرا ، فلما بلغ سن أخيه وأخته أتت الكلبة وفعلت كما فعلت أولا ، قال لها: يارواحة ، اكف مانال هؤلاء الأطفال ؟ قالت له : فارقتك ياهدهاد ، اعلم انه لم يجر منه أحد ، بل هم

---

(١) الشجاع : ضرب من الحيات

محمولون ، وتلك داية تحملهم وتربيهم حتى يبلغوا خمس سنين فيأتوك أتقياء . فأما ابنك الأول فقد مات أحسن الله عزاءك فيه ، وأما الآخر فانه يأتيك وليس يعيش بعد أبي وهو يموت ، وأما ابنتك فانها تأتيك وتعيش لك .

ثم ذهبت عنه فلم يرها بعدها ، ووجد في الفراش ابنه وبنته بلقيس ، فمات الصبي ، وعاشت بلقيس"[1].

لقد روى وهب بن منبه هذه الأسطورة التي تحكي زواج الهدهاد من الجنية ، وكعادة وهب ، يجعل بطل الأسطورة أحد ملوك اليمن "الهدهاد بن شرحبيل" ، وينسب اليه صفات البطولة والشجاعة ونجدة الضعيف والملهوف ، تلك الصفات التي ظل العربي يفخر بها ويتغنى بها في أشعاره . وتلك الصفات جديرة - في رأيه - باضفائها على الملك اليمني ، الذي لاتقتصر أفضاله وأياديه على القوم (البشر) من حوله ، ولكنها تمتد لتشمل الجن ، تلك المخلوقات المخفية ، التي تدور الأحاديث حولها دون أن يعرف شكلها وتنسب اليها الخوارق من الأمور . ويقدر الجن صنيع الملك اليمني ، ويودون مكافأته بتزويجه من احدى بناتهم "رواحة بنت سكن" ويأتون بها الى قصر الملك اليمني بطريقة عجيبة تثير دهشة واستغراب من في القصر .

ويشترط الجن ألا يسأل الهدهاد عما يثير تعجبه من أمور وتصرفات غريبة ، والا عنى ذلك الفراق . وتأتي ساعة الفراق بعد أن طال صبره وتحيره وهو يرى أبناءه الثلاثة تحملهم الكلبة ، ولايعرف عنهم شيئا .

لقد أراد الراوي أن يقرن تصرفات الجن بالأمور الغريبة التي لاينبغي لبشر أن يعرفها ، فتفسيرها لديهم ومعرفتها لاتعني استمرار الوفاق بين البشر والجن ، ولهذا تم الفراق بين هذين الزوجين على ذلك النحو الأسطوري ، بعد أن استطال بالملك حب الاستطلاع في معرفة مايحدث ، وبعد أن كشفت "رواحة" سرا خاصا بها وبقومها (الكائنات المخفية) ، عندما فسرت له حقيقة أمر أبنائهم وماحدث لكل منهم .

ويروي نشوان الحميري أسطورة أخرى جميلة من أساطير الجن حول زواج الهدهاد بن شرحبيل من الجنية التي أنجبت له بلقيس ، وتقول الأسطورة :

"خرج الهدهاد بن شرحبيل للصيد في جماعة من خدمه وخاصته ، فرأى ذئبا يطارد غزالة ، وقد ألجأها الى مضيق ، ليس للغزالة عنه مخلص ولامحيص ، فحمل الهدهاد على الذئب ، فطرده عن الغزالة ، وبقي الهدهاد يتبع نظره الى الغزالة لينظر الى أين تنتهي ، فسار في أثرها ، وانقطع عن أصحابه ، فبينما هو كذلك ، اذ رفع له عن مدينة عظيمة ، فيها من كل مادعى باسمه من النساء والنعم والخيل والابل والنخيل والزرع والفواكه . فوقف دونها متعجبا مما ظهر له منها . فبينما

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان ١٤٥ - ١٤٧

هو كذلك اذ أقبل عليه رجل من أهل تلك المدينة التي ظهرت له ، فسلم ورحب به وحياه ، وقال له : أيها الملك اني أراك متعجبا مما ظهر لك في يومك هذا . فقال له الهدهاد: اني لكما قلت ، فما هذه المدينة ؟ ومن ساكنها ؟ فقال: هذه مأرب سميت باسم بلد قومك ، وهي مدينة عرم ، حي من الجن وهم سكانها ، وأنا اليلب بن صعب ملكهم وصاحب أمرهم . فجاء على لسان الهدهاد قوله :

عجائب الدهر لاتفني أوابدها	والمرء ما عاش لايخلو من العجب
ماكنت أحسب أن الأرض يعمرها	غير الأعاجم في الآفاق والعرب
وكنت أخبر بالجن الخفاة فلا	أرد أخبارهم الا الى الكذب
حتى رأيت مقاصيرا مشيدة	للجن محفوفة الأبواب والحجب
يحفها الزرع والماء المحيط بها	مع المواقير من نخل ومن عنب (1)
مابينها الخيل من طرف ومن تلد	والجود فيها من الانعام والكسب
وكل بيضاء تحكى الشمس ضاحكة	هيفاء لفاء من موصوفة العرب

فبينما هم كذلك اذ مرت بهم امرأة لم ير الراءون أحسن منها وجها ، ولا أكمل منها خلقا ، ولاأظهر منها صباحة ، ولاأطيب منها رائحة ، فافتتن بها الهدهاد ، وعلم ملك الجن أنه قد هويها وشغف بها ، فقال له: أيها الملك ، ان كنت قد هويتها فهي ابنتي وأنا أزوجكها . فجزاه الهدهاد خيرا على كلامه ، وسأله الجني: هل عرفتها ؟ فقال له الهدهاد: مارأيتها قبل يومي هذا ، فقال له الجني : فانها الغزالة التي خلصتها من الذئب ، ولا نكافئك على جميل صنيعك أبدا بأحسن من حبائك بها ، بشهادة الله عز وجل وشهادة ملائكته . فاذا أردت ذلك فأقدم الينا بخاصة أهل بيتك وملوك قومك ليشهدوا املاكها ، ويحضروا وليمتها ، وميعادك الشهر الداخل .

فانصرف الهدهاد على الميعاد ، وهو يقول :

يمضي جمادى ويأتي بعده رجب	وسوف آتي على الميعاد من رجب
حتى أوافي خير الجن من عرم	اعني ابن صعب هو المعروف باليلب
نبغي لديه الذي نادى ومن به	من التواصل والاصهار والنسب

وغابت المدينة ، واذا أصحابه حوله يدورون عليه . وسألوه: أين كنت ؟ ونحن في طلبك مذ فارقتنا ، ولم نترك شيئا من هذه الفلوات الا قلبناه لك وظنناك فيه ، فقال لهم الهدهاد: اني لم أبعد ، وأقبل يسير وهو يقول الشعر الذي يصف به مارآه .

---

(١) الميقار من النخل : الكثير الحمل ، جمعه مواقير

ثم خرج الهدهاد في الميعاد الى أصهاره في خاصة قومه وخدمه ، حتى وافاهم ، فوجدوا قصرا بناه له الجن في فلاة من الأرض محفوفة بالنخيل والأعناب وأنواع الزرع وفنون الفواكه ، تخترقه المياه الجارية . فعجب القوم من ذلك عجبا شديدا ، ورأوا ملكا عظيما ، ونزلوا في القصر معه على فرش لم يروا مثلها قط ، وقربت لهم موائد عليها من طيبات المأكول وألوانه التي لم يأكلوا قط أطيب منها طعما ، ولا أذكى رائحة ، وسقوا من الشراب مالم يشربوا قط ألذ ولا أهضم ولا أمرأ ولا أخف منه . فمكثوا معه ثلاثة أيام بلياليها في ذلك .

وزفت الى الهدهاد امرأته الحرورى ابنة اليلب بن صعب العرمي ملك الجن ، فأذن الهدهاد لبني عمه وخاصة عشيرته بالانصراف الى مواضعهم ، وصار ذلك القصر دار مملكته ، فأقامت الحرورى زمانا معه ، فولدت له بلقيس[1].

ويتضح في هذه الأسطورة أن الراوي أراد بها اتمام مابدأه راو سابق حول زواج الهدهاد من الجنية التي تجعلها الأسطورة الأولى "رواحة" وتسميها الثانية "الحرورى" . ويتجلى في الأسطورة الثانية خيال بديع يحلق بنا في عالم غير مرئي، لم يستطع أحد رؤيته سوى الهدهاد فانطلق لسانه بالشعر يصف لصحبه ماشاهد من عالم عجيب . كما نلاحظ فيها عنصر التنميق والتزيين الناتج عن الأناة في الوصف . فالراوي لايتوانى في حشد كل طاقاته الروائية ليكسب مشاهد الأسطورة هيبة وروعة وجمالا في كل مايصف من بنيان وطعام وشراب وجمال .

ونجد الراوي اليمني - كعادته - يضفي صفات البطولة والنجدة على الملك اليمني "الهدهاد" ، ويجعله محل اعجاب واكبار شديدين من عالم الجن الذين لايترددون في تزويجه الحسناء "الحرورى" ابنة ملكهم التي شاهدها غزالة ، ودفع عنها أذى الذئب بشهامة وشجاعة نادرتين .

ولعل الراوي أراد أن يقنعنا بصدق أسطورته ، فحاول أن يكسبها واقعية تحقق لها مانسميه اليوم في مصطلحات النقد بالصدق الفني ، حين أورد على لسان الهدهاد قوله شعرا أنه كان يحسب أن الأرض لايعمرها غير البشر والأعاجم من البشر، وأنه كان لايصدق أخبار الجن الخفاة ، حتى ظهر له مايثبت صدق تلك الأخبار عندما رأى مدينتهم بقصورها المشيدة وبساتينها وحسناواتها .

ولم يكتف الراوي بذلك الوصف ، ولكنه جعل للمدينة اسم المدينة اليمنية "مأرب" ، وسمي ملكها باليلب بن الصعب ، والصعب أحد ملوك اليمن المعروفين ، وجعلهم من الجن المؤمنة بالله وملائكته ، ولعله لجأ الى هذا امعانا في واقعية الأسطورة لتقريبها من عقل السامع واثارة الميل لديه الى تصديقها .

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ٧٤ - ٧٦

ويظهر في أساطير الجن ولع رواة اليمن بالأمور الغريبة التي لاتقبل التفسير المنطقي أو لاتخضع للعقل ، فأمر اثباتها أو تفسيرها يخرج عن قدرة الراوي ، ويظل المجال واسعا للتحليق بخياله الخصب ، يرتاد العوالم العجيبة ، ويصف المخلوقات الغريبة ، وليس هناك أسهل من مزج الحقائق بالخيال في تمريره الاصهار الى الجن والانجاب منهم .

ومما يلحق بأساطير الجن لدى اليمانيين حكاياتهم عن الرئـــي .

الرئــــي :

وقد ذكر الرئي في المصادر العربية كأحد أنواع الجن ، وزعموا أن لكل انسان شيطان يتبعه ، ولاسيما الكهان الذين يسخر كل منهم الرئي أو التابع في تنفيذ أغراضه . وقد اقترن ذكر الرئي أو التابع بالاشارة على الانسان بأفضل الأعمـــال .

وقد مر بنا حديث الرئي لعمرو بن لحى عندما دله على موضع الأصنام واحضارها الى بلاد العرب . واقترن الرئي أو التابع بالشاعر ، فزعمت الروايات أنهم الذين يلقون الشعر على ألسنة الشعراء ، وقد يعرفون بشياطين الشعراء [١]. فنسب الى حسان بن ثابت قوله أن له جني يلهمه الشعر :

ولي صاحب من بني الشيصبان فطورا أقول وطورا هـــوه [٢]

ولايكتفي حسان بذكر صاحبه ، ولكنه يزعم بأنه يجود له الشعر ، فيعلو بذلك كعبه على الشعراء عند المقارنة بينهم ، فقال :

لا أسرق الشعراء مانطقـــوا بل لايوافق شعرهم شعـــري
اني أبى لي ذلك حسبـــــي ومقالة كمقاطع الصخـــر
وأخي من الجن البصير اذا حال الكلام بأحسن الحبـــر [٣]

وافتخر أحد الشعراء بأن شيطانه ذكر ، فقال :

اني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثي وشيطاني ذكـــر [٤]

وفي هذه اشارة الى أن الرئي من الجنسين ، أنثي او ذكـــر .

---

(١) انظر جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ : ٧١٠
(٢) الألوسي ، بلوغ الارب ٢ : ٣٦٥
(٣) حسان بن ثابت ، الديوان ١٧٣
(٤) الجاحظ ، الحيوان ٦ : ٧٠

وافتخر راجز بأنه رغم حداثه سنه فان شيطانه أمير على الجن ، حين قال :

اني وان كنت صغير السن	وكان في العين نبو عني
فان شيطاني أمير الجن	يذهب بي في الشعر كل فن (١)

لقد جعل الرواة الشعر للجن تلقنه الشعراء ، كما كانت القيان تلقن هيوميروس فصيح الأشعار ، فاعتقد اليونان أن القيان بنات زفس ، ويقمن معه يطربن الآلهة ، وكان الشعراء يستوحون منهم الشعر في انشادهم ، ويستمد المطربون عونهن في التلحين والتوقيع ، فهن ربات الشعر واللحن والانشاد ، يخاطبن هوميروس بصيغة الجمع تارة وبالمفرد تارة أخرى ، وقد يقول الآلهة ويعنى بها احداهن .(٢)

فالشاعر في الجاهليتين اليونانية والعربية كان يملك قوى خفية يستمد منها فن الشعر .(٣)

ولعل المعري استمد من هذا الاعتقاد ماروواة في رحلته السماوية عن أشعار الجن .(٤)

ويروي القرشي رواية جعل فيها الجن حكما على الشعراء تفضل أحدهم على الآخر ، حين نقل قول أحد الرواة :

"بينما أنا أسير في طريقي ببقعة من الأرض لاأنس بها اذ رفعت لي نار فدفعت اليها ، فاذا بخيمة واذا بفنائها شيخ كبير ومعه صبية صغار . فسلمت ثم أنخت راحلتي آنسا به تلك الساعة ، فقلت: هل من مبيت ؟ قال: نعم في الرحب والسعة ! ثم ألقى الي بطنفسة رحل ، فقعدت عليها . ثم سأل: من الرجل ؟ فقلت حميري شامي . قال: نعم ! أهل الشرف القديم . ثم تحدثنا طويلا الى أن قلت: أتروي من أشعار العرب شيئا ؟ قال: نعم ، سل عن أيها شئت . قا: فانشدني للنابغة . قال: أتحب أن أنشدك من شعري أنا ؟ قلت: نعم . فاندفع ينشد لأمرىء القيس والنابغة وعبيد . ثم اندفع ينشد للاعشى . فقلت: لقد سمعت بهذا الشعر منذ زمن طويل ، قال: للاعشى ؟ قلت: نعم . قال: فأنا صاحبه ، قلت: فما اسمك ؟ قال : مسحل السكران بن جندل ! فعرفت أنه من الجن... ثم قلت له : من أشعر العرب ؟ قال: ارو قول لافظ بن لاحظ ، وهياب ، وهبيد ، وهاذر بن ماهر ! قلت: هذه أسماء لاأعرفها ، قال : أجل أما لافظ فصاحب أمرىء القيس ، وأما هبيد فصاحب عبيد بن الأبرص وبشر ، وأما هاذر فصاحب زياد الذبياني ، وهو الذي استنبغه ، ثم أسفر لي الصبح ، فمضيت وتركته " . (٥)

---

(١) المعري ، رسالة الغفران ٢ : ٤٧٨

(٢) الياذة هوميروس ، البستاني ١٦٩ و ٢٠٣

(٣) الحوت ، في طريق الميثولوجيا ٢٧٨

(٤) المعري ، رسالة الغفران ١ : ١٠٤

(٥) القرشي ، جمهرة أشعار العرب ٢٢

فنجد الراوي قد حرص على تسمية شيطان الشعر أو الرئي لكل شاعر ، للدلالة على أن الرئي هو الذي يلقن شاعره الشعر . وكما أوجد الرواة الصلة بين الشعراء والرئي أو التابع نجدهم قد أوجدوا الصلة نفسها بين الكاهن وتابعه ، وسنعرض لتلك الرواة في الجزء الخاص بالكهانة في الفصل القادم .

وقد أرجع أحد الباحثين أصل هذه الحكايات في الجن الى اليمن نظرا لتيسر اتصالاتهم المبكرة بالفرس في ايران ، فقد لعب موقع اليمن واتصالها بالهند وفارس الاريين دوره في جلب هذه الأفكار والمعتقدات الخرافية عن الجان ، ثم تسريبها الى بقية شعوب العالم العربي ومنها عبرت الى أوربا [(١)] .

ويسلم الدكتور الجوزو بوجود الأثر الزرادشتي في أساطير الجن ، وينص على أن اليهود قبل احتكاكهم بالفرس لم ترد في كتاباتهم أية اشارة الى الشياطين ، أما بعد التيه فقد بدأوا يذكرون الشيطان قليلا ، ولم يلبثوا من بعد أن جعلوه عدو البشر ومرسل الموت الى العالم فاذا صحت الصلة بين كلمة شيطان بالعربية وساطان العبرية ، فان العرب يكونون قد تأثروا في عقيدة الجن بالفكر الفارسي عن طريق اليهودية والمسيحية التي كان لهما وجود في اليمن [(٢)] .

والجدير بالذكر أن روبرتسون سميث يخالف من يعتقد بأن فكرة الجن انما هي نتيجة احتكاك الاعراب بغيرهم من الأمم المجاورة ، فهو يرى أن هذه التخيلات كانت قد تولدت في بلاد العرب نفسها بعد انفصال العرب عن سواهم من الساميين [(٣)] .

ولاعجب في مايذهب اليه "سميث" في الاعتقاد بالجن الا نتيجة خوف الاعراب واضطرابهم وتوحشهم في القفار والقيعان [(٤)] . وقد انتبه الجاحظ الى مثل هذه الآراء حين قال :

"واذا استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير ، وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه ، فيرى ما لايرى ويسمع ما لايسمع ، ويتوهم على الشيء الصغير الحقير أنه عظيم جليل ، ثم جعلوا ماتصور لهم من ذلك شعرا تناشدوه وأحاديث توارثوها ، فازدادوا بذلك ايمانا ، ونشأ عليه الناشىء ..." [(٥)]

---

(١) شوقي عبد الحكيم ، الفولكلور والأساطير العربية ١٢٩

(٢) الجوزو ، من الأساطير العربية والخرافات ٢٣

(٣) Smith, Religion of the Semites 441

(٤) الحوت ، الميثولوجيا عند العرب ٢٧٠

(٥) الجاحظ ، الحيوان ٦ : ٧٨

وأضيف الى أثر البيئة في تصور العرب لتلك المخلوقات العجيبة مافطر عليه اليمني من شغف واهتمام بقصص الخوارق والغرائب ، ففي الاضافة الى ماتداوله الاعراب ، وأسعفت اليمانيين مخيلة خصبة جعلتهم يمدون الروايات العربية بذلك الزخم من الأساطير الجميلة حول الجن .

وطبع اليمانيون تلك الأساطير بطابعهم الخاص ، ويمكن أن نلمس ذلك في تلك الأسباب التي ابتدعوها في خلق الصلة بين ملوكهم القدماء وبين الجان ، تلك المخلوقات الغريبة المختفية التي اختلف وصفها من راو الى آخر.. ولم يتورعوا عن ابتكار الأساطير الطريفة التي تثبت صلة المصاهرة بينهم ، يحدوهم في خلق تلك الأساطير السعي وراء كل غريب وعجيب ، واكساب ملوكهم القدماء صفة القوة والبطولة الخارقة والمهارة الفذة التي لايمكن أن تعزى الى بشر عادي مألوف ، وعرفت عن الجن ، ونسبوا الى ملوكهم أعمالا بطولية جعلوا في الجن تابعين لهم يؤدونها لهم ويقومون بخدمتهم في انجازها . ووجد رواة اليمن في الجان تحقيق بغيتهم فأخذوا ينسجون الأساطير حولها كما أسلفنا .

خصائص الأساطير ذات الأساس الطبيعي

امتازت الأساطير ذات الأساس الطبيعي ببعض الخصائص الخاصة وقد سبق أن كانت لنا وقفة مع السمات الخاصة بأسطورة ذي القرنين ، وبعد الرجوع الى الأساطير المذكورة المختلفة لاحظنا اتسامها بهذه الخصائص :

١ - النزعة الدينية :

ينزع الراوي اليمني دوما الى التعبير عن ايمانه بالله والعمل على نشر هذا الايمان كما لاحظنا ذلك في أسطورة ذي القرنين الذي جعل الرواة عمله لايختلف عن نشر الدعوة الاسلامية عند الفتوحات ، عندما يفتح البلاد (كان يعفو عمن آمن ويقتل من كفر) .

وفي أساطير الدهر وجدنا كلا من لقمان وذي القرنين يسعى الى الخلود ، ولكنا نجدهما يبديان ايمانا بالله على الرغم مما بذلا من محاولات للحصول على الخلود ، وقد عبر الراوي عن ذلك الايمان في الأشعار المنسوبة الى كل منهما حيث يبديان التسليم بقدرة الله والايمان بقضائه ومشيئته ، وايمانهما بفناء العالم والبقاء لله وحده .

وفي أساطير الجن لايجعلون الصلة الا الى الجن الأخيار المؤمنين بالله الذين يكونون عونا للملوك اليمنيين في تنفيذ مهامهم . وكما لمسنا في حديث ملك الجن الذي قبل تزويج ابنته من الملك اليمني الهدهاد .

٢ - الميل الى التعليل :

وتتجلى النزعة الى التعليل في أكثر من أسطورة ، فننظر الى وهب الذي تلفت انتباهه الزلازل التي تحرك الأرض وتهزها هزا ، ولايتوانى عن التفسير لذلك الاهتزاز ، فيرجعها الى الجبل المسمى "قاف" وحوله الجبال التي هي كالعروق في الجسد ، فاذا حرك الجسد عروقه (أي الجبال) اهتزت الأرض بما عليها .

كما وجدنا التعليل المنطقي في أساطير الدهر ، فربط امتناع الخلود على ذي القرنين لعدم استطاعته الشرب من ماء الحياة ، وحرم لقمان الخلود لاختياره بقاء الأنسر السبعة فارتبط عمره بمجموع أعمارها ، ولابد له من الموت بعد انتهاء أجل سابعها ، ولذلك لم يقدر لأي من الملكين الخلود ، وكتب عليهما الموت بانقضاء أجلهما ، لعدم اجتياز كل منهما مايمكن أن يوصله الى الخلود بحسب زعم الأساطير المعروفة بأساطير الدهر .

٣ - الميل الى التجسيد :

يميل الراوي الى التجسيد ويجعل من الرموز المجردة لديه أجساما ملموسة يبث فيها الحياة ويجعلها تتحرك ، فعندما رأى الجسد بعد أن تفارقه الروح ، ظل في حيرة يتساءل عن سر زوالها ، وكيف يمكن أن يصبح المرء جثة هامدة دون حراك ، فجعل الروح - في أساطيره - تتجسد في شكل طائر يحوم حول الجسد .

وفي أسطورة سهيل والشعريين تجسيد واضح للكائنات الكونية المضيئة في السماء ، وحركتها في السماء أيضا تفسرها حركة الشخوص الذين تجسد فيهم الأسطورة كواكب السماء ، وربطوا بين تلك الكواكب في أساطير جميلة لاتقل روعة عن الميثولوجيا اليونانية .

وقادهم التجسيد الى أنهم تصوروا سهيلا رجلا عشارا كان يظلم العباد من حوله ، فناله عقاب الله عندما مسخه كوكبا في السماء ، كما تدور المعارك بينه وبين خصومه في أسطورة أخرى .. كلها تصور سهيلا شابا يتبع الحسناء ويتقرب منها ، كما فعل مع الجوزاء ، عندما دارت بينه وبينها معركة نتج عنها ضربه اياها بالسيف وشطرها نصفين ، أو تصوره الأساطير شابا هائما لايتوانى عن المضي من منطقة الى أخرى ، وكأنه يمثل الشخصية اليمنية التي لاتقبل ضيما أو ضنكا ، فتسعى متنقلة في بقاع الأرض ، وتتبعه الثريا وهي كوكب تعبر السماء اليه ، وتبكي عليه أخرى "الغميصاء" ، ولاتستطيع الوصول اليه ، فتغمص عيناها من شدة البكاء .

ولعل الميل الى التجسيد قد دعا وهبا الى تخيل الجبل كائنا حيا تسري فيه الدماء ، يتحرك كلما أراد الله ذلك ، وجعل الجبال الصغيرة من حوله تكون

العروق التي تمد الجسم الضخم بالدماء ، فيتحرك الجسم بتحرك العروق ، ولاتتم الحركة في هذا الجسم الا اذا أراد الله أن يحدث الزلازل في الأرض .

ويقودنا الحديث في قدرة الراوي اليمني على التجسيد الى خاصة أخرى تعد سببا في ميله الى التجسيد وهي خصوبة الخيال والاغراق فيه .

٤ - الاغراق في الخيال :

نجد الأساطير المستندة على أساس طبيعي تتميز بالاغراق في الخيال ، وقد أثبت فيها الرواة قدرة عجيبة على الخيال ، والتحليق فيه بعيدا مما نتج عنه تلك الأساطير الجميلة ، التي أخذ الراوي بيدنا معه للتعرف على عوالم عجيبة من الأراضي والبقاع ، وشاهدنا معه ذلك التنوع العجيب من البشر والأقوام الغريبة الخلقة ، كما لمسنا ذلك في رحلات ذي القرنين .

ومن الخيال الجميل ما ورد في أساطير الجن التي صاغوها حول زواج الملك اليمني الهدهاد من ابنة ملك الجن ، فراو جعلها غزالة يطاردها الذئب ، ولاينجيها من براثن الذئب الا البطل الهدهاد دون أن يعرفها ، وراو آخر جعل الهدهاد يرى شجاعا[1] أبيض يطارد شجاعا أسود ، ونصر الشجاع الأبيض الذي تبين فيما بعد أنه ابن ملك الجن ، فكافأه بالزواج من اخته . وساعدهم الخيال المحلق على كشف عوالم في أرض الجن لم يكن الهدهاد لير مثلها . ان أسطورة الهدهاد وأرض الجن تشبه الى حد ما قصص ألف ليلة وليلة ، وما كان يتكشف فيها للبطل من أراض عجيبة وقصور فاخرة ، تزينها الطنافس والزينات الغريبة .

٥ - الارتباط بالواقع :

يتضح في معظم هذه الأساطير ارتباطها بالواقع على نحو ما ، ففي أسطورة الهامة ، وجد الرواة ظاهرة مألوفة في مجتمعهم ، وهي ظاهرة الأخذ بالثأر ، ولعلهم أرادوا ايجاد المبرر المادي الذي يحثهم على تنفيذها ، فاختلقوا حكاية الهامة التي تخرج من روح القتيل ، وتظل تقول: اسقوني ، حتى يقتل قاتله ، ويتم الأخذ بثأره ، حينئذ تسكن . انها تعليل لظاهرة اجتماعية ظلت المجتمعات العربية تشكو منها ، ولاشك في ميل البدوي قديما الى الأخذ بالثأر في أسرع وقت ممكن .. وربطوا الصدى والظمأ بالطائر الهامة (التي جعلوا الصدى أيضا ذكرها) ، فلا يروى الطائر الا بعد قتل القاتل . ان ذلك تعليل مادي لتفسير تلك الظاهرة التي سادت مجتمعهم وحكمت واقعهم .

---

(١) الشجاع : ضرب من الحيات (ابن منظور ، لسان العرب مادة "شجع")

ويبدو مثل هذا الارتباط بالواقع في أساطير الجن ، التي عكف الرواة على
وصفها ووصف أماكنها وأساطيرها • ووصل بهم الحال الى انطاقها الشعر ، وقد مر
بنا كلمة للجاحظ [١] يبين فيها أن سبب تفكيرهم في الجن هو الشعور بالخوف عند
ارتيادهم تلك الفيافي والقفار ، فكل حركة يفسرونها وكل دبيب يعللون لمصدره
وتقابلهم الحيوانات التي تملأ تلك القفار ، فيتجسد لهم مايبدو صغيرا على نحو
ضخم ، يجعلهم يميلون معه الى المبالغة والتفخيم والتهويل ، ويلتفتون حولهم في
تلك البيئة التي تمدهم بتلك التصورات ويتخيلون الجن ، فينسجون حولها القصص
والأساطير •

ومن مظاهر الارتباط بالواقع اتخاذ البطل الأسطوري من واقعهم ، بل من
ملوكهم القدماء ، فذو القرنين ولقمان من ملوك الحميريين ، والهدهاد وغيره من
أبطال الأساطير ، كلهم يمانيون ملأوا نفوس رواياتهم بالخشية والرهبة المشوبتين
بالاعجاب والانتصار لهم ، فاحتلوا في ذاكرة الرواة مركزا هاما جعلهم يتخذونها
محورا لأساطيرهم ورواياتهم • ويقودها هذا المظهر الى ظاهرة بارزة في هذه
الأساطير خاصة والأساطير اليمنية عامة ، وهي تمجيد الملوك القدماء •

٦ – تمجيد الملوك القدماء :

يحاول رواة اليمن دوما الانتصار لملوكهم القدماء ، فينسبون اليهم كل
أمر بطولي ، لذا احتل ملوك اليمن بطولة معظم الأساطير ، وحاول الرواة أن يضفوا
عليهم الكثير من الصفات الجليلة التي يمجدها العربي في ارجاء الوطن العريض •
فأخذوا ينسبون اليهم الجاه والقوة والعزيمة التي لاتكل كما وجدنا ذلك لدى
ذي القرنين في سيرته بين قومه وفي فتوحاته المختلفة عبر مشارق الأرض ومغاربها •

ووصفوا لقمان بالفطنة والحلم والاقتراب من الله بطيب الأفعال ولذا
استجاب دعوته عندما خيره بين ثلاث فاختار منها العمر الذي يبقى ببقاء الأنسر
السبعة ، ووجدنا لقمان رجلا صالحا مؤمنا ينصح قومه بالهداية واتخاذ سبيل
الرشاد ، كما لمسنا ذلك في الأشعار التي وردت على لسانه •

ومثال آخر في الهدهاد بن شرحبيل الملك الذي أضفوا عليه صفات الشجاعة
ونجدة الضعيف في أسطورة زواجه من ابنة ملك الجن ، وما أظهره من بطولة مكنته
من القضاء على الذئب الذي أوشك أن يفتك بابنة الملك الجني ، التي اتخذها زوجة
فولدت له بلقيس ، كما تزعم الأسطورة •

ان تلك الصفات كلها قد أسبغها الرواة على ملوكهم القدماء ، محاولين
بذلك اثبات ما كان لليمن من أمجاد تليدة وماض زاهر ، فظلوا لايدخرون وسعهم
لحشد الدلائل التي تثبت ذلك ، فدخل ذلك كله أساطيرهم •

---

(١) أنظر البحث ص ٢٠٧

٧ - كثرة الشعر :

امتازت هذه الأساطير بكثرة الشعر الذي قيل فيها على لسان أبطالها الأسطوريين ، الذين لايعقل أن ينطقوا بمثل هذا الشعر الذي فصحت لغته ، وكادت تقارب لغة صدر الاسلام .. ولاشك أنه شعر موضوع لجأ اليه الرواة لأسباب عدة ، منها اقناع السامع بصحة مايروون ، وبتوفير مايسمى في مصطلحات النقد الحديث بالصدق الفني في الرواية ، وربما لجأ الراوي الى رواية الشعر استجابة لسامعه الذي يستزيده من قول الشعر مستمتعا بما يسمع ، كما لمسنا ذلك في الحوار الدائر بين عبيد بن شرية ومعاوية بن أبي سفيان . فكأن الأخير لايميل الى تصديق مايسمع الا بعد أن يسمع ماقيل في الحكاية من شعر .

وقد لاحظنا قطع الشعر الطويلة في أساطير الدهر في أسطورة لقمان ونسوره السبعة ، حيث نسب الى لقمان أبياتا من الشعر الغنائي كلما مات نسر من نسوره السبعة ، اضافة الى ماقيل فيه على لسان شعراء آخرين . كما لاحظنا أيضا طول القصائد المنسوبة الى ذي القرنين ، ويروي فيها أخبار فتوحاته وتقلبه في البلاد المختلفة ، وما صادف فيها من مشاهد عجيبة ومغامرات تعرض لاجتيازها ، اضافة الى الشعر الذي ورد على لسان غيره من ملوك اليمن ، بعضهم يرثيه وبعضهم يفخر بما حققه ، ويعد الشعر الذي قيل في هذه الأسطورة ملحمة رائعة متكاملة سواء كان على لسان ذي القرنين أو من خلفه من أهله وذويه .

ومن الطبيعي أن يكثر الشعر في هذه الأسطورة ، وذلك لارتباط الشعر بالفخر ، فلجأ الراوي الى تضمين ذلك الشعر معاني الفخر والاعتداد بما حققه أولئك الملوك ، وكأنه يضمن في هذه الأبيات مالم يستطع قوله في أحداث الأسطورة ، ولذا يعد لديه مكملا للأسطورة ، يسير معها في اتجاه الصعود عند الاشادة باليمن ، وماحققه الملوك القدماء فيها .. وعندما يقصر الحال بالراوي عن ادخال الشعر على لسان أحد أبطال الأسطورة ، نجده يأتي به فيما بعد مستشهدا بقوله على لسان شعراء آخرين ، لايتوانى عن نسبه اليهم ، فيكملون بأقوالهم نغمة الاشادة والتمجيد .

وقد لمسنا وجود قدر لابأس به من الشعر على لسان شعراء مشهورين - في الجزيرة العربية بعامة - وردت على لسانهم ذكر بعض هذه الأساطير ، أو ذكر أبطالها ، ولايمكننا هنا اغفال المواطن التي جاء الشعر فيها على لسان أولئك الشعراء ، فهذه الأساطير تتناول عددا من الظواهر الطبيعية التي شغلت العربي في أرجاء الجزيرة العربية بكافة - كما لمسنا ذلك في أساطير الجن وما جاء حولها على لسان لبيد بن ربيعه ، وطرفة ابن العبد والأعشى ، وامرئ القيس وابن مفرغ الحميري وغيرهم .

كما انا لايمكن أن ننسى نشاط رواة اليمن وعملهم على نشر ورواج أساطيرهم في جنوبي الجزيرة العربية وشماليها وما كان بين القوم من مجالات الاحتكاك المختلفة ، فعرفها الشاعر واختزنتها ذاكرته ، واتخذ منها شواهده يسوقها في مجال العظة والاعتبار ، كما لمسنا ذلك في أساطير الدهر التي انطقت عددا كبيرا من الشعراء مستمدين منها العبرة والعظة ، مستشهدين بتجارب من سبقهم من السلـــف .

ولم يتورع الرواة عن انطاق الجن أيضا بأشعارهم امعانا في الدلالة على صدق رواياتهم وأساطيرهم ، وتجسيدا لما يودون ابرازه من شواهد ودلائل .

" الفصـــل الثالـــث "

" الأســـــاس التاريخـــــي "

نتناول في هذا الفصل بالدراسة عددا من الأساطير اليمنية التي ارتكزت في الأساس على التاريخ ، فنجد محور كل أسطورة الحدث التاريخي المشهود في تاريخ اليمن أو الشخصية التاريخية المعروفة من ملوك اليمن القدماء وشخصياته المعروفة عبر العصور .

فأقبل الرواة على التاريخ يستلهمونه ويعيدون صياغة بعض أحداثه في ملاحم رائعة صورت البطولات الفائقة ، في خيال مجنح يحلق بالمرء في عوالم غريبة ، واتخذ الرواة التاريخ محورا لأساطيرهم يستشهدون به على صدق رواياتهم وواقعية حكاياتهم ، محاولين بذلك توفير الصدق الفني لأساطيرهم لاقناع الناس من حولهم بصدق احداثها ووجود شخصياتها عبر العصور والأزمان السحيقة .

وأمد التاريخ الرواة وأهل الأخبار بمادة خصبة ظلوا يقلبونها على وجوهها المختلفة ، وكل يمتح بدلوه ويطلع للناس أشكالا عجيبة وغريبة يدهش لها من حولهم ويقبلون عليهم مبهورين بما يسمعونه من الحكايات والقصص العجيبة ، ففتن أهل الأخبار والمؤرخون ، وظلوا يرددون ذلك القصص والأساطير وهم يعتقدون فيها عنصري المبالغة والادهاش ، ولكنهم مع ذلك زانوا بها مؤلفاتهم ، وولعوا بادراجها في أسفارهم ، اللاحق منهم يسير على هدي السابق ، وبعضهم يعلل بوجودها لدفع الملل عن القارئ وبعضهم لنظرية التحلي التي برر مؤلفو المصادر العربية القديمة بها ازدحام كتبهم بتلك الأخبار الأسطورية الغريبة .

ولايتقيد الراوي بالتاريخ بتفصيلاته الدقيقة التي يمكن اخضاعها للتمحيص والمحاكمة ، ولكنه يتخذ منه منطلقا للسير في القصص الطريف ، فلا يعنيه في شيء تتبع الشخصية التاريخية أو الظاهرة التاريخية أو الحدث التاريخي كما حدث بالفعل ، ولكنه اتخذ من ذلك كله مادته الأولى التي بنى عليها أسطورته ، وأطلق لخياله العنان في التحليق في عوالم غريبة وعجيبة ، ومكنه ذلك من تأليف الأساطير الجميلة .

فالشخصية التاريخية تكتسب صفات خاصة تنفرد بها عن غيرها ، وتحقق أمورا خارقة لايستطيع بشر القيام بها ، ويعلو كعبها في عالم المجد والشهرة على نحو يجعل الراوي يستطيل على من حوله ويزداد شططا في خياله وفي مبالغاته ، والظاهرة التاريخية لاتتقيد بواقع معين ، ولكن الراوي يعلل لها ويفسر ويحلل على نحو عجيب يعزو فيه الأسباب الى قوى خارقة كانت السبب في ظهورها ، محاولا بذلك ايجاد الأسباب والمسببات لكل ما ملأ حياتهم من تلك الظواهر . والحدث التاريخي أيضا له أسبابه ومبرراته الخاصة التي كثيرا ما صاغها على لسان اناس توفرت لهم القوى الخارقة والعلم النافذ الذي يستطيع استكناه الغيب والتنبوء بالحدث قبل وقوعه .

وتجد اليمن معلما بارزا في الأساطير المستندة على الأساس التاريخي ، فالنزعة الوطنية فيها تعلو وتصخب في توقيعات حماسية هادرة ضمنها الرواة أشعارهم وأقوالهم على لسان الأبطال الأسطوريين ، أو في مايسبغونه على البطل من صفات معنوية ومادية يعلو بها على من حوله .

وتختلط هذه الأساطير بالأحداث التاريخية ، وتدق أحيانا لتختفي في ثناياها ، ولكن أمرها لايخفى على الباحث الممحص الذي يستطيع التمييز بين الأحداث التاريخية الواقعية وبين ما صاغه الرواة من أساطير جميلة لاتقل روعة عن أساطير الأمم والشعوب الأخرى .

من أساطير عاد :

لقد أورد الرواة انتساب قوم عاد الى اليمن ، فقيل انهم سكنوا الشحر[١] . وقيل سكنوا الأحقاف وهي جبال الرمل ، واسم واديهم "مغيث"[٢] ، ويذكر القرآن الكريم موطنهم في قوله تعالى "واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف ، وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه.."[٣]

ونظرا لذكر الأحقاف موطنا لهم أعتقد الاخباريون[٤] أن حضرموت اليمن كانت موطنهم لأن بها منطقة الأحقاف اليوم ، مع العلم بأن كلمة " الأحقاف " تعني الرمال[٥] .

وعندما جاء حضرمي الى علي (رضي الله عنه) ، سأله علي عن موضع الأحقاف فسرد عليه قصة مروية تخبره بوجوده في حضرموت ، ووجود قبر هود هناك[٦] . ونسب الى حسان بن ثابت قوله فيه :

وان أخا الأحقاف اذ يعذلونه ... يجاهد في دين النبي ويعدل[٧]

وقيل ان موضع الأحقاف شرقي حضرموت ، وقد كان وادي حضرموت قديما وحديثا يسمى بوادي الأحقاف ، كما كان معروفا في الجاهلية ثم في العصور الاسلامية ، ومازال يزار الى اليوم[٨] .

وبالاضافة الى ماذكرت فقد أولع رواة اليمن دوما بانتساب الأقوام القديمة الى اليمن محققين اتصالا بهم على أي نحو ، يتبع ذلك حكاية الأساطير والروايات حولهم ، متخذين من ذلك الانتساب منطلقا الى الاهتمام بأخبارهم وأوصافهم وماحققوه في حياتهم من مجد وسؤدد .. وهذا علقمة بن ذي جدن الذي يذكر انتسابهم الى هود لينفذ منه الى الافتخار بما حققه قومه من أمجاد قديمة ، وما أبدوه من بطولة فائقة حين قال :

---

(١) ابن حبيب ، المحبر ٣٨٤
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ١ : ١٢٠
(٣) سورة الأحقاف ، الآية ٢١
(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ٥ : ١٨ / المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١١٠
(٥) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ١ : ١٥٢
(٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ : ١١٦
(٧) حسان بن ثابت ، شرح الديوان ٣٢٠
(٨) صالح بن حامد العلوي ، تاريخ حضرموت السياسي ١ : ٦٦

أبونا نبي الله هود بن عابــــر ... ونحن بنو هود النبي المطهـر
لنا الملك في شرق البلاد وغربها ... ومفخرنا يسمو على كل مفخـر
فمن مثل كهلان الشواخب والقنــا ... ومن مثل أملاك البرية حميـر[١]

ولايكتفي الرواة بذلك ، بل يلجأون الى الأخبار عن الشخصيات القديمة بعد موتهم ، كما لمسنا ذلك في أخبار القبوريات التي أفرد لها الهمداني جزءا من اكليله .

وجعلت الروايات لعاد ولدين هما شداد وشديد ، ثم توفي شديد لينفرد بالحكم شداد الذي أخذ الرواة يحيكون الأساطير حوله ، فقيل انه بنى مدينة ارم ذات العماد ، وقد ذكرت في القرآن الكريم "ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد..."[٢] وأخذ الرواة يتفننون ويبالغون في الرواية عندما وصفوا "ارم ذات العماد" ، فجعلوها مدينة بين حضرموت وصنعاء في تيه أبين ، وأوجدوا بداخلها قصورا من الذهب والفضة ، وكثيرا من المبالغات الأخرى ، وزعموا أن بناءها تم في ثلثمائة سنة[٣] .

وفي رواية أخرى أن شداد سمع بذكر الجنة فأراد أن يضاهيها "بارم" ، فأمر ببنائها في بعض صحارى عدن[٤] . وقد أسهب ياقوت في وصف المدينة ، فقال ان شداد بن عاد أحاطها بسور عال مشرف ، وبنى فيها ثلاثمائة ألف قصر ، وجعل لها غرفا فوقها غرف معمدة بأساطين الزبرجد والجزع والياقوت ، ثم أجرى تحت المدينة واديا ساق اليها تحت الأرض أربعين فرسخا ، وأقام في شوارعها السواقي المطلية بالذهب ، وجعل حصاها أنواع الجوهر ، وهي تجري بالماء الصافي ، يتضوع منها المسك والزعفران والروائح الزكية... ومكث في بناء المدينة خمسمائة عام .

وبعد أن فرغ رجاله من بنائها سار اليها في عدد ضخم من جنوده ، ولكنهم لايكادون الاقتراب منها حتى أخذتهم صيحة من السماء ! ومات هو وجميع من كان في المدينة ، فلم يدخلها بعد ذلك أحد الا رجل واحد في أيام معاوية ويدعى عبدالله بن قلابــة[٥] .

ووصف الهمداني مدينة "ارم" بما يقرب من هذا الوصف ، ولكنه جعل شداد ابن عاد رجلا متواضعا لله تعالى ، ولذلك كان ملكا غير متوج ، بعكس ماترويه الروايات الأخرى ، ويقال انه عمر خمسمائة عام ، ثم دفن في مغارة في جبل شمام ،

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ٢
(٢) سورة الفجر ، الآيــة ٧
(٣) ابن خلــدون ، المقدمــة ١ : ٢٠
(٤) الزمخشــري ، الكشــاف ٢ : ٤٧٠
(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ : ٣١٢

(ولعله قصد شبام ، وهي مدينة بحضرموت)[1] ، ويتفق معه في الوصف وهب بن منبه .

ولايهمنا هنا التحقيق في موقع هذه المدينة ، أو التمحيص في دقة هذا الوصف ومدى اقترابه من الحقيقة ، بقدر ماتهمنا الأساطير التي جاءت على ألسنة الرواة بما فيها من مبالغات وتزيد وتلوين .. لأننا لسنا بصدد البحث التاريخي ، وانما بسبيل ما أثار التاريخ في أذهان الرواة وما جلب لنا من أساطير وأخبار تراثية كونت ذلك الفن الأدبي الجميل ، فكان نواة أمدت الرواة للبناء فوقها ، مستعينين بما يزودهم به خيالهم الخصب من فنون التصوير والابداع .

ونظر الى قول علقمة بن ذي جدن في ارم :

فهل لقوم مثل آثارهم   من ارم ذات البناء الرفيع[2]

ويتبين لنا بيت القصيد لدى كل من الراوي والشاعر اليمنيين ، اللذين يتخذان من ذكر الشخصيات أو الأمكنة منفذا الى الافتخار بالأمجاد المندثرة والاشارة بما حققه القوم وما خلفوه من آثار عظيمة تملأ أنفسهم فخرا .

ونقل وهب هذه الأسطورة في سلسلة من الرواة انتهت الى عبيد بن شرية الجرهمي الذي قال الحديث عن شيخ من أهل اليمن بصنعاء عام الردة ، وكان معمرا عالما بملوك حمير وأمورها ، فقال :

كان رجل عادي[3] يقال له الهميسع بن بكر ، وكان جسورا لايهاب أمرا ، وقد عرف بذلك ، فكانت الصعاليك تقصده من آفاق الأرض ، وكان أكثر طلبه المغارات يطلبها في جبال اليمن وعمان والبحرين ، فأتاه رجل فاتك من عبس وآخر من خزاعه ، وكانا صعلوكين جسورين ، وسألا الهميسع أن يصطحبهما واعدين بالامتثال لأمره ومشيئته ، فمضى معهما الهميسع حتى أتى بهما جبلا وعليه غابة فيها ثعابين لاترام . وكان الهميسع قد أتى هذا الجبل مرارا وحده ، وعند مشاهدته الثعابين رجع ، فعندما لقاه الصعلوكان تشجع بهما ، ثم أخذ سيفه وزناده ومشاعله وزاده ، وسار بهما حتى وصل الى الجبل ، ولم يزل تترايا لهم الثعابين وتهرب ، حتى بلغ باب كهف عظيم ، وكأن الجبال على أكتافهم عظما وثقلا .

ودخلت قلوبهم وحشة عظيمة ، وسمعوا من داخل الكهف دويا عظيما وهينمة ، وعلى باب الكهف نقش بالحميري ، فقالا له : اقرأ ياهميسع ، فقرأه فاذا هو مكتوب هذين البيتين :

---

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٨٣ / وأنظر التيجان ٧٤

(٢) المصدر السابق ٨ : ٨٠

(٣) نسبة الى قوم عاد

لايدخل البيت الا ذو مخاطرة　　أو جاهل بدخول الكهف مغرور
ان الذي عنده الآجال حاضرة　　موكل بالذي يغشاه مأمـــور

فغلب الخوف والجزع على الخزاعي في أول أمره ، ثم ان الجزع غلب أيضا على العبسي ، فاستدرك نفسه وثبت ، أما الخزاعي فقد فر هاربا . فقال الهميسع : نمضي في هذا الكهف أم لا ؟ فأجابه : نعم ، وسارا في الكهف حينا ، فاذا حيات يصفرن عن يمين وشمال ، ورياح تجري عليهما من داخل الكهف ، وسمعا دويا ، فقال العبسي: لقد حملت نفسك على مكروه ياهميسع ، أعلى يقين أنت من هذا الكهف ؟ فقال الهميسع: ما تيقنت الا ما رأته عيني ، والرجاء . فقال له : هل أبيع مهجتي ببخس ياهميسع ، لقد بعت نفسك من دهرك أبخس ثمن . وهميسع في ذلك لايلوي الى كلامه ، وهو يسير داخل الكهف حتى وقف به على باب آخر من الباب الأول وأهول وأشد وحشة ، وزاد عليهم الدوي والحسيس والهيَمة ، وعلى ذلك الباب بالخط الحميري .

فقال له العبسي: اقرأ ياهميسع ! فقرأه فاذا هو :

انظر لرحلك لايساق فانــه　　حتم الحمام الى العرين يساق
ياساكني جبلي شمام لعلــه　　يوفي بما أجنتما الميثـــاق
قوموا الى الانسي ان محله　　يدعو الى يوم الفراق فــراق

فولى العبسي هاربا عنه ، وناداه الهميسع ، فلم يلتفت اليه ، وولى وهو يقول : قاتل الله أخا عاد ما أجسره !

وهم الهميسع أن يفر ، ثم حمل نفسه على الأصعب ، ومضى حتى بلغ الى باب هو أعظم هولا وأشد وحشة ، وعليه نقش بالقلم الحميري ، فقرأه الهميسع فاذا فيه مكتـوب :

قد كان فيما قد مضى واعـظ　　لنفسك البينة المسمعـه
ان جهل الجاهل ما قد أتى　　وكان حينا قلبه في دعـه

فدخل الباب الثالث ، فسمع دويا عظيما كالرعد . فبينما هو كذلك اذ برز اليه تنين أحمر العينين فاتح فاه ، فلما رآه الهميسع رجع هاربا الى خلفه ، فسكن حس التنين ، فوقف العادي متسائلا اذ لو كان التنين حيوانا لما تركه ، فما هو الا طلسم . فرجع له ثانية حتى ظهر له ، فسار نحوه ، فسمع له دويا عظيما ، فهرب . فأقبل يسمع الدوي فاذا هو في رجوع التنين كما قاله في أدباره ، فعلم أنه طلسم فأخذ حذره من صدمته ، وأقبل يمشي قليلا .. قليلا ، ويخفف وطأة قدميه حتى وضع قدمه في موضع ، فتحرك التنين ودوى فأخذ قدوما كان معه فحفر على الموضع حتى ظهرت له سلاسل على بكرات . فأجنه الليل ، فأسرع الخروج من الكهف ، وجمع حطبا من الغيضة ، وأضرمها نارا وبات عند باب الكهف .

فلما غشيه ظلام الليل سمع بكاء وأنينا داخل الكهف ، فلم يزل ينتظر ويرتقب وينظر حتى نظر الى نار عظيمة خارجة اليه من داخل الكهف ، فلما رآها لم يبرح من موضعه حتى غشيته ، فصبر لها ، فم توءلم فيه شيئا ثم أتته أخرى ثانية اكبر من الأولى فصبر لها كذلك ، فلما مالت عنه أخذ مقياس النيران التي أضرمها واقبل يضرب بها حيطان الكهف يمينا وشمالا ، حتى سمع نداء من داخل الكهف يهتف : ياهميسع لاحاجة لنا في دخولك ، فأقام حتى أصبح فدخل باب الكهف الى أن وصل الى الباب الذي رأى فيه التنين ، ثم حفر على بقية حد التنين حتى قلعه ، وسقط التنين .

فسار اليه ، فقلع عينيه فاذا هما ياقوتتان حمراوان لاقيمة لهما ، وسار حتى انتهى الى باب هو أعظم هولا وأشد وحشة ، فلما هم أن يفتحه سمع دويا عظيما وبدا له أسد عظيم ، فرجع أيضا الى خلفه ، فرجع عنه الأسد بدوي عظيم ، فحفر على موضع حركته ، كما صنع بالتنين حتى أبطل حركته وقلع عينيه فاذا هما ياقوتتان حمراوان لاقيمة لهما ، ثم دخل الباب فاذا هو بدار عظيمة ، وفيها بيت في وسطه سرير من ذهب ، وعليه شيخ على رأسه لوح من ذهب معلق ، وسقف البيت مرصع بأصناف اليواقيت ، وعلى رأسه في الحائط لوح من ذهب ، فيه مكتوب (أنا شداد بن عاد ، عشت خمس مائة عام وافتضت فيها ألف بكر وقتلت ألف مبارز وركبت ألف جواد من عتاق الخيل) وتحته مكتوب :

من ذاك ياشداد عاد أصبحت	آماله مهزومة الأقدام
يامن رآني انني لك عبـــرة	من بعد ملك الدهر والأعوام
فكأنني ضيف ترحل مسرعـــا	وكأنني حلم من الأحلام
احذر تصاريف الزمان وريبه	لا تأمنن حوادث الأيام
هلا يضرك من كلامي مـــرة	يا ساكن الفيضات والآحام

ثم مال الى الركن الذي عن يمينه ، فاذا هو سرير من ذهب ، وعليه جاريتان ، فوق رأسهما في الحائط لوح من ذهب ، مكتوب فيه (أنا حبة وهذه لبة بنت شداد بن عاد ، أتت علينا أزمان أنفقنا فيها الطارف والتليد على عبيدنا ، ثم طلبنا صاعا من بر بصاع من در فلم نجده - فمن رآنا فلا يثق بالزمان ، وليكن على بيان ، فانه يحدث العز والهوان) .

فأخذ الهميسع الألواح وما بالبيت من در وجوهر وياقوت ، وخرج .[1]

وعند دراستنا هذه الأسطورة نلاحظ فيها أمورا عدة يجدر بنا الوقوف أمامها وتسجيلها :

١ - ان الراوية في هذه الأسطورة يحاول اثبات البطولة الخارقة للبطل اليمني فنجد الهميسع البطل اليمني يتصدى للمخاطر والأهوال دون أن تثنيه عن المضي في طريقه للوصول الى تحقيق هدفه ، فيواجه الثعابين المخيفة والوحوش الكاسرة ،

---

(١) وهب بن منبه ، التيجان

فيقابل التنين ثم الأسد ، ويجابه الثيران والدوي ، وهو ماض في سيره ، لايلوي على شيء ، لكل همه الوصول الى داخل الكهف ومعرفة مافيه .. ولايكتفي الراوية بوصف البطل اليمني بالشجاعة وقوة البأس ، ولكنه يلجأ الى كل مايثبت هذه الشجاعة من وسائل تعينه في اضفاء تلك الصفات على البطل . فنقرأ معه على باب الكهف مايضفي على الداخل الى الكهف صفات البطولة وتحمل المخاطر (لايدخل البيت الا ذو مخاطرة) .

ولايتوانى الراوية في ابراز هذه الشجاعة واثبات هذه البطولة ، ولعله لذلك جعل أحد الصعلوكين المرافقين للهميسع عبسيا وآخر خزاعيا ، ورافقه الصعلوكان ، ولكنهما لم يتحملا مجابهة المخاطر ، فرجع الخزاعي ، ثم تبعه العبسي ، وفرا في بداية طريقهما معه ، ولم يستطيعا اختراق تلك الأهوال ، ولذلك نكص الصعلوكان على عقبيهما ، بينما سار البطل اليمني حتى حقق بغيته . فكأن الراوية أراد أن يسجل انفراد اليمني دون غيره بالشجاعة وقوة البأس والشكيمة ، وتجريد غيره عنها ، واذ كانت خزاعة تنتمي في الواقع الى اليمن ، ولكنها قد رحلت في مرحلة مبكرة الى شمالي الجزيرة ، وقد عرف من الروايات تأرجح هذه القبيلة في الانتماء ، فكانت العصبية القبلية مثار لظهور عدد من تلك الروايات . وليس المجال هنا مناسبا للوقوف عندها .

٢ - يحاول الراوي اظهار عظمة ملوك اليمن القدماء وتمجيدهم ، ويتراءى لنا من خلال وصفه في الأسطورة محاولته اظهار عزتهم ومنعتهم حتى بعد وفاتهم ، فامتنع الدخول الى الكهف بتجنيد تلك القوى المختلفة التي تجعل الكهف ومن فيه في منجي من دخول عامة الناس .

كما أخذ الراوي يصف مظاهر عزهم وعظمتهم ، فالدار عظيمة جدا ، والأثاث فيها من ذهب ، والألواح المحيطة بالحيطان من ذهب ، وسقف الدار مرصع بأصناف الياقوت .. وهكذا . ولايكتفي الراوي باظهار العظمة المادية ، ولكنه أيضا يثبت لملوك اليمن وشخصياته القديمة العظمة المعنوية ، فهم على قدر كبير من الشجاعة والقوة ، فننظر الى الألواح المكتوبة لنجد فيها عن شداد بن عاد (قتلت ألف مبارز ، وركبت ألف جواد من عتاق الخيل).. ونستشف من ذلك كله محاولة الراوي الدائمة في اثبات القوة والشجاعة لملوك اليمن وشخصياته القديمة . فيحشد كل طاقاته لاثبات تلك الحقائق ، فيسعى الى احاطة بيئة الأسطورة وجوها بقدر كبير من العظمة والفخامة ، ولايتوانى عن التمجيد المباشر ، كما لمسنا ذلك في ألواحه المكتوبة .. وفي أبياته المكتوبة في الكهف .

٣ - نلمح في الأسطورة غاية الوعظ والارشاد ، وكأن الهدف من روايتها حمل السامع على الاتعاظ والاعتبار بما كان يحدث للسلف من أحداث وما مر بهم من أحوال لانتهاج السبيل القويم في الحياة تجنبا للوقوع في المهالك أو المصائب .. ويواجهنا الهدف على نحو مباشر أولا في البيت المكتوب على أبواب الكهف :

قد كان فيما قد مضى واعظ   لنفسك البينة المسمعه

وتظهر الأبيات الأخرى هذه الغاية ليتعظ السامع بما كان عليه الملوك قديما من قوة ومنعة وما أصبح عليه حالهم :

يامن رآني انني لك عبرة   من بعد ملك الدهر والأعوام

فكان حالهم في هذه الدنيا كالضيف الذي رحل سريعا ، أو كأن حياتهم حلم قصير :

فكأنني ضيف ترحل مسرعا   وكأنني حلم من الأحلام

ثم يأتي النصح والتحذير الصريح من الزمان وما يبديه للمرء الذي لاينبغي أن يغتر به ، أو يأمن حوادث أيامه :

احذر تصاريف الزمان وريبه   لا تأمنن حوادث الأيام

وتأتي نصيحة أخرى على لسان حبة ولبة ابنتي شداد بن عاد ، وقد جاءت العبارة مكتوبة على لوح في الحائط (... من رآنا فلا يثق بالزمان وليكن على بيان فانه يحدث العز والهوان) ، وتحذر العبارة من الركون الى الزمان ، والاغترار بما يقدمه من مظاهر الترف والجاه ، فربما أعقب العز الهوان كما حدث لأولئك القوم .

٤ - تلفت نظرنا عبارة في النص المكتوب وردت على لسان حبة ولبة ابنتي شداد بن عاد (أنفقنا فيها الطارف والتليد على عبيدنا ، ثم طلبنا صاعا من بر بصاع من در فلم نجده....) ونتساءل عن سبب هذه الظاهرة ، ولكن الأسطورة لاتجيب على هذا التساؤل ، ولاتوضح شيئا يفسر هذا الأمر ، وكأني بالراوية يترك للسامع فرصة لتخيل الأسباب التي أدت بالفتاتين الى هذه الحال ، وربما كانت اشارة الى أسطورة أخرى غير معروفة تحكي ماحدث لهما .. وفيها اجابة عن السبب الذي جعل صاع الدر غير نافع لشراء صاع البر ، أو استبداله به .

وتذكرنا هذه الأسطورة بحكاية أجنبية متداولة ، وتحكي عن ملك أحب الذهب وعبده ، وتتاح له الفرصة في يوم - على نحو معين - أن يعبر عن أمنيته ، فتمنى أن يتحول كل شيء يلمسه الى ذهب ، وكان له ما أراد ، فكل ما لمسته يده تحول الى ذهب ، حتى الطعام يتحول الى ذهب عندما أراد أن يأكل . ويلمس ابنته الوحيدة التي كان يحبها حبا جما فتتحول الى تمثال من الذهب ، ويتلفت حوله مذعورا ، ويعرف خطأه في الانسياق وراء الرغبة في المال والجاه والانبهار بالذهب .

فلعل في جزء آخر من الأسطورة اليمنية شيئا من هذا القبيل الذي عرفناه في الحكاية الأجنبية ، وربما وجد مثل هذا في أسطورة يمنية مفقودة أو في مخطوط ضائع ، فلا ننسى ما اغتالته يد الضياع والنسيان من كتب ومخطوطات في تلك المسيرة الطويلة التي رأى تراثنا العربي خلالها النور .

وتلفت نظرنا أسطورة أخرى حول نسل عاد أوردها الهمداني في أخبار قبورياته ، وتروى الأسطورة على لسان رجل من حضرموت ، انقلها مع بعض التصرف : ... ان ببلادنا مغارة متقادمة عادية تهاب دخولها الناس ، وهي قريبة من مركب الناس في البحر ، ولابد أن يمر عليها من أراد ركوب البحر .

فخرجنا في جماعة من الحي يريدون الركوب ومعنا رجل معافري يقل له بسطام ولم يكن في الناس أشد منه قلبا ولا أجرأ منه مقدما . فلما توجهنا في الطريق الى المغارة أشاد ذكرها ومايحدث الناس عنها ، وجبنهم عند دخولها . فقال بسطام : أما أنا فلست نافذا بوجهتي حتى أدخلها على ماعمدت ، فمن يساعدني على ذلك ، ويخاطر بدخولها معي . وكنت امرءا جريئا ، فقلت: أنا صاحبك .. وسكت القوم . فقلت: عندي ماتريد من المساعدة والموافقة .

فأخذنا نقرأ ونتعوذ حتى بلغنا المغارة وقد هيأنا الشمعة وأخذنا اداوة ماء وأسرجنا الشمعة ، ثم دخلنا نهتدي بضوء الشمعة . فمضينا طويلا في طريق ملساء وهي واضحة ، ثم أفضينا الى جرف من رخام ، أعنت صاحبي على قلبه حتى قلبناه بعد طول معالجة ، فاذا فيه امرأة عليها من الحلي مالم ير قبل ذلك . وأشرق حسنها من نور الجوهر الذي عليها ، واذا عند رأسها لوح من رخام مكتوب فيه بالمسند "أنا ورعة بنت عاد بن ارم ، عتا علي أبي واستكبر وأسن ، فأهلكه الله بالريح العقيم ، وأنا أؤمن بالله وبما أنزل من عنده ، فمن رآني فلا يعبأن بما علي ، وليمض الى ماهو أعجب مني ، وليحذر أن يتناول ماليس له فيهلك" .

ففزعت وفزع صاحبي لذلك ، وأعدنا الغطاء على الجرف كما كان ، ومضينا غير بعيد فأفضى بنا المسلك الى درج صعبة ، ونحن في ذلك نقرأ القرآن ونذكر الله ، فنزلنا من تلك الدرج بعد جهد شديد وأمر صعب ، فلما أفضينا الى الأرض ورأينا ضوءا ليس بضوء الشمس ، ولكنا نرى البحر من منفذ اليه صعب ، واذا بيت مقابلنا ، فدخلناه فاذا فيه ثلاثة أسرة من ذهب .

واذا على السرير الأول شيخ كبير أصلع أدرد عليه حلتان عدنيتان مرصعتان بالجواهر ، وعند رأسه كتاب بالمسند: "أنا عاد بن ارم ، دوخت البلاد وملكت العباد وأرسيت الأوتاد وأكثرت من الأولاد ، أتانا مخبر فكذبناه ونهى فما صدقناه . فجاءتنا ريح السوء ، فتركتنا همودا .

وعلى السرير الثاني شيخ طويل الأدمة ، عليه حلتان مخرصتان بالجوهر ، وعند رأسه كتاب بالمسند: "أنا مرثد بن قاف ، وأنا محقف بالأحقاف دعاني هود الى خلاف قومي ، فكذبته ولم أصدق رسالته ، فأصابني ما أصاب قومي من عذاب الله" .

وعلى السرير الثالث رجل قصير جعد ، عليه من الحلل مثل ما على صاحبيه ، وعند رأسه كتاب: "أنا منسك بن لقيم خازن عاد" ومع الكتاب الذي عند رأسه مفاتيح معلقة . فطفقنا في تلك البيوت لنرى لتلك المفاتيح أبوابا ، فلم نر شيئا فلما أيسنا أن نصيب من ذلك شيئا ونحن نجول ، اذ رأيت صخرة على فم وهدة ، فسألت صاحبي أن نتناولها ، فزاولناها طويلا حتى قلبناها ، واذا في الوهدة درج، فنزلنا حتى أفضينا الى الفضاء ، فاذا أربعة أبواب مغلقة .

ففتحنا الباب الأول ثم دخلنا البيت فاذا فيه تمثالان عظيمان ، قد مسخهما الله جل ذكره حجرين وهما في صورة قنيتين . ففي حجر احداهما عرطبة أي طنبور قد مسخت ، وفي يد الشمال مزمار ممسوخ ، وليس في البيت غير ذلك . فخرجنا وأغلقنا الباب .

ثم فتحنا الباب الثاني فاذا فيه سرير موضون ، وعليه تمثال جارية من أحسن مارأينا ، فوقها تمثال رجل شاب جميل . واذا أسفل من ذلك السرير أربعة عشر تمثالا قياما رجالا شبابا قد مسخهم الله كلهم حجارة ، فحمدنا الله كثيرا وعجبنا من ذلك ، ثم خرجنا فأغلقنا الباب .

ثم فتحنا الباب الثالث فاذا فيه سلاح كثير ، فخرجنا وأغلقنا الباب . ثم فتحنا الباب الرابع فاذا فيه من الذهب والجواهر والفضة مالم أجد مثله قط . وفي جانب البيت حية كأنها الجراب المحشو ، فسمعنا صوتا خفيا: "خذوا ماقضي لكما" . فدخلنا وأخذنا مانستطيع حمله . ثم أردنا التخلص من موضعنا ، فأطلنا الفكرة في التخلص . فقال لي صاحبي : أما الرجوع من حيث جئنا فلا حاجة لنا به ، ولعلنا نهلك ، ولكن أطلب التخلص من هذا المسلك . فنفذنا اليه بعناء ، وأخذنا أوقارا من تلك الجواهر .

وهيأ الله لنا من يومنا ذلك مركبا ، فلوحنا الى أهله ، فأمروا صاحب القارب ، فجاءنا وأخبرناه بحقيقة أمرنا ، وقلنا لهم: انا دالوكم على مال عظيم فطمعوا في ذلك ، وطمعنا ، ورجعنا الى البيت فلم نصب مفاتيحه . وحرصنا على طلبها ، فعيي علينا مكانها ، فقلت لصاحبي : اني أتخوف ان رمنا ماليس لنا أن يذهب بما في أيدينا . فمضينا من وقتنا من ذلك الموضع ، وقد كنا أشرفنا على الهلكة [1]

(١) الهمداني ، الاكليل ٨ : ١٤٠ (تحقيق نبيه فارس)

وعلى الرغم من ولوع الهمداني بأخبار القبوريات ومايشاهده القوم في الكهوف والمغارات واكثاره منها في أكليله ، فاننا نجده يعقب على هذه الأسطورة تعقيبا طريفا حيث ينص على المبالغة والتزيد في رواية الحضرمي ، ثم يتعجب من عدم وجود النسيم مع مضي الأثنين في السير يحملان السراج ، ويعلل تعليلا علميا عدم ثبوت شعلة السراج ، وأيضا عدم تحمل النفس الانسانية المكوث في موضع يقل فيه النسيم أو ينعدم ، ويعجز بها التنفس .

وبعد الاطلاع على فحوى الأسطورة التي يزخر بمثلها وبشبهها أكليل الهمداني ندون بعض الملاحظات حولها :

١ - تتجلى في هذه الأسطورة الغاية الدينية لدى الراوي الذي جعل الشخصيات العادية وماكتب عند رأسها على الألواح عظة وعبرة للسامع ، فنواجه الشخصية الأولى المتدينة ، ويدل اسمها أيضا على ذلك "ورعة بنت عاد" ، وتنص هذه الشخصية على ايمانها بالله وبما أنزل على عبده ، وتفتقد تجبر أبيها وعتوه الذي أهلكه الله بالريح العقيم .

كما نواجه شخصية "عاد" نفسه ، ويعترف على اللوح بما أتى من سوء ، وعدم تصديقه لرسول الله ، فجاءتهم الريح العقيم التي لم تبق منهم . وآخر هو "مرثد بن قاف" كذب برسول الله ولم يؤمن فأصابه ما أصاب قومه من عذاب الله .

وكأن الراوي أراد بذلك اثبات ما أوردته الآيات القرآنية الكريمة ، مؤكدا في أسطورته على ضرورة الاتعاظ والاعتبار لما حدث للأقوام القديمة ، وما يعنيه عدم الايمان بالله والكفر بما أنزله رسوله ، حيث يحيق الله بالظالمين عذاب السوء ويصليهم جحيما .

٢ - وتتضح النزعة الاخلاقية في الأسطورة أيضا ، اذ نلمح في ثناياها الحث على القناعة وعدم الانبهار بمتاع الحياة الدنيا منْ ذهب وجواهر ، مما يغري الناظر اليه ، والاستزادة منه اذا أتيحت له الفرصة . وتدلنا الألواح على ذلك "فمن رآني فلا يعبأن بما علي .. وليحذر أن يتناول ماليس له فيهلك" .

وقبل خروج البطلين يأتي الصوت الخفي بالسماح لهما بأخذ ماقضي لهما ، وفي هذا اشارة خفية الى عدم الاكثار واتباع الطمع . ويخرج البطلان ويهبان بصاحب القارب أن يدلاه على مارأيا من مال عظيم ، ولكن هيهات لهم الوصول اليه ، فلم يعد بالامكان العثور على مفاتيح ذلك البيت ، ولم يتمكنا من الدخول ثانية للاستزادة مما شاهداه من مال وثروة . وفي هذا المنع دلالة قوية على عدم اتباع الهوى ومجاراة النفس على الطمع واكتناز الأموال .

كما نلمح في الأسطورة اشادة بشجاعة البطلين وثباتهما على الرغم من المصاعب التي جابهاها قبل الولوج الى البيت ومشاهدتهما ما فيه ، وقد ترددوا في الدخول أكثر من مرة ، فكأن الراوي أردا تمجيد الشجاعة والثبات على السير في تحقيق الهدف الذي يضعه المرء أمامه مهما واجه من صعاب وعراقيل .. فلكل رحلة سير نهايتها ، ولكل طريق مسدود انفراجة أمل تتجلى في نهاليته ، ويبقى مدار الأمر على قوة الارادة والعزيمة لدى المرء ، فمتى تحلى بهما تمكن من الوصول الى مرماه وتحقيق بغيته ، كما لمسنا في وصول البطلين الى معرفة مابتلك الغرف ، بل اصابتهما منها بما قضي لهما .. وكأني في تلك المشاهدة .. وفي حصول البطلين على ما أخذاه ، بعض المكافأة على الصمود الذي تحليا به في سيرهما وتصميمهما على عدم النكوص حتى يصلا الى مايحقق الهما السلامة والنجاة .. وكان لهما ما أرادا بفضل شجاعتهما واقدامهما وعزمهما على الاستمرار والمضي قدما في تحقيق الهدف الذي أزمعا على تحقيقه .

ومما يلحق بالنزعة الاخلاقية قضية المسخ الى حجر ، فنشاهد كثرة الشخوص الممسوخة أحجارا ، ولاشك أن كل مشهد يحتفظ له الراوي بقصة لم تذكرها لنا الأسطورة ، ولكن قد عرفنا في أساطير المسخ ارتباط ظاهرة المسخ دوما بارتكاب الاثم والمعصية ، فالممسوخ يلقى عقابه بواسطة هذا المسخ ، وفيه نوع من النهي والردع عن ارتكاب المعاصي .

٣ - يلفت الانتباه في الأسطورة مشهد هو "صورة القينتين اللتين مسختا حجرين ، وفي حجر احداهما طنبور ، وفي يدها الأخرى مزمار ..." وقد مر بنا في أساطير المسخ ارتباطه بعقاب الله ينزله بالممسوخ فيحوله الى حجر . ولكن الأسطورة لاتفصح شيئا عن أسباب المسخ ، ويمكننا التقاط ظاهرة اجتماعية سادت المجتمعات العربية فترة من الوقت ، وهي استهجان الغناء والمغنيات وارتباط الغناء بالفساد الخلقي ، ولعل في هذا المسخ تجسيدا لتلك النظرة الى القيان ، وارتباطهن بالفساد فكان أن مسخهما الله حجرين مع آلات الطرب من طنبور ومزمار.. وان لم يفصح الراوي عن هذا الاعتقاد ، فان ظاهرة المسخ في الواقع قد ارتبطت بالعقاب على اثم يأتيه الممسوخ فيكون المسخ جزاءه على ارتكاب تلك المعصية ، كما مر بنا في الأساطير ذات الأساس الديني .

٤ - يمجد الراوي اليمني ملوك اليمن وشخصياته العادية القديمة - كعادته - وذلك بتفخيم ما كانوا عليه من مظاهر الأبهة والفخامة ، وما كانوا عليه من غنى وثروة ، فتفنن في تصوير ما لبسته تماثيلهم ، وماخزنته بيوتهم ومغاراتهم ، بل ماكانت عليه مقابرهم ، حيث نجد الأرض والحيطان من الجزع والرخام وغيره ، كما نجد الألواح التي نقشوا عليها كلماتهم مصنوعة من الذهب وفي كل ذلك الوصف يحس قارئ الأسطورة أن الهدف منه هو تمجيدهم والتفاخر بهم .

٢ - سد مأرب وسيل العرم :

لقد تداول رواة اليمن وأهل الأخبار الروايات حول سد مأرب ، ذلك السد الذي ظفر بشهرة قديمة ، وظل مفخرة لعمران اليمن القديم ، واتخذ منه الشاعر اليمني شاهدا على ما وصلت اليه حضارة اليمن القديم . فقال أبو الطمحان القيني :

ألا ترى مأربا ما كان أحصنه ... وما حواليه من سور وبنيان [١]

وقبل التعرف على ما أحاط بالسد من أساطير ، ماهي حقيقته التاريخية ؟

لقد عثر على نقش أرجعه بعض المختصين الى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد دون تأكد ، وقد ورد في هذا النقش اسم مملكة سبأ في بلاد اليمن ، وقد اتخذ ملوك سبأ مأرب عاصمة لهم ، وخاضوا حروب الدفاع المعتادة وانشأوا أعمالا عظيمة كسدود مأرب التي لاتزال آثارها باقية الى الآن[٢].

وقد كان سد مأرب من عجائب الفن الهندسي ، ويعتقد أنه نظرا لضخامة المشروع فقد اشترك في بنائه عدد من مكربي سبأ[٣]. وتزيد الرواة في وصف السد وكيفية بنائه ومن الذي بناه[٤]. وعندما بدأ السد يتصدع كان الحكام يرممونه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فتذكر لنا النقوش الكتابية التي عثر عليها بعض أسمائهم من مثل شرحبيل يعفور في سنة أربعمائة وخمسين للميلاد ، وأبرهة الحبشي في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة للميلاد ، الى أن تهدم السد نهائيا[٥]. ويصف لنا الهمداني السد وصف من شاهد بقاياه وآثاره مشاهدة العيان ، فقد شاهدهما بنفسه في أوائل القرن الرابع للهجرة[٦]. وجاء وصفه أكثر مطابقة لما وجده المنقبون الذين اكتشفوا آثار السد في القرن الماضي ، وظل الناس مع ذلك في شك من أمره حتى تمكن المستشرق الفرنسي آرنون الوصول الى مأرب في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، وشاهد آثاره ورسم له خريطة نشرتها المجلة الآسيوية الفرنسية سنة أربع وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية ، وزار مأرب بعده هاليفي وجلازر ، ووافقاه على قوله الذي يطابق قول الهمداني ، وعثروا أثناء ذلك على نقوش كتابية في خرائب السد وغيره ، وأكثرهم اشتغالا في هذا السبيل جلازر[٧].

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ٦ : ١٥٤
(٢) ديوارنت ، قصة الحضارة ١٣ : ٨
(٣) أحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ١٢٢
(٤) أنظر : المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١٦١
(٥) د. أحمد هبو ، تاريخ العرب قبل الاسلام ١٤١
(٦) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٩٦
(٧) جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ٢٠٣

واهتم الرواة بأخبار سد مأرب ، واجتهد اللغويون أيضا في تفسير الشواهد الشعرية الواردة عنه ، فنقل عن ابن هشام عن أبي عبيدة" أن العرم : السد ، واحدته عرمة ، ونسب الى أمية بن أبي الصلت الثقفي قوله :

من سبأ الحاضرين مأرب اذ   يبنون من دون سيله العرما (١)

وأحاطت بالسد وتهدمه الأساطير والخرافات ، وتكاد تجمع المصادر العربية القديمة على أن السبب في تهدم السد فأرة فجرته ، فنقل الجاحظ قول الشاعر :

خرقت فأرة بأنف ضئيل   عرما محكم الأساس بصخر (٢)

واتخذ الرواة من حكاية الفأرة معجزة أو آية لما آلت اليه حال القوم بعد أن طغوا وتكبروا ، وربطوا بين تهدم السد وتدفق الهجرات اليمنية الى أرجاء الجزيرة العربية وتخومها (٣).

وروى الهمداني قصيدة لعبدالله بن عبد الرحمن الأزدي ، ذكر فيها تفرق القوم في البلاد (٤).

ولاشك أن حكاية الفأرة أسطورة سنتعرف على تفاصيلها ، أما الحقيقة فان خراب السد كان نتيجة لانهيار اقتصاد اليمن ودليلا على تضعضع أحوالها . فنتج عن ذلك هجرة القبائل اليمنية في أنحاد البلاد .

وضرب الرواة المثل بتفرق أهل اليمن ، فقد أورد الميداني المثل المعروف "ذهبوا أيادي سبأ" (٥) ، وهي عبارة درج استعمالها للدلالة على التفرق والتشتت ، واستخدمها الشاعر كثير في قوله :

أيادي سبا ياعز ما كنت بعدكم   فلم يحل للعينين بعدك منزل (٦)

ويضرب ذو الرمة المثل بهم قائلا :

فيالك من دار تحمل أهلها   أيادي سبا بعدي وطال اجتنابها (٧)

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ١٤

(٢) الجاحظ ، الحيوان ٦ : ١٥١

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ١ : ٦٦

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ٢٠٦

(٥) الميداني ، مجمع الأمثال ١ : ٢٧٥

(٦) كثير ، الديوان ٢٥٤ / السهيلي ، الروض الانف ١ : ١١٣

(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (س ب ي)

وأشار الى مثل هذا المعنى الأعشى في قوله عن تهدم السد :

وفي ذاك للمؤتسي أسوة	ومأرب عفى عليها العـــرم
رخام بنته لهم حميـــــر	اذا جاءه ماؤهم لم يـرم[1]
فأروى الزروع وأعنابهـا	على سعة ماؤهـم اذ قسم
فصاروا أيادي لايقـــدرون	على شرب طفل اذا ما فطم[2]

وقد أورد الهمداني الأبيات نفسها مع بعض الاختلاف في أكليله[3] . ولاتخفى نبرة العظة والعبرة لدى الشاعر في تصويره تبدل الحال التي كانت عليها مأرب ، وما انتهوا اليه من حال بائسة بعد تشتتهم وتفرقهم .

ولعل الشاعر استخدم (حمير) للدلالة على اليمن ، والا فان الاستخدام الدقيق لحمير القبيلة يتنافى مع الحقبة التاريخية التي حكم فيها الحميريون ، فهم لم يتخذوا ظفار (صنعاء ، فيما بعد) عاصمة لهم الا بعد انهدام السد وتفرق السبئيين الذين بنوه[4] .

كما تتجلى الموعظة في قول علقمة :

من يأمن الحدثان بعـــد ملوك صرواح ومـــأرب[5]

أسطورة تهدم السـد :

لقد روى وهب بن منبه الأسطورة مستعينا بالآيات القرآنية الوارد ذكر سبأ فيها ، وذلك في وصف ما كانت عليه سبأ من نعمة ، في قوله تعالى: "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال".. الى قوله تعالى "فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم..." (٦)

وهذا وهب في أسطورته[7] ، أنقلها مع بعض الايجاز :

---

(١) لم يرم : لم السد حتى يأخذوا منه مايحتاجون اليه (السهيلي، الروض الآنف ١ : ١١٦)

(٢) الأعشى الكبير ، الديوان ٤٣

(٣) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٤٤ (تحقيق نبيه فارس)

(٤) نيكلسون ، تاريخ الأدب العربي ٥٣

(٥) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٤٥

(٦) سورة سبأ ، الآيات ١٥ - ١٩

(٧) وهب بن منبه ، التيجان ٢٧٤ - ٢٩٢

" كان لعمرو بن عامر مزيتيا من الجنات والزروع مثل ما كان لجميع أهل سبأ ، وكان لعمرو أخ أكبر منه يدعى عمران بن عامر ، وكان ملكا متوجا قبله ، وكان كاهنا لم يكن في الأرض أعلم منه ، قيل ان بيده علم من بقايا دعاة سليمان ... فأخبر قومه أن بلادهم ستخرب آخر الزمان حتى يفترق قومها في مشرق الأرض ومغربها... ولم يصدقه قومه ، بل عزوا ذلك الى كبر سنه . وعندما حضرت عمران الوفاة دعا أخاه عمرو، وأخبره بما تنبأ به ، واختتم حديثه قائلا: ... اني أخبرك بما يكون لك النجاة ولقومك ، وذلك أن امرآة من قومك يقال لها ظريفة بنت الحبر الحجورية ، وهي وارثة علمي .

فلما مات عمران ، وولي أخوه عمرو تزوجها ، وتتوج بعد أخيه ، وكان عمرو أعظم ملك بمأرب ، وكان له تحت السد من الجنات ما لايحاط به . كانت المرأة تمشي من بيتها وعلى رأسها مكتل ، فلا تصل الى بيت جارتها الا وهي تملوءه من كل فاكهة من غير آن تمس منها شيئا ، وكانت سبأ كما قال الله تعالى (بلدة طيبة ورب غفور) ، وان الرجل يمشي تحت ظلال الشجر شهرين فلا تصل اليه الشمس من كثرة الجنات .

وفي يوم رأت ظريفة في منامها كأن آتيا أتاها وقال لها : ماتحبين ياظريفة ، علم تطيب به نفسك أو مولود تقر به عينك ؟ فقالت : بل علم تطيب به نفسي ، فجر بيده على صدرها ، ومسح بظاهر كفه على بطنها ، فعقمت ، وأعطيت من العلم حظا عظيما .

فبينما هي ذات يوم نائمة رأت كأن سحابة غشيت اليمن ، فأبرقت وأرعدت ، فلم تقع على شجر الا أحرقته ، فذعرت ذعرا شديدا ، وقالت لعمرو: أزف بكم الغرق وأتاكم من الأمر ما قدر وسبق " .

وبعد أيام خرج عمرو الى بعض حدائقه ، وسارت اليه ظريفه ومعها وصائف لها ، فبينما هي تمشي اذ عرض لها ثلاث مناجد معترضات ، وهن منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن ، فلما رأتهن ظريفة وضعت يدها على عينيها ونزلت الى الأرض ، ولم تقم حتى ذهبت المناجد .

فقامت مسرعة فعارضها خليج جنات عمرو ، فوثبت منه سلحفاة فوقعت على التراب واستلقت على ظهرها ، ورامت أن تنقلب فلم تستطع فجعلت تبحث بيديها ورجليها لتنقلب فلم تقدر ، وهي تحثو التراب على رأسها وعلى بطنها ، فلما رأت ذلك ظريفة جلست وألقت بيديها على عينيها وقامت بعد أن عادت السلحفاة الى المـــاء .

ودخلت الحديقة بعد أن انتصف النهار حين سكن الريح ، فاذا شجر الحديقة متمايلة يمينا وشمالا من غير ريح ، فمضت ظريفة في سيرها الى عمرو ، واستغرب مجيئها اليه على غير عادتها متسائلا ، فقالت ظريفة : والنور والظلماء والأرض

والسماء ليهلكن الشجر بالماء ، ثم الماء . ففزع عمرو وتذكر قول أخيه عمران ، فسألها عن ذلك . فقالت: أخبرتني المناجد بسبع سنين شدائد يقطع فيها الولد الوالد ، وترمي بقومك الى أرض المساجد وتوالون الأباعد . فارتاع عمرو ، وعاود سؤالها . فقالت: أرى أمورا جسيمه تأتي بأوابد عظيمة ، وأمورا اليمة أشد من الهزيمة نهارا أو عتيمة . فقال لها: ويحك ، وماهو ، لقد أشرف مكروه ؟ قالت : أنعي لك تفرق الأحباب وذهاب الخيل والركاب والماشية والاهاب والذهب والفضة والشباب من السيل الأسود المنثاب .

وقال لها عمرو: بيني لي النجاة ؟ فقالت: خطب طويل وأمر جليل ، والقتل خير من السيل . فسألها عما يفعله ، فقالت: ايت السد ولاتبعث أحدا ، فيكون ذلك آكد ، فان رأيت جرذا يقلب برجليه الصخر ، ويكثر بيديه الحفر ، فاعلم أنه قد نزل الأمر ، فعليك بالصبر ولاتجزع للدهر . قال لها: أما ترين هذا الأمر ؟ قالت : لاأدري غير أنه وعيد من الله نزل ونكال منه لم يكل . يقتل به من قتل ، لايصرف عن سها ولاجبل الى حيث ما أراد الله من أرض وصل...

فانطلق عمرو الى السد بنفسه وكان يحرسه حتى رأى جرذا يبحث برجليه ويقلب الصخر بيديه التي لايقلبها أربعون رجلا ، فعلم أن ظريفة صادقة ، فرجع اليها مغموما ، وعندما سألته أجابها قائلا :

ابنة الخير والفلاح أصدقينـــــا	قد رأينا بعض الذي تعدينـــا
قد رأينـا الذي ذكرت يقينـــــا	انما الدنيـا غرور اللاعبينـا
قد رأينـا الجرذ في السد يقينا	فأشيـري بالـذي تعلمينـــــا

قالت: ياعمرو اذا ظهر الجرذ الحفار فاستبدل لنفسك دارا من دار ، وجارا من جار فعندها تنزل الأقدار ، قال: ومتى ياظريفة ؟ قالت له: مابينك وبين سبع سنين بنزل الأمر اليقين وتحول البين . قال لها: فكيف النجاة ؟ قالت: ياعمرو اذا رأيت الحصباء في شربك فاغتنم بيع أرضك واخرج الى النخيل ، فان رأيت سعفها يتناصل ويميل فارحل ، فقد آن الرحيل ، وبع مالك بمأرب من مال . قال: يابنة الحبر يضيق بذلك الصدر ، ما على هذا الأمر من صبر ، قالت: ياعمرو ، النجاء النجاء ، من أقام غررا أساء ، فاعزم لايخدعنك المهنى، فان العجز عاقبته البلاء، وان الجلوس غرر ، فالحذر الحذر ، وله الفعل والأمر يهلك من يشاء ويذر ، فاصدق نفسك ولن ينجو منه ذو ناب ولاظفر .

فكتم عمرو أمره وعزم على بيع ماكان له بمأرب من مساكن وجنات وقصور ، وأجمع أن يرحل باهله وقومه ، وخشي أن ينكر عليه ذلك . فأمر بمائة من الابل فنحرها وذبح البقر والغنم . فأطعم ثلاثة أيام ، وأرسل في جميع مأرب حتى لايتخلف عنه أحد . وكان عمرو قد أمر أكبر أولاده قائلا: اذا أمرتك غدا بأمر فاعصني واغلظ علي في القول ، فاذا ضربتك بالعنزة التي بيدي فالطمني . وكره ابنه أن يفعل ذلك ، ولكنه ألح عليه في ضرورة ذلك .

فلما اجتمع الناس ، أمره الملك عمرو فأبى عليه وأغلظ له في القول ، فضربه بالعنزة التي كانت في يده فلطمه ابنه ، فقال عمرو: في يوم مجدي يلطم خدي فيه ولدي ، وا ذلاه • فوثب الناس الى ابنه ليقتلوه اعظاما للملك ، فمنعهم عمرو قائلا: لا تقتلوه فان الرحمة سبقت له في قلبي من السخط ، ولكني سأبلغ عنه ، لقد أطغاه علي المال ، ولكني سأعدمه وأبيع جميع مالي بمأرب تحت السد • ونذر لله ليفعلن ويدفع الأموال الى اخوته وينتقل من مأرب الى غيرها ، ويخلف ثعلبة ابنه فقيرا • فقال المجتمعون: اغتنموا من عمرو غضبه ، وابتاعوا منه جميع ما كان له بمأرب ، فان هو تمادى على غضبه فقد أفدتم أموالا عظيمة ، وان هو رجع رددتم عليه أمواله ، وكانت لكم عنده يد فاشتروا منه جميع ما لـه •

فلما قبض ثمن أمواله دعا بمالك بن النعمان — وهو سيد الأزد بعده — فأخبره الخبر ، وقالت له ظريفة: يامالك بن النعمان ، أرى أن تغدو من الغد ولاتقيم ساعة لوعد ، أمر يسير كالرعد • فباعت عند ذلك الأزد أموالها • فسار عمرو في الأزد ، وسأل ظريفة: أين تريدين لنا السير ؟ فقالت: ••• عجلوا ، ففي كل بلد لكم خبر ، كلما لقيتم نفرا كان لكم الظفر ، تتوارثون الملك بعد الملك وتلبسون التاج بغير شك ، وبدأ الأمر من عك •

فسارت الأزد مع عمرو بن عامر وجعلوا على مقدمتهم مالك بن النعمان فلما انتهوا من عك أرسل الملك عمرو بن عامر الى سملقة بن حباب العكي يسأله في النزول في أرضهم قليلا ، ثم يرتحلون عنهم الى أرض غيرها ، فدعا سملقة سيد عك قومه واستشارهم في ذلك محبذا أن يجيبوهم الى طلبهم • وخير سملقة الملك أن ينزل شرقي الوادي أو غربيه • فاختار الملك عمرو الغربي لأنه مجمع السيول ومستقر الماء • فنزل عمرو في غربي الوادي بمن معه • وبعث ابنه في جهة بخيل يرتادون له منزلا • ثم نحر الملك عمرو ، وأمر بالطعام ، ونادى الى عك ، فأجابوه الى طعامه فأحسن اليهم • ثم اعتل عمرو بن عامر فمات ، واستخلف أحد أولاده في قومـه •

ثم يقص وهب حكاية حول غدر غسان — قوم عمرو — بالقوم المضيفين لهم في عك ، وأرجع سبب ذلك الى دسيسة رجال من الجن ، كان فيهم قاشر الجني الذي أوغر صدور القوم ضد أبناء عمهم ، فكان أن مكروا بهم ، وقتلوا سيدهم سملقة ، وعظم ذلك على ثعلبة بن عمرو ، وسأل ظريفة عما عليهم اتباعه • فقالت: والشهاب والفلك والنظارة والوعك ، ليتخلفن منكم حيان في عك ، ويملكنهم أيما ملك • ثم قالت لغلام لها يدعى سنان: ياسنان بشر الأزد غسان من ولد الأغر كهلان بالنصر على همدان والملك الى زمان •

فلما انتهوا الى بلاد همدان كلمهم الملك ثعلبة بن عمرو ، ولكنهم فزعوا أن يجدوا مثل عك ، فقاتلوهم قتالا شديدا ، وانهزمت همدان ، ورحلوا عن بلادهم وأموالهم • ونصح ثعلبة بن عمرو قومه بألا يمسوا شيئا ، ولينظروا الى موضع من بلادهم على نحو موءقت حتى الرحيل عنهم • ثم بعث الى همدان أن يعودوا الى

أموالهم وبلادهم ، وأحسنوا جوار من رجع منهم • فاطمأنت همدان ورجعت الى منازلها واصطلحت مع غسان • ثم رحل ثعلبة وغسان وتخلف في بلاد همدان نفر من القوم ، فأصبحت همدان جوارهم •

ولما أجمعوا للمسير سأل ثعلبة ظريفة : يا ابنة الخير ، أين ترين وجه السير ؟ فقالت : والبرق والبيان والذهب والعقيان لتحاربن الفرسان ، ولتلقون خيلا ذات سنان ، ذوي أسل وأبدان وصفائح الايمان ، فعليكم بنجران • فلما أتوها لقيهم مذحج سعد العشيرة فقاتلوهم قتالا شديدا ، فانهزمت مذحج ، ثم تصالحت مع غسان وبقي قوم منهم •

وهكذا يسير قوم عمرو بن عامر بعد أن يستشيروا ظريفة في وجهة سيرهم ، وهي تعين لهم وجهتهم وطريق سيرهم في كل مرة • فنزل القوم في عمان والبحرين ، ثم انتهوا الى يثرب حيث بقي منهم فيها الاوس والخزرج • وتستمر الرحلة بهم • وتقول لهم ظريفة : ••• من كان منكم يريد بلدا عاليا وعيشا راضيا وخيلا صوافنا وملكا دانيا فليلحق بالمشرق من أرض بابل بين القبائل في أطيب المنازل وأحسن المناهل وأعلى المعاقل – فسار بنو همدان بن الازد نحو العراق الى بابل ، ثم قالت: ••• ومن كان منكم يريد خمرا وخميرا وديباجا وحريرا وملكا كبيرا وتأميرا فليأت بصرى وحفيرا ودمشقا وغويرا ، فسار الى تلك الوجهة مجموعة من القوم • ويستمر تفرق القوم في البلاد مستنيرين بارشاد ظريفة •

ثم شعرت ظريفة بدنو أجلها ، فقالت: انزلوا وأقيموا فاني ميتة هذه الليلة ، وقد رأيت أن علمي يخلفني فيه مولودان في هذه الليلة ، فجعلهما الله آية للأولين والآخرين ، فهو مولود من غسان – ويقال له مسعود بن مازن بن ذوءيب ابن عدي – ثم قالت : والاسم والرياء والعلم والاباء والنور والضياء ، لقد ولد في تميم آخر من بني العم ، ليس له مفصل ولاعظم ، يخرج ممسوحا ، ثم تموت أمه لسبع ليال ينبىء بالزيادة والنقصان الى فراغ الخلق والزمان ، وأقسم بالنور والفلق ماله رأس ولاعنق • فكان يكبر كما يكبر كل شيء ، حتى صار كالرجل من أهل زمانه ، وماتت أمه لسبعة أيام من مولده فأتوا به الى ظريفة ، ففتحت فمه فنفثت فيه وقالت: لاتسقوه لبن امرأة ، واغذوه ، فان هذا يكفيه الى بلوغه • ثم قالت : أنت خليفتي من بعدي • وقالت: أقسم بالله بيمين الحق ليأتين مثل هذا شق يعلم ما جل وما دق ، له يد واحدة ورجل واحدة ، وآية الله عليه شاهدة ، يعلم ماخفي وماظهر ينبىء بالحق عند تصديق الخبر ، فأتوها به ، ففعلت له مثل الأول ، قائلة: أنت خليفتي من بعدي •

ثم ماتت ظريفة في عقبة الجحفة ، وقبرها هناك مشهور • واستمر تفرق القوم وسيرهم في أرجاء الجزيرة العربية وأطرافها ، وتروي الأسطورة أن ثعلبة سار حتى قدم الشام • فلما نزل هناك بقومه عورض وكان جميلا فقتلته الجن ، فاستخلف ابنه حارثة على القوم •

وبموت الكاهنة ظريفة تنتهي الأسطورة ، وان استمر الراوي يحكي حول تفرق القوم في البلاد ، وكل ذلك للدلالة على أن اليمانيين لم يتركوا رقعة في أنحاء الجزيرة العربية لم ينزلها أحد منهم .

وبعد التعرف على الأسطورة يمكن أن نسجل حولها الملاحظات التالية :

١ - نلاحظ أن الراوي يقتبس من آيات القرآن الكريم بما يعينه في تصوير بيئة مأرب وما كان عليها حال القوم من نعيم ، ويختار أجزاء مقتطفة من الآيات الكريمة كما بينا ، وننظر الى ما جاء في القرآن الكريم ﷻ في قوله تعالى "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، وذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة ، وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالي وأياما آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ، وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ، ومزقناهم كل ممزق ، ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور" (١).

وفي الآيات اشارة صريحة الى نزول السيل بجنتي سبأ ، وما كان من تبدل حالهم وتفرقهم .

ولكن الراوي لايؤكد على حقيقة نزول السيل واجترافه ماوجد في طريقه من زرع وشجر ، وهو يشير اليه اشارة طفيفة على لسان الكاهنة ظريفة ، وآثر أن يجعل الجرذ السبب الرئيسي في تهدم السد ، لما يمكن أن يحيط به من جو أسطوري على لسان الكاهنة ظريفة كما لمسنا .

٢ - ترتبط الأسطورة ارتباطا مباشرا بواقع اليمن التاريخي ، فتهدم سد مأرب أمره معروف في تاريخ اليمن ، ولكن الأسطورة تحاول التعليل والتبرير لتهدم السد وتعزوه الى الجرذ الذي كان سببا في انهيار البنيان الشامخ ، كما تعلل الأسطورة لما أعقب تهدم السد من هجرة القبائل اليمنية في أنحاء الجزيرة العربية .

ويربط الراوي بين الحدث ونبوءة الكاهنة ظريفة ، كما يعزو تفرق الناس في البلاد الى أقوال الكاهنة المنتشرة منذ بداية الأسطورة حتى وفاة الكاهنة ظريفة .

---

(١) سورة سبأ ، الآيات ١٤ - ١٩

ويبدو التعليل واهيا لايخضع لمنطق ـ كعادة الأساطير ـ ولعل الراوي أراد أن يكسب المبرر قدرا من الواقعية ، فلجأ الى أسلوب الكهانة على لسان الكاهنة ظريفة التي تتنبأ بالحدث قبل وقوعه ، فكأنه أراد أن يقنع السامع الى تصديق امكانية ماحدث ، فمرد ذلك الى ما تنبأت به الكاهنة ، ومارأته من اشارات تنبىء بالفناء والخراب في حلمها وأثناء تجوالها في حدائق مأرب .

٣ - لقد درج رواة اليمن الى تمجيد ملوكهم القدماء والاشادة بما حققوه من منجزات عمرانية ، والسد أحد مظاهر عظمة البناء الشامخ وما وصلت اليه قدرة لقوم في هندسة البناء والعمران ، فأحاطوه بقدر كبير من الروايات والحكايات ، ونسجوا حول تهدمه الأساطير ونبوءة الكهان .

فقال علقمة بن ذي جدن مفتخرا :

ومنا الذي دانت له الأرض كلها ... بمأرب يبني بالرخام الديارا(١)

كما قال الهمداني في جنتي مأرب :

وجنتا مأرب من بعد ذا مثل ... والعرش فيها وسد وسط واديها

مابين طودين لا باد ولا كثب ... وجرية السد طول الدهر يسقيها(٢)

ويستمر الهمداني في وصفه لذلك السد ، وكيف يتعالى الماء في جدره ويسقي الجنتين وما بعدهما .

كما يتضح افتخار الراوي في هذه الأسطورة بشجاعة أهل اليمن ، ويتضح ذلك من خلال هجرات القبائل اليمنية ونزولها في البلاد المختلفة ، وانتصارهم الدائم على من حولهم ، فكلما حدث احتكاك بين القبائل المهاجرة والبلاد المضيفة لهم ، ينشب قتال تجعل فيه الغلبة لقبائل اليمن ومكوث بعض بطونها في تلك البلاد ، وتستمر سلسلة توزع القبائل بين البلاد على هذا النحو .. فشجاعة القوم وشدة بأسهم حقيقة يسعى الراوي دوما الى اثباتها بكل الوسائل .

٤ - جعل الراوي الكهانة محورا لهذه الأسطورة ، فجميع أحداث الأسطورة تسبقها أقوال الكاهنة ظريفة ونبوءاتها بما سيحدث ، ونجد شخصية الكاهنة وأقوالها محركا أساسيا لأحداث الأسطورة وسيرها ، فالأحداث التي تتنبأ بها يتم حدوثها ، واشاراتها المختلفة الى القوم تجد آذانا صاغية من القوم حولها ، فكلهم يمتثلون لكلامها ، ويتبعون ارشاداتها وتوجيهاتها لما لمسوه من صدق كلامها وصحة تنبآتها . فيفعل الملك عمرو بن عامر جميع ما تأمر به ، ويستشيرها فيما يفعله ، ثم تبعها الابناء ، والقوم يسترشدون برأيها في اتجاه سيرهم ، وأي المناطق ينزلون.

---

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٤٧

(٢) انظر المصدر السابق ٨ : ٤٦

ولعل الأسطورة - في هذه الحالة - تعكس ظاهرة اجتماعية كانت سائدة بين القوم هي ظاهرة الكهانة . وما كان الكهان يتمتعون به من منزلة اجتماعية عالية تجعل القوم يرتبطون بما تتفوه به شفاههم ، لايمانهم بصدق نبوءاتهم فيقبلون عليهم يستشيرونهم في ماينبغي عمله ، ويستنيرون بآرائهم وتوجيهاتهم ، فيتبعونها لاعتقادهم بصدقها وضرورة حدوثها ، مبجلين ما أوتوه من علم واطلاع بخفايا الأمور .

٥ - لا يكتفي الراوي بموت الكاهنة ظريفة ، ولكنه يجعلها تكشف عن مولد اثنين يخلفونها من بعدها في العلم وهم شق وسطيح ، ويأتون بهما اليها لتنفث فيهما مايغنيهما عن أية تغذية ، فقد زودتهما بما يكفيهما الدهر من العلم والاكتفاء عما حولهما بما أخذاه من سر الكاهنة ظريفة .

ونلاحظ أن الكهانة أمر نادر الحدوث في المجتمع ، ولكنها سلسلة لايريد لها الراوي أن تنقطع ، فلابد أن يخلف أحد الكاهن الذي يدنو أجله ، فيحل محله في حياة القوم ، فيرفع من معنوياتهم ويوجههم ، فعمران بن عامر عندما دنا أجله نادى أخاه عمرو ، وتنبأ بعلم ظريفة وماسترثه منه من العلم والمعرفة . ويتزوج عمرو ظريفة ، فليس أفضل من ملازمة الكاهنة التي ستخبره بما تخبىء الأيام من أحداث ، فتخبره بذلك قبل حدوثها ، وتنذره بوقوع الشر قبل حدوثه ، كما كان له قبل تهدم السد ، وما كان من تدبير أمره عندما ابتكر للقوم قصة تمرد ولده وعصيانه له ، فأوجد بذلك مسوغا لبيع ماله في مأرب ، والنجاة به قبل وقوع الحادثة .

وعندما أحست ظريفة بقرب وفاتها تنبأت بكهانة شق وسطيح وأورثت كلا منهما علمها ومعرفتها في الكهانة .. فكأن الكاهن عماد في أساطير اليمن يستند اليه الراوي في حكاياته ، ويكون محورا أساسيا في عدد من أساطير اليمن ، فلابد من وجوده ، فيرث الخلف علم السلف لتستمر السلسلة في تواصل مستمر ، وقد خصصت هذه الظاهرة بدراسة خاصة لأهميتها في أساطير اليمن .

٦ - نلاحظ في الأسطورة أقوال الكاهنة ظريفة المبثوثة في الأسطورة منذ بدايتها ومصاحبتها لأحداث الأسطورة حتى نهايتها ، ونلاحظ الأسلوب المتميز للكاهنة واستخدامها سجع الكهان عندما تتنبأ بما يكون ، ولن أفصل - هنا - القول في أسلوب الكهان والسمات المميزة له ، وذلك لوجود الدراسة الخاصة به بعد هذه الفقرة .

وقد آثرت أن أجل دراسة الكهانة والكهان في أساطير اليمن بعد أسطورة تهدم السد ، التي تسلمنا تلقائيا الى ضرورة الوقوف أما ظاهرة "الكهانة" والكهان ، وما قيل في ذلك من روايات وأساطير تستحق الاطلاع عليها .

٣ - الكهانـــــة :

لقد وردت في المصادر العربية قديمها وحديثها تعريفات بالكهانة ، وهي عندما يدعي بعض الناس امتلاكهم قدرة خفية خارقة ، والهاما يمكنهم من الاتصال بالآلهة وبالأرواح والاستئناس بها والأخذ منها ، والحصول على علم غزير فيما يتعلق بالمستقبل عامة وبمستقبل كل انسان خاصة ، أو التأثير فيها بصرف الخير الى شخص ودفع الأذى عنه ، وبتوجيه الشر الى شخص يراد توجيهه اليه وايذاؤه ، ويسمى الاتصال بالآلهة أو الأرواح لمعرفة المستقبل : الكهانـــة (١).

وقد أورد المسعودي اختلاف الأقوال في الكهانة ، فذهبت طائفة الى أن التكهن سبب نفساني يتولد من صفاء مزاج الطباع وقوة النفس ولطافة الحس ، وذهبت طائفة الى أن سبب الكهانة من الوحي الفلكي ، كما نص المسعودي أن الكهانة لليمن (٢).

أما ابن خلدون فيرى أن الكهانة "... من خواص النفس الانسانية وذلك أن للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ من البشرية الى الروحية التي فوقها ، وأن يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الأنبياء بما فطروا عليه من ذلك ، وتقرر أنه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من التصورات ، ولا من الافعال البدنية كلاما أو حركة ، ولا بأمر من الأمور . انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة أقرب من لمح البصر ..." (٣)

وقد وردت لفظة (كاهن) في القرآن الكريم في معرض الرد على قريش عندما اتهموا الرسول (ص) بأنه كاهن ، وبأنه يقول القرآن على نمط سجع الكهان ، ونفيت صفـة الكهانة عن الرسول (ص) "وانه لقول رسول كريم ، وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ، ولابقول كاهن ، قليلا ماتذكرون" (٤).

واعتقد قدامى العرب أن الكاهن يتنبأ بوساطة تابع أو رئي من الجن ، ولايستطيع غير الكاهن رؤية التابع ، ولما كان التابع روحا كان من الطبيعي تصور صدور ذلك الكلام من روح لايمكن لمسها ولا رؤيتها ، ترى وتسمع وتعقل وتجيب مايطلب منها الاجابة عنه" (٥)

---

(١) جواد علي ، المفصل ٦ : ٧٥٥
(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١٥٢
(٣) ابن خلدون ، المقدمـــة ١ : ١٧٣
(٤) سورة الحاقة ، الآيــة ٤٢
(٥) الجاحـــظ ، الحيـــوان ٦ : ٢٠٣

ولعل هذه الحال دفعت القزويني الى تعريف الكهانة بأنها الاتيان بأمور غريبة زعم الكهان أنها كانت بوساطة اختلاط نفوسهم بنفوس الجن .[١]

وقد اعتقد القوم أن كهنة العرب كانت لهم اتباع من الشياطين يسترقون السمع ، ويأتونهم بالأخبار ، فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الاسلام[٢] . وروي عن وهب بن منبه أنه سأل سطيح عن مصدر علمه ، فأجاب : لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى ، فهو يؤدي الي من ذلك ما يؤديه[٣] .

ويدلنا هذا القول على أن الراوي قد وجد في المجال متسعا لتخيل مايمكن تخيله ، لرواية عجائب الامور وغرائبها ، وهو في كل ذلك يتكلم على لسان هذا الكاهن أو تلك الكاهنة .

وكانت منزلة الكاهن عند العرب عظيمة ، ويحظى باحترام قومه وتبجيلهم لأنهم يعتقدون فيه القدرة على كل شيء ، فكما كان للقبيلة خطيبها وشاعرها كذلك كان لها كاهنها أو كاهنتها ، وكان مستشار القبيلة في السم والحرب ، فكلامه القول الفصل الذي لا استئناف فيه بعده لعلو منزلته في قومه ولايمانهم بما يتفوه به .

ولجأ الكهان الى أسلوب خاص في كلامهم عند التنبوء والتكهن وهو أسلوب السجع ، ولذلك عرف بسجع الكهان ، وقد امتاز سجعهم باستخدام الكلام الغامض والتعابير المبهمة التي تحتمل أكثر من تأويل ، فتصدق على كل الأحوال ، وهو أسلوب تقتضيه طبيعة التكهن لكي لايلزم الكاهن بما تنبأ به ، ويتهم بالكذب .

وقد نهى الرسول (ص) عن محاكاة أسلوب الكهان في سجعهم ، فذكر عنه قوله "أسجع كسجع الجاهلية "[٤] ولايخفى ماتحمله العبارة من معاني الاستنكار والاستهجان .

ويرى بعض الباحثين أن كاهن القبيلة يتمتع بكل مايعين على فهم فكرة الانسان الاله القادر على كل شيء ، ولم تمنع هذه القدرة من ظهور عنصر الربوبية لدى الكاهن ، وقد رأينا أن بعض الكهان نادى قومه بقوله : ياعبادي . ولم يذكر المصدر الذي ورد فيه ذلك . ولعل هذا نادر ، فمن الملاحظ في المصادر العربية ارتباط الكاهن بالجن والشياطين والسحر والقوى الخفية وتبصير من حوله بالمستقبل ومايتكهن به من أحداث ، دون أن يستطيع دفع الملمات التي تحيق بالقوم ، ولم

---

(١) القزويني ، عجائب المخلوقات ١١

(٢) النويري ، نهاية الارب ٣ : ١٢٨

(٣) السهيلي ، الروض الانف ١ : ١٣٨

(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ١ : ٢٨٧

يلحظ تمادي الكاهن في ادعاء الربوبية ، بل نقل المصدر نفسه تهكم قبيصة بن ضرار الضبي على خصرة بن لبيد الكاهن بعد سقوطه مضرجا بدمائه ، حين قال : ألا أخبرك تابعك بمصرعك اليوم ؟[1]

وقد ارتبطت الكهانة باليمن ارتباطا وثيقا ، واشتهر عدد من كهانهم وكواهنهم ، ولانستغرب ذلك وقد عرف ولوع الرواة اليمنيين بغرائب الأمور وخفاياها وادعاء الاطلاع على ماخفي على غيرهم ، وفي الكهانة مجال لابراز قدراتهم الخيالة والروائية . وقد مر بنا ذكر الكاهنة اليمنية ظريفة بنت الخير الحجورية التي تزوجها الملك اليمني عمرو بن عامر ، وتكهنت بانهيار سد مأرب ، وما كان من هجرات القبائل اليمنية اتباعا لمشورتها[2] .

وقد ورد أنها أورثت علمها كلا من شق وسطيح الكاهنين اليمنيين ، وهما من أشهر الكهان ، أخرجهما الاخباريون من عالم الواقع ورسموا لهما صورة أسطورية، فشق كان شق انسان ، وجعلوه من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمي[3] .

أما سطيح فزعموا أنه كان جسدا ملقى لا جوارح له ، ولايقدر على الجلوس اذا غضب وانتفخ[4] . وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ، وسأل الرجل ابن عباس عن سطيح وغرابة خلقه ، فقال: "ان الله خلق سطيحا الغساني لحما على وضم ، ولم يكن فيه عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفان ، وكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك الا لسانه"[5] . وزعم الرواة أن سطيحا عاش ثلاثمائة سنة[6] .

وروى ابن اسحاق أن ربيعة بن نصر ملك اليمن رأى رؤيا هالته ، فجمع كل من كان في اليمن من منجم وكاهن وساحر ، وسألهم تأويل رؤياه ، فلم يستطع أحد منهم معرفتها ، وأشير اليه باستدعاء شق وسطيح ليخبراه بما سأل عنه ، فقدم عليه سطيح قبل شق . فقال: "رأيت حممة خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جمجمة" فأمن الملك على كلامه ، وسأله تأويلها ، فقال سطيح: "أحلف بما بين الحرتين من حنش ، لتهبطن أرضكم الحبش ، فلتملكن مابين أبين الى جرش". وعندما سأله الملك عن موعد ذلك ، أجابه أنه بعد حين ، ثم أخبره بظهور ابن ذي يزن من عدن الذي لايترك أحدا منهم باليمن . كما بشر سطيح بمجيء الرسول (ص) .

---

(١) أحمد كمال زكي ، الأساطير ١٠٠
(٢) أنظر البحث ص
(٣) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ٢ : ٧١
(٤) البلوي ، ألف باء ٢ : ٢٥
(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢ : ٢٨٣
(٦) الزبيدي ، تاج العروس ٦ : ٤٧٢

ثم قدم شق على الملك ربيعه بن نصر ، وعندما سأله عن رؤياه أجابه قائلا: "رأيت في منامك أيها الملك حممة خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة . وعندما سأله الملك عن تأويلها ، أجابه شق متنبئا باحتلال الأحباش قائلا: "أحلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن أرضكم السودان وليملكن كل طفلة البنان ، وليغلبن على مابين أبين الى نجران" . ثم أفتى بما قال سطيح حول ظهور ابن ذي يزن ، والبشارة بظهور الرسول (ص) [١].

وروى الاخباريون تأويل سطيح رؤيا كسرى أنوشروان عندما أرسل عبدالمسيح ابن عمرو الغساني الى سطيح ، وقد أشفى الأخير على الموت ، فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصم أم يسمع غطريف اليمن	أم فاد فازلم به شأو العنن [٢]
يافاصل الخطة أعيت من ومن	أتاك شيخ الحي من آل سنن [٣]

فعرفه سطيح وعرف المهمة التي جاء من أجلها ، وأفتى بما يفسر رؤيا كسرى بارتجاس الايوان ، وتنبأ بزوال ملك فارس [٤].

وتلفت نظرنا أسطورة بابلية تقول ان الملك ازدوبار رأى في المنام أن نجوم السماء هوت على الأرض ، وأن واحدا منها كان شعلة من النار خلف وراءه عنقا من النار مثل كرة عظيمة على ظهره ، فقامت هذه النار أمامه قيام اله عظيم مخوف فلما أن زالت الدهشة طلب الملك تعبير رؤياه من المنجمين ، فوقفوا حائرين أمام هذا اللغز ، فبحثوا عن ساحر عظيم ، فذهبوا الى هيباني النازل بعيدا في الصحراء ، فجاء هيباني وفسر حلم الملك ، وقال سيظهر اله من الآلهة ، تؤدي أعماله السيئة الى البغض والعداء [٥].

ونلاحظ التشابه الكبير بين هذه الأسطورة ورؤيا الملك ربيعة بن نصر واستفتاءه من حوله من الكهان وعدم معرفتهم تأويل رؤياه ، فأشاروا عليه بالذهاب الى سطيح أو هيباني كما ورد في الأسطورة البابلية ، ونرى التشابه أيضا في فحوى الحلم ، فرأى ازدوبار (شعلة من نار) ، ورأى ربيعة بن نصر (حممة أى قطعة من النار) ، ويتفق تفسير الحلم في الأسطورتين بوقوع البلاء وتوقع الشر ، وذلك بظهور اله تؤدي أعماله السيئة الى البغض والعداء) في الأسطورة البابلية و(بوقوع اليمن تحت احتلال الأحباش في الأسطورة اليمنية .. ونلاحظ الأسطورة اليمنية

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ١٦
(٢) شأو العنن : الموت ، فاد : مات
(٣) البلوي ، ألف باء ٢ : ٢٦
(٤) السهيلي ، الروض الانف ١ : ١٤٣
(٥) عبد المعيد خان ١٢٠ عن

أكثر قربا من الواقع ، فالبلاء الذي تنبأ به سطيح أمر معروف في تاريخ اليمن ، وقد عانى شره الشعب في اليمن ، فكان هما جاثما على الصدور ، لم يتوان رواة اليمن عن تضمينه أساطيرهم ، أما في الأسطورة البابلية فالشر يقع على الناس من اله ، فالبطل اله ينشر العداء والكراهية بأعماله السيئة .

وان ذلك كله لدليل على تداخل الأساطير وتناقلها بين الأمم المختلفة حيث يضيف اللاحق الى ماسمعه عن السابق ، محولا ومدورا لتفاصيل الأسطورة بما يتلاءم وعقائدهم ومناحي تفكيرهم وواقع حالهم .

وقد ذكر ابن كثير رواية أخرى لكهانة سطيح ، فقد نقل على لسان سطيح سرده أحوال العرب من خلال الأزمنة التاريخية اللاحقة ، واختتم عبارته قائلا : "ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطن ، يذهب الله على رأسه الفتن"(1) . وتظهر عبارته الأخيرة تعصب الراوي لليمن ، فهل قصد منصور اليمن الذي حرص الرواة على التنبوء بقدومه في آخر الزمان ؟ اذ تحمل الرواية طابعا يمنيا محضا ، ولانستغرب هذا فسطيح غساني من الأزد ، ويحتمل أن تكون الأسطورة من صنيع الرواة المتأخرين ، فوصلت ابن كثير مسجوعة كسجع الكهان على لسان سطيح ، وتضمنة كل ما كان من أحداث مر بها العرب .

وعرفت اليمن كواهن رددت المصادر أخبار كهانتهن ، ومن هؤلاء :

الكاهنة زبراء الحضرمية :

وكانت زبراء أمة لدى خويلة وهي عجوز من احدى بطون قضاعة ، فقالت خويلة تحذر قومها ، ياشمر الأكباد ، وانداد الأولاد ، وشجا الحساد ، هذه زبراء تخبركم عن أنباء قبل انحسار الظلماء بالمؤيد(2) الشنعاء ، فاسمعوا ماتقول . فقالت : واللوح(3) الخافق ، والليل الغاسق ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق ، والمزن الوادق ، ان شجر الوادي ليأدو(4) ختلا ، ويحرق أنيابا عصلا(5) ، وان صخر الطود لينذر ثكلا ، لاتجدون عنه معلا(6) .

فسخر القوم منها ، فانصرفت عنهم ، وتحققت نبوءتها عندما داهمهم الأعداء وقتلوهم .(7)

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢ : ٣٨٤
(2) المؤيد ، الداهية والأمر العظيم
(3) اللوح : الهواء بين السماء والأرض
(4) أدوت له : اذ اختلته
(5) حرق انيابه : حك بعضها ببعض عند الغضب ، العصل : المعوجه
(6) المعل : المنجا
(7) القالي : الامالي ١ : ١٢٦

الكاهنة عفيراء الحميرية :

وقيل أن الملك اليمني مرثد رأى في المنام رؤيا أخافته ، فحشد الكهان يسألهم فلم يجبه أحد ، ثم نصح بالكواهن ، ورسموا صورة قصصية طريفة في ملاقاته الكاهنة عفيراء التي دعته بالملك الهمام قبل أن تعرف من هو ، وسألها عن المعضلة ، فقالت: انها رؤيا منام ، ليست أضغاث أحلام ، لقد رأيت أعاصير وزوابع ، بعضها لبعض تابع ، فيها لهب لامع ، ولها دخان ساطع ، يقفوها نهر متدافع ، وسمعت فيما أنت سامع ، دعاء ذي جرس صادع ، هلموا الى المشارع ، دوي جارع ، وغرق كارع .

وعندما سألها الملك عن تأويل هذه الرؤيا ، أجابته : "الأعاصير الزوابع ملوك تبابع ، والنهر علم واسع ، والداعي نبي شافع ، والجارع ولي له تابع ، والكارع عدو له منازع" . فسألها الام يدعو هذا النبي ، فقالت: الى عبادة وصيام وصلة أرحام ، وكسر أصنام ، وتعطيل أزلام ، واجتناب آثام ، فسألها عن قومه ، فقالت: "مضر بن نزار ، ولهم منه نقع مثار ، يتجلى عن ذبح واسار" . فقال : ياعفيراء ، اذا ذبح قومه فمن اعضاده ؟ قالت : أعضاده غطاريف يمانون ، طائرهم به ميمون ، يعز بهم فيعزون ، ويدمث بهم الحزون ، فالى نصره يعتزون.." (١)

ومن الواضح في قولها الأخير أنها تعني الأنصار الذين نصروا الرسول (ص) ، ولعل عبارتها قطرة من فيض ، حيث أغرق رواة اليمن المصادر العربية بالافتخار بهذه الصلة ، والتنبوء بها قبل حدوثها ، فانطقوا الملوك القدماء والكواهن بها في مواجهة العصبية العدنانية .

الكاهن خنافر الحميري :

وكان كاهنا أوتي بسطة في الجسم وسعة في المال ، أغار على اهل لمراد ، ثم خرج بأهله وماله الى الشحر ، وكان له رئي من الجاهلية يدعي شصار ، افتقده بعد الاسلام ، فجاءه ليلة ، وبادله الحديث ، فأخبره عن قوم يكتبون ذا رونق من الكلام ، وعندما سألهم أجابوه :

"خطاب كبار ، جاء من عند الملك الجبار ، فاسمع ياشصار عن أصدق الأخبار ، واسلك أوضح الآثار ، تنج من أوار النار" فسألهم عن هذا الكلام ، فقالوا: "فرقان بين الكفر والايمان ، ورسول من مضر ، من أهل المدر ، ابتعث فظهر ، فجاء بقول قد بهر ، وأوضح نهجا قد دثر ، فيه مواعظ لمن اعتبر ، ومعاذ لمن ازدجر ، ألف بالآي الكبر ، فسألهم عن المبعوث من مضر . فأجابوه : أحمد خير البشر ، فان

---

(١) النويري ، نهاية الأرب ١٦ : ١٥٧

آمنت أعطيت الشبر[1] ، وان خالفت أصليت سقر ، فآمنت ياخنافر ، وأقبلت اليك أبادر ، فجانب كل كافر ، وشايع كل موءمن طاهر ، والا فهو الفراق ، لا عن تلاق ، فسأله عن موطه هذا الدين ، فقال: من ذات الأحرين[2] والنفر اليمانيين ، أهل الماء والطين ، ويقصد يثرب .. فهناك أهل الطول والفضل ، والمواساة والبذل" .

وفي الصباح امتطى خنافر راحلته ، وقدم صنعاء ، فأسلم ، وقال في ذلك قصيدة منها :

ألم تر أن الله عاد بفضله	وأنقذ من لفح الزخيخ خنافرا[3]
وكشف لي عن جحمتي عماهما	وأوضح لي نهجي وقد كان داثرا[4]
دعاني شصار للتي لو رفضتها	لأصليت جمرا من لظى الهوب واهرا[5]
فأصبحت والاسلام حشو جوانحي	وجانبت من أمسى عن الحق نائرا
وكان مضلي من هديت برشده	فلله مغو عاد بالرشد آمرا
نجوت بحمد الله من كل قحمة	تورث هلكا يوم شايعت شاصرا[6]

ونلحظ في أبيات خنافر تأكيدا بوجود تابع له أسماه "شصار" ، فاعترف بغوايته له ثم هدايته عندما بشر بظهور الرسول (ص).. فهذا تابع أو رئي قد هدى صاحبه الى الطريق المستقيم.. فخلف خنافر وراءه صفحة مطوية من الاغارة على الأحياء ونهب الابل وممتلكات غيره من القبائل الآمنة ، وأقبل على الاسلام واتباع دين محمد (ص) بنفس موءمنة.. وبعين توفرت لها الروءية السليمة في انتهاج الطريق الصحيح الذي كان قد أوشك على الاندثار .

وكأن الراوي أراد أن ينفي بهذا عن الكاهن ، وعن تابعه ، صفة الكفر وصفة الشر وأعمال الأذى ، فنجده يستجيب لنداء رئيه الذي يدعوه الى الاسلام وتصديق النبي محمد(ص) ، واتباع ما أتى به من نهج قويم . فالكاهن ورئيه موءمنان بالله وبما أنزل على نبيه (ص) .

وقد عرفت اليمن عدة كهان غير هوءلاء ، منهم سواد بن قارب الدوسي[7] ، وسلمى الهمدانية الحميرية[8] ، والكاهن الخزاعي[9] ، وذكر المرزوقي الكاهنة "شهيرة"

---

(١) الشبـــر : الخيـــر
(٢) الأحريـــن : جمع الأحرة ، المكان الغليظ من الحرة
(٣) الزخيـــخ (بلغة أهل اليمن) : النـــار
(٤) الجحمتان : العينـان (بلغة اليمن)
(٥) الهوب : النار (بلغتهم) ، الواهر : الساكن مع شدة الحر
(٦) القحمة : الشدة — القالي ، الأمالي ١ : ١٣٤
(٧) الألوسي ، بلوغ الارب ٣ : ٢٩٩
(٨) المصدر السابق ٣ : ٢٩٥
(٩) المصدر السابق ١ : ٣٠٨

بأرض سبأ التي كانت في موضع اسمع بلخع [١].

وان ذلك كله يثبت ما كان لليمن من شأو بعيد في مضمار الكهانة ، نتيجة لولعهم بالغرائب والأمور الخفية ، وهم لم يكتفوا برواية التنبوءات والتكهنات على لسان كهانهم وكواهنهم ، ولكنهم أيضا انطقوا بها ملوكهم القدماء ، فرددت المصادر خبر التبع أبي كرب أسعد الحميري ، وقد كان ملكا كاهنا ، وأوردوا على لسانه تنبوءه بظهور النبي (ص) بل أعلن ايمانه به ، وتمنى لو مد في عمره ليكون له سندا ومعينا :

شهدت على أحمد انــــه   رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره   لكنت وزيرا له وابن عــم [٢]

وبعد اطلاعنا على هذه المجموعة من أقوال الكهان والكاهنات من أهل اليمن وما أحاط أقوالهم من أحداث ووقائع ، يمكننا أن نستخلص منها الملاحظات الآتية :

١ - من الملاحظ في أساطير الكهان ارتباطها المباشر باليمن ، ولايقتصر هذا الارتباط على انتماء الكاهن أو الكاهنة الى احدى القبائل اليمنية ، ولكن يتجلى هذا في الكثير من سمات أساطيرهم التي تعكس واقعهم الاجتماعي والتاريخي وتكشف عن مناحي تفكيرهم عندما ينفث الكاهن في أقواله هموم قومه ومعتقداتهم وأمانيهـم .

ويتجلى هذا أيضا في استخدام الكاهن لألفاظ يمنية بحتة كما لمسنا ذلك في أبيات خنافر الحميري ، فالجمحتان والهوب والواهر ، كلها ألفاظ يمنية ، بقيت في ذاكرة الراوي ، حتى بعد أن مرت السنون وفصحت لهجته وصفت لغته . لذا وجدت طريقها الى لسانه يعبر بها ، حاملة المعاني القديمة نفسها التي كانت تتداولها اليمـــن .

٢ - ان راوي هذا اللون من الأساطير يعكس واقع القوم الاجتماعي ، في حقبة تاريخية معينة ، ويدلل على ايمان القوم بتنبوءات كهانهم وتصديقهم لها ، فنجد الراوي يسرد تلك التنبوءات في سجع الكهان على لسان الكاهن أو الكاهنة ، ثم يحقق النبوءة في الوقائع التاريخية من حوله ، فطريفة الكاهنة تتنبأ بحفر الفأر للسد ونقض حجارته ، ويذهب عمرو ليلمس صدق كلامها ، وتتحقق نبوءتها ، ويتفرق القوم تبعا لمشورتها ، وسطيح وشق أيضا يخبران الملك ربيعة بن نصر بأحداث تاريخية عرفتها اليمن في احتلال الأحباش وانتصار سيف بن ذي يزن عليهم ، حتى البشارة بظهور الرسول (ص) .

---

(١) المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٠٠

(٢) ابن قتيبة ، المعـــارف ٢٤٠

وهكذا غيرهم من الكهان والكواهن الذين عمل الرواة على سرد التنبوءات على لسانهم ثم تحقيقها فيما يستجد من حوادث وأمور تلم بالقوم ، وتحيق بهم ليكسب أقوالهم صحة ، ولايدل ذلك الا على عمق ايمان الناس بأقوال كهانهم ومدى صدقها وتحققها في حياتهم .. بل جعل منها الراوي دليلا لتوجه القوم وسيرهم في الهجرات المختلفة التي أعقبت تهدم السد ، كما لمسنا ذلك لدى عمرو بن عامر وقومه في استشارتهم الدائمة للكاهنة طريفة وسوءالها عن الوجهة التي عليهم السير نحوها .

٣ - استعان الراوي بأحداث التاريخ المعروفة ، تلك الأحداث التي تعد معلما بارزا في حياة اليمانيين ، وتكون سببا في احداث تغييرات اجتماعية كبيرة فيهم. فأحاط تهدم سد مأرب بأسطورة الفأر الذي جعله سببا في انهياره ، كما اهتم باحتلال الأحباش لليمن ثم نجاح اليمن في اجلائهم على يد سيف بن ذي يزن ، ثم سطوع الاسلام في اليمن ، ودخول اليمن في الدولة العربية الاسلامية الجديدة ، معاضدة للنبي محمد (ص) .

كانت تلك أحداث جسام في حياة اليمانيين ، وكان لها أثرها في حياتهم الاجتماعية ، وملكت عليهم مشاعرهم ، فانفعلت بها نفوسهم ، وامتلأت بها قلوبهم ، فعبروا عن تلك المشاعر والأحاسيس بطريقتهم الخاصة المأثورة عنهم ، وهي التعبير الأسطوري الجميل ، وضمنوه معانيهم الانسانية ، معبرين عن همومهم ومخاوفهم وآمالهم وطموحاتهم ، فلجأ الرواة الى أساطير الكهانة ، محملين أقوالهم التنبوءات بما سيحدث وبما سيكون.. ولولا ألفة القوم لأقوال الكهان وتنبوءاتهم لما اختار الرواة أبطالهم من الكهان الذين وجدوا سهولة ويسرا في نسب الأقوال اليهم على النحو لمعروف عنهم أي "سجع الكهان" .

٤ - ونلاحظ في أقوال الكهان أنها تعكس اهتمام الراوي باثبات الفضل لليمن ، ملوحا بما حققه اليمانيون في نصرة الرسول (ص) ، ولعل الراوي قد وجد نفسه مدفوعا لهذه الوقفة ازاء العصبية التي كان يحاول بعض من حوله اثارتها ، كما ألمحنا الى ذلك في فصل سابق .(١)

فننظر في أقوال الكاهنة عفيراء عندما بشرت بظهور النبي (ص) فجعلت الفضل لنصرته وعزته الى اليمن ، (فأعضاده غطاريف يمانون ، طائرهم به ميمون) ، وشبيه بذلك قول خنافر الحميري الذي ضمنه اعتزازه (بالنفر اليمانيين) منهم (أهل الطول والفضل والمواساة والبذل) . فلا يدخر الراوي وسعا لاثبات الخصال الحميدة التي يستطيع الافتخار بها في مجال المفاخرة والمناظرة التي كانت البيئة الأموية تضعه فيها مثيرة لديه النعرة القبلية والانتصار لليمن ضد قيس .

---

(١) انظر البحث ص٣٢

٥ - تجلت في أقوال الكهان سمة ميزت أقوالهم هي "السجع" ولذلك سميت أقوالهم بسجع الكهان ، لأنها الصفة البارزة في جميع أقوالهم كما لمسنا ذلك . ولعلهم أرادوا باتباع السجع في أقوالهم أن يكسبوها صفة قدسية تخرج بها عن الكلام المألوف ، ليحدثوا الأثر المطلوب في نفوس سامعيهم ، فيقبلوا على تصديقهم والايمان بما يتفوهون به .

وقد امتاز سجع الكهان بقصر الفواصل والعبارات فاكتسبت أقوالهم بذلك ايقاعا معينا تختلف نغماته والموسيقى التي يحدثها باختلاف حرف الروي الذي يلتزمه الكاهن في سجعه ، ويختلف ذلك الايقاع تبعا للأثر الذي يريد الكاهن ايصاله الى السامع . فتلونت ايقاعاتهم وتنوعت .

٦ - يفتتح الكهان أقوالهم دوما بالقسم ، ليقع في روع السامعين صدق أقوالهم فيقبلون عليها مؤمنين بها مسلمين بصحتها ، وكثيرا ما أقسموا بمظاهر الطبيعة ، كقسم الكاهنة طريفة بالنور والظلماء والأرض والسماء [1]. وكقسم الكاهنة زبراء باللوح الخافق والليل الغاسق والصباح الشارق ، والنجم الطارق والمزن الوادق ، وكقسم سطيح بالشفق والغسق ، كما مر بنا . فأكسب القسم أقوالهم صبغة دينية ، أحاطت بأقوالهم وأضفت عليها صفة قدسية ، ليتمكنوا بها من جذب اهتمام السامع .

وللقسم دلالة معنوية تحدث أثرها في نفوس السامعين ، وشاهدنا على أهمية هذا الأثر هو افتتاح بعض سور القرآن الكريم بالقسم في قوله تعالى "والتين والزيتون..." و "والسماء والطارق..." الخ .

وربما اقتبس الرواة - في مرحلة متأخرة - عادة افتتاح أقوال الكهان بالقسم من القرآن الكريم ، ليكسبوا أقوال الكهان صبغة دينية وقدسية .. كما أسلفنـــا .

٧ - اتسمت أقوال الكهان بسعة المعاني ، فيمكن انطباقها على أحوال مشابهة لذلك الواقع وتلك الحال ، وهذه طريقة لجأ اليها الراوي لئلا يلزم الكاهن نفسه بأمر ، ولئلا يتهم بالكذب وعدم المعرفة . فأقواله مرنة فضفاضة لاتتسم بالدقة والنص على الحدث المومأ اليه ، وانما هي تلميحات تشير من بعيد الى الحوادث التاريخية المقصودة .. وتنذر بقرب حدوثها ، دون تفصيل أو تدقيق ، في أغلب الأحيان ، وان صرح بعض الكهان بالاسم المقصود في بعض أقوالهم كما لمسنا في أقوالهم حول نجدة سيف بن ذي يزن لليمن ..

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ١٦٨

٨ - يرسم الرواة صورة أسطورية للكهان والكاهنات .. فهذا سطيح جسد ملقى لا جوارح له ، وجهه في صدره بدون رأس أو عنق ، وهذا شق من المتشيطنة ، وصورته صورة نصف آدمي ، كما مر بنا . ولايكتفي الراوي بأن جعل الكهان على هذه الصورة الغريبة ، ولكنه جعل لهم قدرة عجيبة غير متوفرة لدى البشر .. فهذه طريفة تنفث قبل موتها بسرها وتعطيه كلا من شق وسطيح ، وتنصح بعدم تموينهما بأي غذاء حتى بلوغهما ، فقد زودتهما بالغذاء المعنوي وهو القدرة على الكهانة ، واستشفاف الغيب ، والتكهن بما سيحدث .

وطريفة نفسها يوهبها القدرة على الكهانة عمران بن عامر ، ويورثها اياها بعد موته ، وتخير طريفة بين مولود تقر به عينها أو علم تطيب به نفسها ، فتفضل العلم على الولد ، وتمسح يد على بطنها لتجد نفسها قد عقمت ، وأوتيت العلم باستكشاف الحجب والقدرة على التكهن .. وهكذا حرمت طريفة نعمة الولد بعد أن آثرت امتلاك العلم على الولد .

وكأن الراوي أراد أن يقنع السامعين بأن الكاهن يخرج عن نطاق العامة من البشر ، فقد منحوا هبة خاصة لاتتيسر لأي بشر ، وهي القدرة على التكهن ، وهم لم يعطوها اعتباطا أو ارتجالا ، وانما منحت لهم وكأنها العوض عما فقدوه ، فقد حرم كل من شق وسطيح من خلقة البشر السوية ، وحملا صفات عجيبة ، كما حرمت طريفة من نعمة الأمومة ، فكأن لكل كاهن قربانه الذي ضحى به للحصول على العلم والقدرة على الكهانـة .

واذا تفحصنا الكهان لدى رواة الاغريق نجدهم قد جعلوا كاهنهم شيخا مسنا أحنت ظهره السنون ، يتوكأ على عصاه ، ولكنهم ألبسوه الملابس القشيبة والطيلسان الجميل ، فملأ بذلك قلوب العسكر وقلوب القادة ألغازا وأسرارا (١) .. على عكس رواة اليمن الذين لايهتمون لمظهر الكاهن الخارجي .. ولكنهم جعلوا له صفات معنوية غالية يتولى بها اقناع من حوله ، ابتداء من لحظة انتهاجه الكهانة وكيفية حصوله على هذه القدرة ، مرورا بأقواله وتكهناته حتى وفاته .

٩ - تشارك اليمن شعوب أخرى في معرفة الكهانة والاهتمام بها ، بل يعتقد جرجي زيدان أن الكهانة من العلوم الدخيلة على العرب ، ويرجح أن الكلدان حملوها اليهم ، كما يرى أن لفظ الكاهن قد اقتبسه العرب من اليهود الذين نزحوا اليهم بعد ما أصابهم من النكبات في أورشيلم سنة ٧٠م . (٢)

---

(١) هوميروس ، الالياذة ٤٥ ، ترجمة دريني خشبة
(٢) جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ١٨٧

وفي الواقع قد عرف الكهانة أكثر الشعوب القديمة ، من ذلك ما كان يصنعه البابليون والمصريون ، اذ كانوا يقرأون كبد الشاة أو بعض أعضائها [1]. كما اشتهر في اليونان كهان أبولون ، وكان معبده في دلفي على سفح جبل البرناس ، حيث يجلس فيه هؤلاء الكهان ، حتى اذا استفتاهم بعض الناس قعد اثنان منهم قرب احدى هواتف هذا الاله ، وراحت هذه تهذي فيلتقط الكاهنان كلامها ، ويعبران عنه شعـــرا . [2]

كما عرفنا في الياذة هوميروس الكاهن تيرزياس ، كاهن المعبد المسن الذي شخص اليه أعضاء المجلس الحربي يستفتونه ، فسألهم ابن بليوس رب الأعماق ، عن أخيل الذي لم يكونوا يعلمون شيئا من أمره بعد ، ونصحهم بالبحث عنه ، فلن تفتح طروادة الا به .. واختتم عبارته "هكذا قالت الآلهة" . [3]

فالكاهن ناقل أمين في الأسطورة الأغريقية لما قالته الآلهة ، أما الكاهن اليمني فيعتمد في الحصول على علمه بمؤشرات طبيعية كما لمسنا ذلك لدى طريفة التي وجدت في طريقها من الحيوانات (النواجذ) و (السلحفاة) وحركاتها ، ومن الأشجار وحركتها أيضا ما دلها على قرب حدوث الكارثة المتوقعة ، كما اعتمد الكاهن اليمني على الرئي أو التابع كما لمسنا ذلك لدى خنافر الحميري الذي كان رئيه أو تابعه يدعى شصار ، ويوافيه بالانباء والأخبار قبل حدوثها ، فيجري لسانه بالتكهن بها في قومه .

ولعل ذلك كله ينفي الفكرة القائلة بتوحد الكاهن أو الكاهنة بالالهة كما أشار أحد الباحثين الى الكاهنة طريفة واسماها الالهة الأم التي وجهت الهجرة القحطانية ، ولاتدل الأسطورة اليمنية على أي لون من التقديس نحوها ، ولم يعرف أساطيرهم الأخرى مايشير الى صحة هذا الاعتقاد . فليس الكاهن العربي الا ناقلا لما تخبره به تلك القوى الخفية ، وليس الكاهن الاغريقي الا ناقلا لاقوال الالهة ، كما عرفنا ذلك في الأساطير الاغريقية .

من أساطير تبع " أسعد الكامل " :

ان لفظة "تبع" التي تجمع على "تبابعة" لفظة ، للعلماء في منشئها وفي أصلها خلاف وجدل ، فقيل ان التبابعة هم ملوك اليمن وسموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضا ، وفيم قال ابن الجهم :

---

(١) جواد علي ، المفصل ٦ : ٧٥٧

(٢) الجوزو ، من الاساطير العربية والخرافات ٣١

(٣) هوميروس ، الالياذة ٤٣ ، ترجمة دريني خشبة

وظهرت باليمن التبابعة   شمر يرعش وملوك خالفة [(١)]

وقيل ان التبابعة في حمير كالاكاسرة في الفرس والقياصرة في الروم ، والنجاشي في الحبش . ولايسمى به الا اذا كانت له حمير وحضرموت ، وقل : سبأ ، واذا لم تدن له هاتان لم يسم تبعا [(٢)] ، وقيل والشحر كذلك [(٣)] ، وقيل حتى تتبعه حضرموت والصدف والسلف ، وقيل : حتى تتبعه بنو جشم بن عبد شمس . [(٤)]

وقد ورد ذكر (تبع) في القرآن الكريم في الآية "أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم ، أهلكناهم انهم كانوا مجرمين" [(٥)] ، وفي الآية الكريمة "وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد" [(٦)] . ومن الواضح اقتران الآيتين بموقف العظة والتخويف بما حدث للقوم الكافرين . فأقبل أهل الأخبار الى كتب التفسير يلتمسون فيها أخبار تبع ، وتستند بعض كتب التفسير والتاريخ الى الرواة اليمنيين من مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام وغيرهم ، كلهم ذوو ثقافة يهودية ومن أصل يهودي ، ولهذا ربطوا هذا القصص باليهودية بسبب ، كما يلاحظ في حكاية تهويد التبع أسعد أبو كرب . [(٧)]

ولم يرد في النقوش اليمنية لفظة تبع ، ويعتقد أن أهل الأخبار لما قرأوا عن قوم تبع في القرآن الكريم وجدوا أن تبعا لابد أن يكون ملكا قويا جبارا ، لأن في الآيتين تخويفا وتهديدا لقريش بقوم تبع الذين كانوا خيرا منهم وأقوى مكانا فطاب لهم أن يتخذوا اليمن مكانا مناسبا لقوم تبع . واليمن موضع الأقوام القديمة ، فجعلوهم فيها ، وكان لديهم في اليمن (ذو يثع) فحوروا اللفظة الى (تبع) [(٨)] . وذو يثع أيضا ملك حميري اسمه نوف بن يحصب ، وقد كان مشهورا في اليمن فورد ذكره في شعر علقمة بن ذي جدن في مرثيته الشهيرة :

هل لأناس مثل آثارهم	بمارب ذات البناء اليفع
أو مثل صرواح وما دونها	مما بنت بلقيس أو ذو يثع [(٩)]

---

(١) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ : ١٧٦ (لاوجود للبيت في ديوان الشاعر)
(٢) الزبيدي ، تاج العروس (مادة تبع) ٥ : ٢٧٨ / لسان العرب ٨ : ٣١
(٣) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٨٨
(٤) ابن خلدون ، العبر ٢ : ٩٤ / الأكليل ٢ : ٥٥
(٥) سورة الدخان ، الآية ٣٧
(٦) سورة ق ، الآية ١٤
(٧) بتروفسكي ، ملحمة عن الملك الحميري ٥٨
(٨) جواد علي، مجلة "الحكمة" اليمنية ، مقالة "أحاديث تبع" العدد٧٨ سنة ٧٩ ص١
(٩) نشوان الحميري ، شمس العلوم ١ : ١٢٩

إن المطلع على أخبار تبابعة اليمن يلاحظ الخلط العجيب في أسمائهم وسنوات حكمهم ، وروايات تتابعهم ، ومن أشهر أولئك التبابعة الملك اليمني أسعد أبو كرب الذي لقب في العصور الاسلامية بالكامل ، ولعله أكثر أبطال الملحمة القحطانية شهرة ، حكم اليمن في فترة متأخرة من وجود حضارة الجنوب العربي (في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي) .

وقد تم العثور على الجزء الأكبر من النقوش المنسوبة لفترة حكم أبي كرب أسعد في مناطق حكمه المركزية ، أي في ظفار التي كانت عاصمة للحميريين ، وفي منطقة صنعاء .(١)

ولقب الملك الحميري أبو كرب بأسعد بن مليككرب ، "بملك سبأ ذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم طودا وتهامه" ، ويعكس الجزء الاخير الذي يخص البدو تحولا اجتماعيا هاما ، وتعزز دور القبائل الرعوية في دولة الجنوب العربي .(٢)

ويعد التبع "أسعد أبو كرب" البطل القومي لأساطير العربية الجنوبية ، وتطغى قصصه على من سبقه ومن جاء بعده من التبابعة .

ويذكر نشوان الحميري الأساطير حول أسعد الكامل ، على نحو مفصل ، أفضل من غيره ، كما يرجع روايته الى عبيد بن شرية الجرهمي أحيانا ، وقدم الحديث عنه بأبيات ذكره فيها قائلا :

والكامل الملك المتوج أسعد　　　فيه تقصّر مدحة المداح

ثم استمر في أبياته العشرة يذكر فيها فتوحاته المختلفة في عرض البلاد ، وانتصاره الدائم فيها .(٣)

يقول الراوي ان الملك اليمني ملكي كرب والد أسعد قد خطب الى موهبيل ابن عبد ريم – صاحب قصر خمر – ابنته الفارعة بنت موهبيل ، فزوجه بها ، وتقدم بها في قصر خمر ، فأقام معها حولا ، وعاد الى ظفار ، فحملت ، فولدت غلاما سماه أسعد ، ولم يلبث ملكي كرب الا يسيرا حتى توفي وابنه أسعد في خؤولته بخمر :

مولده في قرى ظواهرهـــــدان بتلك التي اسمها خمـــر
يقهر أصحابه على حدث الـــسن ويخفي فيهم ويحتقـــــر (٤)

---

(١) بتروفسكي ، ملحمة عن الملك الحميري ٥٨
(٢) بتروفسكي ، مجلة "الحكمة" ، مقالة "سيرة التبع الحميري"– العدد ١٠٩ – ص٣٥
(٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٦٧
(٤) المصدر السابق ١١٩

وخرج ذات يوم أسعد الى قصر خمر حتى انتهى الى جبل هنوم ، وقيل بل اختطف الى جبل هنوم ، فصادف ثلاث نسوة فأضفنه ، ثم جاءته الكبرى منهن بأسقية فيها خمر وفيها دم فشرب جميع ذلك ، ثم جاءته الوسطى وقد أخذ فيه السكر بمركوب من مراكب الجن ، ويقال أنه حمار ، فركبه فطار به من حرفه ، فأسقطه وتجرح بدنه وتهاضت عظامه ، وأخذت الثالثة تمارضه حتى برئ ، وفرشت له فرشا فوق ابر اضطجع عليه ، ومارضته حتى برئ جسمه وقوي عظمه ، ثم سرحته ، وأخبرته أنه سيقتل أعداءه ويبلغ أينها نواه ، وينال في الملك مايهواه ، وأمرته أن لايقف في خمر ، وأن يكون مقامه بظفار ، وصدوره للغزو منها .

ويذكر الراوي هذه القصة في أبيات تروى على لسان آت دخل الى الرائش عندما كان في كهف في جبل ، فيغفو فيه ، ويسمع آتيا يقول أبياتا عديدة وصلت الى الاربعة والاربعين بيتا ، يحدثه فيها عن أسعد أبي كرب وما كان من توغله في جبل أهنوم وحديثه مع الجنيات ، في قوله :

حتى اذا أدركته روعنه	بين ثلاث وقلبه حذر
جاءت اليه الكبرى بأسقية	شتى وفي بعضها دم كدر
فقال هاتي الي أشربه	قالت له ذر ، فقال لا أذر
فناولته فما تورع عن	أقصاه حتى أماده السكر
فنهنهته الوسطى فنازلها	كأنه الليث هاجه الذعر
قالت له هذه مراكبنا	فاركب فشر المراكب الحمر
فقال حقا صدقت ثم سما	فوق ضبع قد زانه الغمر
فصد لما رآه من أرن	ومن جراح وهاجه الحصر
فدق منه جنبا فغادره	فيه جراح منها له أثر
ثم أتته الصغرى تمرضه	فوق الحنايا ودمعها درر
وكان اذ ذاك بعد صرعته	من شدة الجهد تحته الابر
فقلن لما رأين حالته	أسعد أنت الذي لك الظفر
وفي كل ما وجهة توجهها	وأنت تشقى بحربك البشر

وينقل في الأبيات بشرى الجنيات له بالظفر والانتصار اينما توجه وحيثما سار :

وأنت للسيف واللسان وللأ	بدان تبدو كأنها الشرر
وأنت أنت المهريق كل دم	اذا ترامى بشخصك السفر

فلما رجع أسعد الكامل الى أهله بخمر أعلمهم بما حدث له مع النسوة اللاتي لقيهن من الجن ، وعمل على ما أخبرنه به ، فنهض الى ظفار وهو في التاسعة وأقام بها ، وجده يكتم أمره عن القوم فيها خوفا عليه من غوائل حمير ممن يطلب الملك .

وفي الخامسة والعشرين من عمره أصبح أسعد ملكا عظيما وشاعرا فصيحا ، وكان أحد المعمرين ، عمّر ثلاثمائة واحدى وخمسين سنة .

وقال عبيد بن شرية أن أسعد الكامل كان عارفا بالنجوم والفلك ، فأكثر الغزو في كل ناحية ، ولكنه كان لايخرج بقومه مخرجا حتى ينظر في مطالع السعود من النحوس ، فيسير بجنده ويتجنب النحوس فيترك ذلك .

وأخذ يسير في البلاد فيغزو سنة ليقيم أخرى ، فلم يترك طريقا سلكه آباؤه الا سلكه ، ولا بلدا كذلك الا وطئه وقصده حتى دخل الظلمات ، ثم يروي قصيدة على لسانه وصل عدد أبياتها اثنين وعشرين بيتا يفخر فيها بقومه :

فحمير سادات الملوك وخيرها وهم من قديم الدهر سادوا القبائل

ثم يذكر فتوحه وغزواته في البلاد المختلفة من أرض فارس والعراق حتى وصوله الى بلاد الهند والسند والصين ، وغيرها من بلدان الشرق والغرب ، كما جاء في قوله :

وتلت بلاد الهند والسند كلهـا وفي الصين صيرنا نقيبا وعاملا
وتلت بلاد المشرقيـن كلاهمـا وتلت بلاد المغربيـن وبابـلا

ويستمر عبيد في ذكر غزواته في أرض العرب والأعاجم ، ويتلو ذلك بأبيات من الشعر على لسان أسعد الكامل ، وفيها افتخار بما حققه من نصر ومجد ، ووصلت رائيته خمسة وأربعين بيتا يضم معظمها شعر الفخر والحماسة .

ويذكر أن امرأة من الشام أتت اليه تشكو من رجل ذبح كبشا لها غصبها على أخذه ، فآلت يمينا لتشكونه الى ملك اليمن ان لم ينتصف لها ملك الشام ، فعلم قباذ ملك الشام بيمينها فلم ينتصف لها من عامله الغاصب عليها ذلك الكبش ، فوفدت على أسعد الكامل الى ظفار ، فأدلت بحكايتها وما كان من الملك الشامي ، ومارضيه لعامله من ظلمها واحتقاره لملك اليمن ، فآلى أسعد لينصرنها ولينصفنها فعبأ الجيوش وأمرها بالانصراف الى بلدها ، وقد وعدها بوصول العساكر ، فراحت وأقامت تنتظر وصول العساكر ، فسارت جنوده وقدم عليها شمر ذا الجناح ، وسار أسعد من بعدهم بمن معه من الجنود وفي ذلك قال قصيدة طويلة مطلعها :

أنعم صباحا أسعد الكامل يا ناقما بالثار والثابل

وكعادة الراوي يأتي الشاعر في هذه القصيدة على الفتوحات المختلفة وما حققه اليمانيون فيها من بطولة خارقة .

ويعبر الراوي عن حكاية المرأة الشاكية المستنجدة بأسعد الكامل شعرا :

حتى أتته من المدينة تشـ	ـكو الظلم شمطاء قومها غدروا
أدلت اليه منهم ظلامتها	ترجو به ثارها وتنتصر
فاعمل الرأي في الذي طلبت	تلك وكل بذاك يأتمر
فعبأ الجيش ثم سار به	مثل الدبا في البلاد ينتشر
قد ملأ الخافقين عسكره	كأنه الليل حين يعتكر
تقهر أعداءه كتائبه	فليس تبقى منهم ولاتذر
حتى قضى منهم لبانته	وفاز بالنصر ثم من نصروا

ثم يروي عبيد بن شرية أن أسعد خرج في جموع حمير وكهلان من اليمن حتى وقفوا بأرض العراق ، ثم سار حتى نزل أرض الحيرة الى الكوفة ، مما يلي شط الفرات ، وسماها الحيرة لأنه تحير فيها وفي أمر من جابه من الأعداء ، ومضى التبع أسعد حتى قاتل قباذ وجموعه ببابل قتالا شديدا حتى هزمهم ثم أتى الري وصار الى خراسان وغيرها .

ولم يزل تبع يفتح البلدان ويقتل الفرسان ، ويركب البحار ، ودخل الظلمات ، وأدركه الشتاء في تلك الأرض التي بعدت عنها الشمس فانقطع نورها . وسار تبع في الظلمة بالشموع المنيرة ، فلما أراد الرجوع جعل الأتن في مقدمة العسكر ، فقفلت تلك الأتن تطلب أولادها في موضع النور والجيش خلفهن حتى خرج من الظلمات ، وفي ذلك يقول تبع مفتخرا بمن معه من القبائل :

ودخلت في الظلمات أعظم مدخل	من حيث لازرع ولا أوطان
ومعي مقاول حميرٍ وملوكها	والأزد ازد شنوءة وعمان
ومعي قضاعتها وكندتها معا	والقلب مذحج والذرى همدان
قلت اقبضوا فاذا الحصى بأكفهم	الدر والياقوت والمرجان

وعند رجوعه من غزواته مر بالبيت فكساه الانطاع المذهبة اليمانية ، فرأى في المنام قائلا يقول : زد في كسوة البيت ، فكساه المعافري ، وتكرر ذلك المنام فكساه الوشي ، ونحر بمكة سبعين ألف بدن ، وطاف وسعى ، وعمل له بابا ومفتاحا لم يكونا له قط ، وقال في ذلك :

وكسونا البيت الذي حرم اللـ	ـه ملاء مقصبا وبرودا
ثم طفنا لديه عشرا وعشرا	وخررنا عند المقام سجودا
وأقمنا به من الشهر تسعا	وجعلنا لبابه اقليدا

ثم رجع أسعد الكامل الى عمدان وغيره في بلاد اليمن ، فأقام ماشاء الله أن يقيم ، واعتل علته التي مات منها لمرض شديد، دعا ابنه حسانا وأخذ يوصيه في أبيات من الشعر وصلت الى خمس وعشرين بيتا ، قال في مطلعها :

حضرت وفاة أبيك يا حسان   فانظر لنفسك فالزمان زمان

وضمن أبياته الحكمة ونظراته في الحياة ، كما برزت فيها نبرة الفخر بقحطان وسيادتها في الأرض وعلو كعبها على من حولها ، وأخذ يضرب الأمثال على شجاعة القبائل القحطانية وقوة بأسها في الحروب التي خاضتها أثناء الفتوحات والغزوات •

واختتم أبياته بنصيحة لابنه قائلا :

وافطن لكاهنتي فان كلامها   حق وان قبورنا غيمان

ويعنى بها تابعة من الجن ، اذ قيل كان لتبع تابعة من الجن تسكن في ينور ، وهو على مسيرة ساعة من صنعاء ، فأرسل تبع ابنه حسانا اليها ، فقال : اذا أتيت ينور فاقرع الجبل ، فانه سيفتح لك باب ، فادخل حتى اذا أتيت الى المرأة فاخبرها أني مثقل بالمرض ، فانظر ماذا تقول لك وما تأمرك به ، ولاتعصها في شيء •

فأقبل حسان حتى انتهى الى المكان وقابل المرأة فأخبرها الخبر ، فأشارت اليه أن يقعد على كرسي فيه حيات وعقارب ودود ، فأبى ، وقعد على الأرض • ثم قدمت بين يديه طبقا فيه رؤوس ناس فأمرته بأكلها ، فأبى أن يفعل ذلك ، فدعت بقدح فيه فم ، فقالت : اشربه ، فأبى أن يشربه ، فقالت له : ما أبعد همتك من همة أبيك ، وقالت له : قد أمرتك فلم تفعل ، فأما اذ عصيتني ، فانظر اذا رجعت الى أبيك ودخلت باب غيمان ، فاقتل أول من يلقاك من الناس ، وأدرك أباك فهو في آخر رمق •

فخرج مسرعا حتى اذا أتى غيمان ، فلقيه على بابها أخوه معدي كرب ، فأبى أن يقتله ، ثم دخل على أبيه ، فأخبره الخبر ، وما قالت المرأة من قتل أول من لقيه ، فقال له تبع : ما أراك الا مخطئا • ان هذه أمثال ضربتها لك • أما الكرسي الذي أقعدتك عليه ، فانه لايملك حمير الا من أهرق دمها ، وأما الرؤوس والعظام التي أمرتك أن تأكلها فانه لايملك حمير الا من أكل أموالها ، وأما أخوك فسيقتلك ان لم تقتله •

وبعد ذلك التأويل قال له أبوه : لو أنك أكلت الرؤوس لخضعت لك رؤساء حمير ، ولو أنك قعدت على الكرسي الذي فيه الحيات والعقارب والدود لكثر ولدك . ثم مات أسعد تبع بغيمان وقبره بها [١] .

ونسب الى تبع أبيات تدل على أن قبره بغيمان ، اذ قال من قصيدة له :

وغيمان محفوفة بالكروم	لها بهجة ولها منظر
بها كان يقبر آباؤنا	وأجدادنا وبها نقبر
اذا ما مقابرنا بعثرت	فحشو مقابرنا الجوهر[٢]

وينفرد الهمداني برواية هذه الأبيات ، وقد أولى قبور الحميريين اهتماما كبيرا ، وأفرد صفحات طويلة من أكليله لاخبارها وما حوته من سجلات وألواح وأحجار ثمينة .

ولكنا نجد عبيد بن شرية يروي في أخباره نهاية أخرى لوفاة التبع "أسعد الكامل" ، ونكر أنه قتل في قومه وسبب ذلك أن حبرين من اليهود في اليمن دخلا عليه فأحب أمرهما وماهما عليه ، ورأى أن الذي هما عليه أفضل فآمن بالله وصدق بنبيه موسى بن عمران وما أنزل الله من التوراة . فأمر الحبرين أن يدعوا الى دينهما في لطف ورفق ففعلا ما أمرهما . فلما رأت ذلك حمير خرجوا الى تبع فقالوا: أهلكتنا بالغزو فصبرنا لذلك ، فأما على ديننا وما كان عليه آباؤنا فلا نصبر لك ، وطالبوه بقتل الحبرين ، فاستنكر منهم ذلك ، ونصحهم أن يكلموهما ويحاكموهما الى من شاءوا . فأجمع رأيهم أن يحاكموهما الى نار في اليمن بصنعاء فانطلقوا حتى أتوا النار فنحروا عليها الجزر وقربوا القربان ، ثم تقرب الحبران فلم يزالا يقرآن من التوراة حتى خرجت لهما فمضيا فيها حتى جاوزاها ، ودعا تبع سادة أهل اليمن ، فاجتمعوا ، وأرسلت النار نحوهم فأحرقتهم ، ونجا الحبران ، وأمر النار أن تطفأ فطفئت .
فثار عليه بنو حمير وقتلوه [٣] .

ونكر الهمداني الروايتين المتضاربتين حول وفاته ، ونبه أن الحبرين المذكورين قد كانا في زمن تبع الأصغر بن حسان بن أسعد ، فهو صاحب الحبرين الذي ملك بعد حسان ، وليس أسعد الكامل كما ورد في بعض الروايات [٤] .

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٣٧
(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٢٥ (تحقيق نبيه فارس)
(٣) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٩٣
(٤) الهمداني ، الأكليل ٢٢١ (تحقيق نبيه فارس)

وبعد الاطلاع على فحوى أسطورة التبع "أسعد الكامل" ، نستخلص منها الخصائص المميزة التالية :

١ - بطل الأسطورة :

يقتضينا الحال الوقوف أمام البطل ، فهو المحور الذي تدور حوله أحداث الأسطورة ، وضمن الراوي صفات البطل المادية والمعنوية العديد من معانيه الانسانية . كما انطوت أفعال البطل وتحركاته على مدلولات معينة جسد بها الراوي معانيه ، وكرسها لخدمة الأثر الذي أراد ايصاله الى السامع . ولنحيط بأبعاد هذه الشخصية التاريخية كما صورتها الأسطورة نفصل القول في جوانبها المختلفة من خلال رواية الأسطورة :

أ - لقد حرص الراوي على أن يكسب البطل صفات خاصة يميزه بها عن غيره من البشر ، فجعل له صفات خارقة منذ طفولته ، فصور ذلك في حكايته الطريفة مع الجنيات الثلاث اللاتي اختبرن قدرته على تحمل المصائب والمهالك ، وذلك من خلال تصرفهن معه ، فشرب الأسقية الممزوجة بالدماء ، واضطجع على الابر وركب حمار الجن الذي أسقطه مسببا له الألم والمرض ، ومر بذلك كله في صبر وقوة عزيمة ، وكأن الجنيات الثلاث يدربنه على تحمل المصاعب التي سيواجهها في حياته ، وحاز أسعد الكامل رضاهن ، وبشرنه ببلوغ المراد أينما حل أو توجه ، فقد وجدن فيه من يستحق الملك والنصر والوصول الى أعلى درجات المجد ، وقد أفصحن عن ذلك :

نحن من الجن يا أبا كرب	يا تبع الخير هاجنا الذعر
فيما بلوناه فيك من تلف	عن غمض عين وأنت مصطبـــــر(١)

وهكذا جعل الراوي اختباره وتدريبه على يد تلك الجنيات اللواتي أعجبن بصبره على الشدائد واحتمال المكاره ، وتوسمن فيه تحقيق كل مايصبو اليه ويبغيه لقوة ارادته وعزيمته ، فعد الراوي ذلك كله شاهدا على امتلاك بطله صفات خارقة لايمتلكها بشـر .

ونجد الراوي يمعن في نسب الخوارق الى أسعد الكامل ، فلا يكتفي بمقابلته للجنيات الثلاث في بداية حياته ، ولكنه جعل له صلة مستمرة بالجن ، اذ كانت له تابعة من الجن تسكن في جبل ينور بالقرب من صنعاء ، ولعله قصد بهذا الاتصال واتخاذ تابعة من الجن امتلاك القدرات الخارقة التي لايستطيع بشر القيام بها ، والاعتماد عليها في انجاز بعض الأمور ، وذلك امعانا في تصوير القدرات الخارقة التي كانت للبطل ، فهي تتعدى الحدود البشرية ، اذ أصبح له توابع من الجن ، يرجع اليهم في تحقيق مآربه ، ويستعين بهم في تأدية أموره الخاصة والعامة .

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢١

ولذلك عندما شعر بدنو أجله أرسل ابنه حسان الى تابعته في ينور ، وأحاله اليها للاستشارة وطلب النصيحة ، وأوصاه باتباع ما تمليه عليه من أوامر ، وعدم الخروج عن ذلك ، وكانت حكاية حسان معها وما كان من اختبارها له وتبينها عدم احتماله للمكاره قائلة "ما أبعد همتك من همة أبيك..." فقد لمست تلك الجنية انفراد أسعد الكامل بتلك الصفات المميزة ، وقصور ابنه عن امتلاك تلك الصفات .

وكأن هذه المقارنة التي عقدها الراوي على يد تلك التابعة من الجن بين أسعد الكامل وابنه حسان اضافة تبين قوة بطل الأسطورة وتفرده بخصاله وصفاته الخارقة دون أن يوجد له شبيه أو مثيل ، فينتاب العجز والقصور ابنه ، ويتخلف عن اللحاق بما كان عليه الأب البطل الأسطوري ، الذي صبر على تلك المكاره وأثبت قدرة كبيرة على التصدي للمصاعب ، فكان ماحقق من انتصارات وما أتم من فتوح في عرض البلاد المختلفة ، ولم يكن تحقيق ذلك كله من قبيل الصدفة أو المجازفة ، ولكنها قدرات خارقة كانت تسير ذلك الملك اليمني ، وتعينه في تنفيذ خططه ، وتكفل له تحقيقها .

ب - ولايتوانى الراوي في اضفاء صفات الشجاعة والبطولة الخارقة على البطل الأسطوري أسعد الكامل . وكانت وسيلته الى تصوير تلك الشجاعة وقوة البأس أخبار الفتوحات التي حققها أسعد الكامل في طول البلاد وعرضها شرقا وغربا . وذكر نشوان تلك الفتوحات في قوله :

كم قاد من جيش أجش لجابـل	وكتيبة تغشى البـلاد رداح
حتى استباح بلاد فارس بالقنا	وبكل أجرد في الجياد وقاح
والترك والخزر استباح بلادهم	والروم منه تتقي بالـراح
والصين تجبى خرجها عمالـه	في بكرة من دهرهـم ورواح
نطح الأعاجم في جميع بلادهـم	بأحد قرن في الوغى نطـاح (١)

كما ظل أسعد رمزا للبطولة في ذهن عدد من الشعراء ولاسيما شعراء اليمن ، فهذا حسان بن ثابت الانصاري يقول من قصيدة طويلة :

وأسعد كان الناس تحت سيوفه	حواهم بملك شامخ ليس يقهر (٢)

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١١٧

(٢) الهمداني ، الاكليل ٨ : ٢٢٥

وسار أسعد في فتوحه بجيش عظيم من القبائل اليمنية فقال فيهم :

سرنا الى الأعداء من أرضنا   لم نك نرجو قفل القافل
في جحفل كالليل من حمير   قد حضروا بالأسل الذابل (١)

ونسب الى أسعد الكامل أيضا افتخاره برجاله وما أثبتوه من شجاعة في قوله :

برجال اذا هم ركبو الخيـ   ـل وساروا في الجحفل الجمهور
تتهادى كأسد غاب عليها   كل درع مسرد مشهور (٢)

ونجد البطل في فتوحه قد خرج من اليمن حتى وصل الى الحيرة ، وخلف بها قوما من القبائل اليمنية التي أقامت هناك . وفي ذلك قال كعب بن جبيل :

وغزا تبع في حمير حتى   نزل الحيرة من أهل عدن (٣)

ثم توجه الى الانبار ، ثم الى الموصل فاذربيجان . وهزم الترك والفرس والروم حتى وصل الى أرض الهند والصين ، وافتخر بذلك في قوله :

والروم أدت خرجها مع فارس   وأتت لنا بخراجها البلدان (٤)

ولاتنس الأسطورة أيضا أن تلج بالملك الى أرض الظلمات ، تلك الأرض المظلمة التي لايرى فيها المرء سوى ليل حالك السواد لاحتجاب الشمس عنها ..

ودخلت في الظلمات أعظم مدخل   من حيث لازرع ولا أوطان

وتكرر المصادر العربية والكتب التاريخية القديمة أخبار تلك الفتوحات وهم مفتونون بشجاعة الملك اليمني وقوة بأسه ، مع اختلاف كل رواية عن الأخرى اختلافا طفيفا ، مما يدل على وجود الصبغة الأسطورية سمة لاخبار تلك الفتوحات ، ولذلك اتسمت باختلاف الروايات ، وبتسلسل غير منطقي للفتوح ، مغلف بمبالغات الرواة وأهل الأخبار في نسب البطولات العجيبة للبطل الأسطوري كما مر بنا .

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٨
(٢) المصدر السابق ١٢٥
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك والأمم ١ : ٦١٢
(٤) ابن الديبع ، قرة العيون ١ : ٣٧١

ج - لايكتفي الراوي باسباغ صفات الشجاعة والبطولة وقوة البأس ، ولكن يضفي على بطل الأسطورة صفات معنوية ، ظل العربي يفخر بها طويلا ، كصفات المروة والنخوة والكرم والصبر على الشدائد ونجدة الضعيف عند حاجته • ويفخر تبع بصفاته المعنوية وما كان عليه من خلق رفيع وخصال حسنة حين قال :

لست بالفاحش القطيع وليست شيمتي أن أكون باغ حسودا
الحق الخدن ذا الصفاء بودي وأرمي العدو حتى يغيدا (١)

ويفخر تبع بصفاته ومكارمه فيقول :

سيذكر قومي نجدتي ومكارمي ويدخل باب العز من كان جاهلا
بنيت لهم مجدا مع النجم سمكه وصيرته للعالمين معاقلا (٢)

فجعل قومه يعزون ويفخرون بما حققه لهم من مجد وصيت طيب الذكر بين المحيطين به •

ولاينس البطل أن يفخر بما يتسم به من شمائل وخصال حميدة تنم عن كرم المحتد في قوله :

سلي تخبري عن كل محض الشمائل وعن كل فياض اليدين مقاتل
لتستيقني أنا أرومة معشر كرام جدود من ملوك أفاضل (٣)

وينتصر بطل الأسطورة لامرأة من الشام تلجأ اليه شاكية مما حاق بها من ظلم بين قومها في الشام ، ولاتجد لدى ملك الشام أذنا صاغية لشكواها فتتوجه الى الملك اليمني أسعد الكامل الذي يعدها خيرا ، ويعد العدة لغزو القوم والانتقام لتلك المرأة التي أقبلت اليه مستنجدة مستغيثة • فقال في ذلك :

نحن نصرنا أم عمرو الشفا ولم أكن عن نصرها خافل
نحن قتلنا عاقرا كبشها وكان عن صولتنا غافل (٤)

ويلفت النظر أن تكون المرأة من الشام وألا تجد في ملك الشام نجدة وعونا لها ، فلا ينصف لها ممن ظلمها ، ونلمح في هذا الموضع من الأسطورة ظلال العصبية اليمنية ضد قيس ، فاليمن تستجيب لدعوة المظلوم ، في حين لاتنصفه الشام أو تأخذ

---

(١) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٧١
(٢) المصدر السابق ٤٥٣
(٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٣٣
(٤) المصدر السابق ١٣٠

بحقه ، وتأتي المرأة الشامية الى الملك اليمني الذي ينتصر لها ، وهي من البداية تقبل على ملك الشام ملوحة بوجود الملك اليمني الذي سينصفها اذا لم ينصفها ملك الشام .. وهكذا يتم انتصارها وحصولها على حقها المسلوب بعد أن قام الملك اليمني أسعد الكامل بغزو قومها والثأر لها .

وفي سياق الحديث عن ذكر العصبية القحطانية لاتظهر في الأسطورة ضد قيس أو الشام فحسب ، ولكنها أيضا تتجلى ضد معد في قوله :

نحن ملكنا الأرض لم يعصنا ... في الأرض من حاف ومن ناعل
سائل معدا عندها علمنا ... وليس من يعلم كالجاهل (١)

فلم يجد الراوي شاهدا على ماحققوه من فتوح عظيمة سوى معد التي يحرصون على الوقوف أمامها موقف المنتصر الذي حقق أمجادا عظيمة ، وان كانت تلك الأمجاد غابرة أو قديمة ، فمازال الراوي يتذكرها ويصوغها ملاحم يتغنى بها ويطول بها على من حوله .

د - نجد بطل الأسطورة حكيما ، عارفا بعلم النجوم والفلك ، مسلما ، مؤمنا بالله ورسوله ، قبل ظهور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وينعى على ذلك نشوان ، ويضيف أن النبي (ص) قد نهى عن سبه (٢)، ثم نقل ايمانه بالله ورسوله مستشهدا بالقول المنسوب اليه :

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عم
والزمت طاعته كل من ... على الأرض من عرب أو عجم

فلا يكتفي بالبشارة بالنبي (ص) ، ولكنه يتمنى لو مد الله في عمره ليكون عونا له في نشر الدعوة الاسلامية .

ويروي عبيد بعد هذه الأبيات قوله :

فلو مد دهري الى دهره ... لكنت وزيرا له وابن عم
وكنت ظهيرا على المشركين ... أسقيهم كأس حرب وهم (٣)

وتلفت النظر عبارته (وكنت ظهيرا على المشركين) ، وهي تعبير اسلامي بحت .

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٩

(٢) المصدر لسابق ١٢٢

(٣) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٦٨

ويذكر البطل الأنصار وما يكون من نصرتهم للرسول (ص) في يثرب حيث يذودون عنه أذى الخصوم ، وينذرون أنفسهم لنصرته ، فهم حماته المخلصون :

ولذاك النبي منا حماة   من يرامي عن دينه ويحامي
معشرا وتروا بأحمد قدما   ببلاد النخيل والآطام
كلهم ناصر ومن نصر الـ   ـحق أضاءت له فجاج الظلام (١)

ويمر أسعد بالبيت ويكسوه الانطاع المذهبة اليمانية ، ويطوف به مؤديا الشعائر الدينية ، وينحر الذبائح ، وفي ذلك يقول نشوان :

وكسى البنية ثم قرب هديه   سبعين ألفا من بنات لقاح (٢)

ويبدو ايمانه بأن كل شيء الى فناء ، مهما بلغ المرء في درجات المجد ومهما حقق من نصر وسؤدد ، فكل جديد الى بلى وكل ملك الى زوال ، نلمح هذه المعاني في قوله :

وعلمي بملكي سوف يبلى جديده   ويرجع ملكا كاسف اللون ماحلا
وملك جميع الناس يبلى وملكنا   على الدهر باق ذكره زائلا (٣)

ويستدرك بطل الأسطورة في حديثه عن زوال الملك وبلاده ، ويستثني ملكهم لما حققوه من منجزات عمرانية ، ويفهم معنى قوله والحكمة منه اذا عرفنا أنه قيل بعد الفخار بذكر ما شادوه من بناء سامق ، بعد الحديث عن قصور اليمن الشامخات .

وينص البطل على ايمانه بفناء ملكه ، فهو لايأمل في الخلود الذي لا مجال لنيله حين قال :

وصفا ملكنا لنا غير أني   لست أرجو مع الفناء خلودا (٤)

كما يؤمن البطل باستحالة الخلود لكل كائن حي ، فهو يعلم أن الحياة الى فناء والموت نهاية حتمية لجميع الكائنات (٥):

من ذا الذي ورث ولم يمت   أم هل لحي في الحيادة خلود
اني لأعلم في المواطن أنني   يوما سأهلك والحياة تبيد

---

(١) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٧٠
(٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير ١١٧
(٣) المصدر السابق ١٢٤
(٤) المصدر السابق ١٣٥
(٥) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٦٢

ومما يجدر ذكره أن التوحيد كان قد بدأ ينتشر في اليمن ، وظهرت الصيغة التوحيدية الأولى في نقوش وضعها ملككرب وولداه أسعد وذرا أمر في ظفار .[١]

وصور البطل أسعد الكامل حكيما ، ضمن الأشعار المنسوبة اليه معاني الحكمة والنظرة المجربة في الحياة ، ولذلك عندما مرض وشعر بدنو أجله أوصى ابنه حسانا بأبيات تجلت فيها الحكمة ، منها قوله :

واحذر صروف الزما فان بدا ... منها السرور فمالهن أمان
فلربما عز الذليل وربمـــا ... ذل العزيز وهكذا الانســان

فهو يؤمن بتقلب الأحوال وما يمكن أن يحيق بالمرء من عز أو هوان يقلب حياته رأسا على عقب ، فلا أمان لصروف الزمان ، وكأنما خشي أن يصيب اليأس ابنه حسانا ، وأراد أن يبث فيه روح الشجاعة والتفاؤل بتحقيق النصر ، فأردف يقول :

واعلم بني بأن كل قبيلة ... ستذل ان نهضت لها قحطان[٢]

مذكرا اياه بما كان للقبائل القحطانية من باع طويل في تحقيق النصر والسيادة والمجد ، ثم يوصي ابنه حسان محذرا اياه من العجز والتواكل ، فعليه مهام جسيمة في تحمل المشاق والحفاظ على ماحققه الاسلاف ، يقول منها :

اياك ياحسان والعجز الذي ... يزري بمثلك والعروض تصان[٣]

ولايكتفي الراوي باسباغ تلك الصفات والشمائل على البطل الأسطوري ، ولكننا نجده يجمع تلك الخصال كلها في قوله "لم يكن قبل أسعد ولابعده ملك مثله ، وسمي الكامل لكماله في أمر الدنيا والآخرة".[٤]

فليس بعد الكمال مرتبة يمكن أن يرتقي اليها بشر ، ولم يدخر الراوي وسعه في ايصال بطله الأسطوري اليها ، وتحليه بها .

وبعد الحديث عن بطل الأسطورة نعود الى الخصائص الأخرى في هذه الأسطورة :

---

(١) بتروفسكي ، ملحمة عن أسعد الكامل ٦٧
(٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير ١٣٥ ، وأنظر ابن الديبع قرة العيون ١:٢٧١
(٣) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٢٢٤
(٤) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٣٣

٢ - تعلو في هذه الأسطورة نبرة الفخر ، ويزيد الاعتداد بقدرة القبائل القحطانية على تحقيق المجد والانتصار على من حولهم من القبائل الأخرى ويرمز الى تلك القبائل بحمير في قول نشوان :

فحمير سادات الملوك وخيرها   وهم من قديم الدهر سادوا القبائلا (١)

ويفخر أسعد الكامل بقومه وما حققوه :

الا أن قومي هم حميـــــر   هم الأصل والعز والمفخر
هم شرفوا المجد حتى انتهى   فما نال بنيانهم معشر (٢)

ويفخر أسعد الكامل بانتشار ملكهم في الأرض منوها بشجاعتهم وشدة بأسهم على الأعداء في قولـه :

قحطان أسد ســادة يمنيـــة   غلب تهاب لقاءها الأقران
أنيابها القضب الحداد اذا هوت   لقرينها ورماحها الأشطان (٣)

ويفخر الملك أسعد الكامل بنفسه ثم بجدوده من الملوك الأوائل ، ويجلجل في حماسة بالغة متعاليا ، فيقول :

وانا أبوكرب وخالي ياســر   ذو التاج ينعم وابنه شادان
نحن الملوك بنو الملوك مقاول   ولنا أساس الملك والسلطان (٤)

ولايكتفي أسعد الكامل بذلك الفخر وماحققه قومه من مجد ، ولكنه يحجب المجد عن غيره ، ويقصره على قومه الذين لم ير مثلهم في الأرض ، فدانت لهم البلاد والعباد (بسمر القنا والمرهفات الفواصل) ، في قوله :

حجبنا بناء المجد طرا فلم ندع   بما قد حجبنا من محل ونـــازل
وطفنا بلاد الله طرا فلم نجـد   ولم نر قوما مثل قومي الأفاضل
أبونا الذي ساد البلاد وساسهـا   بسمر القنا والمرهفات الفواصل (٥)

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٣
(٢) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٥٨
(٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٣٥
(٤) المصدر السابق ١٣٦
(٥) المصدر السابق ١٣٤

وينساب افتخار الشاعر بقومه في صراحة مباشرة لايجد في اثباتها حرجا أو صعوبة ، ويستشهد بسيادتهم للبلاد من حولهم ٠

وبعد أن افتخر الراوي أو الشاعر - في شخصية البطل - بما حققه قومه من مجد وسؤدد ، وما كانوا عليه من شجاعة وشدة بأس ، نجده يعرج على ما أنشأه قومه من عمران يثبت ماكانت عليه حضارتهم ، ويفخر بما أنشأوه ، وفي قصورهم شاهد على مصداق حديثه ، فقال :

أريك ذرى قحطان حيث ابتنى لها　　　أبوها قصورا حكمت بالجنادل (١)

ثم يذكر قصر ريدان في ظفار ، وضمن أبياته وصف الجنات والسدود في أرض يحصب ، فقال :

وريدان قصري في ظفار ومنزلـــي　　　بها أس جدي دورنا والمناهلا
عن الجنة الخضراء من أرض يحصب　　　ثمانون سدا يقدف الماء سائلا
مآثرنا في الأرض تصدق قولنــــا　　　اذا ماطلبنا شاهدا ودلائــــلا (٢)

وأخذ يذكر قصورهم ومدنهم في نبرة يشوبها الفخر والاعتزاز ، وذلك في قوله :

ويبنون مبهمة بالحديـــد　　　وأبوابها الساج والعرعر
وشهران قصر بناه الـــذي　　　بناه يبينون قـــد يشهـــر
ومأرب قد نطقت بالرخـام　　　وفي يدها الذهـب الأحمـــر

ثم يعرج على ذكر غمدان الذي ملأت شهرته الآفاق في قوله :

وغمدان حصن لنا مشرف　　　مآجله حوله تنهـــر (٣)

ويذكر أيضا عزهم في غمدان الذي كان في منعة القوم وحماهم :

فأمسيت في غمدان في خير محتد　　　منيعا بها أسد الجدود الماحلا (٤)

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٣٣
(٢) المصدر السابق ١٢٤
(٣) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٦٠
(٤) نشوان الحميري ، ملوك حمير ١٢٤

وعندما يشعر أسعد الكامل بدنو أجله يدعو لغمدان بطول البقاء والمنعة والحماية :

حميك ياغمدان من بعدنا ولست للتعطيل بمستاهل[١]

فيدعو للقصر بطول البقاء في عز ومنعة بعد رحيله ، طالما حرص القوم على توفير الحماية له ، انه يدعو لغمدان بعدم التعطيل والخراب ، فهو لايستحق أن تأتي عليه تلك الحال ، بعد أن شهد أمجاد القوم وسيادتهم فيه .

٣ - كثر الشعر في هذه الأسطورة وجاوز كثرة الأشعار الموجودة في الأساطير اليمنية الأخرى ، ولعل ذلك ماحدا بالباحث السوفيتي بتروفسكي الى تسمية كتابه "ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل" ، ولو قدر لهذه الأشعار بعض التنسيق والتقديم والتأخير ، مع طول النفس الشعري في بعض المواضع لوصلت الينا على نحو لايقل عما نجده لدى شعراء الاغريق في ملاحمهم المعروفة .

ولانستغرب كثرة الشعر في هذا النمط من الأساطير فالأمر متعلق بالشخصية اليمنية ، والبطولة اليمنية حيث تعلو نبرة الفخر والاعتزاز ، واجترار الأمجاد القديمة ، وليس كالشعر يؤدي مثل هذه المعاني ، ويستطيع الراوي أن يضمنه معانيه في سهولة ويسر كما نجد ذلك في العديد من أبيات الفخر والحماسة .

ولاشك في أن هذه الأشعار منحولة لقائليها ، ولكننا لانحقق هنا في النسبة الحقيقية لقائلي هذه الأشعار والأخبار ، ولكن تهمنا المادة الفنية التي كونت الأسطورة عموما ، والشعر عمادها في هذا النوع من الأساطير . وتهمنا المعاني الانسانية التي تضمنها هذا الشعر ، وراويها يمني سواء كان السابق أو اللاحق ، فسمة الشعر يمنية ، واثبات يمنية الراوي في هذا النمط من الأشعار والأساطير مسألة لايختلف فيها اثنان كما لمسنا .

ونلاحظ غلبة الضعف والركاكة على بعض الأبيات المنسوبة الى بطل الأسطورة ، واختلاف نفسها عن أبيات سابقة اتسمت ببعض الرصانة والجودة ، ويمكن أن نلفت النظر الى بعض هذه الأبيات التي يظهر فيها علم الملك اليمني بالنجوم ، فيبدأ البيت بلفظة "ثم" في عدد من الأبيات ، واذا عدل عنها يعود اليها ثانية ، على نحو يقرب بها من اللغة العامية .. كقوله :

ثم بالفرغ مقدم الدلو صرنا بعد ايغالنا بخير المصير[٢]

---

(١) انظر البحث ص ٢٨٦

(٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٦ - ١٢٧

ولاترقى رائيته هذه الى قوة النفس الشعري الذي نلمسه في لاميته حين يبدأها :

أنعم صباحا أسعد الكامل   يا ناقما بالثار والتابل (١)

ومن الواضح اختلاف النفس الشعري في القصيدتين ، واختلاف مستوى جودته وتعبيره عن المعاني ، مما يدلنا على أن القصيدتين لم ينظمهما شاعر واحد ، على الرغم من نسبة الراوي للقصيدتين الى بطل الأسطورة الملك اليمني أسعد الكامل ، وهذا شأن الأساطير في حياة القوم ، حيث يظل اللاحق يضيف الى مارواه السابق ، وعند التدوين تحتشد الروايات والمنظومات في ذهن الراوي ليصوغها لنا كما وصلت اليه ، أو كما استطاع اخراجها من مخزون ذاكرته ، وربما كان الراوي شاعرا كما كان حال نشوان ، فيجد في المجال - حينئذ - متسعا للادلاء بدلوه ، والافصاح عما تجيش به نفسه للمشاركة في الملحمة القومية لقومه ، لاسيما وأنه يمني ، تحرك مثل تلك الروايات نوازع القول في نفسه ، فيندفع الى النظم والرواية حول مايعن له عرضه من حوادث وشخصيات ، ، ويضمنها آراءه ونظراته ومشاعره تجاه الأخبار القديمة ، لتصل الينا سجلا حافلا بالفخر والاشادة باليمن ، وماحققه اليمانيون في الأزمان الغابرة ٠

٤ - يميل الراوي في هذه الأسطورة الى استخدام الرموز الواضحة المفسرة ، ويتمثل ذلك في الاستعانة بالجنيات الثلاث ، وحكاية أسعد الكامل معهن ، فكل خطوة خطونها معه يعدها الراوي رمزا لتحقيق شيء ، من ذلك سقوط الحمار به واصابة عظامه بالرضوض ، وفراش الابر الذي اضطجع عليه ، والاسقية التي اختلط بها الدم بالخمر ٠٠ كل تلك الأمور جعلها الراوي مظاهر ورموزا تفسر بقوة الاحتمال والصبر على الشدائد والمكاره وعدم الخوف وتهيب المعارك ، فكانت رموزا واضحة أوجد تفسيرها سريعا على لسان الجنيات أنفسهن ٠

ومثل ذلك في ذهاب حسان الى تابعة من الجن قد أحاله أبوه أسعد الكامل اليها ، وصدرت منها أمور حار حسان في تفسيرها ، ورفض الامتثال لها ، فرفض القعود على كرسي عليه من الدود والحيات والعقارب ، كما رفض أكل الرؤوس وشرب الدماء ، ونجد تفسير هذه الرموز التي لجأت اليها الجنية مع حسان على لسان أبيه عندما عاد وأخبره بما حدث له معها ، فلامه وأفصح له عن تفسيرها وتوضيحها كما مر بنا ٠

ونلاحظ أن الراوي يستخدم تلك الرموز التي لاتخفى طويلا على السامع ، فتفسر في سياق الأسطورة بوضوح جلي ، مرة على لسان الجنيات الثلاث ، ومرة على لسان أسعد الكامل نفسه في وصيته لابنه ، ولعل الراوي لجأ الى هذه الرموز

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٨

للتمثيل وتجسيد معانيه ليقرب مضمونها الى ذهن السامع ، وليحسن تمثلها في نفسه تمثلا واعيا مدركا لحقيقة مدلولاتها ، فعمد الراوي بهذا التمثيل الى الايجاز ، وأغناه ذلك التصوير عن تدبيج الصفحات الطوال في ايصال معانيه الى السامع واقناعه بها ، اضافة الى حاجة الأسطورة الى جو الغرابة والكائنات الخفية (الجن) ، وما تأتيه تلك الكائنات من تصرفات يعلو فهمها عن مستوى افهام العامة من الناس ، ولا يتجلى ادراكها الا لمن أوتي حظا من الذكاء والحكمة والعلم كالملك اليمني أسعد الكامل .

٥ - تجلت في هذه الأسطورة المعاني الاسلامية المختلفة ، مما يجعلنا نجزم بأن روايتها كاملة تمت بعد الاسلام ، بل أن نشوء فكرتها لم يظهر الا بعد ورود ذكر تبع في القرآن الكريم ، وفتن رواة اليمن بشخصية الملك اليمني فجعلوه تبعا المذكور في القرآن الكريم ، وكعادتهم - دوما - أوجدوا المطابقة بين الشخصيتين وهكذا تحول أسعد الى شخصية مذكورة في القرآن ، وذلك لشهرته وما كان له في القلوب من ذكرى حسنة عن القوم ، متلمسين بذلك الصلات بين ملوكهم القدماء والشخصيات المذكورة في القرآن كما لمسنا ذلك في أسطورة ذي القرنين .

ونلمس المعاني الاسلامية في مواضيع متعددة من هذه الأسطورة ، فننظر الى ذلك الآتي الى الحارث الرائش وهو في كهف في جبل ، ويخاطبه في أبيات ضمنها المعاني الاسلامية ، ونجده يذكر صروف القدر في الانسان ، وعدم نجاة الانسان مما كتب له في قوله :

الدهر يأتيك بالعجائب والأيـ ... ـام والدهر فيه معتبر
بينا ترى الشمل فيه مجتمعا ... فرّقه في صروفه القـدر
لاتنفع المرء فيه حيلته ... مما سيلقى يوما ولا الحذر (١)

ويختتم قصيدته نفسها بالحمد لله تعالى الذي له البقاء وحده - كعادة شعراء اليمن المتأخرين - ويضمنها ذكره لعدد من أسماء الله الحسنى ، في قوله :

انا وجدنا هذا يكون معا ... في علمنا والمليك مقتدر
والحمد لله والبقاء لـه ... كل الى ذي الجلال مفتقر (٢)

وورد على لسان أسعد ذكر عدد من أسماء الله الحسنى في هذا البيت :

ثم بالعون للأعادي نزلنا ... 'فغا الواحد القدير الكبير (٣)

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١١٩
(٢) المصدر السابق ١٢١
(٣) المصدر السابق ١٢٦

ويرد ذكر بعض أسماء الله الحسنى أيضا في قوله :

لم تزل حمير لها الفضل في النا　　　س عطاء من واهب فنان(١)

كما جاء على لسانه أيضا :

أثني على الله بآلائه　　　الواحد المقتدر الفاعل
في كل ما أولاه من آجل　　　وكل ما أعطاه من عاجل(٢)

فهو يحمد الله في كل ماسنه وقضاه من عاجل أو آجل ، ويظهر في قوله الايمان العميق بارادة الله وحق قضائه ، ثم يشهد الله على ماحققه قومه ، فهو خير شهيد في قوله :

ان قومي هم الملوك بحق　　　شهد الله وهو خير شهيد(٣)

ونقرأ على لسان تبع أبياتا ضمنها تأييده للنبي (ص) ، واختتم الأبيات بعبارات وألقاب للرسول (ص) ورد ذكرها بعد نزول القرآن بمدة ، وذلك في قوله :

وهو أحمد سيد المرسلين　　　وأمة أحمد خير الأمم
هو المصطفى وأخو المرتضى　　　وأكرم من حملته قدم(٤)

وحرص الراوي على أن يجعل الملك اليمني مؤمنا مسلما كما نص على ذلك صراحة ، بل نص أن ايمانه بالله كان بعد ضلال وطول عماية فقال :

وعرفت ربي بعد طول عماية　　　أو بان لي من منّه البرهان(٥)

فقد شهد أسعد برهان ربه ساطعا ، لايقبل الشك فكان ايمانه الوثيق به .

وكان يحرص على ايمان القوم بالله بعد فتحه البلاد ، كما جاء على لسانه :

فملكت أرض الروم أحسن بلدة　　　ومضى هرقل وأسلم الطلبان(٦)

---

(١) عبيد بن شرية ، التيجان　٤٧٣
(٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن　١٢٨
(٣) عبيد بن شرية ، التيجان　٤٥٧
(٤) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن　١٢٢
(٥) الهمداني ، الأكليل　٨ : ٢٢٤　(تحقيق فارس)
(٦) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن　١٣٥

فأصبحت أرض الروم مسلمة بعد أن أخضع الطلبان ومضى هرقل ، وتذكرنا هذه الرواية بأسطورة ذي القرنين وشبه فتوحاته للفتوحات الاسلامية المتأخرة .

واسلامه ينطوي على ايمانه بفناء الكون والبقاء لله وحده ، في قوله :

كل ملك يفنى سوى ملك ربي   فله ملكنا حميدا مجيدا (١)

ويؤمن أسعد الكامل بأن الموت نهاية حتمية للعباد ، فلا يخلد أحد من الناس ، ولاينكر الموت اذا حان موعده ، ولابد من تنفيذ القدر :

فان يفن قومي منايـاهـم   وماتوا جميعا فلا أخسر
فكل يموت كذاك العبـاد   ولابد من قـدر يقـدر
فلا الناس لو عمروا يخلدون   ولا الموت من ربنا ينكر (٢)

ولايكتفي الشاعر بالاعتراف بحتمية الموت ، ولكنه يعلم بيوم الحساب ، فتحقق النجاة للمتقين ، عبر عن ذلك المعنى الاسلامي في قوله :

فاعلم بأنك ميت ومحاسب   يوما فينجو متق وسعيد (٣)

ويذكر مآل الأحياء الى التراب ، ثم يذكر يوم البعث حين تبعث العظام وهي رميم ، ويعرض بما أعد الله للكافرين من عقاب وعذاب في النار في قوله :

نموت ونترك الدنيا لقوم   ونصبح بعد جدتنا ترابا
فيبعثنا وقد كنا رميما   فيخلقنا وقد نخرت صلابا
وينشرها فيكسوها لحوما   ويبعثنا كما كنا شبابا
أعد الله للكفار نـارا   أحاط بهم سرادقها عذابا (٤)

وهو يخاف تلك النار التي أعدها الله للكافرين ، لذلك قال في احدى قصائده أنه أقبل على زيارة البيت وكسوة الكعبة رغبة في التقرب من الله ورجاء عفوه ، وخوفا من عذاب جهنم وحرها ، في قوله :

أرجو بذلك عند ربي زلفة   وحذار حرق جحيم موقد (٥)

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن   ١٣٢
(٢) عبيد بن شرية ، التيجان   ٤٦٠
(٣) المصدر السابق ،   ٤٦٣
(٤) المصدر السابق ،   ٤٩٢
(٥) المصدر السابق ،   ٤٦٧

ثم يفصل القول فيما يلقاه الكافر الشقي من عذاب على يد حراس شداد في جهنم ، فيقول :

اذا قرنوا الشقي وصار فيها	علوه بالمقامع ثم غابا
وصبوا فوق رؤوسهم حميما	وأسقوهم وكان لهم شرابا

ونلاحظ اقتباس الشاعر لمعاني وألفاظ بعض الآيات القرآنية الكريمة في تعبيره عن معانيه ومدلولاته . وقد جاء في حديثه تعالى عن حال الطاغية في جهنم "لايذوقون فيها بردا ولا شرابا ، الا حميما وغساقا" [١].

ويثبت الراوي ايمان الملك بالله واتباع تعاليمه بطوافه وتأديته المناسك الدينية من طواف وسجود ونحر أضحيات[٢]. وهو أيضا يكسو البيت الأنطاع اليمنية المذهبة ، ويحرص على تأدية الحج خشية من العقاب ، وللظفر برحمة الرحمن ، في قوله :

وكسوت بيت الله أعظم كسوة	حذر العقاب ويرحم الرحمن [٣]

ويذكر الراوي على لسان البطل كيف خلق الله سبع سموات عظام ، تزينها النجوم كالمصابيح المضيئة ، ليهتدي الناس بنورها :

أنيبوا للذي وضع الكتابا	وسوى دونه سبعا صلابا
فسواهن سبعا مشرفات	عظاما حين تنظرها وعابا
وزين هذه الدنيا نجوما	تناثر عند مغربها أنصبابا
مصابيحا يضئن بكل أفق	هدى للناس تنسرب انسرابا [٤]

وتذكرنا أبيات الشاعر بما جاء في مستهل سورة الملك ، في قوله تعالى "تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق سبع سموات طباقا ، ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور." [٥] ثم في قوله تعالى في السورة نفسها "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ، وجعلناها رجوما للشياطين ، وأعتدنا لهم عذاب السعير" [٦].

---

(١) سورة النبأ ، الآيات ٢٤ ، ٢٥

(٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٣٤

(٣) المصدر السابق ، ١٣٦

(٤) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٩٢

(٥) سورة الملك ، الآيات ١ - ٣

(٦) سورة الملك ، الآية ٥

ثم يستمر الشاعر في القصيدة نفسها يناجي ربه معترفا بعلوه الذي لايعلو عليه شيء ، ويعترف بعلمه الغيب والأسرار في قوله :

علوت فليس فوقك رب شـيء   وما شيء يدانيك اقترابـا
علمت الغيب والأسرار منا   وتعلم من أساء ومن أثابا

وقد وردت هذه المعاني في القرآن الكريم ، في العديد من الآيات الكريمة ، كما وجدنا في التوراة في سفر دانيال تأكيد صفة عالم الأسرار في "يوجد اله في السموات كاشف الأسرار" ، ويخاطب دانيال الملك بقوله "وكاشف الأسرار يعرفك بما يكون..." (١)

٦ - الأثر الديني الآخر :

لقد وضح الاهتمام بموضوع المصير في الأشعار السائدة في هذه الأسطورة ، ويقصد به مصير الانسانية عامة ، وارتباط ذلك بموضوع القدرة ، وقد عكست هذا الاهتمام أكثر من قصيدة نسبت الى بطل الأسطورة ، أسعد الكامل ، وأظهر بتروفسكي تطابق الزمن والمصير في هذه الأشعار ، مرجعا هذا التطابق الى تأثير التفكير والتصورات الايرانية المأخوذة عن ذورفان (الاب) واهورامزدا وانغرومانيا واله الأبدية والمصير ، الذي انتشرت عبادته في المملكة الساسانية كثيرا .(٢)

وأستبعد ذلك التشابه والتأثر بالمجوسية ، ولماذا نذهب بعيدا ونشطط القول ونحن نعلم أن هذه الملحمة قد كتبت بعد الاسلام ، واتخذت روايتها الشكل النهائي بعد ظهور الاسلام ، وهذا يعني معرفة القوم للكثير من المعاني ومدلولاتها من الألفاظ فيما يخص القدر والمصير المحتوم والفناء والحساب والعقاب ويوم البعث والنشور ، كما لاحظنا ذلك في ظهور المعاني الاسلامية البارزة في الأشعار المنسوبة الى بطل الأسطورة .

والباحث نفسه يعترف في موضع آخر من كتابه أن الجزء الأعظم من الملحمة عن أسعد الكامل قد تشكل في فترة نهاية النصف الأول للقرن السابع والنصف الثاني للقرن الثامن الميلادي(٣). وذلك يعني تكونها بعد ظهور الاسلام بمدة تجاوز القرن .

---

(١) التوراة ، سفر دانيال ، الاصحاح الثاني ، الآيات ٢٨ - ٢٩
(٢) بتروفسكي ، ملحمة عن أسعد الكامل ٩١
(٣) المصدر السابق ٩٩

وفي الواقع نلمح في الأشعار المنسوبة الى البطل الأسطوري الأثر اليهودي في أكثر من موضع ، ولانستغرب ذلك فاليهودية في اليمن لها جذور ثقافية لدى رواة اليمن وبعضهم قد كان من يهود أو متهودة اليمن من مثل كعب الأحبار .

كما نتبين الأثر اليهودي في بعض أحداث الأسطورة ، فقد عرفنا في سياق الأسطورة رواية تجعل بطل الأسطورة هو تبع الذي أحضر الحبرين معه من يثرب الى اليمن ، ونصحاه باتباع اليهودية فاتبعها ، وحث قومه على اتباعها ، وثبت الحبران أمام النار التي حاكمهما اليها أهل اليمن . وحتى تكملة الحكاية كما عرفنا ذلك عند دخول الديانة اليهودية الى اليمن . كما كان الحبران هما اللذان نصحا تبعا بزيارة الكعبة عندما مرض ، فقام بما قام به من زيارة الكعبة وكسوتها ونحر الذبائح ، فثبت ايمانه بالله . ونجد في سفر دانيال تجربة شبيهة بما مر به الحبران أثناء تعرضهما للنار دون أن تصيبهما بأذى ، فقد تعرض حكماء بابل للنار التي نصبها لهم نبوخذ نصر ولكنها لم تمسهم بسوء لايمانهم بالله .(١)

فالتأثير اليهودي بارز في هذه الحكاية التي يدرجها بعض الرواة في أسطورة أسعد الكامل ، وينص آخرون أنه ليس هو المقصود وانما أحد أحفاده اللاحقين من التبابعة ، كما أسلفنا .

ويلمح الأثر اليهودي في بعض الأشعار المنسوبة الى بطل الأسطورة فنسب الرواة اليه قوله في معرض الفخر :

قد كتبنا مساندا في ظفار   وكتبنا أيامنا في الزبور(٢)

والزبور من كتب العهد القديم .

ونسب الرواة قصيدة الى أسعد الكامل يفخر فيها بما حققت لهم القبائل القحطانية في البناء والعمران ، وذكر في أحد أبياتها داود ، وهو أحد أنبياء بني اسرائيل في مزامير العهد القديم ، قال تبع :

جعلتها سراة قحطان حصنا   ورثوا صنعهن من داود(٣)

ويذكره أيضا في قوله :

حشو الحرير لباسنا في أهلنا   ولباسنا يوم الهياج حديد
من نسج دواد النبي ونسجنا   نسج يشد قتيرها المسرود(٤)

---

(١) سفر دانيال ، الاصحاح الثالث

(٢) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٢٨

(٣) عبيد بن شرية ، التيجان ٤٥٧

(٤) المصدر السابق ، ٤٦٢

لقد كنى الشاعر عن الشجاعة والقوة بنسبة النسيج الحديد أو الدروع الحديدية الى داود ، وجعل قومه يشاركون داود امتلاك صفات القوة وشدة البأس (من نسج داود النبي ونسجنا) .

قصـــر غمـــدان

لقد أولع رواة اليمن بذكر مآثره التاريخية ، وظلوا يمتحون طويلا مما شاده قدماء قومهم من بناء وعمران ، متخذين من أخبار تلك المنشآت العمرانية شاهدا ودليلا على حال ملوكهم القدماء من حضارة وتقدم معماري ، فأنجزوا السدود العظيمة والقصور الشامخة التي طالوا بها في الأزمان الغابرة وظل رواتهم على مر العصور يرددون أخبار تلك المنجزات العمرانية ، وما كانت عليه من عظمة وفخامة وأحاطوها - كعادتهم - بقدر كبير من حكاياتهم الأسطورية ، وحرصوا على ملء تلك الحكايات بالأشعار المتضمنة حسراتهم وأسفهم على ماض زاهر قد ولى واندثر ، متخذين من حال قدمائهم عظة وعبرة في تقلب الحال اذا قضى الله أمرا كان مفعولا مستشهدين بزوال تلك القصور بعد وقفتها الشامخة في يوم ما ، وفي كل ذلك تشوب أشعارهم نبرة الفخر والاعتزاز بما حققه قدماؤهم وما شادوه .

ولم يقتصر اهتمام الرواة على الشخصيات اليمنية وملوك اليمن القدماء ، ولكنهم اهتموا أيضا بأخبار قصورهم الشامخة ومبانيهم العظيمة ، وكما أحاطوا قدماءهم بالأساطير والحكايات ، فهم أيضا أحاطوا تلك المباني والقصور بالحكايات الطريفة والقصص الأسطورية .

ونقل نشوان الحميري أبياتا للشاعر الربيع بن ضبع الفزاري ذكر فيها عددا من قصور اليمن ، حين قال :

وغمدان اذ غمدان لا قصر مثله	زهاءا وتشييدا يحاذي الكواكبا
ومأرب اذ كانت وأملاك مـــأرب	توافي جباة الصين بالخرج مأربا
وأصحاب بينون وأصحاب نـاعـط	خلا ملكهم منهم وأصبح عازبـــا (١)

فذكر الشاعر - الى جانب قصر غمدان المشهور - عددا من قصور اليمن كقصر بينون وقصر ناعط ، كما أشار الى ما شادوه في مأرب ، ويقصد بذلك السدود العظيمة ، ولايكاد الشاعر ينتهي من ذكر القصور وأصحابها حتى يأتي على ذكر زوال ملكهم وخلو الدار الشامخات منهم . وهذا الشاعر دعبل بن علي يذكر ما كان عليه غمدان وبعض قصور اليمن في قوله :

منازل العز غمدان والنخد	فمأرب فظفار الملك فالجند (٢)

---

(١) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ٢٢

(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥١ (تحقيق فارس)

ويذكر الهمداني مدن اليمن العجيبة وقصورها الفخمة مشيرا الى منعتها وعزتها في كنف ملوكها ، فأصبحت منهم خلاء ، بعد زوالهم ، فقال :

ابن الذين بنوا غمدان واحتفدوا	ضهروا وشاعطا السامي الذرى شاس
من دون كاهله بيض الأنوف فلـم	يلمّ ذو حيد منه بفرنـاس
ومأربـا بالرخام المستزاد لـه	والقطر منه بأكراس وأكراس
ومن بني ارما ذات العماد ومن	براقش ومعين رب قنعـاس
وابن ساكن بنيـون وعامرهـا	أمسوا وداثع صفـاح وأرماس (١)

فالهمداني يماني يتحسر على من خلف تلك المدن وشاد تلك القصور ، بعد أن أصبح هؤلاء من ساكني القبور .

وقد عرف الشاعر اليمني أبو علكم المراني من همدان بأشعاره التي تذكر مواضع في اليمن وتمجد قصورها ، قال من قصيدة له مفتخرا :

وفي ظفار بنت آباؤنا غرفا	في كوكبان وقصر الملك ريدانا
وقصر بينون علاه وشيـده	ذو الفخر عمرو وسوى قصر غمدانا (٢)

وعمرو هو الذي دعاه نشوان بعمرو ذي غمدان بن الي شرح بن يحضب ، وذكر أنه الذي بنى قصر غمدان بعد بنائه الأول (٣) ، ويبدو أن قصر غمدان كغيره من البناء الشامخ يظل الملوك اللاحق يبنى على مابدأه السابق ليبقى عبر العصو/والأزمنة .

وذكر ابن اسحاق من قصور اليمن غمدان ، وبينون وسلحين ، مشيدا بعظمتها وتفردها ، وقيل ان الحبشة هدمت سلحين وبينون فقال في ذلك ، شاعر من حمير :

أو ما رأيت وكل شيء هالك	بينون خاوية كأن لم تعمر
أو ما رأيت وكل شيء هالك	سلحين خاوية كظهر الادبـر

فأظهر الشاعر حسرته على ما وصلت اليه الحال ، وعبر عن تلك الحسرة في أسى المتعظ المعتبر بما تتقلب عنه الأيام ، ويظل الشاعر يبكي قومه وما آلت اليه حال قصورهم بعد أن اقفرت من ساكنيها :

---

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٣٩
(٢) المصدر السابق ٨ : ١٠٩
(٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٦٨

أو ماسمعت بحمير وقصورها   أمست معطلة مساكن حمير
فابكيهم آما بكيت لمعشر   لله درك حمير من معشر [١]

وروى عبيد بن شرية الجرهمي أبياتا منسوبة الى تبع ، يذكر فيها تنقلهم بين مناطق اليمن المختلفة متخذين من قصورهم مستراحا لهم ومنتجعا وقت خلودهم الى الراحة ، فقال :

كفرنا بمنزلنا من ظفار   ومازال ساكنها يظفر
فكر الى النقع يدعى له   فهو بأبوابه أبصر
وماهكر من ديار الملوك   بدار هوان ولا الأهجر
وبينون مبهمة بالحديد   وأبوابها الساج والعرعر
وشهران قصر بناه الذي   بناه ببينون قد يشهر
ومأرب قد نطقت بالرخام   وفي يدها الذهب الأحمر

ولايمكن أن يذكر شاعر قصور اليمن دون أن يذكر على رأسها قصر غمدان ، لذا اختتم به الشاعر ذكر قصور اليمن حين قال :

وغمدان حصن لنا مشرف   مآجله حوله تنهر [٢]

وهكذا لايبدأ شاعر ذكر قصور اليمن دون أن يبدأ أو يختتم شعره بذكر قصر غمدان .

وفي الواقع لم يظفر قصر في التاريخ العربي بالشهرة التي ظفر بها قصر غمدان في اليمن ، ولم يحظ قصر بمثل ماحظي به "غمدان" من حكايات وأساطير ، ولانستغرب ذلك والأمر متعلق برواة اليمن وطريقتهم في التعبير عن ازدهار الحضارة اليمنية القديمة ، وقبل الدخول الى عالم الأسطورة نعرض بغمدان الحقيقة التاريخية .

فغمدان من أشهر قصور اليمن في صنعاء ، وكان ممتدا شرقا من شرق الجامع الكبير الى حد مسجد الحميدي المعمور الآن ، كما يظهر من بعض وثائق الوقف القديمة ، وفي الطول من الجنوب من قرب باب اليمن ، الى حد مسجد الشهيدين" [٣] .

ويتفق البكري وياقوت الحموي على أن "غمدان" بضم أول واسكان ثانيه" [٤] .

---

(١) عبيد بن شرية ، التيجان ٣١٣
(٢) المصدر السابق ، ٤٦٠
(٣) السياغي ، معالم الآثار اليمنية ١١
(٤) البكري ، معجم ما استعجم ٣ : ١٠٢ / ياقوت الحموي، معجم البدان ٤ : ٢١٠

وقد كان قصر غمدان سكنا لملوك اليمن في صنعاء في الأزمان القديمة وتذكر ذلك المصادر العربية التاريخية ، كما روى ذلك وهب بن منبه وعبيد بن شرية في تاريخهم القصصي عن ملوك اليمن القدماء ، وكان أحدهم التبع أسعد الكامل ، فكان غمدان هو القصر التاريخي في صنعاء ، ونسب الى التبع أسعد الكامل قوله مفتخرا به :

وغمدان قصر لنا شرف	مآجلة حوله تزفر(١)
وكان معسكرنا دائما	أزال وعسكره عسكر(٢)

ونسب الى التبع أسعد الكامل قصيدة طويلة يفخر في بعض أبياتها بغمدان ، ويدعو له بالخير والبقاء ، ويصف بناء قصر غمدان ، وما تضمنه القصر من ثروة ومال ، حين قال :

حميك يا غمدان من بعدنا	ولست للتعطيل بمستاهل(٣)
نحن رفعنا علو آجره	بألف ألف عدها القائل
ومن زجاج فوقه خلوة	خضراء مثل القضبة الباقل(٤)
أبصارها للناس عليّة	لا شارب فيها ولا آكل
حميك يا غمدان من بعدنا	حميك يا غيمان والماجل
فيه ثمانون من أموالنا	كيلا وألفا ذهب حاصل
الف لجام فيه من مذهب	لألف مهر أدهم صاهل
الف لجام فيه من عسجد	أيضا لألفي مهرة حامل(٥)

وعندما قربت وفاة التبع أسعد الكامل نصح ابنه للذهاب الى التابعة في الجبل لاستشارتها ، فأخذ يوضح له طريقه ، فذكر غمدان الذي كان مسكنهم :

وسر يمينا من قصر غمدان قاصدا	الى دافع ذي الماء سل فتخبر(٦)

كما أخذ التبع ينصح ابنه حسانا في وصية طويلة شعرا ، قال فيها يفخر بأسلافه الذين بنوا غمدان :

جدي المتوج عبد شمس ذو العلا	شيخ الملوك ومحتدي غمدان(٧)

---

(١) المآجل : جمع ماجل وهو كالسد ، وقوله تزفر من زفر الماء : كثر واضطرب
(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٦ (تحقيق الأكوع)
(٣) حميك : حميك ، وابدال التاء كافا لهجة حميرية قديمة لازالت لها بقية اليوم
(٤) القضبة : الشجرة التي طالت واسترسلت أغصانها
(٥) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقيال اليمن ١٣١
(٦) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٩
(٧) المصدر السابق ٨ : ٢٢٤

كما سكن غمدان ابنه حسان ، فقال علقمة بن ذي جدن يفخر بملوكه القدماء :

قد كان حسان في ذوءا	بة غمدان قريرا بعيش رغدا
يخدمه من سراة حمير	ألفان قياما لن يقعدوا أبدا
ان سارت ساروا حواليه صفيـ	ـن لا يبعدن اذا بعدا (١)

وكان غمدان موطن الملك اليمني مرثد الخير ، فعبر عن ذلك شاعر من حمير بقوله :

وكان لنا غمدان أرضا نحلها	دفاعا وفيها ربنا الخير مرثد (٢)

كما ذكر الشاعر النعمان بن الأسود في رثائه بلقيس ابنة الهدهاد أن غمدان كان مستقرها عندما وفد الى اليمن هدهد سليمان ، فقال في ذلك :

هدهد من طيور أرض شآم	فرمى في الهوا على العرش نور
باقتضاء الهدى على ملك بلقيس	بغمدان اذ أتاها النذير (٣)

وروى الهمداني أن الملك تبع صيفي بن شمر يرعش قد ولي أهل اليمن وأقام بغمدان عشرين سنة . (٤)

وهكذا ردد الرواة والشعراء ارتباط ملوك اليمن القدماء بغمدان ، حيث كان مستقرهم • فكان غمدان قصر التبابعة الذي ظل الرواة يفخرون به طويلا ، فذكره أبو علكم العراني من همدان في قصيدة ذكر فيها عدة مواضع في اليمن ، فقال الشاعر مفتخرا :

نحن المقاول والأملاك قد علمت	أهل المواشي بأنا أهل غمدانا (٥)

وسكن غمدان آخر ملوك اليمن القدماء سيف بن ذي يزن بعد انتصاره على الأحباش ، فعبر عن ذلك أمية بن أبي الصلت :

اشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا	في رأس غمدان دارا منك محلالا (٦)

---

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٧
(٢) المصدر السابق ٨ : ١٣ (تحقيق فارس)
(٣) المصدر السابق ٨ : ٢٠٥
(٤) المصدر السابق ٨ : ٢١٦
(٥) المصدر السابق ٨ : ١٧٨
(٦) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٢٢٩

حين أقبل في وفد قريش القادم من شمالي الجزيرة لتهنئة الملك اليمني بالانتصار على الحبشة • وذكر ابن دريد انتصار سيف وسكنه غمدان قائلا :

وسيف استعلت به همتــه	حتى رمى أبعد شأو المرتمـــى
فجرع الاجيوش سما ناقعا	واحتل من غمدان محراب الدمى [1]

وحرص رواة اليمن على أن يجعلوا قصر غمدان موغلا في القدم ، لأن ذلك يبيح لهم الانطلاق بخيالهم في التحليق بين الأمم القديمة البائدة ليختاروا منها ما حلا لهم اختياره من شخصيات قديمة جعلوا لها ارتباطا ببناء قصر غمدان ، ولذلك اختلف الرواة - كعادتهم - عمن بنى غمدان ، فاكتنفت رواياتهم الأساطير • فروى النويري أن بانيه حام بن نوح ، وزعم آخرون أن بيوراسب بناه على اسم الزهرة ، وقال ابن هشام ان الذي أسسه يعرب بن قحطان ، وأكمله بعده وائل بن حمير بن سبأ ابن يعرب[2] • كما روي أن مؤسسه أزال بن قحطان بأمر أخيه يعرب • [3]

أما الهمداني فقد وصفه بالقدم ، وجعل بانيه سام بن نوح ، وسرد قصة عجيبة لبنائه ، فقد ارتاد سام بن نوح البلاد ، فوجد اليمن أطيب سكنا فوضع مقراته[4] ، وطار بها طائر ، وتبعه سام لينظر أين وقع ، فأم بها الى جبوب[5] ، وطرحها على حرف غمدان ، فعلم سام أنه قد أمر بالبناء هنالك ، فأس غمدان • [6]

ولذلك قال الهمداني مفتخرا بالقصر الذي جعله يضاهي جنة الفردوس[7] :

مازال سام يرد الأرض مطلبا	للطيب خير بقاع الأرض يبنيهـــا
حتى تبوأ غمدانا وشيدهــــا	عشرين سقفا يناغي النجم عاليها
فان تكن جنة الفردوس عالية	فوق السماء فغمدان يحاذيهـــا
وان تكن فوق وجه الأرض قد خلقت	فذاك بالقرب منها أو يصاليهــا [8]

وسمع الهمداني جماعة من العراق يصفون بغداد وجمالها ، فخاطبهم مفتخرا بغمدان الذي اختار سام اليمن لبنائه فيها حيث وجد الطقس الجميل المعتدل ، فلا يطلون من حر الصيف ولايعانون من زمهرير الشتاء ، قال لهم الهمداني :

---

(١) التبريزي ، شرح مقصورة ابن دريد ٤٤
(٢) النويــري ، نهاية الارب ١ : ٣٧٠
(٣) الألوســي ، بلــوغ الارب ١ : ٢٠٤
(٤) المقراتة : الخيط الذي به البناء
(٥) الجبــوب : ما ارتفع عن الارض ودون الهضبة
(٦) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٣٤
(٧) المصدر السابق ٨ : ٤٦
(٨) يصاليهــا : لغة يمنية فصيحة بمعنى مقابل

أرض تخيرها سام وأوطنهـــــا ... وأس غمدان فيها بعدما احتفرا
أم العيون فلا عين تقدمهـــا ... ولا علا حجر من قبلـــه حجـــرا
لا القيظ يكمل فيها فصل ساعته ... ولا الشتاء يمسيها اذا اقتصرا (١)

أما ياقوت فروى أن بانيه سليمان بن داود الذي أمر الشياطين فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء وهي غمدان وسلحين وبينون ، وفيها يقول الشاعر :

هل بعد غمدان أو سلحين من اثر ... أو بعد بينون يبنى الناس أبياتا ؟ (٢)

وروى الألوسي أن بانيه الملك اليمني الي شرح ، فلما فرغ من بنائه قال فيه شعرا بالحميرية لم يحفظ منه الا هذا البيت (٣) :

اني أنا القيل الي شرح ... حصنك غمدان بمهمات (٤)

كما ذكر هذه الرواية الهمداني حيث ذكر رواية من يقول ان بانيه الملك اليمني الي شرح يحصب ، وروى أبياتا نسبت لأمية بن أبي الصلت ، وقيل أنشدها أمام سيف ابن ذي يزن ، فقال بعد ذكر غمدان (٥) :

قصر بناه أبوك القيل ذو شرح ... فهل يرى أحد نال الذي نالا

وتزيد الرواة في وصف غمدان وإبراز عظمته ، فقيل أنه كان مربعا ، أركانه مبنية بالرخام الملون ، فوجه مبني بحجارة بيض ووجه بحجارة سود ، ووجه بحجارة خضر ووجه بحجارة حمر ، وكان يتكون من سبعة سقوف طباقا ، ما بين السقف والآخر خمسون ذراعا (٦) ، وقد انتقد الهمداني هذه الرواية والمبالغة فيها ، وروى أنه عشرون سقفا على زعم بعض الروايات ، وكل سقف على عشرة أذرع ، وضمن ذلك شعره في غمدان قائلا :

من بعد غمدان المنيف وأهله ... وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو الى كبد السماء مصعدا ... عشرين سقفا سمكها لايقصـــر

---

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٣٦
(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ : ٢١٠
(٣) الألوسي ، بلوغ الارب ١ : ٢٠٥
(٤) حصنك : أي حصنت ، وحمير تبدل تاء المتكلم بكاف وهي لهجة سائدة حتى اليوم في بعض مناطق اليمن
(٥) الهمداني ، الأكليل ٨ : ١٤
(٦) المصدر السابق ٨ : ٥٩

ومن السحاب معصب بعمامة ومن الرخام منطق ومؤزر
متلاحكا بالقطر منه صخرة والجزع بين صروحه والمرمر

وكانت غرفة الرأس العليا مجلس الملك ، وهي غرفة لها كوى ، وكل كوة بناء رخام محاط بالساج والأبنوس ، وكان سقف الغرفة رخام مؤلف من ثمان قطع ، وكان الملك يستلقي على فراشه في الغرفة ، فيمر بها الطائر فيعرف به الغراب من الحدأة ، وكان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب .

وكان صاحب القصر يأمر باشعال المصابيح أحيانا ، فتسرج فيه ليلا ، فكان سائر القصر يلمع من ظاهره ، حتى اذا أشرف على الانسان من بعض الطرق ظنه برقا ، ولا يعلم أن ذلك من ضوء المصابيح ، ولذل قال علقمة بن ذي جدن :

مصابيح السليط تلوح فيه اذا يمسي كتوماض البروق

ويروى أنه كان في الغرفة العليا منه ستور فيها أجراس ، اذا ضربت الريح تلك الستور سمعت أصوات دق الأجراس من مكان بعيد .

وملأت القصر التماثيل الرخامية ، فذكرها أمية بن أبي الصلت في قوله :

مطق بالرخام المستزاد له ترى على كل ركن منه تمثالا

ونصبت في زواياه الأربع أسود من نحاس أصفر خارجة صدورها ، فاذا هبت الريح في أجوافها زأرت كما يزأر الأسد ، كما وصفها الهمداني في قوله :

وبكل ركن رأس نسر طائر أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمنا في صدره قطارة لحساب أجزاء النهار تقطر (١)

وفي البيت الثاني اشارة الى وجود الساعة في قصر غمدان ، واستخدام قدماء اليمانيين لها .

وذكر الألوسي وجود غرف شهيرة في غمدان يسمونها المحاريب ، وكانت محكمة البناء (٢) ، كما وصف الهمداني اشتماله على ينابيع الماء تدفق مياهها ، فقال :

---

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٠
(٢) الالوسي ، بلوغ الارب ١ : ٢٠٥

والطير واقفة عليه وفودها ومياهه قنواتها تتهدر
بنبوع عين لايصرد شربها وبرأسه من فوق ذلك منظر[١]
برخامة مبهومة فمتى ترد أربابه مذحولة لم يعسروا[٢]

وشبيه بذلك قول علقمة بن ذي جدن :

فذاك غمدان محزئلا بناؤه العجب العجيب
أعلاه مبهمة رخام عال وأسفله جروب[٣]

وقد بالغ الرواة كثيرا في أوصاف غمدان ، ومن مبالغاتهم ما رووه عن ملوك اليمن أنهم كانوا اذا قعدوا لهم في أعلى هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام[٤].

وقيل أنه قامت الى جانب القصر نخلة يافعة سحوق ، وكانت تطرح بعسبانها الى بعض ابهائه . وذكر ذلك في بيت منسوب الى ذي جدن الحميري حين قال في أبياته عن غمدان[٥] :

ونخلته التي غرست اليه يكاد البسر يهصر بالعذوق[٦]

وتفنن الشعراء في وصفه ولاسيما شعراء اليمن ، فضمنوا شعرهم الفخر بما شاد ملوك اليمن وما كانوا عليه من مجد وعظمة . فوصف علقمة بن ذي جدن شموخه فقال :

فذاك غمدان محزئلا كأنه جبل منيف
يكسنه ماجد أبي ترغم قدامه الأنوف[٧]

وظل غمدان مفخرة لملوك اليمن ردحا طويلا من الزمن ، حتى قيل أن غمدان هو البناء الذي ذكره الله في قوله تعالى "لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم"[٨]. فلما نزلت هذه الآية أرسل رسول الله (ص) فرده بن مسيك المرادي

---

(١) التصريد : التبريد ، المنظر : الغرفة المزخرفة في أعلى البيت
(٢) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٠
(٣) المصدر السابق ٨ : ٥٤
(٤) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٢٣٠
(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ٣٩
(٦) يهصر : يميل بها ، العذوق : جمع عذق وهي الكباسة
(٧) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٥٤
(٨) سورة التوبة ، الآية ١١٠

ليهدمه ، فلما أراد هدمه لم يقدر عليه حتى اضطر الى حرقه بالنار ، ولم يهدم الا بعد وفاة الرسول (ص)[١] . كما ورد في القول المنسوب الى ذي جدن الحميري :

فأصبح بعد جدته رمادا وغير حسنه لهب الحريق[٢]

ومما يجدر ذكره أن المفسرين في تفسيرهم الآية المذكورة لايذكرون هذا التفسير ، فقد ذكر الطبري أن البناء المقصود هو مسجد المنافقين[٣] ، ويتفق معه الزمخشري في هذا التفسير أيضا[٤] .

وربما كان هدمه على ذلك النحو هو من تخرصات الرواة الذين أرادوا أن يحيطوا هدمه بالمسببات المعنوية ، كما لاحظنا ذلك في قصة بنائه التي أرجعوها الى قوة خارقة أرشدت الشخصية الأسطورية الى موضعه وبنائه فيه .

وروى ياقوت أن عثمان هو الذي حض على هدمه ، كما روى زعم كهان اليمن أن من يهدم غمدان يقتل ، ولذلك علل قتل عثمان[٥] .

ان تلك الروايات المختلفة حول قصر غمدان لتدلنا على أنه لم يكن مجرد قصر كسائر قصور اليمن ، وانما ظل غمدان رمزا لما أنجزته اليمن ، وماحققته من مجد وسؤدد وعمران طوال الأزمنة الغابرة ، وبقي رمزا لاعتزاز اليمانية بماضيهم ومفاخرة من حولهم به ، وقد لمسنا مما مر بنا من أشعار افتخار اليمانيين الكبير به وبملوكهم ، وذاك الاعتزاز الكبير بمآثرهم ، ولعل مانقل عن ابن الكلبي يترجم لنا مشاعر اليمانيين نحو غمدان ، عندما روى أنه كان على كل ركن من أركان غمدان مكتوب "اسلم غمدان معاديك مقتول بسيف الغدران"[٦] .

وأحاط الرواة غمدان بهالة من الغموض ، فنقل المسعودي بعض مانسجه الرواة حول غمدان ، فروى أنه عندما أراد سعد بن يعفر - صاحب قلعة كحلان - أن يبني غمدان ، فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسني أن لايتعرض لشيء من ذلك ، اذ كان بناؤه على يدي غلام يخرج من أرض سبأ وأرض مأرب يؤثر في صنع هذا العالم تأثيرا عظيما[٧] . ولعل هذا بعض ما ارتبط في ذهنهم بمجيء المهدي

---

(١) الهمداني ، الأكليل ٨ : ٦٣
(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ١ : ٣٩
(٣) الطبري ، جامع البيان في تفسير آي القرآن ١١ : ٣٣
(٤) الزمخشري ، الكشاف ٢ : ٢٤٥
(٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٤ : ٢١١
(٦) ابن الكلبي ، الاصنام
(٧) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٢٢٩

المنتظر من اليمن ، أو ماتعارف اليمانيون على تسميته بالمنصور ، حيث تشير بعض حكاياتهم الى ظهوره من اليمن .

ولذلك ظل غمدان في ذهن الرواة أسطورة جميلة تعبر عن ماض مشرق زاه لم تبق منه سوى ذكريات سحيقة أقبل الرواة على نبشها ، واسترجاع تفاصيلها وأخذوا في نمنمة تلك التفاصيل والأخبار وتنميقها ، واتخذوا من ذلك كله عدة لهم يواجهون بها أية عصبية أو استطالة ممن حولهم ، وأحاطوه بحكاياتهم وأساطيرهم .

وارتبط غمدان بالأمجاد الغابرة التي كانت ملء القلوب والأسماع ، يدوي صيتها في طول الدنيا وعرضها ، وتأتي عليه الأيام وتصيب أصحابه نوائب الدهر ، ويفنى غمدان ويزول ، ولذا لاتكاد تخلو الأشعار التي تذكره من العظة والعبرة في تصرف الدهر وعدم ثبات الزمان ، وتعرض كل شيء وكائن في الوجود الى الفناء .

فاتخذ الشعراء من غمدان عبرتهم ، فقال الأعشى :

وأهل غمدان جمعــوا	للدهر مايجمع الخيــار (١)
فصبحتهم من الدواهي	جائحة عقبهــا الدمــار (٢)

أما الشاعر اليمني فنلحظ ذكره غمدان مشوبا بالحسرة والأسى على ماض زاهر قد ولى حين أوحشت القصور وخلت من أهلها ، وينضح شعره أيضا بالعظة والاعتبار حين لاتحقق الثروة فلاحا دائما ، قال في ذلك علقمة بن ذي جدن :

أبعد غمدان حين أمسى	يسفي به المور والريــاح
وناعط أوحشت وأقــوت	فهل لذي ثــروة فــــلاح

فكأن نواحة اليمن (٣) علقمة بن ذي جدن قد وجد في غمدان مافجر ينابيع شجوه وحسرته ، فقال أيضا :

وتكورت غمدان من صرف الردى	من بعد مملكة وبعد تكــبر
القيل من قحطان أبهم صخرها	وعمارها والقطر خير الأقطر (٤)

---

(١) الخيار : الذهب والمال المطلق أو هو أفضلـه

(٢) الأعشى الكبير ، الديوان ٢٨١

(٣) الهمداني ، الإكليل ٨ : ٥٥

(٤) القطر : النحاس الذائب الذي يصب للبناء

وقال علقمة مشيرا الى عدم استطاعة بشر تحقيق الخلود وان كان ذاك باني غمدان المشهور :

ولم يخلد على الحدثان بان — بنى غمدان تتهمه التهـــوم
بعرعـرة منشّرة وســـاج — وصلب السد واللبخ الفـروم (١)

ورأى الشاعر أنه لامفر من القضاء وان تسربل في حلة كمي واقف بباب غمدان يحرسه ، فلابد أن يحل القضاء ويقضي الله أمرا كان مفعولا ، فقال ثعلبة بن عمرو ؛

ولو كنت في غمدان تحرس بابه — علي أراجيل كمي وسائـــف
اذا لأتتني حيث كنت منيتـــي — لعبة محب لايرى وهو قائـف (٢)

وهكذا ظل غمدان محورا تدور حوله أساطير الرواة وأشعار الشعراء ، فكان ظاهرة تاريخية عجيبة امتد أثرها عبر الأزمنة والعصـور .

خصائص الأسطورة ذات الأساس التاريخي

١ - الاعتماد على الحقيقة التاريخية :

تعتمد هذه الأساطير - كما لاحظنا - على حقائق تاريخية واقعية ، كان لها وجود في تاريخ اليمن القديم ، فيتخذ الرواة من التاريخ مادتهم الأولى التي ينسجون حولها الأساطير والحكايات ، فالشخصيات التاريخية كان لها وجود في تاريخ اليمن ، وقد عرفت على الرغم مما اكتنف ذلك التاريخ من مبالغات وأخبار أسطورية فقد ورد ذكر التبع أسعد الكامل مثلا في بعض نقوش اليمن التي عثر عليها ، وهذه من المصادر الموثوقة في نقل المعلومات الينا اليوم .

ولم يقتصر اهتمام الرواة على الشخصيات اليمنية ، ولكنهم أقبلوا على تاريخ اليمن وهم مفتونون بما حققه ملوك اليمن القدماء ، وأقبلوا على مظاهر حضارتهم القديمة ، وما أنشأوه من عمران شامخ ظل المؤرخون يرددون أخباره ، فتناولوا سد مارب وهو حقيقة تاريخية اجتماعية ، وربطوا بين انهياره وهجرة القبائل اليمنية الى أنحاء الجزيرة العربية في أسطورة طريفة كان محورها ظاهرة أجتماعية كانت تسود المجتمعات العربية وهي ظاهرة الكهانة ، فجعلوا انهيار السد مرتبطا بنبوءة الكاهنة طريفة وما كان من أمر الجرذ الذي قيل أنه كان سببا في انهيار السد .

---

(١) الهمداني ، الاكليل ٨ : ٥٦
(٢) المصدر السابق ٨ : ٥٤

وأقبل الرواة على قصور اليمن يذكرونها في رواياتهم وأشعارهم ، وظفر غمدان باهتمامهم ، وهو القصر التاريخي المعروف الذي كان مستقرا لسكن التبابعة من ملوك اليمن . وأحاطوا قصر غمدان بأساطيرهم حول بنائه وهدمه ، وتزيدوا في وصفه كثيرا ، وأحاطوه بقدر كبير من مبالغاتهم في وصفه .

لقد وجد رواة ليمن في التاريخ أرضا خصبة بنوا عليها حكاياتهم وأساطيرهم ، واستمدوا منه مادتهم الأولى التي ظلوا يقلبونها ويحورون فيها ويزيدون مستعينين بخيالهم الخصب في تكوين العوالم العجيبة والأساطير الطريفة ، وهم مرة يتناولون في أسطورتهم الأقوام القديمة البائدة ، كما مر بنا في أسطورة نسل عاد من الصعاليك وما جرى لهم في المغارة . ومرة يتناولون شخصية يمنية معروفة كما لحظنا ذلك في أسطورة التبع أسعد الكامل الذي جعلته الروايات بطلا أسطوريا يمثل الشخصية اليمنية التي حققت البطولات الخارقة ، وحينا يتناول الرواة ظاهرة اجتماعية تاريخية كما لمسنا ذلك في حكاية تهدم سد مأرب ، وحينا آخر يتناولون منجزات القوم العمرانية كما لحظنا ذلك في أسطورة قصر غمدان .

٢ - تمجيد اليمن وملوكها القدماء :

يبرز هذا الهدف بجلاء في الأساطير التي اعتمدت على التاريخ في تكوينها وبدء نشوئها ، وتتضح غاية تمجيد اليمن وملوك اليمن في اختيار الرواة من ذلك التاريخ ، فهم يختارون الشخصية التي تحقق لهم تصوير الأمجاد الغابرة كما لحظنا ذلك في أسطورة أسعد الكامل ، حين جعل الملك اليمني بطلا اسطوريا نسبت اليه جميع الصفات والخصال الحميدة التي كان يفخر بها العربي حين نسبوا اليه شجاعة خارقة وبطولة متناهية ، فجعلوه يجوب البلاد شرقا وغربا يفتحها ، ويدخل البلاد غازيا منتصرا حتى تدين له الهند والسند والصين ، ويخضع الروم والفرس وهما الدولتان العظميان في مرحلة معينة من مراحل التاريخ ، وحرصت الأسطورة على نسب صفات معنوية خلقية أخرى الى أسعد الكامل حين جعلته ذا مروءة عالية ونجدة للضعيف ، فينتصر لمرأة قادمة من الشام شاكية اليه قومها ، فانتصف لها منهم وغزا بلادها انتصارا لها ورغبة في الثأر لها من ظالميها .

ويظهر الفخر بالشخصيات اليمنية في أشعارهم الكثيرة التي ضمنوها أساطيرهم التاريخية ، فظل الراوي يفخر بما كانت عليه اليمن من عز ومنعة ، لذلك افتخر أيضا بمنجزاتهم العمرانية ، كسد مأرب وقصر غمدان وغيره من القصور اليمنية ، متخذا من ذلك كله شاهدا على ما كانت حضارة قدمائهم ، وما وصلوا اليه من تقدم عمراني ، فظلت نبرة الفخر والتمجيد تعلو في أساطيرهم وفي أشعارهم التي زانت تلك الأساطير ، وليس ذلك الا دليلا على غايتهم وهي اثبات تفوق اليمن وتمجيد ذلك التفوق الذي كان لقدمائهم .

٣ - كثرة الأشعار في هذه الأساطير:

لقد زخرت هذه الأساطير بالأشعار والقصائد الطويلة التي حرص الرواة على انطاق قدمائهم بها ، وتكاد بعض القصائد تروي الأسطورة كاملة في أبياتها كما لحظنا ذلك في أسطورة أسعد الكامل ، ولعل ذلك ما حدا بالباحث السوفيتي بتروفسكي الى تسميتها ملحمة في كتابه "ملحمة عن أسعد الكامل" حيث رصد الباحث الأشعار المنسوبة الى البطل الأسطوري ، وهي تكون ملحمة كاملة ، ولو طال النفس بالشاعر الراوية لوصلتنا ملحمة أسطورية لاتقل روعة عن ملاحم الاغريق المعروفة .

ولم يتردد رواة اليمن عن نسب الأشعار الى شخصياتهم القديمة وانطاقها بالشعر الفصيح الذي سهلت لغته ورقت ، ليكتمل الجو الأسطوري لرواياتهم ، فتحمل الأشعار حرارة مشاعرهم وعواطفهم في بعض المواقف ، كما تجلجل أحيانا في نغمة حماسية حين يخاطب الشاعر قومه لاستنهاض الهمم و التصدي للعدو أو في موضع الفخر بالانتصار على الأقوام والشعوب المختلفة . وربما ضمنها الشاعر أحيانا الحكمة وتجربتهم في الحياة نتيجة عراكهم مع الدهر ، الذي ظلوا دوما في سباق معه ليرديهم في النهاية عندما يحين الأجل المحتوم ، فيسلم الشاعر بفناء الكائنات واستحالة الخلود على بشر ، ويضمن الشعر ايمانه بأن البقاء لله وحده .

وكما نسب الرواة الشعر الى قدماء الملوك والشخصيات اليمنية المعروفة ، هم ينسبون الشعر أيضا الى بعض الشعراء المعروفين ، فوردت أبيات في هذه الأساطير على لسان شعراء معروفين مثل الأعشى الكبير وعلقمة بن ذي جدن وأمية بن أبي الصلت وحسان بن ثابت وغيرهم . ويعني ذلك أن الرواة حرصوا على الاستشهاد بأشعار أولئك الشعراء المعروفين امعانا في الدلالة على صدق رواياتهم وأساطيرهم التي لهج بذكرها الشعراء في أزمان لاحقة ، ويحتمل أن تكون تلك الأساطير دائرة ومتداولة في أوساط الشعراء المعروفين ، فسمعوا فحواها ، وأشارت في نفوسهم كوامن الشعور ، وعبروا عن ذلك في تلك الأبيات المتفرقة حول هذه الأسطورة أو تلك .

ويلاحظ ظهور الضعف والركاكة في عدد من القصائد والأبيات التي ملأت هذه الأساطير ، كما لمسنا ذلك في بعض الأشعار المنسوبة الى التبع أسعد الكامل وغيره من الملوك القدماء أو الشخصيات اليمنية .

٤ - الميل الى التمثيل والتجسيد :

يميل الراوي في هذا اللون من الأساطير الى التمثيل والتجسيد ، فلا يعبر عن معانيه على نحو مباشر ، ولكنه يلبسها أحداثا وأقوالا تمثلها وتجسدها ، فننظر الى أسطورة أسعد الكامل حين استضافته الجنيات الثلاث لاختباره واعداده لمواجهة الصعاب ، فعبر الراوي عن تلك المعاني بالتمثيل والتجسيد لها في تلك الأفعال التي لقيها أسعد الكامل من الجنيات .

ومثل ذلك ما حدث لابنه حسان حين ذهب لاستشارة الجنية التي أشار اليه أبوه باتباعها ، فأخذت تمثل له تلك المعاني في أفعال معينة حين قدمت له دماءا يشربها ورؤوسا يأكلها ومجلسا مليئا بالدود والعقارب ليجلس عليه ، فنجد ذلك كله تجسيدا لما أراد الراوي ايصاله من معان ، فأراد أن يجعل عرش حمير أمرا صعب المنال . ويتطلب من الجالس عليه الصبر على الشدائد والقوة على احتمال المكاره فجسد تلك المعاني على النحو الذي لمسناه .

كما جسد شجاعة اليماني في أسطورة الرجل العادي الذي دخل الكهف ودلف الى المغارة العادية دون وجل أو خوف مع ما واجه من أصوات مدوية ورؤية حيوانات مخيفة ، ولكن استمر الرجل اليمني في الدخول حتى وصل الى مقابر عاد وشاهد فيها ما شاهده ، فجسد الراوي أمرين هامين لا ينثني دوما عن محاولة اثباتهما للشخصية اليمنية وهما اثبات البطولة والشجاعة للفرد اليمني ، وتصوير الثراء والفخامة التي كان عليها قدماء اليمانيين حين احتوت مقابرهم على ذلك الحشد من الذهب والجواهر الثمينة .

٥ - استخدام الرمز :

مال الرواة في هذه الأساطير الى استخدام الرمز أحيانا ، حين يحاول الراوي أن يعبر عن فكرته بالرمز اليها ، قبل الافصاح عن تلك الفكرة ، ولمسنا ذلك في أسطورة سد مأرب في الأقوال المنسوبة الى الكاهنة طريفة ، وما شاهدته في الحلم أو أثناء تجوالها في حديقة القصر ، فرأت أمورا جعلها الراوي ترمز الى النوائب والشرور التي ستحل بالقوم بعد انهيار سد مأرب وتضعضع حالهم الاقتصادية ورمز الراوي في انهيار سد مأرب الى تلك الحقيقة بجرذ صغير استطاع على صغر حجمه أن يقلب صخورا كبيرة ، فكان انهيار السد ، وما تبعه في حياة القوم من جدب ومحل اضطر قبائلهم الى الهجرة .

والرموز في هذه الأساطير مفسرة على لسان الكواهن والكهان ، فهي تأتي في شكل أحلام ، ثم يتولى تفسيرها الكهان والكواهن كما لمسنا ذلك في كهانة شق وسطيح وتنبوءهما بأحداث اليمن التاريخية قبل حدوثها ، وغيرهما من الكهان والكواهن .

وينتشر الرمز هنا وهناك في بعض هذه الأساطير ليبدو في شكل ظاهرة اجتماعية أو طبيعية يكون لها تفسيرها ، اذ يجعلها الراوي تخفي وراءها معاني أراد ايصالها الى السامع لأنها جزء من تكوين أسطورته .

٦ - هدف الاتعاظ والاعتبار :

يتضح هذا الهدف في معظم أساطيرهم التي تعتمد على الأساس التاريخي ، فتتجلى فيها معاني لاتخرج عن الوعظ والارشاد ، ومعرفة عدم جدوى القوة أو المال في وجه الدهر أو القضاء ، فكل أجل الى حين ، ولابد للانسان أن يؤول الى الفناء مهما حقق من مجد أو سطوة ومهما كان عليه من قوة أو شدة بأس ، ووصلنا معظم هذه الأساطير الى التعرف على هذه الحقيقة التي أراد الرواة تبصير السامعين بها على هذا النحو أو ذاك من طرائق تعبيرهم .

فهم يلجؤون أحيانا الى اسباغ صفات معينة على البطل الأسطوري فيجعلون منه البطل المثالي الذي ينبغي للقوم احتذاءه والسير على هديه كما لحظنا ذلك في أسطورة التبع أسعد الكامل حين حرص الرواة على اضفاء الحكمة والفضيلة ونجدة الملهوف واكرام الضيف وغيرها من الصفات التي ينبغي للمرء أن يتحلى بها ، وسيرة الملك البطل تنبيء وتكشف عن تلك الاخلاق المحمودة التي جعلها الرواة نموذجا للشخصية المثالية .

ونجد الراوي أحيانا يجعل وعظه ونصائحه في الأشعار المنسوبة الى أبطال تلك الأساطير ، أو في الأشعار المنسوبة الى الشعراء المعروفين الذين عبروا عن اتعاظهم بما تمليه أحداث تلك الأساطير، فضمن أولئك أشعارهم العبرة بما لقيه القوم بعد الوصول الى أقصى مرتبات المجد عندما لقوا حينهم ، فخلت الديار منهم ، وكأنهم نسيا منسيا ، وكلها تؤكد حقيقة فناء الكون ، وتحمل في ثناياها هدفا خلقيا تعليميا بعدم الركون الى الدهر والاعتماد على الزمان الذي لايؤمن جانبه .

وربما ضمن الراوي موعظته الألواح المكتوبة في المقابر بداخل المغارات والكهوف التي يجعل الراوي الوصول اليها أمرا غاية في المشقة ، وبعد وصوله اكتشاف تلك النصب والألواح التي كتبت عليها عبارات تنضح بالعظة والعبرة لتلفت انتباه الانسان اللاهي في خضم هذه الحياة الى التبصر بالنهاية المحتومة ، نجده يحث على الزهد في مباهج الحياة ومغرياتها ، كما لمسنا ذلك في أسطورة الدخول الى كهف شداد بن عاد وغيره مما يزخر به أكليل الهمداني .

" الخاتمــــة "

" نتائج البحث العامة "

بعد الانتهاء من فصول البحث تتأكد لنا حقيقة هامة هي وجود الأساطير اليمنية الكثيرة التي تزخر بها المصادر العربية القديمة من كتب تاريخ وسيرة وأدب ، والأساطير اليمنية القديمة هي أساطير عربية في المحصلة الأخيرة ، ولكني آثرت نسبتها الى اليمن لالتصاقها به التصاقا وثيقا بسبب أو بآخر ، وعلى نحو يلفت الانتباه ويدعو الى الاندهاش ، اذ نجد الراوية دوما يمانيا ، وان نقلها عنه مؤلفون آخرون من كتاب التاريخ والسيرة مثلا ، كما نجد البطل الأسطوري دوما يمانيا أو ينتمي الى قبيلة يمنية مهاجرة ، ونجد أحيانا البيئة يمنية خالصة عند التعرض لمعتقدات القوم الدينية وطقوس عبادتهم ، فكان ذلك كله مدعاة لانتساب هذه الأساطير العربية الى اليمن ، لصلتها الوثيقة به .

وان ما يثبت انتساب هذه الأساطير الى اليمن هو ما تحمله من سمات ودلالات اجتماعية طبعت بها ، وكانت فيها نتيجة لهموم وآمال اليمانيين في صراعهم التاريخي عبر العصور القديمة ، فظهر أثر ذلك الصراع في الدوافع التي حدت بأولئك الرواة الى الاقبال على رواية تلك الأساطير والتفنن في حكاياتها مستشفين تاريخ أسلافهم الحافل بالبطولات والأمجاد الغابرة متخذين من ذلك التاريخ وتلك السير عبرة تنفعهم في صراعهم الدائم مع الحياة والدهر .

وأمدهم تاريخهم الحافل في اليمن بمادة أولية خصبة فظلوا يقلبونها على وجوهها المختلفة ، محلقين بخيالهم الخلاق في أجواء أسطورية رحبة لاتقف حدود الواقع دونها ، ولاتحدها سدود أو مواقع محققين بعض آمالهم وطموحاتهم ، مسجلين الخلود لشخصياتهم ، وكانت نتيجة ذلك كله مجموعة ضخمة من الأساطير الجميلة التي تكمن أهميتها في ما تحمله من دلالات تاريخية واجتماعية وأدبية ، دون النظر اليها كمادة تاريخية قابلة للتمحيص والتحقيق فيها ، فهي نتاج القوم الأدبي الرفيع ، الذي سجلوا فيه نظراتهم في الحياة ، وآراءهم في شؤونها المختلفة ، كما أنها رصد دقيق لما راود أفكارهم وما اختلجت به نفوسهم ومشاعرهم تجاه أحداث الحياة وما امتلأت به صدورهم من آمال وطموحات ظلت أنظارهم تتطلع اليها فتشغل أحلامهم وأساطيرهم .

واندفع الرواة اليمنيون الى رواية الأسطورة ، وعملوا على رواجها ونشرها ، ولذلك لايخلو منها مصدر عربي ، ونجد الرواة وأهل الأخبار يرددونها في مؤلفاتهم ، ، واللاحق ينقل من السابق ، وهم مفتونون بمادة تلك الأساطير

وبمضمونها وان نصوا على عدم تصديقها واشتطاط الخيال فيها ، كما لمسنا ذلك لدى ابن الاثير وابن خلدون وغيرهم .

وبعد التجول في أساطير اليمن المختلفة في فصول البحث ، ودراستها بحسب الأسس المختلفة التي تجمعها - كما أسلفنا - يمكننا هنا استخلاص بعض النتائج العامة منها :

١ - ارتباط الأساطير بواقع اليمن :

ان الأساطير اليمنية المدروسة في البحث ترتبط بواقع اليمن ارتباطا وثيقا من حيث نشأتها ودوافع الرواة الى حكايتها ، ومن حيث مضمونها الذي يتصل باليمن صلة وطيدة .

ولاشك أن لفظة (أساطير) تعني بدايات التفكير الاولى للقوم وتسجيل المراحل الأولى لمعتقداتهم وأفكارهم ، ولكن تدوين الأساطير المذكورة قد تم في زمن متأخر ، أي في القرن الثاني الهجري ، أما قبل ذلك فقد كان الاعتماد على الرواية الشفهية في تداول الأساطير وتناقلها عبر العصور التاريخية المختلفة التي مرت بها اليمن ، فظهر الاسلام ولديهم مادة أسطورية متجمعة من الروايات الشفهية المتناقلة وقد استقوها من مصادر مختلفة ، منها الاطلاع على الأسفار والكتب القديمة . وقد عرفت اليمن اليهودية والنصرانية ، واطلع رواتها على تلك الكتب ، كما لمسنا ذلك لدى وهب بن منبه وكعب الأحبار ، واضافة الى ذلك كانت اليمن معبرا تجاريا بين الشعوب المختلفة ، وتحتل موقعا استراتيجيا هاما . فكان احتكاك الناس بالأمم المختلفة للتجارة وشؤون الحياة ، ولابد أن يصحب ذلك انتقال القصص والأساطير ، وتبادلها مع الأقوام والأمم الأخرى .

وبعد الاسلام وجد الناس في القصص القرآني مادة تدعوهم للاستفسار وطلب المزيد من التفاصيل ، فوجدوا في رواة اليمن ضالتهم ، اذ أقبل هؤلاء الرواة على التفسير والايضاح وقدحوا زناد قرائحهم في صلة ذلك القصص بتاريخ اليمن ، فخلقوا الصلة بين ملوكهم القدماء وبعض الشخصيات المذكورة في القرآن الكريم ، كما عرفنا ذلك في أسطورة "تبع" وأسطورة "ذي القرنين" وهود وغيرهم .. حتى المدن المذكورة في القرآن الكريم وجدوا لها مواضع في اليمن ، كما فعلوا في "ارم ذات العماد" ، و "الاحقاف" وغيرهـــا .

ولا نعجب من ذلك كله اذا عرفنا واقع اليمن التاريخي وما عانته من تدهور الأحوال الاقتصادية بعد تدهور سد مأرب وهجرة القبائل الى شمالي الجزيرة ، وتحول مسار الطريق التجاري عنها ، اضافة الى ما قاسته من الأطماع البيزنطية والفارسية ، فكانت الحبشة أداة بيزنطة ، وكان دخول فارس على يد سيف بن ذي يزن الذي استنجد بهم لنصرة اليمن ضد الأحباش . وكان جلاؤهم وسلطة فارس بعد أن قتل

سيف بن ذي يزن ، فعانت اليمن من ألوان الاحتلال ، وعاشت صراعا تاريخيا مريرا ، جعل رواتها يتحسرون على أمجاد غابرة لم يعد لها أثر يذكر في واقعهم ، حين حقق ملوكهم القدماء حضارة زاهرة وتقدما عمرانيا كبيرا .

ثم دخلت اليمن في الدولة الاسلامية طائعة ، وشاركت في جيوش الفتوحات الاسلامية ببطولات عديدة ، ومع ظهور بوادر الفتن والحروب العربية وجدت اليمن نفسها تخوض مع بقية الشعوب العربية تلك المعارك ، وكان اشتراك بعض أهل اليمن في وقعة الجمل ووقعة صفين ، وكان للقبائل اليمنية تجمع كبير في الشام ظل يناوئ قبيلة قيس ، وحرص خلفاء بني أمية لتحقيق أغراضهم ومآربهم السياسية الى اثارة النعرات القبلية وتعميق الشعور بها . فأثيرت العصبية اليمنية في ذلك العصر ، وهو عصر التدوين والتأليف .

حينذاك فجرت العصبية اليمنية دواعي القول والفخر لدى الرواة ، وأقبلوا يفتشون حكاياتهم وأساطيرهم ويضيفون اليها ويستزيدون ، وهم غير مترددين في تسجيل كل مجد وفخار لليمن ، كما أقبلوا على التاريخ يستلهمونه في تكوين أساطيرهم وحكاياتهم مستشهدين بما حققه ملوكهم القدماء من أمجاد طواها الزمان وهم بذلك كله يحاولون اثبات تفوقهم في كل مضمار .

ونتج عن تلك الحال اقبال الرواة على رواية الأساطير والحكايات الخاصة باليمن والمتعلقة بتاريخه أو بشخصياته القديمة ، فكان اغراقهم المصادر العربية بذلك السيل الموار من الحكايات الأسطورية الطريفة ، التي لايمكن فهم مدلولها الحقيقي بمعزل عن الدوافع التي دعت الرواة الى تأليفها .

٢ - البطل الأسطوري :

لقد لاحظنا في ما مر بنا من أساطير اتسام البطل الأسطوري في تلك الأساطير بسمات معينة تميزه عن غيره من أبطال أساطير الأمم الأخرى ، ويمكننا اجمالها فيما يأتي :

أ - انتساب البطل الأسطوري الى اليمن ، أو انتسابه الى قبيلة عربية على نحو يبرز عروبته وشرف انتمائه ، فالبطل اما من ملوك اليمن القدماء وحكمائهم كما لمسنا ذلك في ملكة سبأ التى أسمتها الروايات "بلقيس" وأبيها الهدهاد بن شرحبيل ، وفي التبع "أسعد الكامل" وذي القرنين ولقمان وغيرهم . وربما كان البطل من كهان اليمن أو كاهناتها كما عرفنا منهم سطيح وخنافر الحميري والكاهنة طريفة بنت الخير الحجورية وزبراء الحميرية وغيرهم . وربما كان البطل من شخصياتهم المعروفة بانتمائها الى احدى القبائل كأن يكون سيد قومه الذي عرف بالشجاعة وشدة البأس كالهميسع الذي استطاع دخول الكهف ودخل مغارة شداد بن عاد وربما عرف البطل بالجود والكرم كحاتم الطائي ، وهكذا لابد أن يربط البطل الأسطوري انتماء معين الى اليمن ، ولاشك أن اختيار البطل على ذلك النحو يحقق للراوي الفخر والتعالي .

ب - يتسم البطل الأسطوري بصفات كريمة وخصال حميدة ، لعل أهمها الشجاعة وشدة البأس وقوة العزيمة التي لاتتوفر للانسان دوما ، كما لمسنا ذلك في التبع أسعد الكامل وفي ذي القرنين وعمرو بن لحى والهدهاد وغيرهم ، كما يتصف البطل الأسطوري أحيانا بما يفخر به العربي من صفات الكرم والجود كحاتم الطائي أو نجدة الضعيف الملهوف كما في أسطورة الهميسع الذي أنجد الملكة بلقيس وأخاها عندما أقبلت عليه مستجيرة ، وفي أسطورة أسعد الكامل الذي انتصف لامرأة جاءته من الشام شاكية اليه بعض قومها . وكثيرة هي قصص المروءة والشهامة والكرم والشجاعة التي حاول رواة اليمن اتصاف أبطالهم الأسطوريين بها .

ج - نجد البطل الأسطوري يدافع دوما عن المبدأ والعقيدة ، فيصدر عنهما في تحركاته وتصرفاته ، فجعل البطل مؤمنا بالله ووحدانيته ، بل مسلما ومصرحا بذلك في أبياته ، كما لاحظنا ذلك في أسطورة التبع أسعد الكامل ، الذي حج بالبيت وبشر بظهور الرسول محمد (ص) ، ودعا الناس الى اتباع دينه ، وتمنى أن يمد الله في عمره ليكون له عونا وأزرا . ولمسنا ذلك ايضا في أسطورة ذي القرنين الذي اشبهت فتوحاته الفتوحات الاسلامية حين كان يبقي على من آمن بالله ويقتل من كفر به .

وضمن الرواة أقوال البطل الأسطوري والشعر المنسوب اليه الاعتقاد بالله والايمان به وبقوته وخلوده ، فالكون الى فناء والخلود أمر يستحيل بلوغه وتحقيقه - كما تلمح الى ذلك أسطورتا ذي القرنين ولقمان - لأن البقاء لله والانسان الى فناء . وتضمنت تلك الاشعار والأقوال معاني اسلامية بحته ، استقاها الراوية من آيات القرآن الكريم ، كما لمسنا ذلك في ثنايا البحث .

د - تسند البطل الأسطوري قوة غيبية خارقة لا تتأتى لبشر ، وهي اما أن تكون من الجن كما لاحظنا ذلك في اسطورة الهدهاد بن شرحبيل وفي أسطورة أسعد الكامل وغيرها من أساطير اليمن حيث يجد البطل الأسطوري في الجن عونا لهم على تحقيق أمورهم وانجازها .

وقد تكون القوة الخارقة في شكل رئي من الجن يستعين به البطل الأسطوري كما فعل ذلك عمرو بن لحى الذي أشار اليه رئيه بجلب الأصنام وتقسيمها في القبائل العربية ، وربما كانت القوة الخارقة علما ينفذون به الى عالم الغيب حين يتنبأ الكاهن بما سيكون كما لاحظنا ذلك في أساطير الكهان وتنبوءاتهم بما سيحدث . فيعد الملك أو القوم عدتهم لمجابهة ذلك الحدث والاستعداد للأمر كما فعل ذلك الملك عمرو بن عامر عندما عرف بقرب انهيار سد مارب .

وتتنوع القوة الخارقة التي تسند البطل الأسطوري فقد تكون مرافقا ، له من القداسة والقرب من الله ما يمكنه من معرفة أمور كثيرة يعجز عنها البشر ، كما لاحظنا ذلك في أسطورة ذي القرنين ومرافقته للخضر ، فتوفرت له المعرفة والاطلاع على الأسباب فجاب البلاد غربها وشرقها حتى أوقفه الخضر حين دنا الأجل وقربت الساعة .

٣ - المضمون الأسطوري :

لقد انطوت الأسطورة على مضامين ومعان عدة ، اختلفت باختلاف الأساس الذي قامت عليه الأسطورة ، فضمنها الراوي معتقدات القوم الدينية ومناحي تفكيرهم في قوة الاله وقدرته ، والاعتراف بطاقة البشر المحدودة التي لابد أن يأتي اليوم الذي تتوقف عنده ، كما لحظنا ذلك في كل من أسطورة ذي القرنين وأسطورة لقمان في الايمان باستحالة تحقيق الخلود .

ويتجلى في معتقداتهم الايمان بقدرة الخالق العظيمة في عقابه لمن يرتكب المعصية أو يأتي بفاحشة ، كما كان ذلك في أسطورة اساف ونائلة ، ومثلها من قصص المسخ التي حفلت بها أساطيرهم .

وترسم الأساطير صورا انسانية لصراع الانسان مع الحياة والقدر ، وصراعه ضد الغرائز ومحاولة التغلب عليها ، وصراعه ضد الطبيعة . انها وقفته ازاء الحياة بمباهجها وأحزانها ، وبأفراحها وأتراحها .

وتنتشر في تلك الأساطير الايحاءات النفسية واللمحات الشعورية للانسان في لحظات ضعفه وحاجته للقوى الخارقة التي تعينه على مجابهة الحياة والوقوف ازاء نوائب الدهر ومشكلاته .

وتنتشر في المضامين الأسطورية على اختلاف أنواعها النزعة الى التعليل وربط الأسباب بالمسببات ، كما يتجلى الميل الى التفسير وتجسيد الأمور تجسيدا ماديا يقربها من الأذهان ، ويجلوها واضحة للعقول والأفهام ، فسعى الرواة الى تعليل حدوث ظاهرة طبيعية تنتاب أجزاء من هذه الأرض أحيانا وهي الزلزلة كما لحظنا ذلك في أساطير الخلق وفي الأساطير الكونية ، وكان التعليل الطريف لنشأة الأصنام التي بدأ القوم يعبدونها لأنها كانت تمثل أقرباء لهم حزنوا على فقدهم ، ونثقف تعليلا لطيفا في أساطيرهم حول شروق الشمس وغروبها ، وحول غيرها من الكواكب ، وتنتشر التعليلات والتبريرات المختلفة في الأساطير .

وتنقل الأساطير صورة حقيقية عن طبيعة الحياة العربية القديمة ، كولعهم بظاهرة الكهانة ، واعتقادهم في صدق الكاهن أو الكاهنة بدليل تحقيق نبوءة الكهان دوما في أساطيرهم ، كما صورت لنا أسطورة الهامة عادة الأخذ بالثأر عندما يقتل القتيل ، لأن الروح تخرج على شكل طائر يصيح "اسقوني" ، فلا يبطل صياحه ولا يروى الا بعد أن يؤخذ بثأر القتيل ، وغير ذلك من العادات والتقاليد الاجتماعية القديمة التي كانت تسود مجتمعهم .

٤ - أسلوب الأسطورة :

ونقصد بهذا اخراج الأسطورة اخراجا كاملا ابتداء من طريقة السرد والرواية ، وانتهاء بتفاصيل الأسلوب المختلفة ، واستخدام الراوي لأدوات أعانته في تقريب الصورة وتجسيدها لايصال الأثر المطلوب الى السامع أو القارئ .. ولنفي هذا الجانب حقه من الشرح والايضاح يحسن بنا تناولها بالتفصيل :

أ - نجد في بعض الأساطير الحبكة الروائية كاملة ، فتبتدئ الأسطورة وتتصاعد معها الأحداث وتستمر في صعودها حتى تأتي نهايتها ، فيصل بنا الراوي الى الحل المقصود ، ويأخذ بنا في الانحدار نحو الحل أو لحظة التنوير كما تسمى في المصطلحات النقدية الروائية ، كما وجدنا ذلك في أساطير ذي القرنين ولقمان ونسوره السبعة والتبع أسعد الكامل وغيرها . ولكن بعض الأساطير لاتتبع هذه الخطوات المألوفة ، ونجد شأنها كالقصص الحديث الذي يجعل الحكاية دون نهاية معروفة ، وتترك النهاية لخيال القارئ ، يضع لها نهاية بحسب ما يمليه عليه تصوره وخياله ، كما في أسطورة سهيل والشعريين وفي أساطير الجن ، والتابع أو الرئي ، وغيرها من أساطير اليمن . وكثيرا ما نلاحظ في الراوي ميله الى النهاية المأساوية المستقاة من النكبات الطبيعية والتاريخية التي حلت باليمن ، مثل انهيار سد مأرب وحرق قصر غمدان وغيرها .

ب - يستخدم الراوي الآيات القرآنية الكريمة للدلالة على مصداق روايته فيستشهد بها في ثنايا الأسطورة ، كما لاحظنا ذلك في بعض أخبار تبع وفي أسطورة ذي القرنين . ونجده أحيانا يبني روايته كاملة على ما جاء من القصص القرآني كما لاحظنا ذلك في حكايتهم عن بلقيس التي جعلوها ملكة سبأ التي ذكرتها الآيات الكريمة في سورة النمل ، وما كان من أمرها مع النبي سليمان وقصة اسلامها ، فاستعان الراوي بجميع تلك الآيات التي تكون منطلقا لروايته ، ويبنى عليها الكثير من صوره ومبالغاته التي سبق أن ذكرنا بعضها في ثنايا البحث .

وربما اقتبس الرواة نتفا من الآيات القرآنية ، أو عبارات مقتطفة من الآيات ، وادخالها ضمن الأقوال المنسوبة الى البطل الأسطوري للدلالة على حسن ايمانه بالله وسلامة معتقده ، وقد يدخل الرواة تلك المقتبسات ضمن الأشعار المنسوبة الى الأبطال الأسطوريين ، كما لحظنا ذلك في بعض القصائد المنسوبة الى التبع أسعد الكامل والى ذي القرنين .

ج - يعتمد الراوي على المبالغة لتحقيق الأمور الخارقة ، ولانستغرب ذلك والأمر متعلق بالأساطير ، فنجد الأبعاد غير عادية ، فاليوم بألف عام أحيانا ، يتضح لنا ذلك في قياس الأعمار بآلاف الأعوام كما في احدى أساطير الاخلاق ، التي جعل فيها عمر البطل يزيد عن ألفي عام ،وكما في عمر لقمان الذي كان مجموع عمره يربو على مجموع أعمار سبعة نسور وغير ذلك في قياسهم للزمان أو المكان .

ولعل الراوي قد توخى بذلك عنصر الاندهاش الذي يتضح لنا في وصفه الأشياء الثمينة الغريبة ، المصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة كما لمسنا ذلك في أخبار قبورياتهم التي يزخر بها أكليل الهمداني ، وفي وصفهم لما تختزنه تلك المغارات والكهوف من كنوز وثروة ، ومثل ذلك ما واجهه ذو القرنين عند مروره بوادي الياقوت ، وأيضا في وصفهم عرش سليمان وعرش بلقيس ، وما يحيط به من مظاهر الأبهة والفخامة .

وقد يعتمد الادهاش على الضوء والبريق واللون والحركة وتصحبه صور غريبة [1] ، كما لمسنا ذلك في قصة بلقيس وسليمان ، وخروج حاتم الطائي من القبر ليذبح ناقة ، والشاب الذي عاش حبيس قبة تحت الماء ، وغيرها . ولعل ذلك قادهم الى تكوين الصور الغريبة للبشر والحيوان ، فالبشر خلقته غريبة أحيانا كما في شق وسطيح ، وربما أشبه النسانيس في بعض المناطق كما تقول احدى الأساطير . والحيوان غريب وعجيب لم نألف رؤيته ، كما جاء في رواية وهب بن منبه لأسطورة ذي القرنين ووصفه لفتوحات ذي القرنين ودخوله في بلاد تسكنها أقوام عجيبة الخلقة ، وأحيانا مشاهدته لحيوانات غريبة نجدها مزيجا لأكثر من حيوان ، كما مر بنا .

د - اسلوب الرواية (الصياغة) :

ونلاحظ في معظم ما مر بنا من أساطير عدم التدخل المباشر أو الكبير في غالبية تلك الأساطير وذلك للاحتفاظ بجو تلك الأسطورة وأسلوبها الخاص ، وربما كان هنا أو هناك بعض الايجاز أو التعديل الطفيف الذي لايمس جوهر الرواية .

فاتضح مما مر بنا من أساطير سهولة التعبير وسلاسته دون تكلف أو عناية بالأسلوب ، ولذلك شابت أساليبهم بعض الضعف والركاكة في التعبير لتوالي العطف بالفاء أو الواو ، وربما ساد الأسلوب أحيانا تأرجح الضمير بين عدة أسماء مما يحير القارئ ويجعله يكد الذهن لتتبع المعنى المقصود من العبارة ، مما يضطرنا أحيانا الى التدخل ، وتحوير بعض العبارات ليسهل فهمها وتتبع معناها .

ه - الشعر في الأسطورة :

ويقتضينا الحال الوقوف أمام هذه السمة المميزة لأساطير اليمن ، اذ نجد الرواة يستخدمون الشعر بكثرة في أساطيرهم ، فنسبوا القصائد الطوال الى أبطال الأساطير كما مر بنا في أسطورة التبع أسعد الكامل وأسطورة ذي القرنين ولقمان وغيرهم .

---

(١) أنظر الجوزو ، من الأساطير العربية ٣٧

والشعر قوة أسطورية لايستهان بها ، تجعل الكاهن المحتضر العاجز عن الكلام ينهض ليقول نبوءته ، وتعاقب الجاني الذي أراد تشويه الحقيقة في نسبة المخل الى حاتم ، فارتبط الشعر بقوى خفية تعلو على مستوى البشر ، ولعل ذلك ناتج عن اعتقاد العرب القدماء بأن الشعر ليس من ابداع الناس بل من وحي الجن .

وكثير ما اعتمد الراوي على الشعر في اثبات واقعية أسطورته ، كما سبق أن وجدنا معاوية يستزيد عبيد بن شرية الجرهمي من قول الشعر ، ويسأله دوما بتقوية روايته بما قيل فيها من الشعر ، فهو ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها .

فلم يتوان الرواة حينذاك عن انطاق ابطالهم بقول الشعر في مختلف المناسبات ، فنسبوا الى الأبطال الأسطوريين القصائد الطوال المتضمنة لأحداث الأسطورة كاملة ، كما مر بنا ذلك لدى التبع أسعد الكامل وذي القرنين ، ولقمان ذي النسور السبعة . فالشعر لديهم دليل على صدق الأسطورة ، ويؤكد أهل صحة الأخبار بمسلكين : الأول هو ذكرهم سلسلة الرواة حتى الانتهاء الى أحد الثقات والثاني هو دعم الخبر بما قيل فيه من شعر ، كان يتخذ شاهدا على صحة الخبر .

كما نسبت بعض الأشعار الى شعراء معروفين من مثل النابغة وحسان بن ثابت والأعشى ولبيد وعلقمة بن ذي جدن وغيرهم . وسمعوا بأخبار الأمم القديمة وأساطيرها فاختلجت في نفوسهم لواعج القول ، وعبروا عن أنفسهم شعرا ضمنوه اعتبارهم بما جرى لتلك الأقوام والملوك القدماء ، متعجبين من صروف الدهر وتقلبه . وقد وردت بعض تلك الأشعار في دواوين أولئك الشعراء ، وبعضها لم يوجد فيها ، مما يدل على أنه شعر موضوع ، نحله الرواة أولئك الشعراء . ومع ذلك لايمكننا تجاهله واغفال شأنه لأنه يعني لدينا وجود الحكاية أو الأسطورة في أساطير العرب ، وانتشارها وتداولها بين العرب كجزء من تاريخهم وأساطيرهم ، وكحقيقة تكون جزءا من معتقداتهم وتراثهم الفكري .

ومما يجدر ذكره [1] - هنا - ظهور هذه السمة المميزة لأساطير اليمن ، في نسب الشعر الى الأبطال الأسطوريين ، وبذلك يحقق الراوي أكثر من هدف في رواية الأسطورة فالشعر تعبير ايقاعي أسهل حفظا وأقرب الى اللصوق بالنفس من الحديث النثري المرسل ، فتظل تلك الأساطير وثيقة منظومة تحفظ الحدث من الزوال بما تتيحه من يسر في الحفظ والرواية .

---

(١) أنظر فاروق خورشيد ، في الرواية العربية ١٦٦

وقد يدخل الشعر مكملا للحوار أو أساسا له في مواقف الصدام والصراع فيكون لاستخدامه دلالة فنية في تصوير الصراع وتجسيده ، وفي ابراز المعالم النفسية التي يقوم عليها هذا الصراع . فالحاجة الى الشعر هنا ليست تزيدا وانما هي حاجة فنية تعين المؤلف في تجسيد المشهد وابراز الدلالات التي تحيط به من جميع نواحيه ، وهي تتكامل في هذه الحالة مع السرد بحيث تغدو واياه كلا فنيا متكاملا .

ويلجأ الراوي أحيانا الى انطاق الأبطال الأسطوريين بالشعر للتعبير عن الانفعالات النفسية . فيتخذه أداة لتصوير الجانب الذي لايستطيع السرد النثري أن يفيه حقه من التصوير والتجسيد ، ويبدو هذا في الشعر المنسوب الى لقمان عند موت كل نسر من النسور السبعة ، كما مر بنا .

وقد يأتي الشعر بعد نهاية الأسطورة أو يرويه الراوي على لسان شعراء آخرين بعد انقضاء فترة من الزمن ، فيحمل هذا الشعر المضمون الذي أراده القاص من روايته ، وبذلك يتجنب الراوي ايراد هذا المضمون تقريرا على لسانه كراو أو على لسان أحد أبطاله . فيهرب بهذا من الخطابية والوعظية في حكايته التي يتركها تنتهي نهاية طبيعية دون أن يتدخل هو بحكمة أو موعظة الا فيما ندر ، ولذا نجد ذكر المواضيع الأسطورية لدى الشعراء المعروفين يأتي مقترنا بالحكمة والعظة والاعتبار .

تلك كلها سمات وخصائص طبعت الأساطير اليمنية القديمة بطابعها وميزتها عن غيرها من الأساطير العربية .

انتهى بعون الله وتوفيقه

-.-.-.-.-.-.-.-.-

فهرس المصادر والمراجع العربية

١ - القـرآن الكريـم .

٢ - التـوراة (كتاب العهد القديم) .

٣ - قاموس الكتاب المقدس - وضع نخبة من الاساتذة اللاهوتيين
مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - ط . الثانية ، بيروت ١٩٧١

٤ - ابن الاثير ، علي بن أبي الكرم : الكامل في التاريخ
اشراف المستشرق كارلوس يوهنس تورنبرغ ، دار صادر
بيروت - ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

٥ - الأخطل : الديوان - رواية أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي
دار احياء التراث العربي - بيـروت

٦ - أرسطو : فن الشعر - ترجمة عبد الرحمن البدوي
مكتبة النهضة ١٩٥٣م - القاهـرة

٧ - الأزرقي ، أبو الوليد : أخبار مكة - تحقيق رشدي الصالح ملحس
ط . الثالثة ، دار الأندلس - بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

٨ - الاسدي : بشر بن أبي خازم : الديوان ، تحقيق عزة حسن
دمشـق ١٩٦٠م

٩ - الأصفهاني ، أبو الفرج : الأغاني ، اشراف محمد أبو الفضل ابراهيم
طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ١٩٦٣

١٠ - الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس : الديوان . شرح الدكتور محمد حسين
مكتبة الآداب للجماهير ، المطبعة النموذجية

١١ - اغناطيوس ، يعقوب الثالث - بطريرك انطاكية وسائر المشرق :
الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية - دمشق ١٩٦٦

١٢ - الألوسي ، محمود شكري : بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب
تحقيق محمد بهجة الاثري - دار الكتاب العربي ، مصر - ط.الثالثة

١٣ - امرؤ القيس بن حجر : الديوان ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار المعارف بمصر ١٩٥٨

١٤ - أمين ، أحمد : فجر الاسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة ، ط • السابعة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م

١٥ - أوس بن حجر : الديوان - تحقيق محمد يوسف نجم
دار صادر - بيـــروت

١٦ - ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور - ط • الأولى - بولاق

١٧ - باوزير ، سعيد عوض : صفحات من التاريخ الحضرمي
دار الهمداني ، عدن - ط • الثانية ١٩٨٣م

١٨ - البخاري ، محمد بن اسماعيل : الصحيح ، مطابع الشعب - ١٣٧٨هـ

١٩ - بروكلمان ، كارل : تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار
دار المعارف بمصر ، ط • الثانية

٢٠ - البستاني ، بطرس : دائرة المعارف - بيروت ١٨٧٦

٢١ - البغدادي ، عبدالقادر بن عمر : خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون
دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

٢٢ - البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز : معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط•الأولى ١٩٤٥

٢٣ - البلوي ، يوسف بن محمد : ألف باء ، المطبعة الوهبية - مصر ١٢٨٧هـ

٢٤ - بيتروفسكي ، م•ب : ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل - ترجمة د•شاهر
جمال أغا - الجمهورية العربية اليمنية - وزارة الاعلام والثقافة -
مشروع الكتاب - ط • الأولى ١٩٨٤

٢٥ - التبريزي ، الخطيب : مقصورة ابن دريد ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة
المكتبة العربية - حلب ، ط • الأولى ١٩٧٨

٢٦ - الجاحظ ، عمر بن بحر : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون
مكتبة الخانجي ، القاهرة - ط • الثالثة ١٩٦٨

٢٧ - الجاحظ ، عمرو بن بحر : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون
مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٠ الأولى ١٩٣٨

٢٨ - الجوزو ، مصطفى : من الأساطير العربية والخرافات
دار الطليعة ، بيروت - ط ٠ الثانية ١٩٨٠

٢٩ - الحافظ الاصبهاني ، أحمد بن عبدالله أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - مطبعة السعادة - مصر ، ط ٠ الأولى ١٩٣٢

٣٠ - أبو حاقة ، أحمد : فن الشعر الملحمي
دار الشرق الجديد - بيروت - ط ٠ الأولى ١٩٦٠

٣١ - الجشي ، عبدالله محمد : دراسات في التراث اليمني
دار العودة ، بيروت - ط ٠ الأولى ١٩٧٧

٣٢ - الجشي ، عبدالله محمد : مصادر الفكر الاسلامي في اليمن
مركز الدراسات اليمنية - صنعاء

٣٣ - ابن حبيب ، محمد أبوجعفر : المحبر ، رواية أبي سعيد الحسن السكري
تحقيق الدكتوره ايلزه ليختن ، المكتب التجاري - بيروت

٣٤ - حتي ، فيليب : تاريخ العرب (المطول) - دار الكشاف للنشر
بيروت - ط ٠ الرابعة ١٩٦٥

٣٥ - ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي : تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف
حيدر آباد ، الهند - ط ٠ الأولى

٣٦ - ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي: لسان الميزان،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت ، ط ٠ الثانية ١٩٧١

٣٧ - حسان بن ثابت : الديوان ، شرح عبد الرحمن البرقوقي
مطبعة السعادة ، مصر

٣٨ - حسين ، طه : في الأدب الجاهل ، دار المعارف - مصر ، ط ٠ التاسعة ١٩٦٨

٣٩ - حسين علي ، فؤاد : اليهودية واليهودية المسيحية

٤٠ - الحسين، يحيي : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني - تحقيق سعيد عاشور
دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٦٨

٤١ - الحميري ، نشوان بن سعيد: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم
تحقيق ك. وسترشين - مطبعة بريل بليدن ١٩٥١

٤٢ - الحميري ، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقيال اليمن (القصدة الحميرية)
تحقيق اسماعيل الجرافي وعلي المؤيد ، دار العودة ، بيروت -
الطبعة الثانية ١٩٧٨

٤٣ - الحوت ، محمود سليم : في طريق الميثولوجيا عند العرب
دار النهار للنشر - بيروت ، ط . الثانية ١٩٧٩

٤٤ - الخشاب ، يحيى : حكايات فارسية ، دار صادر - بيروت

٤٥ - ابن خلدون ، عبدالرحمن: المقدمة ، مراجعة لجنة من العلماء ،
مطبعة مصطفى محمد التجارية - مصر

٤٦ - ابن خلدون ، عبدالرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر
منشورات دار الكتاب اللبناني - ١٩٥٦

٤٧ - ابن خلكان ، شمس الدين أحمد: وفيات الأعيان - تحقيق محمد محيي الدين
عبدالحميد - مطبعة السعادة ، مصر - ط . الأولى ١٩٤٩

٤٨ - خليفة ، حاجي : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - ط .قديمة ١٣١١هـ

٤٩ - خليل ، خليل أحمد: مضمون الأسطورة في الفكر العربي
دار الطليعة - بيروت ١٩٧٣

٥٠ - خورشيد ، فاروق: في الرواية العربية ، طبعة مزيدة ومنقحة
دار العودة ، بيروت - ط . الثانية ١٩٧٥

٥١ - خوري ، رئيف : مع العرب في التاريخ والأسطورة
دار المكشوف - بيروت ١٩٦٣

٥٢ - داود ، جرجس : أديان العرب قبل الاسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات
والنشر - بيروت ، ط . الاولى ٠٩٨١

٥٣ - ابن دريد ، أبوبكر محمد: الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون
دار المسيرة ، بيروت - ط . الثانية ١٩٧٩

٥٤ - الدميري ، الشيخ كمال الدين: حياة الحيوان الكبري
مطبعة الشيخ محمد شاهين ١٢٧٨هـ

٥٥ - الدوري ، عبدالعزيز: نشأة علم التاريخ عند العرب
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت - ١٩٦٠

٥٦ - بن الديبع ، عبدالرحمن بن علي: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون
تحقيق محمد بن علي الأكوع - المطبعة السلفية ، القاهرة ١٩٧١

٥٧ - الدينوري ، أحمد بن داود/ الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر
مطبعة دار احياء الكتب العربية ، القاهرة - ط • الأولى ١٩٦٠

٥٨ - ديورانت ، ول: قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران
جامعة الدول العربية ، القاهرة - ط • الثالثة ١٩٦١

٥٩ - ذو الأصبع العدواني : الديوان ، مكتبة النهضة - مصر

٦٠ - الذهبي ، شمس الدين: تذكرة الحفاظ
دار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٧٤هـ

٦١ - الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء - مصر ١٣٢٦هـ

٦٢ - الزبيدي ، محمد مرتضى: تاج العروس ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج
وزارة الارشاد والأنباء - الكويت ١٩٦٥

٦٣ - الزجاجي ، عبدالرحمن بن اسحاق: الامالي ، تحقيق عبدالسلام هارون
المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة ، ط • الأولى ١٣٨٢هـ

٦٤ - زكي ، أحمد كمال: الأساطير ، دار العودة - بيروت ، ط • الثانية ١٩٧٩

٦٥ - الزمخشري ، جاد الله محمود: الكشاف - دار الكتاب العربي ، بيروت

٦٦ - زهير بن أبي سلمى: الديوان ، صنعة الاعلم الشنتمري
تحقيق د• فخر الدين قباوة - المكتبة العربية ، دمشق

٦٧ - زيدان ، جرجي : العرب قبل الاسلام - دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٦

٦٨ - زيدان ، جرجي : تاريخ آداب اللغة العربية - دار مكتبة الحياة - بيروت

٦٩ - زيدان ، جرجي : أنساب العرب القدماء ، مطبعة الهلال - مصر ١٩٢١

٧٠ - السجستاني ، سهل بن محمد: كتاب المعمرين ، رواية أبي روق الهمداني مطبعة السعادة - مصر ، ط • الأولى ١٩٠٥

٧١ - ابن سعد ، محمد: الطبقات الكبرى - دار صادر ، بيروت ١٩٥٧

٧٢ - ابن سلام الجمي ، محمد: طبقات الشعراء ، مطبعة بريل - ليدن ١٩١٦

٧٣ - ابن سمرة الجعدي ، عمر بن علي: طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٩٥٧

٧٤ - السواح ، فراس : مغامرة العقل الأولى - دار الكلمة للنشر بيروت - ط • الأولى ١٩٨٠

٧٥ - السهيلي ، الامام عبدالرحمن: الروض الانف - تحقيق عبد الرحمن الوكيل دار الكتب الحديث - القاهرة ، ط • الأولى ١٩٦٧

٧٦ - السياغي ، القاضي حسين أحمد: معالم الآثار اليمنية ، مركز الدراسات والابحاث اليمنية - صنعاء ، ط • الأولى ١٩٨٠

٧٧ - الشرجي الزبيدي ، أحمد بن عبداللطيف : طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص المطبعة الميمنية - مصر ١٣٢١هـ

٧٨ - شرف الدين ، أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ - مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، ط • الثانية ١٩٦٤

٧٩ - الشنفرى : الذويان ، مكتبة النهضة - مصر

٨٠ - الشهرستاني ، محمد عبدالكريم : الملل والنحل - تحقيق عبدالعزيز عبدالوكيل منشورات مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة ١٩٦٨

٨١ - شيخو ، الاب لويس: شعراء النصرانية ، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت - ١٩٢٦

٨٢ - ضيف ، شوقي : تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) - دار المعارف مصر - ط • الرابعة

٨٣ - الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف - مصر ١٩٦٠

٨٤ - الطبري ، محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير آي القرآن
المطبعة الاميرية ، بولاق - مصر ط ٠ الأولى ١٣٢٩هـ

٨٥ - طرفة بن العبد: الديوان ، شرح الأعلم الشنتمري - تحقيق درية الخطيب
ولطفي المقال - مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٧٥

٨٦ - عبد الحكيم ، شوقي: الفولكلور والأساطير العربية - دار ابن خلدون
بيروت ، ط ٠ الأولى ١٩٧٨

٨٧ - ابن عبدربه ، أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد - تحقيق أمين والابياري
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ط ٠ الثالثة ١٩٦٥

٨٨ - عبدالرحمن ، نصرت: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، مكتبة الأقصى
عمان - ١٩٧٦

٨٩ - عبدالمعيد خان ، محمد: الأساطير والخرافات عند العرب - دار الحداثة
بيروت ، ط ٠ الثانية ١٩٨٠

٩٠ - عبيد بن الأبرص : الديوان - دار صادر ، بيروت ١٩٥٨

٩١ - عروة بن الورد : الديوان - دار صادر ، بيروت

٩٢ - العلوي ، صالح بن حامد: تاريخ حضرموت السياسي
مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٦٨

٩٣ - علي ، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام
دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٠ الأولى ١٩٦٨

٩٤ - عنان ، زيد بن علي: تاريخ حضارة اليمن القديم
المطبعة السلفية - القاهرة ، ط ٠ الأولى ١٣٩٦هـ

٩٥ - فرانكفورت ، هـ : ماقبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، ط ٠ الثانية ١٩٨٠

٩٦ - فريزر ، جيمس : أدونيس أو تموز ، رجمة جبرا ابراهيم جبرا
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، ط ٠ الثانية ١٩٧٩

٩٧ - فلهاوزن : بقايا الوثنية العربية - برلين ، ط ٠ الثانية ١٨٩٧

٩٨ - الفيروز أبادي ، مجد الدين: القاموس المحيط - مؤسسة الحلبي ، القاهرة

٩٩ - فيلبس ، ويندل : كنوز مدينة بلقيس - تعريب عمر الديراوي
دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٠ الاولى ١٩٦١

١٠٠ - القالي ، اسماعيل بن القاسم : الأمالي وذيل الأمالي
المكتب التجاري - بيروت (بلا تاريخ)

١٠١ - ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم : المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة
دار المارف - مصر ، ط ٠ الثانية ١٩٦٩

١٠٢ - القرشي ، محمد بن أبي الخطاب : جمهرة أشعار العرب
دار صادر - بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م

١٠٣ - القزويني ، زكريا بن محمد : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات
مطبعة المعاهد - القاهرة (بلا تاريخ)

١٠٤ - القلقشندي ، أحمد أبو العباس: صبح الأعشى ، المطبعة الاميرية
القاهرة ، ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م

١٠٥ - القيسي ، نوري وآخرون: تاريخ الأدب العربي قبل الاسلام
دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٩م

١٠٦ - ابن كثير ، الحافظ عماد الدين اسماعيل: البداية والنهاية
مطبعة السعادة - مصر ، ط ٠ الاولى ١٩٣٢م

١٠٧ - ابن كثير ، الحافظ عماد الدين اسماعيل: في تفسير القرآن العظيم
دار الاندلس - بيروت ، ط ٠ الأولى ١٩٦٦م

١٠٨ - ابن كثير ، الحافظ عماد الدين اسماعيل: السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى
عبدالواحد ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٤

١٠٩ - الكميت بن زيد: الديوان ، دار صادر - بيروت

١١٠ - المبرد، محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق زكي مبارك
مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ط ٠ الأولى ١٩٣٦

١١١ - المرزوقي ، الأصفهاني أبوعلي : الأزمنة والأمكنة ، حيدر اباد ، ١٣٣٢هـ

١١٢ - المسعودي ، علي بن الحسين: مروج الذهب ، تحقيق يوسف أسعد داغر
دار الأندلس - بيروت ، ط ٠ الأولى ١٩٦٥

١١٣ - المعري ، أبو العلاء : شروح سقط الزند ، نسخة مصورة عن دار الكتب
الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٤٥

١١٤ - المعري ، أبو العلاء : رسالة الغفران ، نشرة الكيلاني الأولى
مطبعة المعارف - مصر

١١٥ - المعلوف ، شفيق: عبقر ، ط . الرابعة - البرازيل ١٩٤٩

١١٦ - المقدسي ، المطهر بن طاهر: البدء والتاريخ - مطبعة برطرند
سالون ، فرنسا ١٨٩٩

١١٧ - مكي ، الطاهر أحمد: القصة القصيرة ، دار المعارف - مصر ط . الأولى ١٩٧٧

١١٨ - ابن منبه ، وهب : التيجان ، تحقيق ونشر مركز الدراسات اليمنية
صنعاء ، ط . الثانية ١٩٧٩

١١٩ - ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر
بيروت ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م

١٢٠ - المنقري ، نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام هارون
القاهـرة ١٣٨٢هـ

١٢١ - موماي ، موريس : التوراة والانجيل والقرآن والعلم
دار الكندي - بيروت ، ط . الاولى ١٩٧٨

١٢٢ - الميداني ، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تحقيق محمدمحيي الدين عبدالحميد
مطبعة السعادة ، مصر - ط . الثانية ١٩٥٩

١٢٣ - النابغة الزبياني : الديوان ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق شكري فيصل
مطابع دار الهاشم - بيروت ١٩٦٨

١٢٤ - ابن النديم : الفهرست ، مطبعة الاستقامة - القاهرة

١٢٥ - نصار ، حسين : نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي - مكتبة النهضة
المصرية ، ط . الثانية ١٩٦٦

١٢٦ - نعناعة ، رمزي : الاسرائيليات ، مطبعة دار الضياء - بيروت
ط . الاولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

١٢٧ - النمر بن تولب : الديوان ، صنعة نوري القيسي
مطبعة المعارف ، بغداد (بلا تاريخ)

١٢٨ - النويري ، شهاب الدين أحمد: نهاية الارب في فنون الأدب
دار الكتب المصرية ، القاهرة - ط . الاولى ١٩٤٩

١٢٩ - النيسابوري ، أبو اسحاق الثعلبي: قصص الأنبياء (عرائس المجالس)
القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م

١٣٠ - نيكلسون : تاريخ الأدب العربي ، ترجمة صفاء خلوصي
مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٩

١٣١ - نيلسون ، دتيل وفرانز هومل: في التاريخ العربي القديم (ترجمة د. فؤاد حسنين) مطبعة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٨

١٣٢ - هبو ، أحمد: تاريخ العرب قبل الاسلام
منشورات جامعة حلب ، كلية الآداب - ١٩٨٠

١٣٣ - الهذليون : الديوان ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط . الاولى ١٩٤٥

١٣٤ - ابن هشام الكلبي: السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر - ط . الثانية ١٩٥٥

١٣٥ - هشام الكلبي : الأصنام ، تحقيق أحمد زكي
مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة - ط . الثانية ١٩٢٤

١٣٦ - الهمداني ، الحسن بن أحمد: الأكليل ، ج١ و ج٢ و ج٨ تحقيق محمد بن علي الأكوع ، ط . القاهرة ودمشق ١٩٦٧ - ١٩٧٩
وج٨ تحقيق نبيه فارس - ط . بيروت

١٣٧ - الهمداني ، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن عبدالله بلبهيد ، مطبعة السعادة - مصر ١٩٥٣

١٣٨ - هوروفتس ، يوسف : المغازي الأولى ومؤلفوها ، ترجمة حسين نصار
مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، ط . الاولى ١٩٤٩

١٣٩ - هوميروس : الالياذة ، ترجمة دريني خشبة
دار العودة ، بيروت - وترجمة سليمان البستاني - مصر ١٩٠٤

١٤٠ - اليافعي : مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين
ط . البابلي الحلبي - القاهرة ، بدون تاريخ

١٤١ - ياقوت الحموي : ارشاد الاريب ، مطبعة دار المأمون - بلا تاريخ

١٤٢ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر - بيروت ١٩٩٥٥

١٤٣ - اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح : التاريخ
مطبعة العربي ، النجف ١٣٥٨هـ

١٤٤ - مجموعة من المؤلفين الغربيين : التوراة تاريخها وغاياتها
ترجمة سهيل ديب - دار النفائس - بيروت ، ط . الثانية ١٩٧٧

فهرس المراجع الأجنبية

1 - BOLVINCH, THOMAS: THE MYTHOLOGY OF GREECE AND VOM - U.S.A.

2 - CLEMEN, CARL: RELIGION OF THE WORLD
PLIMPTON PRESS,NORWOOD MARS 1931

3 - ENCYCLOPEDIA BRITTANNICA vol. 1

4 - ENCYCLOPEDIA OF ISLAM vol. 1

5 - ENCYCLOPEDIA OF RELIGION AND ETHCS vol. 1

6 - EUHEMRUS, INTRODUCTION TO MYTHOLOGY

7 - FRAZER, SIR JAMES: THE GOLDEN VOUCH vol. 5
MACKMILLAN - NEW YOURK 1971

8 - FROMM, ERIC: THE FORGOTTEN LANGUAGE

9 - GORDON, C.H.: UGRIT, NORTON LIBRARY
NEW YOURK 1962

10 - KING, W.: BABYLION FELIGION
LONDON 1966

11 - KING, W.: SEVEN TABLETS OF CREATION
LONDON 1962

12 - LANGDON, S.H.: THE MYTHOLOGH SCINCE OF THE WORLD vol. 3
PLINPLON RRESS, NORWOOD MARS 1931

13 - MLLINOVSKI, MAGIC, SCINCE AND RELIGION
GARDEN CITY, NEW YOURK 1954

14 - MALINOVSKI, MYTH IN PRINITIVE PSYCHOLOGY
LONDON 1926

15 - SMITH. W. ROBERTSON: RELIGION OF THE SEMITES
LONDON 1884

16 - SPENCE, LEWIS: INTRODUCTION TO MYTHOLOGH
LONDON 1931

17 - SPENCE, LEWIS: MYTHS AND LEGENDS OF AMCIENT EGYPT

18 - SPENCE, LEWIS: MYTHS AND LEGENDS OF BABYLION & ASSYRIA
LONDON 1928

فهرس المجلات والدوريات

١ - بتروفسكي : مجلة "الحكمة" اليمنية ، مقالة "التراث اليمني القديم"
العدد ٣٨ سنة ١٩٧٥

٢ - بتروفسكي : مجلة "الحكمة" اليمنية ، مقالة عن سيرة التبع أسعد الكامل
العدد ١٠٩ سنة ١٩٨٤

٣ - الجوزو ، مصطفي : مجلة "الفكر العربي" مقالة حول الأسطورة العربية
العدد ٢٢ - ايلول سنة ١٩٨١

٤ - القلماوي ، سهير : مجلة "عالم الفكر" - الكويت ، مقالة "القصص الشعبي"
العدد الأول - سنة ١٩٧٢

٥ - القرشي ، عبد الرحيم سلام : مجلة "الحكمة" اليمنية ، مقالة "الأساطير في تراث اليمن الثقافي"
العدد ٥٨ ، سنة ١٩٧٧

٦ - عبدالله ، يوسف : مجلة "الحكمة" اليمنية ، مقالة "التكامل من شواهد اليمن القديم"
العدد ٣٨ ، سنة ١٩٧٥

٧ - بيستون : مجلة "الحكمة" اليمنية ، مقالة "مشاكل النقوش"
العدد ٣٨ ، سنة ١٩٧٥

فهرس الاعلام

الألـــف

البـاء

التـاء

الثـاء

الجيـم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الـــراء

الـــزاء

السيـــن

الشيـــن

اللام

الميم

النـــون

الــــواو

الهـاء

اليـــاء

فهر القبائل والبطون

فهرس الأماكن والمواضع

الألف

الباء

التاء

الجيم

الحاء

فهرس الأشعار